الدولة الطاهرية

عوامل النهوض وأسباب السقوط

الجزء الأول

الملوك المؤسسين



تأليف

أ. إسماعيل مصلح أبو سويد الحجاجي

الدولة الطاهرية

عوامل النهوض وأسباب السقوط

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية – صنعاء– الجمهورية اليمنية

رقم (١١٠٦) لسنة ٢٠١٩م

الطبعة الثانية ٢٠٢٠م



الجمهورية اليمنية. صنعاء. الدائري. جولة الجامعة الجديدة

الدولة الطاهرية

عوامل النهوض وأسباب السقوط

الجزء الأول

" الملوك المؤسسين "

تأليف

الأستاذ/ إسماعيل مصلح أبوسويد الحجاجي

تمت هذه الطبعة الثانية ٢٠٢٠م وهي طبعة مزيدة ومنقحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[1]

غالِ في التاريخِ واجعل كُتُبَه * من كتابِ اللهِ في التقديرِ قَابا

مَثَلُ القومِ نَسوا تاريخَهُم * كلقيطٍ عيّ في الناس انتِسابَا

أو كمَغلوبٍ على ذاكرةٍ * يَشتكي من صِلَةِ الماضي انقِضَابا

أحمد شوقي

[1] سورة الأعراف، الآية ١٧٦.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد،،،

هذا الكتاب الدولة الطاهرية عوامل النهوض وأسباب السقوط، يحكي تاريخ الدولة الطاهرية ومؤسسيها وما عاصرها من أحداث ووقائع مهمة، غيرت مجرى التاريخ في اليمن في القرن التاسع والعاشر الهجري.

ويبين هذا الكتاب أصول الأسرة الطاهرية ونسبهم وعاصمتهم وموطنهم الذي عاشوا فيه، ومكانتهم الإجتماعية قبل قيام دولتهم وتأسيسهم لها، ويتطرق الكتاب كذلك إلى الدولة الرسولية وقيامها وأهم حكامها الذين حكموا اليمن، ودور بني طاهر في الدولة الرسولية وعلاقتهم بالرسوليين، وتولي الطاهريين المناصب إبان عهدهم، بإعتبار أن الدولة الطاهرية كانت إمتداداً للدولة الرسولية في اليمن.

ويتحدث الكتاب عن مؤسسي وزعماء الدولة الطاهرية الملك المجاهد علي والملك الظافر عامر بن طاهر مؤسسي الدولة الطاهرية، والسلطان عبدالوهاب بن داود، والملك عامر بن عبدالوهاب، ويبين صفاتهم والمنهج الذي ساروا عليه، وكيف تعاملوا مع سنن الله في بناء الدولة، كسنة التدرج وسنة الأخذ بالأسباب، وسنة تغيير النفوس التدافع الإبتلاء، وكيف حقق القادة الأوائل لهذه الدولة شروط التمكين، وكيف أخذوا بأسبابه المادية والمعنوية، وكيف استطاعوا التمكن من توحيد اليمن بأكمله، رغم التحديات الداخلية والخارجية، ومن تحكيم شريعة الله في الأرض، وإحلال العدل والأمان والإستقرار والنهوض، ويتحدث الكتاب عن جهادهم ودعوتهم وحبهم للعلم والعلماء، وإقامتهم للعدل بين الرعية ونصرة المظلومين، وتصديهم للحملات الخارجية، وخاصة الحملة الصليبية البرتغالية والحملة المملوكية الشركسية.

ونبين للقاريء الكريم أيضاً أن النهوض للدولة الطاهرية في اليمن كان شاملاً في كافة المجالات العلمية والسياسية والإقتصادية والحربية والإجتماعية، فملوك الدولة الطاهرية أقاموا نهضة حضارية في جميع المجالات العلمية والإقتصادية والعمرانية، بل إنهم ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية في اليمن، والتي لا زالت تبدو شواهدها العظيمة في كثيراً من آثارها البارزة والممتدة إلى عصرنا الحاضر.

وتبدو أهمية هذا الكتاب والذي يحكي حقبة من أهم حقب التاريخ اليمني، وفصلاً شيقاً من فصوله، وهو تاريخ الدولة الطاهرية تبدو أهميته من خلال عدة أمور مهمة:

أولاً: بيان الصراع الدولي على النفوذ في اليمن، فقد تصارعت في ذلك الوقت أكبر الدول والإمبراطوريات في العالم، للإستيلاء على بلاد اليمن لأهمية موقعها الجغرافي، والذي يعتبر المحطة الأهم

في خط الملاحة البحرية، والتجارة العالمية بين الشرق والغرب، وكانت من أبرز هذه الدول التي تصارعت على النفوذ في اليمن الدولة العثمانية، والإمبراطورية البرتغالية، ودولة المماليك.

ثانياً: يبين هذا الكتاب الإنقسام السياسي والتمزق الجغرافي الذي ظهر في أواخر عهد الدولة الرسولية، والذي أدى إلى ظهور كثير من السلطنات والإمارات والمشيخات في اليمن وصلت إلى أكثر من عشرة تكتلات سياسية، كلاً يسعى لتكوين دولته وسلطته الذاتية، ودور بني طاهر عند تأسيس دولتهم في توحيد اليمن والقضاء على هذه التمردات السياسية.

ثالثاً: أن الحقبة الزمنية التي مرت بها الدولة الطاهرية هي مرحلة تغير جذري في تاريخ اليمن الإسلامي، فكثيرٌ من المؤرخين يجعل القرن العاشر، وهو تاريخ دخول العثمانيين لليمن وانتهاء الدولة الطاهرية، العهد الفاصل بين التاريخ الإسلامي القديم والحديث.

رابعاً: تبدو أهمية هذه الدراسة أيضاً من خلال سرد أحداث الصراع السياسي، بين الأئمة الزيدية في شمال اليمن، وبين الدولة الطاهرية، والتي كانت تمثل الأغلبية الشافعية وهم أبناء المناطق الوسطى والجنوب والمناطق الغربية، فقد أثر هذا الصراع كثيراً على الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية في اليمن.

خامساً: يبين هذا الكتاب حقيقة الحملات الصليبية البرتغالية في القرن العاشر بزعامة الأمير هنري الملاح وفاسكو دي جاما على العالم الإسلامي، وخاصة اليمن والتي حاول البرتغاليون كثيراً الإستيلاء عليها، والإستيلاء على أهم الموانيء والمدن البحرية الواقعة على خط الملاحة العالمية، وخاصة عدن والشحر، والحديدة وجزيرة كمران وسوقطرى، ودور الدولة الطاهرية رغم إمكانياتها المتواضعة في التصدي لهذه الحملات الصليبية.

سادساً: تبدو كذلك أهمية هذا الكتاب من خلال الكشف عن الكثير من الحقائق التاريخية وإزالة الغموض عن بعض الأحداث التاريخية المهمة، التي حدثت في عصر الدولة الطاهرية، والتي لم يتطرق لها كثيرٌ من الباحثين والكتاب المعاصرين، وذلك كدور ملوك بني طاهر الجهادي في دعم مملكة عدل الإسلامية في إفريقيا ضد النصارى، وكذلك دورهم في التصدي للحملات البرتغالية الصليبية في السواحل اليمنية، وإمتداد نفوذ الطاهريين إلى حضرموت والمهرة واقليم ظفار، والنهضة العلمية التي قاموا بها ببناء المدارس والإهتمام بالعلم والعلماء وجلبهم أهم المؤلفات العلمية من الدول الأخرى، كل هذه الحقائق يبين أهميتها وحقيقتها هذا الكتاب.

سابعاً: كثرة الخائضين في تاريخ الدولة الطاهرية دونما تأصيل علمي، أو دراية بأصول البحث العلمي والتوثيق التاريخي، جعل كثيراً من الحقائق محل نزاع بين المهتمين والقراء في تاريخ الدولة الطاهرية، مثال

ما هي عاصمة الدولة الطاهرية وحقيقة نسبهم، ومنهجهم في الحكم، وعلاقاتهم مع الدول الأخرى كالعثمانيين والمماليك والحجاز، وهذا ما يبين حقيقته هذا الكتاب بإذن الله.

والحقيقة لا يفوتني أن أشير هنا أن الكتابة في تاريخ الدولة الطاهرية، هو كتابة وخوض في حقبة تاريخية تُعد من أصعب المراحل التاريخية في اليمن التي قد يكتب أو يخوض فيها الباحث والمؤرخ، وهذا ما لا يجهله المؤرخين اليمنيين.

فقد مكثتُ لسنوات طويلة أبحث وأقرأ حول تاريخ الدولة الطاهرية في المراجع التاريخية المخطوطة والمطبوعة، حتى أجتمعت في مكتبتي مادة علمية غزيرة من المؤلفات والمراجع التاريخية، المتعلقة بتاريخ الدولة الطاهرية والعصر الذي ظهرت فيه، والتي تبين كثيراً من أحداث وتفاصيل هذه الدولة العظيمة.

ولعلّ من أبرز الصعوبات التي واجهتني وتواجه من يقراء في المراجع التاريخية القديمة رغم غزارة مادتها التي تتكلم وتؤرخ عن الدولة الطاهرية، سواءً كانت المخطوطات المحققة وغير المحققة، هو الإنحياز الواضح لكثيرٌ من المؤرخين المعاصرين لعهد الدولة الطاهرية لأحد الفريقين المتصارعين على الحكم، مما جعل التناقض بينهما أمراً واضحاً في سرد الأحداث التاريخية لكل فريق بحسب رؤيته وولائه.

فالمخطوطات والمراجع التاريخية سواءً التي عاصر مؤلفوها الدولة الطاهرية أو التي كُتِبت بعدها بفترة قصيرة، تناول كثيرٌ من كتابها الأحداث التاريخية من خلال طرحها ومدى تأثرهم بتوجههم السياسي أو المذهبي، ومدى إرتباطهم ببني طاهر أو بالأئمة الزيديين، وتناقل مؤلفوها المعلومات والأحداث من بعضهم البعض، وحوت كثيرٌ منها على مظاهر المدح والذم، وبالتالي انعكست على السرد التاريخي للأحداث كما شوهدت أو رويت، مع الكثير من الإسهاب دون تحليل أو إبداء رأي، إلا أن هذه العيوب لا تقلل من أهميتها باعتبارها المنهل الأساسي لهذا الكتاب.

ويمكن القول بصفة عامة أن المخطوطات والمراجع التاريخية التي اعتمدت عليها في هذا البحث والتي تكلمت عن الطاهريين تتكون من قسمين، إستناداً إلى المذهبية السائدة في اليمن، زيدية في المناطق الشمالية وسني أو شافعي في بقية المناطق اليمنية الوسطى والجنوبية والغربية التهامية.

فنجد جمال الدين بن مُحَّد بن شرف الدين ومُحَّد بن إسماعيل الكبسي ويحي بن الحسين وعيسى بن لطف الله والواسعي، بحكم أنهم والأئمة الزيدية ينتمون لأسرة واحدة ومذهب واحد قد مجدوا الأئمة، وكالوا التُهم والنقد لخصومهم الطاهريين.

والعكس من ذلك يظهر عند المؤرخين الذين ينتمون للمناطق الوسطى والغربية والجنوبية من اليمن، كالعلامة عبدالرحمن الديبع الزبيدي ومُحَّد بافقيه الشحري وكمال الدين الذؤالي الزبيدي والطيب بامخرمة وباحسن والعيدروس والشلي وعماد الدين ابن الأنف القرمطي، نجد هؤلاء على الولاء التام

للطاهريين، استناداً للمذهبية السنية أو الولاء السياسي، وإقرارهم بولايتهم، فكانوا حريصين على إبراز محاسن سلاطين بني طاهر ولا يذكرون مساوئهم، ولا يترددون في نقد خصوم بني طاهر من الأئمة الزيديين، لأنهم خالفوا ولاتهم، ورغم محاذير هذا الإنحياز السياسي والتاريخي، إلا أنه ساعد على كشف كثير من الحقائق التاريخية.

والحق يُقال أن التنبيه على هذه الحقيقة التاريخية حول التأثيرات السياسية على المؤلفين المعاصرين للدولة الطاهرية في سرد الأحداث التاريخية، لا تقلل من فضل ومكانة هؤلاء الكوكبة من العلماء والفقهاء الأجلاء رحمهم الله، والذي لولاهم بعد الله لما حفظت لنا هذه العلوم الجليلة من الفقه والحديث وغيرها، وخاصة ما هو محل بحثنا من المؤلفات التاريخية.

كل هذه الصعوبات تطلبت مني أن استلزم التريث في قراءة وبحث وسرد الأحداث التاريخية، وسبر أغوارها في المخطوطات المحققة وغير المحققة في التاريخ اليمني بشكل عام وتاريخ الدولة الطاهرية بشكل خاص، والترجيح التاريخي بالمعايير العلمية والتأصيلية المعلومة لدى الباحثين، وجمع أقوال المؤرخين اليمنيين والترجيح فيما بينها، وربط الأحداث التاريخية بالعوامل المحيطة والمؤثرة بها، لتبدو الحقيقة جلية، فكان الوصول إلى الحقيقة قدر الإمكان عملاً شاقاً، تطلب التحري والدقة والبحث في جميع المراجع التاريخية لجميع الكتّاب المعاصرين للدولة الطاهرية.

وقد قسمت هذا الكتاب إلى جزئين، تكلمت في الجزء الأول منه حول تاريخ ونشأة الدولة الطاهرية عوامل النهوض والملوك المؤسسين، والجزء الثاني سيرة الملك عامر بن عبدالوهاب ومن بعده من ملوك بني طاهر وأسباب سقوط الدولة الطاهرية.

فأسأل الله أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأسأله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم سبحانه.

كتبه/ إسماعيل مصلح أبوسويد الحجاجي

القادسية. صنعاء

الفصل التمهيدي

أصول بني طاهر وموطنهم وعلاقتهم بالدولة الرسولية

كان لظهور الطاهريين على مسرح الأحداث في اليمن وجنوب الجزيرة العربية أثرٌ كبيرٌ في تغيير الأوضاع السياسية في تلك المنطقة، التي كانت تتنازعها عدة قوى فمن جهة كانت بقايا الدولة الرسولية التي حكمت اليمن عدة قرون والتي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة في بداية القرن التاسع، وفي شمال اليمن كان هناك الأئمة الزيدية الذين يحاولون إقامة دولة لهم في اليمن على أنقاض الدولة الرسولية، وخارجياً تصارعت كبرى الدولة العالمية في ذلك الوقت لتحتل وتسيطر على اليمن لأهميته الإستراتيجية كمنفذ بحري مهم يربط بين آسيا وافريقيا، ولوقوعه على خط الملاحة والتجارة العالمية فقد تصارعت وتنافست الدول الكبرى على موقع اليمن الجغرافي، وظهر ذلك جلياً في المحاولات الكثيرة التي قام بها البرتغاليون في عصر الدولة الطاهرية للحصول على موقع استراتيجي في خليج عدن أو البحر الأحمر أو بحر العرب، وكذلك محاولات المماليك الشركس الذين كانوا يحكمون مصر والشام في ذلك الوقت وأثر ذلك في غزو اليمن، ومن ثم ظهور الدولة العثمانية على مسرح الأحداث في أواخر عهد الدولة الطاهرية وزوالها على يد العثمانيين.

فكل هذه الأحداث السياسية المهمة والمتسارعة في هذه الحقبة الزمنية من تاريخ الدولة الطاهرية، جعلت دراسة وقراءة تاريخ الدولة الطاهرية من أهم ما يهتم به في العصر الحاضر.

لذا فإننا سنبين في هذا الفصل في مبحثين مستقلين أولاً أصول بني طاهر ونسبهم ومكانتهم الإجتماعية التي كانوا عليها وموطنهم وبلادهم، ثم نبين بعد ذلك كيفية ظهور بني طاهر في الأحداث السياسية في اليمن، وعلاقتهم بالدولة الرسولية والمناصب التي تولوها في عهدهم، وسنبين ذلك في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: أصول بني طاهر وموطنهم

المبحث الثاني: اتصال بني طاهر وعلاقتهم بالدولة الرسولية

المبحث الأول
أصول بني طاهر وموطنهم

في هذا المبحث سنبين أصول بني طاهر وحقيقة نسبهم، ونبين كذلك المكانة الإجتماعية التي كانت لهم في بلادهم قبل توليهم المناصب السياسية والإدارية لبني رسول، ونبين أيضاً البلاد التي كانوا يقطنوها، والمناطق التي كانت تخضع لسيطرتهم، ومن خلالها نتعرف على العاصمة الطاهرية التي كان ينطلق منها بني طاهر لقيادة وحكم البلاد، ولنعلم كذلك مدى تأثير ذلك على الرسوليين، وسنبين ذلك كله في ثلاثة مطالب مستقلة كالآتي:

المطلب الأول: نسب بني طاهر

المطلب الثاني: مكانتهم الإجتماعية

المطلب الثالث: عاصمة بني طاهر وموطنهم

المطلب الأول
نسب بني طاهر

اختلف الباحثون والمؤرخون حول نسب بني طاهر ملوك الدولة الطاهرية وإلى أين ترجع أصولهم إلى عدة أقوال، ولكن أبرز هذه الأقوال هي قولين، فمنهم من ذهب إلى أن نسبهم يرجع إلى بني أمية من قريش، وذهب البعض الآخر إلى أن نسبهم يرجع إلى قبيلة الذراحنة من يافع.

ومن خلال الإطلاع على المصادر التاريخية المتقدمة نلاحظ أنها لم تُشِر إلى حصول الخلاف بين المؤرخين المتقدمين، أو المعاصرين لبني طاهر وللدولة الطاهرية حول نسب الطاهريين، فقد كانوا يقولون بأن نسب بني طاهر يرجع إلى بني أمية من قريش.

وإنما أثار هذا الخلاف بعض مؤرخي الزيدية، وبعض المؤرخين المتأخرين.

وأما بالنسبة للأقوال التي ذكرها المؤرخون حول نسب بني طاهر، فمنهم من يقول أن الطاهريين هم قرشيون من بني أمية كما ذكرنا ذلك، وقد أشار لهذا معظم المؤرخين والعلماء المتقدمين، وخصوصاً الذين عايشوا الدولة الطاهرية.

وهناك أقوال أخرى تذهب إلى أن الطاهريين هم يمنيون يرجع أصلهم إلى قبيلة الذراحنة وهي قبيلة تنحدر أصولها من قبيلة يافع الحميرية، وبهذا يمكن القول إلى أن أبرز الأقوال في نسب الطاهريين هما هذان القولان.

وللخلاف الشديد بين الكتاب والباحثين في هذا العصر في حقيقة نسب الطاهريين فقد رأيت أن أفصل في هذه المسألة وأذكر هذه الأقوال والمصادر التاريخية التي استندت إليها، وما أستندوا إليه كل فريق من حجج، ثم نبين القول الراجح في نسب بني طاهر.

القول الأول أن الطاهريين من بني أمية من قريش:

أسندت كثير من المصادر التاريخية نسب الطاهريين الى الفرع الأموي من قريش، وقالت بعض تلك المصادر أن الطاهريين من سلالة الخليفة عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدالشمس بن عبد مناف القرشي[١].

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار، عماد الدين إدريس بن الأنف القرمطي، تحقيق العلامة مُحَمَّد بن الأكوع، منشورات الهيئة العامة اليمنية للكتاب صنعاء، طباعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، طبعة ١٩٩٥م، ص٦١، قلادة النحر في وفيات أعيان

وذكرت مصادر أخرى أن نسب بني طاهر يرجع إلى طاهر بن معوضة بن تاج الدين بن معوضه بن مُحَمَّد بن سعيد بن عامر بن مسعود بن وهب بن فهر بن حرب من بني أمية، من قريش[١].

وعلى العموم فإن كلا القولين يرجع نسب بني طاهر إلى بني أمية من قريش، وهم أبناء عمومة بني هاشم، ومن أبرز من قال بهذا النسب من العلماء والمؤرخين المتقدمين:

١. العلامة أبي الضياء عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي المتوفى سنة ٩٤٤ هجرية، في كتابه الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد والذي حققه الدكتور يوسف شلحد[٢].

وقد ذكر ذلك أيضاً نفس المؤلف في كتابه قرة العيون بأخبار اليمن الميمون عند ذكره الخلفاء من بني طاهر فقال: "دولة الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر وأخيه الملك الظافر صلاح الدين عامر ابني طاهر بن معوضة ابن تاج الدين القرشي الأموي العمري"[٣].

٢. وقال بنفس هذا القول العلامة المؤرخ أبي مُحَمَّد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة والمتوفى سنة ٩٤٧هـ، في كتاب قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، حيث قال في نسب الملك عامر بن طاهر: "هو السلطان الملك الظافر عامر بن طاهر بن معوضه بن تاج الدين القرشي الأموي العمري، وكأنه منسوب إلى عمر بن عبدالعزيز بن مروان الخليفة"[٤].

٣. وكذا نسبهم إلى بني أمية المؤرخ عماد الدين إدريس بن الأنف القرمطي المتوفى سنة ٨٧٢هـ، في كتابه روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار والذي حققه المؤرخ والعلامة مُحَمَّد بن علي الاكوع الحولي الحميري، فقال: "هؤلاء بني معوضة بن تاج الدين

الدهر، أبو مُحَمَّد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة الحضرمي، تحقيق بو جمعة مكري وخالد زواري، طبعة دار المنهاج جدة السعودية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص٥٧٢.

١ الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، عبدالرحمن بن علي الديبع، تحقيق الدكتور يوسف شلحد، طباعة مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، طبعة ١٩٨٣م، ص ٣٠، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، العلامة عبدالواسع بن يحي الواسعي، مكتبة اليمن الكبرى صنعاء للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٩١م، ص٢١٢.

٢ الفضل المزيد على بغية المستفيد، عبدالرحمن بن علي الديبع، ص ١٢١.

٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني، تحقيق العلامة مُحَمَّد بن علي الأكوع، طباعة مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م، ص٤٩٣ .

٤ قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو مُحَمَّد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة الحضرمي، تحقيق بو جمعة مكري وخالد زواري، طبعة دار المنهاج جدة السعودية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ٤٣٨/٦.

نسبهم من آل عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف القرشي"[١].

٤. وممن نسب بني طاهر إلى بني أمية من قريش المؤرخ قطب الدين النهروالي المتوفى سنة ٩٩٠ هجرية، في تاريخه البرق اليماني في الفتح العثماني، فقال: "عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة الأموي،... شافعياً سُنياً سنِياً قرشياً[٢]".

٥. ونسب كذلك المؤرخ العلامة عبدالله بن صلاح الدين بن داعر المتوفى سنة ١٠٠٧هـ بني طاهر إلى بني أمية من قريش في تاريخه الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية، فقال:"الملك المجاهد شمس الدين علي وأخوه الملك الظافر صلاح الدين عامر أبناء طاهر بن معوضة بن تاج الدين القرشي العمري".[٣]

٦. وممن نسبهم إلى بني أمية من قريش، المؤرخ مُحَّد بن عمر الطيب بافقيه المتوفى تقريباً سنة ١٠٢١هـ في كتابه تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، حيث يقول: "الشيخ السلطان عامر بن عبدالوهاب بن داؤد بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين العمري القرشي الأموي كذا ذكره الفقيه أحمد بن عمر الديبع في تاريخه، ونقلت من خط السيد الشريف الشيخ عمر بن عبدالله العيدروس ذكر نسب الظافر فهو السلطان عامر بن عبدالوهاب بن داؤد بن طاهر بن معوضة العمري الأموي نسبة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه"[٤].

٧. كذلك ممن أكد إنتساب بني طاهر إلى بني أمية العلامة بدر الدين حسين بن عبدالله الأهدل الحسيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، في كتابه "تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن"[٥].

٨. ونسبهم كذلك إلى بني أمية من قريش، المؤرخ العلامة عيسى بن لطف الله بن شرف الدين المتوفى سنة ١٠٤٨هـ، أحد أحفاد الإمام المتوكل يحي بن شرف الدين، فقد قال في تاريخه رَوْح الرُوح في

١ روضة الأخبار ونزهة الاسمار، عماد الدين إدريس بن الأنف القرمطي، ص٦١ .

٢ البرق اليماني في الفتح العثماني، قطب الدين مُحَّد بن أحمد النهروالي المكي، منشورات دار اليمامة الرياض السعودية، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، ص١٦.

٣ الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية، عبدالله صلاح الدين بن داعر، مخطوطة رقم ٩٧٩ من مكتبة راغب باشا من موقع كتاب بيديا.

٤ تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، مُحَّد بن عمر الطيب بافقيه، تحقيق عبدالله مُحَّد الحبشي، طباعة مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص١٢٤.

٥ تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، العلامة بدر الدين الحسين بن عبدالرحمن بن مُحَّد الأهدل الحسيني، تحقيق الأستاذ عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى٢٠١٢م، ٥٠/٢.

ذكر نسب عامر بن عبدالوهاب: "هو عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين بن معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد بن عامر بن مسعود بن فهر بن وهب بن حرب القرشي الأموي[1]".

٩. وممن نسبهم إلى بني أمية من قريش العلامة المؤرخ مُحَمَّد الشلي المتوفي سنة ١٠٩٣هـ، ذكر ذلك في كتابه السنا الباهر بتكميل النور السافر، فقال: "صلاح الدين عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين القرشي الأموي العُمري"[2].

١٠. ونسبهم كذلك إلى بني أمية المؤرخ يحي بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة١١٠٠هـ، في كتابه غاية الأماني في أخبار القطر اليماني[3].

١١. وممن رفع نسبهم إلى بني أمية من قريش المؤرخ محمَّد أمين بن فضل الله المحبي الحموي المتوفى سنة ١١٠٠هـ، في تاريخه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر[4]".

١٢. وممن نسب بني طاهر إلى بني أمية العلامة المؤرخ جمال الدين بن مُحَمَّد بن إبراهيم من نسل الإمام المتوكل يحي شرف الدين في كتابه السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية [5].

١٣. ونسبهم كذلك إلى بني أمية من قريش، العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي الصنعاني المتوفى سنة ١٣٠٨هـ، في كتابه اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية حيث قال: "وهؤلاء بنو طاهر ينتمون إلى بني أمية .... وقد نسبهم بعض أهل التاريخ فقال: هو عامر بن عبدالوهاب بن داود ابن طاهر بن معوضة بن تاج الدين بن معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد بن عامر ابن مسعود بن وهب بن حرب القرشي الأموي"[6].

---

١ روّحُ الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، عيسى بن لطف الله شرف الدين، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص١١.

٢ السنا الباهر بتكميل النور السافر، العلامة مُحَمَّد بن أبي بكر الشلي، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص١٦٣.

٣ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحي بن الحسين بن القاسم، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة مصر طبعة ١٩٦٨م، ٥٨٦/٢.

٤ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمَّد أمين بن فضل الله المحبي الحموي، طبعة دار صادر بيروت لبنان، ٢٧/٤.

٥ السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية، جمال الدين بن مُحَمَّد بن إبراهيم شرف الدين، تحقيق عبدالملك بن مُحَمَّد الطيب، لا توجد دار طباعة أو سنة طباعة.

٦ اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَمَّد بن اسماعيل الكبسي، ص ١٢٧.

١٤. ونسبهم كذلك إلى بني أمية من قريش القاضي عبدالملك بن حسين الآنسي المتوفى سنة ١٣١٥هـ، في كتابه "إتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباء الزمن[١]".

١٥. ونسبهم كذلك القاضي حسين بن أحمد العرشي إلى بني أمية من قريش، في كتابه "بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام"[٢].

١٦. وقال العلامة الشيخ عبدالواسع بن يحي الواسعي اليماني رحمه الله في كتابه تاريخ اليمن المسمى "فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن"، فقال: "وقد تقدم ذكر بني طاهر عند ذكر الملك الظاهر الرسولي وأخيه الناصر وطاهر بن معوضة بن تاج الدين بن معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد بن عامر ابن مسعود بن وهب بن فهر بن حراب القرشي الأموي"[٣].

١٧. وقال العلامة مُحَمَّد بن سالم البيحاني في تاريخه "أشعة الأنوار على مرويات الأخبار[٤]"، بنفس قول الواسعي ورفع نسبهم إلى بني أمية من قريش.

١٨. ويرفع بعض المؤرخين نسب معوضة بن تاج الدين بن مُحَمَّد بن سعيد بن عامر إلى قريش ولكن إلى فرع آخر، ليس إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز بل إلى وهب بن منبه بن حرب القرشي الأموي، ومن هؤلاء المؤرخين العلامة عبدالله بن عبدالكريم الجرافي فقد رفع نسبهم إلى بني أمية في كتابه المقتطف في تاريخ اليمن[٥].

١٩. وممن نسب بني طاهر لبني أمية المؤرخ مُحَمَّد بن عبدالملك المروني في كتابه "الثناء الحسن على أهل اليمن"، فقال: "بني طاهر بطن من قريش يتصل نسبهم إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز الأموي القرشي[٦]".

---

[١] إتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباء الزمن، عبدالملك بن حسين الآنسي، تحقيق القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي، ملحق العدد الثالث من مجلة كلية الآداب منشورات جامعة صنعاء مارس سنة ١٩٨١م، ص٤٨.

٢ بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، القاضي حسين بن أحمد العرشي، مراجعة مُحَمَّد سالم شجاب، طباعة مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص٦٣.

٣ تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، العلامة الواسعي، ص٢١٢.

[٤] أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، مُحَمَّد بن سالم البيحاني، دار إحياء التراث الإسلامي قطر الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ٤٤/٢.

٥ المقتطف في تاريخ اليمن، عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٩٨٤م، ص٩٤.

[٦] الثناء الحسن على أهل اليمن، مُحَمَّد بن عبدالملك المروني، الناشر دار الندى للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٩٩٠م، ص٢٦٧.

٢٠. وممن يرفع نسب بني طاهر إلى قريش، دون أن ينسبهم إلى عمر بن عبدالعزيز، المؤرخ المصري جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤هـ، فقد نسبهم إلى القبائل القرشية التي تسكن منطقة تهامة[١].

٢١. وممن نسب بني طاهر إلى بني أمية العلامة المؤرخ خير الدين الزركلي في كتابه الأعلام فذكر علي بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين القرشي الأموي[٢].

وممن قال بنسب بني طاهر إلى بني أمية من الكتاب والمؤرخين المعاصرين عدة علماء وباحثين منهم:

١. من أبرز الباحثين المعاصرين الذين نسبوا بني طاهر لبني أمية من قريش العلامة علي بن عبدالكريم الفضيل شرف الدين في مشجراته التي أوردها في كتابه "الأغصان لمشجرات أنساب عدنان وقحطان"، وقد اعتمد في مشجراته هذه على مشجرات أبي علامة[٣].

٢. الدكتور مُحَمَّد عبدالعال، حيث يقول في كتابه بنو رسول وبنو طاهر: "وينتسب بنو طاهر إلى الفرع الأموي من قريش، ويقال أنهم من نسل الخليفة عمر بن عبدالعزيز[٤]".

٣. وممن قال بنسب بني طاهر إلى بني أمية من الباحثين المعاصرين الأستاذ المؤرخ عبدالله الحبشي في تعليقه على حاشية تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، لمؤلفه العلامة الحسين بن عبدالرحمن بن مُحَمَّد الأهدل الحسيني، فقد قال عند ذكر الأهدل نسب معوضة إلى بني أمية: "والمذكور من أجداد آل طاهر مؤسسو الدولة العامرية الطاهرية باليمن بعد سقوط الدولة الرسولية[٥]".

٤. ونسبهم أيضاً المؤرخ أحمد حسين شرف الدين إلى بين أمية من قريش، فقال: "[٦]".

٥. والأستاذ عبدالله الثور في كتابه "هذه هي اليمن الأرض والإنسان والتاريخ"[٧].

---

١ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، جمال الدين ابن تغرى بردى، تحقيق مُحَمَّد كمال الدين، عالم الكتب بيروت لبنان، طبعة ١٩٩٠، ص٣٧٣.

٢ الأعلام، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر دار العلم للملايين، بيروت لبنان الطبعة الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢م، ٢٩٦/٤.

٣ الأغصان لمشجرات أنساب عدنان وقحطان، علي بن عبدالكريم الفضيل شرف الدين، مكتبة العزيزية الرياض الطبعة الثانية ١٩٩٥م، ص٣٨٣.

٤ بنو رسول وبنو طاهر، د. مُحَمَّد عبدالعال، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، طبعة ١٩٨٩م، ص٢٤٥.

٥ أنظر حاشية: تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، العلامة بدر الدين الحسين بن عبدالرحمن بن مُحَمَّد الأهدل الحسيني، تحقيق الأستاذ عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى٢٠١٢م، ٥٠/٢.

٦ اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مطبعة السنة المحمدية مصر، الطبعة الثانية ١٩٦٤م، ص٢٢٧.

٧ هذه هي اليمن الأرض والإنسان والتاريخ، للأستاذ عبدالله احمد مُحَمَّد الثور، ص٣٠٧.

٦. كما ذكر المؤرخ عبدالواحد مُحَمَّد راغب أن بني طاهر يرجع نسبهم إلى قريش في كتابه البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران[1].

٧. وممن قال كذلك بنسب الطاهريين إلى بني أمية الأستاذ عبدالله عبدالسلام الحداد في كتابه الإستحكامات الحربية في مدينة زبيد حيث يقول: "الدولة الطاهرية، نسبة إلى طاهر بن معوضة بن تاج الدين بن معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد بن عامر بن مسعود.. ينتهي نسبهم إلى الأمويين"[2].

٨. وأيضاً المؤرخ أحمد معمور العسيري في كتابه موجز التاريخ الإسلامي[3].

٩. ورفع نسبهم كذلك إلى بني أمية من قريش الأستاذ عبدالسلام عباس الوجيه والأستاذ خالد قاسم المتوكل في تحقيقهما لكتاب "مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار[4]".

القول الثاني: أن الطاهريين يمنيون من قبيلة الذراحنة:

ينسب بعض المؤرخين والباحثين بني طاهر إلى قبيلة الذراحنة[5] الحميرية من جبن، والظاهر فيما يبدو ومن خلال ما وقع في يدي من الكتب والمؤلفات التي تكلمت عن الدولة الطاهرية والطاهريين أن معظم أصحاب هذا القول ومن نصره هم من المعاصرين ومن هؤلاء المؤرخين والباحثين:

١. القاضي العلامة مُحَمَّد بن علي الأكوع في تحقيقه لكتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون لابن الديبع في الحاشية[6].

٢. وكذا رجح هذا النسب القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه هجرة العلم ومعاقلة في اليمن[7].

---

[1] البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، عبدالواحد مُحَمَّد راغب، مطابع مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر القاهرة مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ص٣٢٠.

[2] الإستحكامات الحربية في مدينة زبيد، عبدالله عبدالسلام الحداد، رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية الآثار جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م، إصدار وطباعة وزارة الثقافة والسياحة صنعاء، الطبعة الأولى٢٠٠٤م، ص٥٦.

[3] موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، أحمد معمور العسيري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ٢٧٨/١.

[4] مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى اللواحق الندية، مُحَمَّد بن علي الزحيف المعروف بابن فند، النشر دار الإمام زيد بن علي الثقافية للنشر والتوزيع صنعاء اليمن الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ١١٧٦/٣.

[5] الذراحن: قبيلة في يافع العليا، هم الذراحن بن يافع بن السرو بن قاول بن زيد بن ناعتة بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رُعين، منهم طائفة في جُبن الذي كان تابعاً ليافع في القديم. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٤٥/١.

[6] قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني تحقيق العلامة مُحَمَّد بن علي الأكوع، ص٤٠٥.

[7] هجر العلم ومعاقلة في اليمن، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ص٣٠٥.

٣. وأيضاً ممن قال بانتساب الطاهريين إلى اليمن الدكتور مُحَّد عبدالعال أحمد في كتابه بنو رسول وبنوطاهر، وذلك بعد أن ذكر الأقوال التي ذكرت انتسابهم لبني أمية من قريش وإلى قبيلة القريشية في تهامة، ثم رجح برأيه الشخصي انتسابهم لليمن[١].

٤. وممن قال بانتساب بني طاهر إلى قبيلة يمنية من جبن، القاضي عبدالله بن عبدالوهاب الشماحي، في كتابه "اليمن الإنسان والحضارة"، فيقول: "بنو طاهر أصلهم من قبائل من ناحية جبن، بلاد رداع المذحجية الكهلانية، وقد عرفوا ببني معوضة نسبة إلى جدهم الشيخ معوضة بن تاج الدين[٢]".

٥. وممن نسبهم إلى الذراحنة الحميريين، الأستاذ أبراهيم أحمد المقحفي في كتابه "معجم البلدان والقبائل اليمنية"، فقال: "آل طاهر بطن من قبيلة الذّراحِن الحميرية من جُبَنْ وهم آل طاهر بن معوضه بن تاج الدين الذين حكموا اليمن بعد بني رسول،... وإليهم تنسب منطقة الطاهرية إحدى مراكز مديرية السُوادية وأعمال البيضاء"[٣].

٦. وقال الأستاذ مُحَّد يحي الحداد في كتابه التاريخ العامر لليمن آل طاهر في الأرجح يمنيون، من بلاد جبن قضاء رداع لواء البيضاء، وليسوا قرشيين أمويين، ولا من قبيلة القرشية التهامية كما ذهب إلى كلا القولين بعض المؤرخين"[٤].

٧. وكذلك قال بنسبهم إلى الذراحنة الكاتب العراقي نزار خضير العبادي في كتابه تاريخ العاصمة الطاهرية، والذي أقام في مدينة جبن فترة من الزمن تعرف خلالها على أبناء مدينة جبن[٥].

٨. وكذلك ممن نسب الطاهريين إلى قبيلة الذراحنة الأستاذ مُحَّد أحمد مقبل الفيصلي في كتابه تاريخ الدولة الطاهرية، حيث يقول: "والراجح لدينا مما اطلعنا عليه من مصادر ومراجع تاريخية مختلفة، فإن أصل الطاهريين يمنييون من قبيلة الذراحنة الحميرية التي سكنت في مدينتي جبن والمقرانة مديرية

---

١ بنو رسول وبنوطاهر، الدكتور مُحَّد عبدالعال أحمد ص٢٤٧.

٢ اليمن الإنسان والحضارة، القاضي عبدالله بن عبدالوهاب المجاهد الشماحي، منشورات المدينة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، ص١٤٧.

٣ معجم البلدان والقبائل اليمنية، إبراهيم أحمد المقحفي، دار الكلمة للطباعة والنشر صنعاء اليمن والمؤسسة الجامعية للدراسات بيروت لبنان، طبعة ٢٠٠٢م، ٩٥٥/١.

٤ التاريخ العامر لليمن، مُحَّد يحي الحداد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ٢١٥/٣.

٥ تاريخ العاصمة الطاهرية، نزار خضير العبادي، لم أجد له كتاباً مطبوعاً بهذا الأسم وإنما نقل قوله هذا من بعده من الباحثين الذي استندوا لقوله.

جبن محافظة الضالع حالياً من مخلاف رداع، وينتهي نسبهم إلى الشيخ معوضة بن تاج بن مُحَّد بن سعيد بن عامر الجُبني الحميري"[1].

الراجح في نسب بني طاهر:

الحقيقة أني قد أكثرت النقل في بيان نسب بني طاهر وذلك للخلاف الذي أثير بكثرة حول نسبهم، وبالإستقراء والمقارنة بين أقوال الفريقين المختلفين في نسب بني طاهر نجد أن الفريق الأول وهم القائلين بأن نسب الطاهريين يرجع إلى بني أمية من قريش، هم من المؤرخين المتقدمين وأغلبهم ممن عاصر الدولة الطاهرية أو عاش في عصر الدولة الرسولية قبل تأسيس الدولة الطاهرية، وبل والبعض منهم كان من المقربين لملوك بني طاهر وأبرزهم العلامة عبدالرحمن الديبع مؤرخ الدولة الطاهرية، والعلامة أبي مُحَّد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة، والذين كانت لهما زيارات وتربطهم علاقات مع السلطان عامر بن عبدالوهاب، وكذلك المؤرخ المعاصر لبني طاهر عماد الدين إدريس بن الأنف القرمطي والذي كان معاصراً ومناصراً للملوك المؤسسين عامر وعلي بن طاهر، وكانت تربطه علاقة سياسية بالملك الظافر عامر بن طاهر، وممن كان قريباً من عصرهم العلامة بدر الدين حسين بن عبدالله الأهدل الحسيني، والمؤرخ مُحَّد بن عمر الطيب بافقيه المتوفى تقريباً سنة ١٠٢١هـ.

وأما أصحاب القول الثاني فجُلهم من المؤلفين المعاصرين على الغالب، وقد تلقف هذا القول بعضهم من البعض الآخر وهم في الجملة قد استدلوا باستلالات عقلية، لا يمكن العمل بها أمام النقل من المصادر والمراجع التاريخية المتقدمة والموثقة.

وإن افترضنا أن هناك مصدر تاريخي متقدم قد اعتمدوا عليه في نقل قولهم، مع عدم قراءتي لأي نقل من نقولهم يعتمد على أي مصدر تاريخي، مع ذلك كله فإن أي مصدر منفرد لن يكون بقوة وكثرة وتواتر المصادر التي ذكرت القول بنسب الطاهريين إلى بني أمية وذلك لكثرة وتواتر المصادر القائلة بذلك كما مرّ معنا.

لذا فإن الراجح بأن بني طاهر يرجع نسبهم إلى بني أمية من قريش، والحقيقة أن الناظر والمتأمل بين الفريقين يرى أن الأقرب للحق والصواب هو نسبة الطاهريين لبني أمية من قريش، وذلك لعدة أسباب:

---

[1] تاريخ الدولة الطاهرية، مُحَّد أحمد مقبل الفيصلي، وزارة الثقافة والسياحة الهيئة العامة للكتاب دار الكتاب صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص١٢.

أولاً: أن المؤرخين المتقدمين ممن عاصر الدولة الطاهرية أو تقدم عليها قليلاً أو تأخر أجمعوا تقريباً على أن نسب بني طاهر يرجع لبني أمية من قريش، ولم يخالف في ذلك أحد من المؤرخين والعلماء المتقدمين حسب علمي واطلاعي على المصادر التاريخية التي تحدثت عن الدولة الطاهرية، وإنما ظهر القائلين بغير ذلك في هذا العصر.

وأبرز هؤلاء كما ذكرنا هو العلامة مُحَّد بن علي الأكوع رحمه الله وهو مؤرخ معاصر، وقوله أن بني طاهر ليسوا أمويين لا يستند إلى أدنى دليل أو مصدر تاريخي!!

أما أقوال المؤرخين المعاصرين الآخرين كالدكتور مُحَّد عبدالعال ونزار العبادي فإن غالب استدلالاتهم إن لم يكن كلها هي استدلالات عقلية وتحليلات قائمة على العقل فقط، دون ذكر مصادر تاريخية يعتمد عليها، وهذا لا يعتد به مقابل المصادر التاريخية المتقدمة، لأن المصادر القديمة أوثق بكثير خصوصاً المصادر التي ذكرت نسبهم قبل وصولهم إلى الملك[1].

ثانياً: هناك مصدر أقدم من إبن الديبع المعاصر لدولة بني طاهر ومؤرخ الدولة المعتمد، أكد إنتساب بني طاهر إلى بني أمية، وهو كتاب "تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن" للعلامة بدر الدين حسين بن عبدالله الأهدل الحسيني القرشي المتوفى سنة ٨٥٥ هـ، وكما نلاحظ من تاريخ وفاته أنه توفي قبل قيام دولة بني طاهر وقد نسبهم إلى بني أمية فهذه شهادة محايدة ولا يمكن القول أنه قالها مجاملة لهم لأنهم حكام فقد توفي بدر الدين الأهدل قبل قيام دولتهم بثلاث سنين[2]!!

ومما يدل على تقدم المصادر التاريخية على قيام الدولة الطاهرية، والتي ذكرت نسب بني طاهر إلى بني أمية، ما ذكره ابن الأنف القرمطي في تاريخه روضة الأخبار، والذي ذكر فيه أنه وجد ما يدل على أن

---

١ تنبيه مهم: عدم الإنتقاص للمؤرخين المعاصرين: مع احترامي الشديد للمؤرخين الذين كتبوا في هذا العصر عن الدولة الطاهرية وقالوا بنسبة الطاهريين لقبيلة الذراحنة، وبيان نقض هذا القول وعدم صحته، فإن ذلك لا يعني انتقاصاً لأياً منهم، وإنما الحق والتحقيق في الوصول إليه أولى أن يتبع، مع العلم إني قد بنيت هذا القول بناءً على ما عرضت من أقوال المؤرخين المعاصرين للدولة الطاهرية وغيرهم ممن سبقهم من المؤرخين وممن جاء بعدهم، وهذا ما استقر عليه التحقيق من صحة نسبهم للأمويين وبطلان نسبهم لقبيلة الذراحنة، ومع ذلك فإن اجتهادي هذا إنما هو نتيجة بحث وتأمل ومقارنة بين أقوال المؤرخين المتقدمين والمتأخرين: لذا فإن مخالفتي لمعظم مؤرخي هذا العصر مع احترامي لهم لا يُعد انتقاصاً لهم.

٢ تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، للعلامة الحسين بن عبدالله الأهدل، تحقيق الأستاذ عبدالله الحبشي، ٥٠/٢.

نسبهم يعود لبني أمية من قريش استناداً إلى ما ذكره المؤرخ الجندي[1]، في كتابه السلوك، وقد كانت وفاة المؤرخ الجندي في سنة ٧٣٢هـ[2].

ثالثاً: الصراع بين الممالك في ذلك الزمان على السلطة كان بين قوتين هما: الطاهريين الأمويين والإمامية الهاشمية وهؤلاء أبناء عمومة، فقد كان الصراع وما زال بينهم منذ الجاهلية إلى الإسلام وحتى قيام الدولة الطاهرية، لذا فمن البديهي أن تنشأ بين الطرفين الحرب الإعلامية المؤثرة لإستمالة القلوب.

رابعاً: في ظل الصراع الهاشمي والأموي كان من الأولى أن ينفي الطاهريون عن أنفسهم أي انتماء للأمويين إن كان أصلهم حقيقة لا يرجع إلى الأصل الأموي وكان لابد لهم في ظل الملك والسلطة والمجد والقوة التي يعيشونها أن يفخروا بانتمائهم إلى حمير التي تعود أصول جل اليمنيين إليها ليكون اليمنيون عوناً وسنداً لهم[3].

---

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، عماد الدين ابن الأنف القرمطي، ص٦١.

٢ محمد بن يوسف بن يعقوب، أبو عبد الله، بهاء الدين الجندي، من ثقات مؤرخي اليمن، من أهل الجند بينه وبين صنعاء ٥٨ فرسخا ولي الحسبة بعدن، واشتهر بكتابه السلوك في طبقات العلماء والملوك، ويعرف بطبقات الجندي، وتوفي سنة ٧٣٢هـ. أنظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، الناشر دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢ م، ١٥١/٧.

٣ تنبيه مهم: القول بأن الطاهريين ينتمون لبني أمية وترجيحي أو انتصاري لهذا القول، لا يعني انتصاراً لقبيلة معينة على أخرى سواء كانت هذه القبيلة الذراحنة الحميريون أو القرشية التهاميون، ومن جهة أخرى كذلك فإن هذا لا يعني رفعة لبني طاهر لإنتمائهم لبني أمية أو قريش أو انتقاص لهم لعدم انتمائهم للقبائل اليمنية، لأن هذا من الجاهلية قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} الآية: ١٣، الحجرات.

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "قيل: إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له: ابن فلانة، فقال النبي ﷺ: "من الذاكر فلانة "؟ قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: "انظر في وجوه القوم" فنظر، فقال: "ما رأيت"؟ قال رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: "فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى " فنزلت في ثابت هذه الآية.

وفي الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب بمكة فقال:يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها. فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} أخرجه أحمد في المسند (٥٢٤/٢).

وقد خرج الطبري في كتاب (آداب النفوس) عن أبي نضرة قال: حدثني أو حدثنا من شهد خطب رسول الله ﷺ بمنى في وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال: "أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ قالوا نعم قال ليبلغ الشاهد الغائب" ذكره الألوسي في روح المعاني ١٩٤/٨ من رواية البيهقي وابن مردويه، وفيه عن أبو مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إليه أتقاكم".

ولعلي رضي الله عنه في هذا المعنى وهو مشهور من شعره:

الناس من جهة التمثيل أكفاء .... أبوهم آدم والأم حواء

نفس كنفس وأرواح مشاكلة .... وأعظم خُلقت فيهم وأعضاء

فإن يكن لهم من أصلهم حسب ...... يفاخرون به فالطين والماء

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء

خامساً: أن مؤرخي الدولة الطاهرية وعلى رأسهم ابن الديبع وكمال الدين الذؤالي وابن الأنف القرمطي رحمهم الله كانوا ينسبون الطاهريين إلى الأمويين وذلك في عهدهم وتحت علمهم ودرايتهم، حيث كان ابن الديبع معاصراً لملوك بني طاهر وعلى رأسهم الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب[1]، بل أنه عرض كتابه على السلطان عامر بن عبدالوهاب وفيه ذكر نسب بني طاهر إلى بني أمية ولم يعترض السلطان عامر على ذلك، فيقول العلامة عبدالرحمن ابن الديبع الشيباني الزبيدي في ذلك: "ثم ألفت كتابي التاريخ المسمى بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، ولما وقف عليه مولانا السلطان صلاح الدين الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب، طلبني إلى مجلسه الشريف العالي، واستجاده واستحسنه، ودعا لي ونبهني على إلحاق أشياء فيها كنت أغفلتها واستدراك فوائد لم أكن ذكرتها، ثم اختصرت منه كتابي المسمى العقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر، ذكرت فيها دولة جديه ووالده، ومآثرهم الحميدة ودولته المباركة الميمونة السعيدة، فلما وقف عليه مولانا السلطان، أفاض علي مواهب الجود والإحسان، وأجازني من مواهبه الهنية بجائزة ميمونة سنية[2]".

وأيضاً يذكر المؤرخ عماد الدين ابن الأنف وهو معاصر للملوك المؤسسين للدولة الطاهرية في أحداث زبيد أن "علي بن طاهر جمع العساكر وسار إلى زبيد كالمبادر، وكان في تعز وكتب إلى أخيه ليوافيه بالجمع الكثير، وأنه وقد جمع إليه القرشيين، وخاطبهم قائلاً لهم: إنّا جميعاً من قريش، وسار بهم وبكثير معهم من الجيش[3]".

فهل يُعقل أن ينسب نفسه وقد أصبح ملكاً إلى قريش وهو يخاطب القرشيين، زوراً وبهتاناً.

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ..... وللرجال على الأفعال سيماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله ...... والجاهلون لأهل العلم أعداء
وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سر يقول: "إن آل أبي ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين" أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١٩٧/١)، وقال ابن كثير رحمه الله: "فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ؛ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا، منبها على تساويهم في البشرية: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا } أي: ليحصل التعارف بينهم، كلٌ يرجع إلى قبيلته، تفسير ابن كثير (٣٨٥/٧)، وقال أبو بكر البزار في مسنده: عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: "كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجِعْلان"، مسند البزار برقم (٣٥٨٤) والهيثمي في المجمع (٨٦/٨).

١ نذكّر كل من يدعي الإنتساب إلى بني طاهر بقول الإمام مالك رحمه الله: "الناس مؤتمنون على أنسابهم ما لم يدعوا شرفاً"، فالناس مؤتمنون على أنسابهم ما لم يدعوا الشرف ويثبت خلاف ما يدعون، فإذا ما ثبت خلاف ما يدعون سقطت القاعدة و لم يعتد بها .

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٢٢٥.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٢.

ومن خلال هذه الروايات، رواية التي ذكرها ابن الديبع نجد أن السلطان عامر لم يعترض على ابن الديبع في ذكر نسبهم إلى بني أمية، بل أنه أجازه واستحسنه، فكيف يُعقل عن السلطان عامر بن عبدالوهاب إنكار نسبه والإنتساب إلى غيره مع ما عُرف به من العلم والورع والتقوى والشجاعة، وكذلك رواية ابن الأنف والتي ذكر فيها قول الملك المجاهد بنسبتهم إلى قريش، كل هذه الروايات تدحض أي اجتهاد يعارض ذلك.

سادساً: أن المتأمل والمتتبع لسلالة وذرية بني طاهر وكذلك بني معوضة قاطبة في اليمن في هذا العصر، يجد أن جميع هؤلاء ينسبون أنفسهم إلى بني أمية، ويتناقلون ذلك أباً عن جد وذلك بحفظ أنسابهم، ولم يخالف في ذلك أحد إلا بعض الكتاب المعاصرين، وهذا مستغرب أمام قول أصحاب النسب أنفسهم والمؤرخين المتقدمين في كل أنحاء اليمن مع مخالفة البعض لهم في إنكار ذلك النسب[١].

سابعاً: من المعلوم أن ملوك الدولة الطاهرية من خلال مطالعة سيرتهم، لا سيما الملوك المؤسسين، كان فيهم من الورع والتقوى والخشية والخوف من الله، وكذلك ما كان لهم من العلم الشرعي، والشجاعة في قول الحق، ما لا يُعقل معه انتسابهم زوراً لغير نسبهم، وما لا يعقل معه كذلك أن يرضوا من المؤرخين أن يصنعوا لهم الأكاذيب في عصرهم، فهم بعد أن أصبحوا ملوكاً لا يحتاجون للكذب بانتسابهم لغير أهل اليمن الذين يحكمونهم.

ملاحظات وردود: قد يقول قائل أن ذلك إنما حصل بعد عصرهم فهذا مردود عليه، لأن العلامة عبدالرحمن الديبع كتب مؤلفاته في تاريخ الدولة الطاهرية في عهدهم، وهو معاصر لهم، وقد عرض مؤلفاته التي كتبها على الملك الظافر كما مرّ معنا، وكذلك المؤرخ ابن الأنف القرمطي والذي كتب كتابه روضة الأخبار عن تاريخ الدولة الطاهرية في عهد الملوك الأولين.

وقد ذكر كلا المؤلفين نسب بني طاهر ونسبتهم إلى بني أمية، ولم يعترض على ذلك ملوك بني طاهر، فلا يعقل بعد ذلك رضاؤهم بالقول بغير الحق، أو التزوير في نسبهم.

وأخيراً ....

فإن البحث في النّسب من الأمور المعقدة التي لا يستطيع أي إنسان مهما بلغ علمه أن يبتّ فيه بقول فصل، إلا بالرجوع إلى المصادر والوثائق التاريخية، ولا يخضع ذلك لمجرد الرأي والتحليل التنظيري،

---

١ وقد تتبعت وسألت بنفسي كثيراً ممن ينتمون لبني طاهر وبني معوضة الجد الأكبر لبني طاهر ولا يكاد يختلف أحد منهم على أن نسبهم ينتهي لبني أمية، وهذا ما يعرفونه ويتناقلون أباً عن جد، ومن هؤلاء بني معوضة في إب وذمار وبني طاهر في مأرب والبيضاء وغيرها.

ومعظم ما كتب عن الأنساب قديماً أو حديثاً إنما هو مجرد اجتهادات عرضة للخطأ والصّواب، لأن الإنسان في هذه الأرض قد مرّ عليه آلاف السّنين، ومن ذا الذي يستطيع أن يعيد نسبه موصولاً بنسب قبيلته بلا انقطاع إلى عدنان أو قحطان، فضلا عن سام أو آدم عليه السّلام! يبقى الأمر كما قلت مجرد اجتهادات تخضع للبحث العلمي.

ولكن هناك مسائل مهمة لا بد من ذكرها وهي كالتالي:

١- أن انتقاض بيعة بعض القرشيين وخروجهم ضد دولة بني طاهر لا يعني أن بني طاهر ليسوا قرشيين وإلا لما خرج القرشيون عن طاعتهم، فالتاريخ ملئ بالقتال والتنافس بين أبناء العمومة لا سيما النزاع على السلطة، أذكر على سبيل المثال عبس وذبيان وبكر وتغلب وبني العباس وبني أمية.

٢- اختلفت المصادر التاريخية التي نسبت الطاهريين إلى الأمويين على قولين:

القول الأول: أن عمر بن عبدالعزيز الذي ينسب إليه بنو طاهر ليس المقصود به الخليفة العادل وإنما عمر بن عبدالعزيز آخر من ذرية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

القول الثاني: يرجع نسب الطاهريون إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية[١].

ولعل الصواب هو هذا القول وأن القول بأن نسبهم يعود إلى نسب يزيد هو تحامل من قبل بعض المؤرخين في ذلك العصر، حتى لا يقع الحب والولاء لهم، لكراهة الزيدية وخاصة أئمتهم ليزيد بن معاوية لفسقه وكذلك الغالب على الزيدية حبهم للخليفة عمر بن عبدالعزيز لأنه كان خليفة عادل وكان يقرب آل البيت منه، ويودهم لأنهم أبناء عمومتهم أي بني هاشم وبني أمية[٢].

إلا أننا وفي آخر هذه المسألة التي تعمدنا الإطالة فيها لشدة الخلاف الواقع بها، نخلص بأن نسب بني طاهر يرجع لبني أمية من قريش والله أعلم.

---

[١] بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦١.

[٢] مرّ معنا ذكر المصادر التاريخية التي أوردت نسب بني طاهر وهي: قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لإبن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد لإبن الديبع، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن للأهدل، البرق اليماني في الفتح العثماني للنهروالي، تاريخ عسير للحفظي و غيرها من المصادر القديمة.

المطلب الثاني
مكانتهم الإجتماعية
قبل قيام الدولة الطاهرية

كانت لبني طاهر مكانة مرموقة في مناطقهم والتي تسمت باسمهم في ذلك الزمن، فمنذ أواخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع ظهر اسم معوضة في عصر الدولة الرسولية وكذا برز ابنه طاهر في عهد هذه الدولة وخاصة في عصر الملك الرسولي الناصر أحمد بن إسماعيل الأشرف الغساني.

فقد توفي الشيخ معوضة بن تاج الدين جد السلاطين الخلفاء آل طاهر رحمه الله في جماد الآخر سنة ٨١٢هـ كما ذكر ذلك مؤرخ الدولة الطاهرية العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني[١]، وهو سيد قومه وشيخ المناطق الوسطى وهي بلاد آل عمار والحبيشية والرياشية وبلاد رداع الجنوبية والشرقية والغربية إلى خبان ويريم والحقل من ذي رعين، وكذا المقرانة وحجاج وجبن وحجْر وهي قعطبة وحجاف والضالع، ونحو ذلك من المناطق وقد طالت ولايتهم لهذه المنطقة حتى تسمت باسمهم، فكان يطلق على تلك المناطق بلاد بني طاهر[٢]، وبالتتبع والإستقراء نجد أن هذا ما أكدته ونقلته المراجع والمصادر التاريخية، وهو ما ذكره المؤرخ عبدالرحمن ابن الديبع في تاريخه قرة العيون بأخبار اليمن الميمون[٣] وبغية المستفيد[٤]، والمؤرخ الطيب بامخرمة الحضرمي في تاريخه قلادة النحر[٥]، والمؤرخ يحي بن الحسين في تاريخه غاية الأماني[٦]، وحققه المؤرخ القاضي مُحَّد بن علي الأكوع في قرة العيون[٧]، وأكده أيضاً المؤرخ عبدالله الحبشي في تحقيقه لتاريخ الدولة الرسولية[٨]، والدكتور مُحَّد عبدالعال في تاريخه بنو رسول وبنو طاهر[٩].

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٢.
٢ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الجيل الجديد صنعاء اليمن، طبعة ١٩٨٤م، ص١٨٢.
٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٢.
٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩.
٥ قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، الطيب بامخرمة، ٣٨٨/٦.
٦ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٦٤.
٧ قرة العيون، ابن الديبع، تحقيق القاضي مُحَّد بن علي الأكوع، ص٤٧٢.
٨ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، تحقيق عبدالله الحبشي، ص١٨٤.
٩ بنو رسول وبنو طاهر، د. مُحَّد عبدالعال، ٢٣٠.

وقد كان لبني طاهر الزعامة في تلك المناطق قبل قيام دولتهم بعشرات السنين، فدانت لهم القبائل وناصرهم زعماء القبائل وأصحاب الحصون.

والظاهر أن الدولة الرسولية وملوكها قد استوثقوا من ولاء الشيخ طاهر وأبنائه، واعتمدوا عليهم في إقرار الأوضاع في تلك المناطق[١]، فقد كانت لهم رئاسة في دولة بني رسول وكان منهم وزراء وأمراء[٢].

وقد ذكر ابن الديبع أيضاً أن الشيخ طاهر بن معوضة والد الملكين عامر وعلي مؤسسي الدولة الطاهرية، قدم على الملك الناصر الرسولي في تعز، وكان مقدمه عليه في التاسع عشر من جماد الاخرة عام ٨١٧هـ، فأكرمه إكراماً يليق به وأحسن إليه وإلى جميع من صحبه[٣].

وبالنظر إلى المصادر التاريخية نجد أن بني طاهر كانت لهم سيادة وسلطة سابقة على تلك المناطق منذ القدم، ويمكن أن نرجع سلطة بني طاهر على تلك المناطق إلى أكثر من قرن ونصف القرن من بداية حكمهم لليمن وإنشاء دولتهم.

فقد وجدت بأن أَقدم مرجع تاريخي يتحدث عن مشيخة وسيادة بني طاهر هو ما نقله ورواه العلامة بدر الدين أبي عبدالله حسين بن عبدالله الأهدل الحسيني المتوفى عام ٨٥٥هـ، في كتابه "تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن".

حيث ذكر قصة للشيخ معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد وهو الجد الرابع للشيخ طاهر بن معوضة [٤]، ويرجع تاريخ هذه القصة إلى عام ٧١٣هـ، أي قبل تأسيس الدولة الطاهرية بمائة وخمس وأربعين عاماً، وقد ذكر بدر الدين الأهدل مكانة الشيخ معوضة في ذلك الوقت وامتدحه وأثنى عليه والأهدل هذا هو أول من نسب بني طاهر إلى بني أمية وذلك قبل قيام الدولة الطاهرية أساساً، والقصة التي ذكرها بدر الدين الأهدل ويذكر فيها الشيخ معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد هي مقتل الفقيه عمر بن مُحَمَّد بن مسعود المري، في قرية القايمة[٥] من بلاد الحبيشية.

---

[١] بنو رسول وبنو طاهر، د. مُحَمَّد عبدالعال، ص٢٤٩.

[٢] هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، أحمد فضل العبدلي، المطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة مصر، طبعة ١٣٥١هـ، ص٨٧.

٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٢، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩.

٤ وهو الجد الرابع للشيخ طاهر بن معوضة والذي تنسب إليه الدولة الطاهرية وإسمه الكامل على القول الراجح هو: "طاهر بن معوضه بن تاج الدين بن معوضه بن مُحَمَّد بن سعيد بن مسعود بن فهد بن وهب بن حرب بن عبدالله بن مُحَمَّد بن عمر بن عبدالعزيز". أنظر لبيان تمام اسم بني طاهر تحفة الزمن، الأهدل، ٥٠/٢.

٥ القائمة: بلدة عامرة مشهورة في شرق عمار من مديرية دمت وأعمال محافظة الضالع حالياً، أشار إليها الجندي، وقال كان بها جماعة يعرفون ببني الغسيل وهم من فقهائها وخطبائها وفيهم أخيار. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٣٢١/٢. وتقع القائمة قريباً من المقرانة عاصمة بني طاهر، وقد كان الشيخ معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد جد بني طاهر شيخ بلاد القايمة. أنظر: السلوك، بهاء الدين الجندي، ٢٦٧/٢.

حيث يحكي الأهدل عن تلك الواقعة فيقول: "قتله بعض قطاع الطرق سنة ٧١٣هـ فلزم شيخ البلد القاتل واستدعى بولد للفقيه صغير، فدفع إليه فأساً وقال: اضرب به رأسه فهو قاتل أبيك، فضربه حتى قتله، واسم الشيخ معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد وهو شيخ مدينة القائمة، يذكر بالصيام والصدقة والعدل ومحبة الصالحين وفي مدينته الفقهاء بني الغسيل وهم خطباء المدينة"[1].

وقد سبق الأهدل لهذا النقل التاريخي لهذه الواقعة القاضي المؤرخ بهاء الدين مُحَمَّد بن يوسف الجندي السكسكي، فقد ذكر من فقهاء بلد بني حبيش ثم من قرية القائمة الفقيه عمر بن مُحَمَّد بن مسعود المرّي، والذي توفي مقتولاً من بعض قطاع الطريق، وذلك سنة ثلاثة عشر وسبعمائة للهجرة، فعمل شيخ البلد بلزم القاتل وجاؤا به إلى تربة الفقيه في يوم ثالثه واستدعى بولد للفقيه صغير فسلم له فأساً، وقال أضرب به هذا فهو قاتل أبيك، فضربه حتى قتله بعد ساعة لصغره، وهذا الشيخ رجل خير من أعيان مشايخ الوقت اسمه معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد، شيخ باق مالك لمدينة القائمة يذكر بالدين وكثرة الصيام والقيام والصدقة والعدل، ولم لم يكن له من الخصال المحمودة إلا أخذه بثأر الفقيه هذا، كيف وهو يذكره بالدين والعبادة ومحبة العلماء والصالحين وإطعام الطعام، وفي مدينته جماعة من الفقهاء منهم بنو الغسيل خطباء المدينة[2].

وهذه القصة تدل على أن الشيخ معوضة كان شيخاً على مدينة القائمة وما حولها من المناطق في ذلك الوقت، وتدل أيضاً على مكانته في قومه، وقوته وقدرته على تطبيق شرع الله وإقامة العدل والحدود، وكذلك يدل على مدى سيطرته على الأوضاع في بلاده وردع قطاع الطرق والقتلة والمفسدين، وتحقيق الأمن والإستقرار.

ومن ناحية أخرى يدل على المكانة الدينية التي كانت للشيخ معوضة وصفاته التي ذكرها المؤرخين، وحبه للصالحين والعلماء والفقهاء وإياؤه لهم في بلاده كما مرّ ذكره.

وتدل هذه الروايات أيضاً على أنه كان يُعتبر الممثل للدولة الرسولية في المناطق الوسطى وهي الدولة السنية في ذلك الوقت، وكان الشيخ معوضة يعتبر واجهة النفوذ السني في تلك المناطق، والسور المنيع للتوسع الزيدي في المناطق الوسطى.

١ تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، حسين بن عبدالله الأهدل الحسيني، تحقيق الأستاذ عبدالله الحبشي، ٥٤٥/١.
٢ السلوك في طبقات العلماء والملوك، القاضي بهاء الدين مُحَمَّد بن يوسف الجندي السكسكي، تحقيق مُحَمَّد بن علي الأكوع، طبعة مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الثانية ١٩٩٥م، ٢٦٧/٢.

وهذا ما ورثه عنه أبناؤه وأحفاده حتى استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من حكم اليمن وبناء دولتهم، فالذرية الصالحة لا تأتي في الغالب إلا من سلالة طيبة تربت ونشأت وترعرعت على الدين والفضائل والأخلاق.

وبهذا نرى أن بني طاهر ورثوا حكم المناطق الوسطى وما حولها عن آبائهم وأجدادهم وأنهم كانوا المسيطرين على الأمور في تلك المناطق التي ذكرناها ويحكمونها قبل قيام الدولة الطاهرية، ولهذا اعتمدت عليهم الدولة الرسولية والملك الناصر الرسولي فأسند إليهم مهمة التصدي للقوى الزيدية التي تطمع في التوسع جنوبي ذمار[١].

فقد كان لبني معوضة في أواخر عهد الدولة الرسولية مقام الوزارة والقيادة مما جعلهم يتطلعون إلى الملك[٢].

ومما يؤكد دور بني طاهر في التصدي للتوسع الزيدي في مناطقهم، ما رواه ابن الديبع في كتابه قرة العيون بأخبار اليمن الميمون في أحداث عام ٨٢٠هـ، حول محاولة الإمام علي بن صلاح صاحب صنعاء التوسع بالدولة الزيدية نحو المناطق الوسطى، والتي كانت تنسب لبني طاهر، فقد قال ابن الديبع في مؤلفه: "وفي سنة ٨٢٠هـ قصد صاحب صنعاء بلاد بني طاهر ..."[٣]، وهذا يدل على أن البلاد كانت تحت سلطة بني طاهر وإلا لما تسمت باسمهم منذ مطلع القرن التاسع[٤].

يقول العلامة مُحَمَّد بن علي الأكوع الحوالي رحمه الله: "من هذا يبدو أن آل طاهر كانت لهم ولاية على بلاد آل عمار والحبيشية والرياشية وبلاد رداع الجنوبية والشرقية والغربية إلى خبان من ذي رُعين، وكذا المقرانة وجبن ونحو ذلك وطالت ولايتهم لهذه المنطقة حتى تسمت باسمهم"[٥].

وسيأتي معنا ذكر الدور السياسي والعسكري الذي قام به بنو طاهر في عهد الدولة الرسولية.

---

١ بنو رسول وبنو طاهر، د. مُحَمَّد عبدالعال، ص٢٤٩.

٢ اليمن الإنسان والحضارة، القاضي عبدالله الشماحي، ص١٤٧.

٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٤٧٢.

٤ ذكر ذلك كذلك العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي في اللطائف السنية ص١٠٦.

٥ حاشية قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٤٧٢.

المطلب الثالث

عاصمة بني طاهر وموطنهم

كانت عاصمة بني طاهر قرية المقرانة من بلاد حجاج، ولم يقل بغير ذلك أحدٌ من المتقدمين.
إلا أنه ظهر قول آخر بأن العاصمة هي مدينة جبن، وهذا القول ينسب إلى كتاب ومؤرخين معاصرين، وقد استقى كلا الفريقين قولهم هذا من عدة شواهد تاريخية، ولكن الواضح والراجح هو أن المقرانة هي عاصمة الطاهريين، ولن يستطيع أي باحث أو كاتب أو مؤرخ من المعاصرين إنكار القيمة والأهمية التاريخية للمقرانة، بل أن الجميع يكاد يتفق على أن المقرانة كانت عاصمة للدولة الطاهرية، إلا أن بعض الباحثين يجعلها عاصمة ثانية لبني طاهر بعد جبن، وقد جعلها بعض الباحثين العاصمة العسكرية للدولة الطاهرية ومقراً لقيادتهم وتحركاتهم العسكرية.
والبعض الآخر من الباحثين ممن قال بأن جبن هي العاصمة، لا ينكر بانتقال العاصمة من جبن إلى المقرانة بعد تولي الملك عامر بن عبدالوهاب الملك بثلاثة أيام فقط، فهي في جميع الأحوال كانت عاصمة لبني طاهر ومقراً لهم لإدارة شؤون الدولة، وكانوا ينطلقون منها للتوسع في نفوذهم.
والحقيقة أني قد لاحظت تكلفاً من الباحثين في جعل العاصمة جبن على إطلاق القول، وإنكار دور المقرانة المهم وأنها كانت بلاد الطاهريين، بل أني لاحظت في كثير من المقالات والكتابات، عدم وجود منهجية علمية في دراسة التاريخ والبحث عن المصادر التاريخية الصحيحة، ولا يعدو الأمر في بعض الأحيان من عاطفة أو تشنيع لا يصح ولا ينقل دون منهجية تاريخية، ودراسة علمية على منهج الباحثين المعلوم لمن لديه أدنى إلمام أو دراسة بأصول ومنهجية البحث العلمي.
ومع ذلك لابد أن أبين هنا أن مدينة جبن لعبت كذلك دوراً سياسياً مهماً، وأنها كانت مدينة الملوك من بني طاهر ومن بلدانهم المهمة، ومركزاً مهماً لهم في كثير من شؤون الحكم، وسيأتي معنا بيان دورها في كثير من الحقائق التاريخية التي سنسردها خلال تاريخ الدولة الطاهرية، ولكني هنا سأبين ما ذكر في التاريخ حول المقرانة وأنها كانت عاصمة الدولة الطاهرية، وذلك بسبب ما طرأ من إهمال لها أدى إلى انتهاء وزوال كثير بل معظم معالمها التاريخية والأثرية، مما تركها أطلالاً مندثرة يأسف ويأسى المرء عند مشاهدتها، بعد أن يقرأ عن القيمة التاريخية والحضارية التي كانت لها.

المقرانة عاصمة بني طاهر: تدل أقوال المؤرخين المتقدمين على أن المقرانة هي بلاد بني طاهر وموطنهم، وأن منطقة المقرانة هي دار الملك والرياسة، وقد ذكر العلامة عبدالرحمن الديبع مؤرخ الدولة الطاهرية في عدة مصادر أن المقرانة كانت بلد الملوك بني طاهر[١]، وكذلك ذكر المؤرخ ابن الأنف القرمطي أن المقرانة كانت مقراً لبني طاهر[٢]، وذكر المؤرخ يحي بن الحسين في تاريخه غاية الأماني أن المقرانة مستقر مُلك الملكين عامر بن طاهر وعلي بن طاهر[٣].

ومما يؤكد ذلك ما ذكره المؤرخ ابن الديبع في تاريخه بغية المستفيد عندما زار الملك عامر بن عبدالوهاب وهو يحمل إليه كتابه المذكور هدية له، فقال واصفاً المقرانة: "ولما وقف عليه مولانا السلطان صلاح الدين الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب، طلبني إلى مجلسه الشريف العالي، واستجاده واستحسنه، ثم حصلت هذا التاريخ تحصيلاً عظيماً، وتقدمت به إلى مولانا السلطان وهو إذ ذاك في محروسة المقرانة مقيماً، وقدمته إليه فأثابني بثواب عظيم عليه، وأفاض علي من مواهب كرمه، ولم أزل عنده في روض رائض وجود فائض[٤]".

وكذلك كانت المقرانة لبني طاهر مركز قيادتهم وتحركاتهم العسكرية، ومنها كان يديرون شؤون البلاد، وإليها كانوا يرسلون مناوئيهم وأعدائهم والخارجين عليهم ليسجنوا ويؤدبوا فيها، وكان اهتمام بني طاهر بالمقرانة كبيراً، لدرجة أنهم بنوا فيها القصور وقد سبقهم إلى ذلك ملوك بني رسول، وبنوا فيها كذلك المدارس العلمية لنشر العلم والمساجد، وأوقفوا فيها الأوقاف وشقوا القنوات المائية، وبنووا المخازن والمستودعات لحفظ الطعام والمؤن الغذائية، وقد بنوا فيها كذلك سجناً للتأديب سمي بدار الأدب، كانوا يؤدبون ويضعون فيه الخارجين عليهم والمناوئين لهم من الأمراء والزعماء والمشايخ، وقد عملوا بها كذلك الإستحكامات العسكرية والحربية للدفاع عنها ضد أعدائهم.

وقد سكن بالمقرانة الملوك بني طاهر فقد كان يسكن بها الأسرة الطاهرية، فالملك عامر بن عبدالوهاب بن داؤد أعظم ملوك بني طاهر ولد بها في عام ٨٦٦هـ[٥]، مما يدل على أن والده الملك عبدالوهاب كان يسكنها ويقيم بها هو وأسرته.

---

١ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن الديبع، ص١٧٦، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٤٥.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦١.

٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٨.

٤ بغية المستفيد، عبدالرحمن ابن الديبع، ص٢٢٥.

٥ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلام عبدالرحمن بن الديبع، ص١٢٩، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة ابن الديبع، ص٥٠٢.

وكذلك كان يسكن بها الملك عامر بن عبدالوهاب وأسرته وجميع أهل بيته، ويدل على ذلك أنه عندما دخل المماليك إلى اليمن، وأرادوا الوصول إلى المقرانة، سبقهم الملك عامر بن عبدالوهاب إلى المقرانة وأخرج أهله ونساءه منها، حيث أنهم كانوا يقيمون بها[١].

والمقرانة اليوم عبارة عن أطلال مبانٍ شيدت على سفح الجبل متنوعة الإستخدام، منها المساجد والمدارس والمنازل والقصور والسوق والحمامات وغيرها من المنشآت المعمارية الأخرى، وينتشر بين هذه المباني برك المياه ومخازن الحبوب، وأحد المباني يرتفع عن المدينة ويحتمل أنه كان قصراً ملكياً نظراً لموقعه المرتفع وأسلوبه المعماري، حيث لاتزال أجزاء من جدرانه باقية، عليها عقود مبنية بالأحجار والياجور الأحمر، وجدرانه مطلية من الداخل بمادة القضاض، وعلى قمة الجبل شيد حصن منيع بالأحجار، يتم الوصول إليه عبر طريق مرصوف بالأحجار، وقد شيدت في المقرانة مدرستان سنبينها عند ذكر المدارس الإسلامية بها.

المقرانة في المصادر القديمة: ويبدو من خلال إطلاعي على المصادر التاريخية ومعاجم البلدان التي تقدمت قيام الدولة الطاهرية أن بلاد المقرانة قد ورد ذكرها في عدة مصادر، وأن وجودها يسبق قيام الدولة الطاهرية بها.

فيرجع أول ذكر للمقرانة وحصنها في المصادر التاريخية إلى ما أورده المؤرخ الكبير علي بن حسن ابن عساكر المتوفي سنة ٥٧١هـ وذلك في الأحداث التي جرت بين الصحابي فيروز الديلمي والأسود العنسي بعد موت باذان سنة ١١من الهجرة، عندما سار الأسود العنسي ومن معه من عنس وبني عامر ومراد وحمير حتى نزل بهم المقرانة[٢]، وهذا يدل على أن المقرانة كانت تعتبر محطة لتجمع القبائل لا سيما قبائل مذحج في ذلك الوقت.

وذكرها أيضاً ابن منظور الأنصاري الأفريقي في مختصر تاريخ دمشق[٣]، وقد عدّها من حصون اليمن المشهورة ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ في كتابه معجم البلدان[٤]، وعبدالمؤمن ابن شمائل البغدادي في كتابه مراصد الإطلاع[١].

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة ابن الديبع، ص٥٢٧، تاريخ الشحر، بافقيه ص١٢٥.

٢ تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة ١٩٩٥م، ١١/٤٩.

٣ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى، تحقيق روحية النحاس وآخرين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ٣٣٨/٢٠.

٤ معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ١٧٤/٥.

وقد وضح ذلك القاضي المؤرخ إسماعيل الأكوع في كتابه "البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي[2]"، في تعليقه على كلام ياقوت الحموي عند ذكر المقرانة فقال: "المقرانة حصن وبلدة في عزلة حجاج من ناحية جبن وأعمال رداع، كانت عاصمة الدولة الطاهرية من منتصف المائة التاسعة إلى نيف وعشرين وتسعمائة، وكان لها شأن كبير في عهد السلطان عامر بن عبدالوهاب، وقد خربت ولم يبقى منها في عصرنا سوى بضعة بيوت حديثة ومسجد[3]".

وبهذا يتبن لنا أن المقرانة كان بها حصن قديم من قبل الإسلام، وهذا واضح للعيان من خلال الآثار الحميرية المنتشرة في منطقة المقرانة وحجاج وجبن بشكل عام، ويبدو من خلال هذه المصادر التاريخية أن هذا الحصن القديم والمشهور يختلف عن قصر الحكم المسمى دار النعيم الذي أمر الملك الناصر الرسولي ببناءه عام ٨١٧هـ[4].

إلا أن من المعلوم أيضاً أن بني طاهر قد اختطوا مدينة المقرانة قبل إبتناء دار النعيم، ويظهر ذلك من خلال الآثار التي تحكي وجود العلماء والقضاة قبل تأسيسهم لدولتهم، ونجد أيضاً من خلال المصادر التاريخية أن المقرانة كان بها داراً للأدب وسجناً، والجامع الكبير غير المساجد الصغيرة، وعدة مدارس علمية ودار للقضاء ومخازن للسلاح والغذاء، وصهاريج وسدود وبرك لحفظ المياه واستغلالها للشرب والري والزراعة، وغيرها من الأماكن التي جعلتها حاضرة وعاصمة الدولة الطاهرية.

وسأبين بعضاً من تفصيل هذه النهضة الحضارية والعمرانية من خلال كلام المؤرخين المعاصرين للدولة الطاهرية:

---

[1] مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفيّ الدين، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٢٩٨/٣.

[2] قال بعض الباحثين أن المقرانة التابعة لعزلة حجاج ليست هي المقصود ذكرها في المصادر التاريخية، كمعجم البلدان لياقوت الحموي وأن المقرانة التي ذكرها ياقوت الحموي هي المقرانة التي تتبع مديرية عتمة بمحافظة ذمار، وقد وهم بقوله هذا وخالف الصواب، فالحقيقة أن المتابع لمسرح الأحداث التاريخية يعلم علم اليقين أن المقرانة المذكورة تاريخيا في معجم البلدان هي مقرانة حجاج، وهذا ما أكده القاضي الأكوع في تعقباته وتعليقاته على الحموي، والحقيقة أنني من خلال مناقشاتي مع من طرحوا هذا القول، وجدت أنهم قد تكلفوا في وضعه وأنه لا توجد أي مصادر تاريخية استندوا إليها في قولهم، وإنما كان الهدف من هذا التكلف هو نفي الأهمية التاريخية لبلاد المقرانة وإنكار أنها كانت عاصمة الدولة الطاهرية.

[3] البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، مكتبة الجيل الجديد صنعاء الطبعة الثانية ١٩٨٨م، ص٢٧٢.

٤ العسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك، علي بن الحسن الخزرجي، دار الفكر دمشق الطبعة الثانية ١٩٨١م، ص٥٠٩، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٣، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٦٤، التاريخ العامر لليمن، محمد يحي الحداد ج٣ ص١٨٨.

المقرانة دار الملك والولاية: كانت المقرانة هي مقر حكم الطاهريين، ويدل على ذلك شواهد تاريخية كثيرة، فقبل أن تكون عاصمة لبني طاهر كان الملك الرسولي الناصر مهتماً بها لما لها من أهمية كبرى، فقد أمر ببناء قصر له في المقرانة.

يقول المؤرخ الخزرجي رحمه الله في أمر الملك الناصر الرسولي وبنائه قصراً له في المقرانة: "ثم رجع الإمام الناصر في سنة ٨٢٠هـ إلى المقرانة بين دمت وجبن من مخلاف الرياشية من أعمال رداع، وذلك لمعاينة قصر النعيم الذي كان يبنى له فيها باشراف الشيخ طاهر بن تاج الدين نائبه في رداع، والذي كلفه الملك الناصر ببنائه في المقرانة لدى زيارته له في عام ٨١٧هـ"[1]، فأعطى البنائين عند وصوله عشرين ألف دينار[2].

فكان بناء هذا القصر بمثابة اعتراف بأهمية المقرانة، وقد ذكر المؤرخ ابن الأنف القرمطي أن المقرانة وجبن كانت مقراً للملكين عامر بن طاهر وعلي بن طاهر، فذكر في تاريخه روضة الأخبار ونزهة الأسمار أنهما بعد أن ملكا تعز وحصنها، عادا إلى مقرهما في جبن والمقرانة[3].

بل إن المؤرخ ابن الأنف يذكر أن الملكين عامر وعلي بن طاهر لم يتخذا أي مسكناً في أي بلاد من بلاد السلاطين، وقد خلت دور السلاطين من المساكن، ودثر أكثر الأماكن، وكانت الحُمُر تطل وتنهق من الطاقات والرواشن، فلم يتخذا غير المقرانة سكناً لهم[4].

ولهذا اتخذها الطاهريون مقراً لهم للولاية والحكم واستقبال الوفود والزوار، فقد استقبل بها الملكين عامر بن طاهر وعلي بن طاهر والدة الأمير أبي دجانة حاكم الشحر وظفار، عندما جاءت لفك أسر ولدها من المقرانة[5].

ومما يدل على أن المقرانة كانت عاصمة بني طاهر أنهم كانوا يجتمعون بها جميعاً في أيام العيد، ويستقبلون بها القبائل عماء القبائل في هذه المناسبة، وقد أورد المؤرخ عماد الدين ابن الأنف في تاريخه أن الملكين علي بن طاهر وعامر بن طاهر كانا في المقرانة في عيد الأضحى سنة ٨٦٩هـ، واستقبلا الأمير علي بن الحسن عندما جاء يعلمهما باستيلاء الإمام مُحَمَّد بن الناصر على صنعاء، فوصل وبني

---

١ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٣، العسجد المسبوك، علي بن الحسن الخزرجي، ص٥٠٩، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٦٤، التاريخ العامر لليمن، مُحَمَّد يحي الحداد ج٣ ص١٨٨.

[2] بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩، قرة العيون، ابن الديبع، ٤٧٣.

[3] روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٦١.

[4] روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٦٣.

[5] تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٤٤.

طاهر مجتمعين جميعاً لأجل العيد، ومعهم القبائل من فريب وبعيد، فاستقبلوا الأمير علي بن الحسن ثم طلبوا وجوه القبائل إلى المقرانة، واجتمعوا بهم حول ما جرى في صنعاء[1] .

وقد استقبل الملك عامر بن طاهر في المقرانة مقر حكمه قادة وزعماء مصنعة عصفان، فأتوه وهو في المقرانة فسألوه أن يعفوا عنهم وسلموا له تلك المصنعة[2] .

وقد استقبل بها الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب أحمد بن الصديق الخياط كما ذكر ذلك ابن الديبع وكان قد قدم على السلطان رسولاً من صاحب جازان الشريف المهدي إلى الملك الظافر بهدية[3] .

وممن استقبلهم كذلك الملك عامر بن عبدالوهاب في مقر إقامته بالمقرانة رسول ملك مصر، فقد قدم قاصد صاحب مصر السلطان جنبلاط بهدية عظيمة إلى السلطان عامر بن عبدالوهاب، من جملتها فانوس بلور قدر قامة الإنسان وصندوقان من بلور وسيوف عظيمة وأشياء نفيسة.."[4] .

وممن استقبلهم كذلك الملك عامر بن عبدالوهاب في المقرانة رسول قائد المماليك حسين الكردي في عام ٩٢١هـ، يقول الدكتور سيد مصطفي سالم: "فأرسل الرسل والهدايا إلى السلطان عامر في المقرانة التي كان يتخذها مقراً له"[5] .

وكان السلطان عامر بن عبدالوهاب غالباً ما يقيم بها إذا ما عاود إلى بلاده بعد أن يرسي دعائم الحكم متنقلاً بين البلدان، فقد ورد أنه أقام بها شهوراً طويلة في أواخر سنة ٩١٩هـ إلى شهر رمضان من عام ٩٢٠هـ[6]، وكان يقيم بها أكثر من أي مكان آخر.

ومما يدل كذلك على أهمية المقرانة كمركز لبني طاهر لإدارة البلاد والحكم، أنهم كانوا يعقدون الولايات ويعينون الأمراء والولاة منها، فقد عين السلطان عامر بن عبدالوهاب الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد ابن الإمام جمال الدين مُحَمَّد الطاهر بن جعمان، قضاء الأعمال الحيسية، وكانت توليته بالمقرانة، ثم توجه منها إلى زبيد ومنها إلى حيس[7] .

---

[1] روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٠١.
[2] روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٣.
٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ص٥٥٧.
٤ تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، مُحَمَّد بن عمر الطيب بافقيه، ص٤٥.
٥ الفتح العثماني الأول لليمن، الدكتور سيد مصطفى سالم، دار جامعة صنعاء للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة ٢٠١٠م، ص١٠٧.
٦ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة ابن الديبع، ص٥٦٣.
٧ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن الديبع، ص٢١٠.

وإلى المقرانة وفد العلامة المؤرخ العلامة ضياء الدين عبدالرحمن بن الديبع رحمه الله على الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب، بعد أن استدعاه الملك الظافر عند تأليفه كتاب بغية المستفيد، وقد ذكر بأن المقرانة كانت مقام الملك، يقول ابن الديبع في ذلك: "ولما وقف عليه مولانا السلطان ... طلبني إلى مجلسه الشريف العالي"[1].

ومن خلال هذه المصادر التاريخية والروايات التي وردت يتضح لنا أن قرية المقرانة لم تكن مجرد مركز للقيادة وإدارة المملكة لبني طاهر فقط، بل إنها كانت منطقة مهمة للرسوليين ومركزاً للقيادة والحكم للبلاد من هذه المنطقة للمناطق الأخرى، ولم تكن أقل أهمية من المناطق الأخرى، مما أهلها لتكون عاصمة في عصر الطاهريين.

المقرانة مركز للقيادة والتحركات العسكرية: كانت المقرانة مركزاً للقيادة العسكرية للدولة الطاهرية، فمنها كانت تحشد القوات وتعبأ الجيوش، ولعل سبب ذلك هو إعتماد الطاهريين على القبائل الموالية لهم لحشد قواتهم والتي كانت تقطن المناطق الوسطى من اليمن.

ومن المقرانة كانت تنطلق القوات الطاهرية لتوسيع نفوذ الدولة أو لقمع المتمردين، فمنها انطلق الشيخ طاهر وابنيه علي وعامر للتصدي لصاحب صنعاء في عام ٨٢٠هـ، قبل أن يكونوا ملوكاً وكانوا آنذاك ولاة للدولة الرسولية، فحشدوا القوات من هناك هم والملك الناصر الرسولي وكسروا صاحب صنعاء ثم رجعوا بعد ذلك المقرانة[2].

ومنها انطلقت القوات الطاهرية إلى لحج بقيادة الشيخ علي بن طاهر قبل استيلائه على عدن وتأسيس الدولة الطاهرية، وكان ذلك في أول سنة ٨٥٨ هـ[3].

ومن المقرانة انطلقت القوات الطاهرية بقيادة الملكين علي بن طاهر وأخيه عامر بن طاهر للإستيلاء على عدن عندما أسسا دولتهما سنة ٨٥٨هـ[4].

---

١ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن الديبع، ص٢٢٥.

٢ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن الديبع، ص٩٩، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ص٤٧٢.

٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة ابن الديبع، ص٤٩٢.

٤ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن الديبع، ص١١٧، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة ابن الديبع، ص٤٩٤.

وكذلك انطلقت من المقرانة جيوش الملكين عامر بن طاهر وعلي بن طاهر بقيادة عبدالوهاب بن داود عندما استوليا على صنعاء سنة ٨٦٦هـ، ثم عاد عبدالوهاب بن داود من صنعاء إلى المقرانة إلى عمه عامر بن طاهر[١].

ومن المقرانة أيضاً انطلق الملك عامر بن طاهر بجيوشه لحصار حصون بعدان والشوافي وجرب حب وخدد والخضراء، ثم عاد إلى المقرانة هو ومن معه من الأمراء والقادة والعسكر سنة٨٦٦هـ[٢].

وأيضاً قاد الملك عامر بن طاهر حملته العسكرية على الإمام مُحَمَّد بن الناصر عندما استولى على صنعاء سنة ٨٦٩هـ من المقرانة، ثم رجع إليها هو وجنوده فكان عيده فيها ووافاه أخوه علي بن طاهر من جهات اليمن ونواحيها فكان في المقرانة عندهم[٣].

من المقرانة ثبّت الملك عبدالوهاب بن داؤد بن طاهر ملكه وأرسى قواعده، عندما عارضه أبناء الملك عامر بن طاهر بعد أن صار ملكاً في عام ٨٨٣هـ، فجمع إليها الخزائن والذهب والفضة والأموال من عدن وبلاده، وجمع وحشد القوات وانطلق للقضاء على مناوئيه[٤].

وكان أكثر ملوك بني طاهر إستقراراً في المقرانة، هو الملك عامر ب عبدالوهاب كما يظهر من خلال الأحداث التاريخية، التي تشير إلى تحركاته السياسية والعسكرية من المقرانة، فقد رسخ الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب قواعد ملكه من عاصمته المقرانة، فقد استلم الملك بعد والده في عام ٨٩٤هـ، فمكث في المقرانة بعد وفاة والده بجبن وهناك استقبل الوفود من المبايعين بالملك والقبائل المهنئين، حتى ضاقت بهم المقرانة[٥]، ثم إنه حشد القوات لقمع مناوئيه من الطاهريين في جبن بعد استيلائهم عليها، فجمع جيشاً جراراً ذكر ابن الديبع أنهم يزيدون على العشرين ألف، مع من انضم إليهم بعد ذلك[٦]، وسيأتي معنا تفصيل ذلك في مكانه.

---

[١] روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٤.

[٢] روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٧٠.

[٣] غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٨، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٠٩.

٤ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن الديبع، ص١٥٦، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة ابن الديبع، ص٥١٦.

[٥] غاية الأماني، يحي بن الحسين، ٦١٥، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٨٠.

٦ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن الديبع، ص١٨٣، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ص٥٢٧.

ومنها أيضاً جهز الملك عامر بن الوهاب جيشه الذي أخرجه لقتال اليهودي الناقض للعهد الذي ببلد بيحان، وكان مخالفاً للسلطان ناكثاً للأيمان يطعن في دين الإسلام، فتجهز السلطان بعساكر عظيمة من جهات المقرانة [1] لقتاله.

ومن المقرانة خرج الملك عامر بن عبدالوهاب لقتال المماليك الشركس الذين جاؤوا من مصر لإحتلال بلاده، وكان ذلك في عام ٩٢٣هـ[2]، وإلى المقرانة لجأ الملك عامر بن عبدالوهاب ودارت رحى آخر معاركه بعد أن لجأ إليها كملاذ أخير[3].

دار الأدب والسجن بالمقرانة: وكان ملوك بني طاهر قد اتخذوا في المقرانة داراً للأدب، وهو عبارة عن مكان يحجز فيه مناوئيهم والخارجين عليهم، فيكون ذلك أشبه بالسجن أو الإقامة الجبرية للأمراء والمشايخ والسلاطين، الذين لم يخضعوا للدولة الطاهرية ولم يمتثلوا بالسمع والطاعة لهم.

وكذلك كان هناك سجناً يسجن أو يقيد به الخارجين على الدولة الطاهرية والمقاتلين لها، ومما يدل على ذلك ما ذكره العلامة المؤرخ ابن الديبع أن السلطان عبدالوهاب بن داؤد في عهد الملك علي بن طاهر في عام ٨٦٢هـ، قيد جماعة من القرشيين وطلع بهم المقرانة، منهم عفيف بن غراب وعبدالعليم الهبل والبيذق ومُحَّد بن عفيف الأحدب وآخرين[4].

وممن أودعه الملكين عامر بن طاهر وعلي بن طاهر السجن في المقرانة الأمير أبو دجانة أمير الشحر وظفار والذي حاول الإستيلاء على عدن، فوقع في الأسر سنة ٨٦١هـ، فلم يزل مسجوناً مصفداً حتى عمل على تسليم ما في يديه من حصون شحر عُمان ومدتها وما كان من أموالها وسفنها[5].

وأما دار الأدب في المقرانة فقد ذكره كذلك المؤرخ ابن الديبع في حوادث سنة ٨٩٨هـ، وذكر فيها أن الملك عامر بن عبدالوهاب أطلق الأمير شجاع الدين عمر بن عبدالعزيز الحبيشي من السجن والقيد، ونقل من دار الأدب بالمقرانة، إلى بيت النقيب ريحان، بالقرب من دار السلطان[6].

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة ابن الديبع، ص٥٤٥.
٢ تاريخ الشحر، بافقيه ص١٢٥، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة ابن الديبع، ص٥٧٣.
٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٧٥.
٤ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، عبدالرحمن بن الديبع، ص١٢٥.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٦٦.
٦ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، عبدالرحمن بن الديبع، ص١٩٧.

وممن قيد وأودع دار الأدب بالمقرانة الفقيه مُحَمَّد بن الأمين عجيل، وسبب ذلك الخيانة والنفاق واطلاعه للأعداء على أسرار الدولة وبموافقته لأهل الفساد والعناد، فمكث مقيداً بالمقرانة عشر سنين، كما ذكر ذلك العلامة المؤرخ كمال الدين الذؤالي الزبيدي في تاريخه [١].

وممن أودع دار الأدب بالمقرانة الشيخ مُحَمَّد بن عامر خال الملك عامر بن عبدالوهاب، فقد أودعه الملك عامر لأنه كان خارجاً عليه وقاتله وقد حاصره السلطان عامر في حصن عميقان عام ٨٩٦هـ، ثم قبض عليه بجحاف وقيد وأودع بدار الأدب بالمقرانة ثم نقل إلى دار الأدب برداع العرش عند إخوته [٢].

وممن أودع دار الأدب بالمقرانة كذلك الأمير مُحَمَّد سعيد بادجانة الذي كان سلطاناً على الشحر وظفار، ويبدو ذلك من خلال قصته، عندما أسره بني طاهر بعد محاولته الإستيلاء على عدن [٣].

المدارس ودور العلم والعبادة في المقرانة: كان بني طاهر مهتمين ومحبين للعلم والعلماء، لذا فإننا نجدهم قد اهتموا بإنشاء المدارس العلمية في المقرانة منذ القدم، ويبدو ذلك من خلال إنشاءهم المساجد والمدارس ودور العلم فيها وجلب العلماء وتعيينهم للتدريس فيها قبل تأسيسهم حتى لدولتهم.

فقد ذكر البريهي في تاريخه كوكبة من العلماء ممن درّس في المقرانة قبل تاريخ تأسيس الدولة الطاهرية، منهم الفقيه عفيف الدين عبد الله بن مُحَمَّد الجبني وتوفي قبل تمام المئة الثامنة [٤]، ومنهم الفقيه العلامة عبدالله بن مُحَمَّد الحبيشي توفي سنة ٨٢٠هـ، ومُحَمَّد بن عبدالله الحبيشي أناط به بنو طاهر أمور الناس لتصريفها فكان لهم بمنزلة الوزير توفي سنة ٨٥٠هـ، ومُحَمَّد بن أبي بكر الحبيشي كانت له مشاركة في الفقه توفي سنة ٨٤٠هـ [٥].

وقد زاد إهتمام بنو طاهر بالمقرانة بعد تأسيس الدولة الطاهرية فأصبحت في عهدهم هجرة من هجر العلم في اليمن، فأنشاء الملك المنصور عبدالوهاب بن داؤد مدرسة [٦] عظيمة وأوقف عليها الأوقاف.

ولم يكن الملك المنصور أول من أنشاء المدارس الإسلامية للتعليم ونشر العلم في المقرانة، فقد سبقه إلى هذا الإهتمام الملوك الأولين من بني طاهر، فيذكر المؤرخ كمال الدين الذؤالي الزبيدي أن من العلماء والفقهاء الذين كانوا مقيمين بالمقرانة، الفقيه العالم شمس الدين علي بن عيسى الجرداني، وكان من أهل

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٥٨.

٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥٣٣.

٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦، وسيأتي معنا ذكر قصته وقصة الشحر وحضرموت واستيلاء بني طاهر عليها.

٤ طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن البريهي، ١٧٤/١.

٥ هجر العلم ومعاقله، إسماعيل بن علي الأكوع، ٢١٠٤/٤.

٦ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، عبدالرحمن بن الديبع، ص١٧٩.

العلم والصلاح[1]، فقد استدعاه الملك الظافر عامر بن طاهر إلى المقرانة وقرره بها للإفادة، ورتب له رزقاً وافراً فأقام بها، وكان غالب إقامته بالمقرانة[2]، وهذا يدل على اهتمام الطاهريين منذ تأسيس دولتهم على نشر العلم بالمقرانة، وإن كلفهم ذلك الأموال الطائلة.

وقد اهتم بعمارة المساجد والمدارس الإسلامية بالمقرانة كذلك الملك عامر بن عبدالوهاب رحمه الله فبنى الجامع الكبير بها ومسجد القبة[3].

ومن مآثر أخيه الشيخ عبدالملك بن عبدالوهاب رحمه الله بناء مدرسة عظيمة بالمقرانة[4] .

وقد ذكر تلك المدرستين ومن بناهما في المقرانة العلامة إسماعيل بن علي الأكوع رحمه الله في كتابه المدارس الإسلامية في اليمن[5].

ومن خلال الدور السياسي والعسكري الذي لعبته حاضرة المقرانة وإهتمام بني طاهر بها، فإننا نجد أنها كانت عاصمة الدولة الطاهرية وأول بلدانهم ومعاقلهم السياسية والعسكرية، ولهذا نجد المؤرخين المتقدمين والمعاصرين يجمعون على أن المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية، وممن قال بأن المقرانة كانت عاصمة الدولة الطاهرية، من المؤرخين والباحثين المعاصرين:

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في كتابه هجر العلم ومعاقله، فقد قال في المقرانة: "كانت بلدة واسعة عامرة بالمدارس والمساجد، حينما كانت حاضرة الدولة الطاهرية في النصف الأخير من المائة التاسعة وصدراً من المائة العاشرة[6]".

الدكتور سيد مصطفى سالم في كتابه الفتح العثماني الأول لليمن، وقد سبق ذكر كلامه.

وأيضاً ممن قال بأن المقرانة كانت عاصمة الدولة الطاهرية المؤرخ العلامة القاضي عبدالله ب عبدالكريم الجرافي، فقال: "وتولى الأمر منهم عامر بن طاهر الذي تلقب بالملك الظافر وناصر أخواه علي بن طاهر وداود بن طاهر وفتحوا كثيراً من البلاد اليمنية، وجعلوا عاصمة ملكهم المقرانة من بلاد رداع[7]".

١ سيأتي معنا ذكر سيرته وترجمته في محله.
٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٩.
٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥٧٧، الفضل المزيد، ابن الديبع، ص٣٧٢.
٤ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥٧٨، الفضل المزيد، ابن الديبع، ص٣٧٣.
٥ المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، ص٣٣٥.
٦ هجر العلم ومعاقلة في اليمن، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ٢١٠٢/٤.
٧ المقتطف، عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، ص٩٤.

وكذلك الباحث مصطفى الخطيب ذكرها بأنها عاصمة الطاهريين: "وكان عامر بن طاهر أول سلاطين هذه الأسرة، اتخذ الطاهريون مدينة المقرانة في إقليم رداع عاصمة لهم، وامتد نفوذهم إلى صنعاء وماجاورها، وأصبحت معظم أقاليم اليمن خاضعة لهم"[١].

وذكرها كذلك الكاتب أحمد الحسني في معرض كلامه عن مدينة دمت فقال: "لكنها اكتسبت أهمية خاصة في عهد الدولة الطاهرية لعدة أسباب أهمها قرب المسافة الجغرافية بينها وبين مركز حكم الطاهرين المقرانة في مديرية جبن"[٢].

وممن قال بأن المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية، الدكتور عباس علوي، فقد ذكر بأن الطاهريين اتخذوا من بلدهم المقرانة عاصمة لملكهم[٣].

ويذكر الباحث عاشور عبود سالم أن المقرانة كانت عاصمة الدلوة الطاهرية وحصنهم الحصين فيقول: "أخذ الطاهريون في تثبيت قواعد حكمهم، وتوسيع مناطق نفوذهم، وقطع دابر الرسوليين وأعوانهم، فاتخذوا من المقرانة عاصمة لدولتهم، وحصنهم الحصين الذي يحتمون به عندما تشتد عليهم الأمور[٤]".



١ . الموسوعة العربية، اليمن التاريخ الوسيط، مصطفى الخطيب.

٢ مقالة دمت أبجدية البهجة وجلال التاريخ، أحمد الحسني، شبكة المؤتمر نت الإخبارية.

٣ عدن في عهد الطاهريين، د. عباس علوي، رسالة دكتوراه قدمت لقسم التاريخ كلية الآداب جامعة صنعاء، ٢٠١١م، ص٤٩.

٤ الحياة العلمية في عهد الدولة الطاهرية، عاشور عبود سالم فييح، رسالة ماجستير قدمت لقسم التاريخ كلية الاداب جامعة عدن، نوقشت سنة ٢٠٠٣م، ص٢٨.

مسجد المقرانة بعد الترميميات التي أجريت مؤخراً



المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية وتبدو بعض الأطلال القديمة

وممن قال من الباحثين كذلك بأن المقرانة كانت عاصمة الدولة الطاهرية الباحث عبدالمجيد الدرة فقال: "المقرانة حصن وبلدة أثرية في عزلة حجاج من مديرية جُبن وأعمال رداع، اتخذها سلاطين بني طاهر عاصمة لدولتهم"[١].

وقد تبين لنا من هذه الروايات والمصادر التاريخية أن المقرانة كانت الموطن الأساسي لبني طاهر، وكانت كذلك مقر عاصمتهم وحكمهم وموطنهم، ولا يمنع ذلك أنهم اتخذوا مناطق أخرى لتكون مقراً لهم ولحكمهم مثل جبن وزبيد وصنعاء وعدن وتعز ورداع وغيرها من المناطق الأخرى، والتي كان لبني طاهر بها قصوراً ومحل إقامة، إلا أن المقرانة كانت مقرهم الأول وملاذهم عند الشدائد، ومقر ولايتهم، ومركز قيادتهم العسكرية، ناهيك عن أن الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب ووالده الملك المنصور عبدالوهاب بن داؤد قد اتخذاها محلاً لإقامتهم هم وأسرتهم ونساؤهم كما اتضح معنا، وأنهم كانوا يولون ويعقدون الإمارات والتعيينات منها، فلا يعقل بعد هذه الشواهد التاريخية والمصادر التي أوردت هذه الحقائق أن

١ ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مقالة. أهم المواقع الأثرية والتاريخية في جُبن كتبها، عبد المجيد الدرة.

يُقال أن غير المقرانة كانت عاصمة لبني طاهر، وينكر أي متعصب أو جاهل كل ما كان يجري في المقرانة.

زيادة على ذلك ولأهمية المقرانة في ذلك العصر، فالدول التي كانت تتصارع مع الدولة الطاهرية كانت تهتم بإسقاط المقرانة لإعلان نهاية الدولة الطاهرية، كما حدث من قِبل المماليك ومن قِبل الإمام شرف الدين [١].

وبعد زوال الدولة الطاهرية إنهارت المقرانة، وبدأ نجمها في الأفول بعد سقوط سلطانها الظافر عامر بن عبدالوهاب مقتولاً عند أبواب صنعاء، وعندما قامت دولة الإمام المطهر بن شرف الدين قام بغزو المقرانة فسلبها محاسنها ونفائسها وأزال عنها بهاءها وجمالها، كما بين ذلك حفيده عيسى بن لطف الله في تاريخه رَوح الرُوح، فقد ذكر "أن جدّه المطهر أطلع صحبته أبواب المقرانة، وفيها صروف الذهب، وكان جملتها فوق مائتي جمل[٢]"، ويقول القاضي إسماعيل الأكوع: " ونقل المطهر بن شرف الدين أبواب المقرانة المصنوعة من الساج والعاج من صناعة الهند فوق مائة جمل، وثلاث مئة بهيمة بعد أن خرّب حصون المقرانة[٣] ودمر معالمها، وكانت بها من الكنوز والآلات ما يذهل المرء، فيذكر المؤرخون أن "المطهر بن شرف الدين لما دخل المقرانة قبض ما فيها من السلاح على أنواعه، ووجد فيها المدافع والآلات العظيمة من النحاس الغصاني المطعم بالفضة، وأنواع الصيني المعتبر، وذلك مما خلفه بنو طاهر، ثم انتقل المطهر إلى الفارد وهو من محاسن بلاد أهل عامر، وقد جلى عنه أهله خوفاً من سطوة المطهر،فوجد فيه من آلات النحاس ومساغ الذهب والفضة واللؤلؤ والنقد ومن الشخوص التي من البلور المصنوع على أنواعه جملة كافية، وذلك أن آل طاهر حولوا إليه لما دهمتهم الجيوش الغورية يوم ذهاب عامر بن عبدالوهاب، ثم تقدم إلى جبن، وجمع من كتب العلوم في كل فن ما لا يكاد يقل حامله وينوء به[٤]"، وسيأتي معنا ذكر تلك الأحداث بالتفصيل في تاريخ الدولة الطاهرية، وإنما المقصود هنا بيان حال المقرانة وما كانت فيه من النهضة الحضارية والعمرانية.

---

١ الفضل المزيد على بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، عبدالرحمن بن الديبع، ص٣٧٠، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ص٥٧٥، تاريخ الشحر، بافقيه، ص١٢٥، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مُحَمّد بن إسماعيل الكبسي، ص٢٠٥.

٢ روح الروح، عيسى بن لطف الله، ص٧٩.

٣ هجر العلم ومعاقله، القاضي إسماعيل الأكوع، ٢١٠٣/٤.

٤ روح الروح، عيسى بن لطف الله، ص٧٧.

وفي الحقيقة يمكننا أن نقول أننا إذا تتبعنا المصادر والمراجع والوثائق التاريخية، الدور التاريخي الذي لعبته المقرانة فإنه لن تكفي هذه الصفحات للتعريف بها في هذا المؤلف، بل أننا لن نعطيها حقها التاريخي إلا بمزيدٍ من الإهتمام والبحث والتحقيق، وذلك بإفراد المؤلفات والبحوث العلمية التي تبرز النهضة الحضارية الذي قامت به المقرانة، وغيرها من المدن التاريخية المهمة وهجر العلم كمدينة جبن ورداع ودمت وغيرها من المدن والأماكن في المناطق الوسطى.

المبحث الثاني

اتصال بني طاهر وعلاقتهم بالدولة الرسولية

قبل أن نتكلم عن علاقة الطاهريين بالدولة الرسولية لابد أولاً أن نذكر أحوال الدولة الرسولية وملوكها وانتهاءها، ذلك أن الدولة الطاهرية أساساً لم تقم إلا على أنقاضها، وقد تطورت العلاقات بين الطاهريين والدولة الرسولية في أواخر عهدها حتى كان لهم من السلطة ما لم يكن لغيرهم وهو ما مهد لقيام الدولة الطاهرية، لذا سنتكلم هنا أولاً عن قيام الدولة الرسولية وملوكها باختصار ثم عن العلاقات التي كانت قائمة بين الطاهريين والرسوليين ودورهم وأعمالهم التي تولوها إبان الدولة الرسولية، ثم أخيراً نتكلم عن نهاية الدولة الرسولية وظهور الطاهريين، وذلك في ثلاثة مطالب كالآتي:

المطلب الأول: قيام الدولة الرسولية

المطلب الثاني: تولي بني طاهر المناصب في الدولة الرسولية

المطلب الثالث: نهاية الدولة الرسولية

المطلب الأول

قيام الدولة الرسولية

كان بني رسول وزراءً لبني أيوب في اليمن، وكان أول من دخل اليمن من بني أيوب السلطان الملك توران شاه بن أيوب، وسبب دخوله أن السلطان صلاح الدين الأيوبي بلغه أن باليمن إنساناً يسمى عبدالنبي بن مهدي قد استولى على اليمن، وزعم أنه ينشر ملكه حتى يملك الأرض كلها، فجهز له أخاه توران شاه في جيش جرار سنة ٥٦٩هـ، فدخل زبيد في شوال وقاتله عبدالنبي قتالاً شديداً فقتل في الحرب[1].

بداية ظهور بني رسول: وكان مبدأ أمر بني رسول أن علي بن رسول وأولاده خرجوا مع سيف الإسلام طغتكين بن أيوب فكانوا أصحاب جيشه، وفيهم شهامة وسياسة[2]، وكان علي بن رسول أميراً لبني أيوب في حيس وأعمالها، ثم أن الملك المسعود كان يثق بالأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، فلما توفي المسعود بمكة كان نور الدين نائباً له في اليمن، فقام حينئذ بملك اليمن قياماً كلياً، واضمر في نفسه الإستقلال، وأظهر أنه نائباً لبني أيوب فلم يغير سكة ولا خطبة وجعل يولي في الحصون والمدن من يثق به ويعزل من يخشى منه حتى قرر قواعد التهائم، ثم طلع إلى الجبال فحاصر حصن تعز وتسلم حصن التعكر في سنة ٦٢٧هـ، ثم تسلم خدد وصنعاء وأعمالها وأقطعها ابن أخيه أسد الدين مُحَمَّد بن الحسن، ثم تسلم حصن حب وبيت عز، ثم حط مرة أخرى على حصن تعز فأخذه صلحاً في سنة ٦٢٨هـ، ثم طلع السلطان نور الدين سنة ٦٢٩هـ إلى صنعاء وتسلم حصن بكر وكوكبان وبراش، وبعث الأمير ابن عبدان إلى مكة مع الشريف راجح بن قتادة بخزانة كبيرة وهو أول جيش جهزه إلى الحجاز فنزل الأبطح وحصروا الأمير بها من قبل الملك الكامل الأيوبي، فاستولى عليها[3].

الملك المنصور عمر بن علي بن رسول: وفي سنة ٦٣٠هـ أمر نور الدين المنصور عمر بن علي بن رسول بضرب السكة باسمه وأمر أن يخطب له في سائر أقطار اليمن[4].

---

١ قرة العيون، ابن الديبع، ص٣١٨.

٢ فرجة الهموم والحزن، عبدالواسع الواسعي، ص١٩٩.

٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٣٦٢.

٤ تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، الحسين بن عبدالرحمن الأهدل، ٤٨٣/٢، قرة العيون، ابن الديبع، ص٣٦٢.

بعد أن أعلن الرسوليون استقلالهم عن الدولة الأيوبية في مصر، أرسل السلطان نور الدين سنة ٦٣١ هـ بهدية عظيمة إلى الخليفة المستنصر العباسي ببغداد، وطلب منه تشريفه في النيابة بالسلطنة في قطر اليمن، فعاد الجواب أن ذلك يصل إليك في عرفة فحج المنصور نور الدين تلك السنة، ولم تصل التشريفة في سنة حج السلطان لأن العرب قطعت الطريق على حجاج العراق، ثم وصلت التشريف والنيابة في سنة ٦٣٢هـ[١].

وظل الرسوليون على ولاء للخلافة العباسية، ويخطبون في مساجدهم لآخر خلفائها المستعصم دهراً طويلاً بعد وفاة دولتهم في بغداد عام ٦٥٦ هـ على يد المغول، إذ يذكر الخزرجى مؤرخ بني رسول المعاصر والمتوفى عام ٨١٢ هـ، أن المستعصم "هو الذي يدعى له على سائر المنابر إلى وقتنا هذا من سنة ثمان وتسعين وسبعمائة[٢]"، أي بعد مائة وستة وخمسين عاماً من انتهاء الخلافة العباسية، وربما استمر بعد ذلك وإلى بدايات تصدع الدولة.

وفي الرابع من شوال سنة ٦٤٧هـ، استشهد الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول في قصر الجند وثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه، ويقال أن الأمير أسد الدين بن الحسن بن علي بن رسول هو الذي شجعهم على ذلك، لأن الملك المنصور كان قد أقطعه صنعاء وأراد أن يعزله بولده المظفر بن المنصور فتعب من ذلك فعاملهم على قتله فقتلوه[٣].

الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول: بعد مقتل الملك نور الدين عمر بن علي بن رسول نصبت المماليك بزبيد فخر الدين بن الحسن بن علي بن رسول، وكان المظفر يوسف بن عمر في المهجم قد باين أباه وغاب عنه، فغلبه وفاة أبيه وما صنعه العبيد بفخر الدين فقصد زبيد في جموعه، وحاصرها حصاراً انتهت غايته إلى أن أخرجوا له قتلة أبيه وابن عمه فخر الدين فحبسه، وقام بالملك في سنة ٦٤٩هـ، فملك اليمن وقتل من ناوأه، وحبس أسد الدين حتى توفي، وتلقب بالملك المظفر، ووصل إليه عمه الحسن بن علي بن رسول، فطلع منها صاحبها، وتلقاه مظهراً لهم السرور

١ قرة العيون، ابن الديبع، ص٣٦٣.
٢ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، على بن الحسن الخزرجي، تحقيق مُحَّد بسيوني، دار صادر بيروت لبنان، مطبعة الهلال مصر ١٩١٤م.
٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٣٧٤.

بهم،، ثم قبض عليهم فحبسهم في تعز إلى أن ماتوا، فلهذا قال الحسن بن علي بن رسول: قُبّحت من قلعة، خرجنا منك مقيدين، ودخلناك راجعين مقيدين[١].

وقد تمكن الرسوليون وبقيادة مؤسس ملكهم الملك المنصور عمر بن علي بن رسول من توحيد اليمن كله تحت حكمهم، من حضرموت جنوباً وحتى مكة شمالاً، وبسطوا سيادتهم الفعلية على كل جهات اليمن ودخلوا مناطق وحصون لم يستطعها قبلهم الأيوبيون، ودانت لهم القبائل والأسر الحاكمة كالأئمة الزيديين في صعدة وجهاتها وآل حاتم في صنعاء وما حولها، ومع ذلك فقد جابه الرسوليون توثبات قوى مختلفة وأولها تمرد واليهم في صنعاء الأمير أسد الدين لأكثر من مرة رغم العفو المتكرر عنه، ثم جابهوا قوى زيدية بزعامة الإمام المهدي أحمد بن الحسين من جهة ثم بزعامة أبناء وأحفاد الإمام عبد الله بن حمزة وهم من تطلق عليهم المصادر إجمالا لقب الحمزات، وقد دخل الأئمة الحمزات في حرب تنافسية على السيادة والنفوذ مع الإمام المهدي أحمد بن الحسين وأُذيقوا شر الهزائم وخسروا كثيراً من مواقعهم قبل أن يتدخل المظفر الرسولي إلى جانب الحمزات ويمكنهم من النصر فاعترف الأئمة بسيادة الرسوليين على البلاد.

الملك الأشرف عمر بن المظفر يوسف: وبعد المظفر قام بالملك بعده ابنه عمر بإشارة من أبيه سنة ٦٩٤هـ، وتلقب بالملك الأشرف الذي تولى الملك بعد والده وقد دخل في حرب قصيرة مع أخيه المؤيد غير المعترف بحكم أخيه، فلم يزل به حتى حبسه، وملك البلاد مستقلاً بها، وتوفي في الثالث والعشرين من المحرم سنة ٦٩٦هـ[٢].

الملك المؤيد داود بن المظفر يوسف: تولى بعد أخيه عمر، فأطلق الملك المؤيد من السجن، وكان قد أودع دار الأدب بحصن تعز عندما خالف أخيه الأشرف[٣]، واسمه داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، فحكم اليمن خمس وعشرين سنة تمكن خلالها من ترسيخ هيبة الدولة عبر قضائه على التمردات في المخلاف السليماني بتهامة ومقاومته لوثبات الأئمة الزيديين في الجبال، فما زال ملكاً

١ تحفة الزمن، الأهدل، ٤٨٤/٢، قرة العيون، ابن الديبع، ص٣٨٢، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٤٣٦، فرجة الهموم والحزن، الواسعي، ص١٩٩.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٨٣، فرجة الهموم والحزن، الواسعي، ص١٩٩، تحفة الزمن، الأهدل، ٤٩١/٢.

٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٤٧٧، بغة المستفيد، ابن الديبع، ص٨٢.

مطاعاً، وبقي في الملك إلى أن أشتد به الوجع بدار الشجرة قبالة تعز، فأمر ولده الملك المجاهد بطلوع حصن تعز ولم يترك ولداً سواه، فتوفي أول ليلة من ذي الحجة سنة ٧٢١هـ[١].

الملك المجاهد علي بن المؤيد: ثم إنه خلف المؤيد ولده المجاهد والذي تولى الحكم سنة ٧٢١هـ واستمر حتى العام ٧٦٤ هـ، أي أربعةً وأربعين سنة إلا شهراً، جابه خلالها أعنف وأعتى التمردات ضد ملكه من مختلف الأطراف، من داخل بيته وأعوانه، من جيشه ومن الطامحين في الإستقلال، مما أضطره للإستعانة بقوة مملوكية من مصر، لتنقلب هذه القوة عبئاً جديداً عليه فيعيدها إلى مصر، بل أنه تعرض للأسر في مكة في واحدة من حجاته، ونقل إلى مصر ليمكث هناك عاماً كاملاً، بعدها أ كرم السلطان المملوكي وفادته ورده إلى بلاده مكرماً ليواصل الحكم والتصدي للصعاب، وقد أظهر المجاهد صموداً وعناداً وبطولة وحنكة في مجابهة المستجدات، تجعله بحق واحداً من عمالقة الرسوليين، وإن كانت سني حكمه المليئة بالاضطرابات قد أحدثت شرخاً في شباب دولتهم وهو الشباب الذي دام قرناً من الزمان احتفظ الرسوليون خلاله باليمن موحداً ومهاباً، أما السنوات الأخيرة من حكم المجاهد فقد شهدت تصدعاً في وحدة اليمن السياسية، إذ لم يمت الملك المجاهد إلا وقد تمكن جيل جديد من الأئمة الزيديين في القسم الأعلى من اليمن أمثال المتوكل مطهر بن يحيى وابنه مُحَمَّد بن المطهر ثم المهدي على بن مُحَمَّد والناصر صلاح الدين وابنه المنصور علي من بناء قوة جديدة لهم مكنتهم في الثلث الأول من القرن الثامن الهجري من السيطرة على القسم الأعلى من اليمن حتى ذمار وسلخه من جسم الدولة الرسولية[٢].

وكان الملك المجاهد ملكاً عادلاً ذكياً عاقلاً شجاعاً ومقداماً مهاباً، رشيداً فطناً، وشهماً وجواداً سخياً، كما كان عالماً وفقيهاً وأديباً لبيباً وشاعراً فصيحاً، مُقرّباً للعلماء والأدباء محسناً إليهم مشفقاً عليهم، وكان عالي الهمة، محبوباً بين الرعية محباً لهم، ويقال أنه كان أعلم بني رسول[٣].

وتوفي الملك المجاهد في دار الكوكب مدينة عدن سنة ٧٦٤ هـ، ونقل جثمانه إلى مدينة تعز حيث دفن في مدرسته المدرسة المجاهدية[٤].

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٨٤، فرجة الهموم والحزن، الواسعي، ص٢٠٠.

٢ تحفة الزمن، الأهدل، ٤٩٢/٢، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٢٢، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٤٩٤، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٨٥، فرجة الهموم، الواسعي، ص٢٠٠.

٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٨٨.

٤ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٤٤.

الملك الأفضل العباس بن علي بن داود: هو الملك الأفضل العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، سادس ملوك الدولة الرسولية، تولى الملك بعد وفاة والده الملك المجاهد سنة ٧٦٤هـ، وقد اتفق كبار الدولة على توليته الحكم لأنهم رأوا بأنه كان الأصلح للبلاد والعباد، فانتظمت بيعته بعدن، وسار بوالده إلى تعز فقبره بمدرسة المجاهدية، واستقر هو بقصر ثعبات في مدينة تعز[1].

كان الملك الأفضل ملكا عالي الهمة شجاعاً جداً، حازماً عازماً، شهما كريماً، عارفاً ذكياً، أديبا ومؤرخاً، فقيهاً عارفاً، مشاركا للعلماء دقيق النظر في فنون العلم، ملماً بالآداب والأنساب والتواريخ، والنحو واللغة وسير العرب والملوك له الكثير من المصنفات في علوم مختلفة[2].

توفي الملك الأفضل بدار الخَوَرْنَق في مدينة زبيد، سنة ٧٧٨هـ، ونقل إلى مدينة تعز حيث دفن بمدرسته التي أنشأها هناك المدرسة الأفضلية[3].

الملك الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس: هو الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بن علي بن داوود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، سابع ملوك الدولة الرسولية، ولد سنة ٧٦١هـ، وتولى الحكم بعد وفاة والده الملك الأفضل سنة ٧٧٨هـ، وكان عُمر الملك الأشرف حينها سبعة عشر عاماً، اتفق رأي الحاضرين من رؤساء دولته على قيامه ومبايعته، فبايعه العلماء وكبار الدولة وعظماؤهم وصلحاء الأمة وعامة الناس، فانتظمت الأمور وتقررت أحوال الناس، ثم نقل والده إلى تعز فدفنه بها[4].

كان الملك الأشرف ملكاً حازماً مشاركاً في علوم مختلفة برع في الكثير منها، ذو سيرة محمودة،، يقرب العلماء ويجلهم ويكرم الغرباء، استقرت أحوال الناس في عصره، وشارك في علوم جمة، وكان يحب جمع الكتب ومولعاً بالعلوم مشغولاً بها، أخذ الفقه عن الفقيه علي بن عبد الله الشاوري، والنحو على الفقيه عبد اللطيف الشرجي، وسمع الحديث وصحيح البخاري على مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزبادي.

يذكر الخزرجي بأن الملك الأشرف كان ملكاً أديباً ظريفاً، حسن السيرة والسياسة، صبوراً ذا بأس شديد، ليس له مثيل في عصره، فقد كان عالماً جواداً كريماً، يقدر العلم وأهله، ويقصده العلماء ويثيبهم على مصنفاتهم، منهم العالم الأجل القاضي جمال الدين الريمي، قاضي قضاة اليمن، الذي

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥١٨، تحفة الزمن، الأهدل، ٥٢٥/٢، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٤٧.
٢ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٥٥.
٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٢٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٤.
٤ تحفة الزمن، الأهدل، ٥٢٦/٢، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٥٥.

كافأه الملك المجاهد بثمانية وأربعين ألف درهم على مصنفه التفقيه في شرح التنبيه المكون من أربعة وعشرين مجلداً، وأمر أن تحمل في أطباق الذهب وقيل الفضة ملفوفاً بالحرير والديباج وسار بين يديه العلماء والقضاة والأمراء من بيت القاضي جمال الدين إلى دار السلطان.

وقد توفي الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بمدينة تعز في ربيع الأول سنة ٨٠٣هـ، ودفن في مدرسته التي أنشأها بمدينة عدينة[١].

الملك الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس: هو الملك الناصر صلاح الدين أحمد بن الملك الأشرف إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، ثامن ملوك الدولة الرسولية، بويع للملك في عهد أبيه في سنة ٨٠٣ هـ، وتولى الحكم بعد وفاة والده في نفس سنة ٨٠٣ هـ، وكان والده قد استخلفه في أيام مرضه[٢].

وفي أيامه مات الشيخ معوضة بن تاج الدين والد الشيخ طاهر بن معوضة، ووصل إليه طاهر بن معوضة، فأكرمه فكان بنو طاهر أمناء السلطان الملك الناصر[٣]، وأيضاً في عهده أمر بني طاهر ببناء قصر النعيم في المقرانة سنة ٨٢٠هـ[٤].

توفي شهيداً بقصره في حصن الفص بقوارير في جمادى الأولى سنة ٨٢٧هـ، وحمل إلى مدينة تعز، ودفن بمدرسة والده المدرسة الأشرفية بذي عدينة[٥].

الملك المنصور عبد الله بن أحمد بن إسماعيل: هو الملك المنصور عبد الله بن الملك الناصر صلاح الدين أحمد بن الأشرف إسماعيل، تاسع ملوك الدولة الرسولية، تولى الحكم بعد وفاة والده الملك الناصر أحمد سنة ٨٢٧هـ.

كان عدلاً شجاعاً ذا دين متين، أزال منكرات كثيرة وأثار ساكن عزم أهل السنة، وكان له قراءة قبل ولايته في الفقه والعربية، ولذلك أبطل على النساء الغناء بالباب إلى انقضت أيامه وأبعد الكرماني عن بابه مدة ملكه ولم يقبله، وكان ذا رأي سديد، وتدبير وسياسة رغم صغر سنه[٦].

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨٥، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٦٩.
٢ تحفة الزمن، الأهدل، ٥٢٦/٢، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٧، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨٥.
٣ فرجة الهموم، الواسعي، ص٢٠١.
٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩.
٥ تحفة الزمن، الأهدل، ٥٢٧/٢، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٦، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٦٦.
٦ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٦.

ويذكر ابن الديبع في كتابه بغية المستفيد "بأن المنصور عبدالله كان يحضر صلاة الصبح مع الجماعة بمسجد الأشاعر بزبيد، وبالجامع المظفري بذي عدينة في تعز"[1]، واستمرت فترة حكم الملك المنصور عبدالله بن الناصر مدة ثلاث سنوات، وقد توفي في الدار الناصري الكبير بمدينة زبيد في شهر ربيع سنة٨٣٠ هـ، ونقل جثمانه إلى مدينة تعز، ودفن بالمدرسة الأشرفية عند جده ووالده[2].

الملك الأشرف الثالث إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل: هو الملك الأشرف الثالث إسماعيل بن الملك الناصر صلاح الدين أحمد بن الأشرف إسماعيل بن العباس، الملك العاشر من ملوك الدولة الرسولية، تولى الحكم بعد وفاة أخيه الملك المنصور عبدالله بن الناصر سنة ٨٣٠هـ.

وكان عند موت أخيه المنصور صغير السن لم يختن بعد فتولى الملك جماعة من أعيان الدولة وجعلوه صورة فاختلفت كلمتهم وتفرقت آرائهم وكثر في أيامه فساد العرب وانتهبوا الضعيف وحدث في سنة ولايته جدب عام وأكل القوي الضعيف لضعف السلطان وظهر الضرر بضعفه[3].

فلما رأى كبراء دولته ذلك بعد مرور سنة وشهرين من حكم الأشرف الثالث أجمع كبار وأعيان الدولة على تنحيته من الملك ووضعه في السجن، ثم انعقدت كلمة الإجماع على إقامة ومبايعة عمه الظاهر يحي بن الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس فأخرج من السجن بثعبات صبيحة الجمعة العاشر من جمادى الاخرة سنة ٨٣١هـ، وتمت بيعتهم له[4].

الملك الظاهر يحيي بن إسماعيل بن العباس: هو الملك الظاهر يحي بن الملك الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، الملك الحادي عشر من ملوك الدولة الرسولية، أجمع كبار الدولة وعلماؤها وأعيانها على توليته الملك فأُخرج من السجن ونُصب ملكاً، بعد تنحية ابن أخيه الملك الأشرف الثالث سنة٨٣١هـ كما ذكرنا.

وبعد عامين من ولايته نكل بالجند الذين خلعوا ابن أخيه أشد النكال وكانوا قد طغوا وبغوا وزعموا أنهم يقيمون من شاؤوا فأبادهم قتلاً وتغريقاً ونفياً وتفريقاً ثم صادر الشرف العلوي وقتل أخيه الشهاب العلوي بعد أن فرّ الشرف منه.

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٠٢.
٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٦٧، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٧.
٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٧، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٦٧.
٤ تحفة الزمن، الأهدل، ٥٢٧/٢، بغية المستفيد، ابن الديبع، ١٠٣.

وفي أيام حكمه اتفقت الصهورة المباركة بين الملك الظاهر وبين الشيخ علي بن طاهر بن معوضة في سنة ٨٣٦هـ[1]، وكان لبني طاهر شأن كبير في أيام حكمه.

وقد توفي الملك الظاهر يحي بن إسماعيل بمدينة زبيد ٨٤٢هـ، ونقل جثمانه إلى مدينة تعز ودفن في مدرسته المدرسة الظاهرية[2].

الملك الأشرف الرابع إسماعيل بن يحي بن إسماعيل: هو الملك الأشرف الرابع إسماعيل بن الملك الظاهر يحي بن إسماعيل بن عباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، الملك الثاني عشر من ملوك الدولة الرسولية، تولى الحكم بعد وفاة والده الملك الظاهر سنة ٨٤٢هـ.

كان الأشرف الرابع ملكاً حسن السياسة ذا فراسة دانت له البلاد والعباد، ومشى على طريقة والده وظهرت للناس بسالته وكان يومئذ شاباً فسفك الدماء من رجال ونساء وشدد على العرب بالغارات إلى آخر سنة ٨٤٣هـ وكانت الحرب بينهما سجالاً ولم يتفق هو والعرب، وكان الأشرف شجاعاً مقداماً، قوي القلب ذا إقدام ونجدة وكان يلقب المجنون لشدة إقدامه وجرأته[3].

توفي الملك الأشرف الرابع بدار السرور بمدينة تعز في سنة٨٤٥هـ، ودفن في مدرسة والده بالمدرسة الظاهرية[4].

وكان الأشرف بقية ملوك بني رسول المعتبرين ومن تولى بعده تولى ولاية غير منتظمة لكثرة النزاع وافتراق الكلمة إلى أن طلعت شموس الدولة الطاهرية فزحزحت ظلمات الظلم عن البرية[5].

الملك المظفر يوسف بن عمر بن إسماعيل بن العباس: هو الملك المظفر يوسف بن عمر بن إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، الملك الثالث عشر من ملوك الدولة الرسولية، تولى الحكم بعد وفاة ابن عمه الملك الأشرف الرابع إسماعيل بن يحي بن إسماعيل بن العباس سنة ٨٤٥هـ، وكان قد فرّ إلى وصاب من ابن عمه الأشرف بن الظاهر عندما تولى الحكم، وأقام بها عند الشيخ الصالح يحي بن عمر الذباني صاحب الصنحوج مستجيراً فلما انقضت مدة

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٠٥.
٢ تحفة الزمن، الأهدل، ٥٢٧/٢، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٨٤، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٧٨.
٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٨٦، تحفة الزمن، الأهدل، ٥٣٦/٢، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٧٩.
٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٦٧، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٨٨.
٥ تحفة الزمن، الأهدل، ٥٣٦/٢، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٨٨.

الأشرف بن الظاهر، اجمع أهل الحل والعقد على إقامته، وقد كان الناس يلهجون قبل ولايته ويذكرون عدله وإنصافه فتسلم الملك بوصاب ثم سار إلى تعز، فنزل بدار الشجرة في موكب عظيم[1].

وقد ولى المماليك في عهده المفضل وهو مُحَّد بن إسماعيل بن عثمان بن الأفضل سلطاناً بتربة الطليحة، فدخل مدينة زبيد أول سنة ٨٤٦هـ وصرف أموالاً كثيرة وأدخل العرب زبيد وأعطاهم جملة من الخيل والسلاح حتى قويت شوكتهم، ونزل من قبل المظفر الطواشي محسن والشهاب الصباحي الشيخ علي بن طاهر بن معوضة، فلما علم الطواشي نجيب بوصولهم وكان بزبيد لزم المفضل ولما دخلوا زبيد خرج نجيب بالمفضل إلة تعز، واستشهد المفضل في شعب الديار عام ٨٤٦ هـ[2].

ثم ولى المماليك بعده وفي أثناء حكم الملك المظفر، أحمد الناصر بن الظاهر بن يوسف بن عبدالله بن المجاهد علي الرسولي فولوه سلطانا عام ٨٤٦هـ، ثم لزمه المظفر أي قبض عليه في ربيع الأول من سنة ٨٤٧هـ، وقد استمر حكم المظفر حتى سنة ٨٤٧ هـ[3].

الملك المسعود صلاح الدين بن إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل: هو الملك المسعود صلاح الدين بن إسماعيل بن الناصر أحمد بن إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، آخر ملوك الدولة الرسولية، تولى سنة ٨٤٧هـ وهو ابن ثلاثة عشر سنة، فدخل عدن وفي لحج يومئذ المشايخ بنو طاهر من قبل السلطان المظفر وعلى عمله، ثم قصد المسعود تعز فحاصر السلطان المظفر فيها، فجاءه عامر بن طاهر مظاهراً للسلطان المظفر، ولم يزل الملك المسعود بتعز والملك المظفر بحصنها إلى أن أخرجه بنو طاهر منها سنة ٨٥٢هـ، فخرج المسعود من موزع إلى عدن، ثم نزل المظفر ونزل بنو طاهر إلى لحج، فحاربهما الملك المسعود على عدن، فقتل من عسكر المسعود جماعة، وترك المظفر حصن تعز للمسعود، فقبض عليه سنة ٨٥٤هـ، فاحتفظ به لأمر العبيد، وكان لا يزال الملك المظفر ملكاً رسولياً منذ استلم زمام الحكم في عام ٨٤٥ هـ، ثم أقام العبيد المؤيد حسين بن الظاهر بن الأشرف بزبيد في شعبان سنة ٨٥٥هـ، فلما علم المسعود نزل إلى زبيد فلم يدخلها بل استقر خارجها ليحارب المؤيد، فأحس من عساكره بمكر وخداع فرجع إلى تعز ثم إلى عدن، وبهذا كان هناك ملكان رسوليان في آن واحد يتنافسان على الحكم، واستفحل في عهده أمر بنو طاهر وقويت شوكتهم فدخل في صراع معهم وقاومهم بشدة، لكن قوة الدولة الطاهرية كانت في عهده في صعود، والدولة الرسولية

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٧٩، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٨٨.
٢ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٨٨.
٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨١، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١١٣.

تلفظ أنفاسها الأخيرة، ووما زالت الحرب بينه وبين بين طاهر سجالاً حتى تعلن نهاية هذه الدولة بخلع المسعود آخر ملوكها لنفسه وإعلان قيام الدولة الطاهرية سادس جماد الآخرة من سنة ٨٥٨هـ[١] .

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١١٥، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٩٠، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨١، فرجة الهموم، الواسعي، ص٢٠٢.

المطلب الثاني

تولي بني طاهر المناصب في الدولة الرسولية

كان أول ظهور لبني طاهر في الساحة السياسية في أواخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع للهجرة، فأول ما ظهروا كشخصيات مرموقة في أيام الملك الأشرف بن الأفضل ثم في أيام الملك الناصر، وقد كانت لهم السيادة والولاية في بلادهم وما جاورها"[١]، وكانت تلك العلاقة جيدة بين الشيخ معوضة بن تاج الدين والرسوليين.

وبعد وفاة الشيخ معوضة بن تاج الدين جد السلاطين الخلفاء آل طاهر رحمه الله في يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٨١٢هـ، قدم الشيخ طاهر بن معوضة بن تاج الدين هو وجمع من أصحابه واتباعه على الملك الناصر أحمد بن إسماعيل الأشرف، حيث كان قدومه على الناصر إلى مدينة تعز وذلك في يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة ٨١٧هـ، فكساه وأنعم عليه وعلى من وصل معه[٢].

فعند وصول الشيخ طاهر بن معوضة إلى السلطان الناصر أحسن استقباله وضيافته لعلمه بمكانته بين قومه وسيادته على بلاده، وهي المناطق الوسطى وما حولها من البلدان، "فأكرمه إكراماً يليق به وأحسن إليه وإلى جميع من صحبه"[٣].

ومنذ هذه الوفادة على الملك الناصر أصبح الشيخ طاهر بن معوضة بن تاج الدين رجل الدولة الرسولية في مناطق بني طاهر وهي المناطق التي مرّ معنا ذكرها.

وقد كان الشيخ طاهر وأبنائه أمناء لسلاطين بني رسول [٤]ولاتهم في مناطق جبن وبلاد آل عمّار والحبيشية والرياشية وبلاد رداع الجنوبية والشرقية والغربية إلى خبان من ذي رعين، وكذا المقرانة وحجاج.

---

١ تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، حسين بن عبدالله الأهدل الحسيني، تحقيق الأستاذ عبدالله الحبشي، ٥٤٥/١.

٢ الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، ابن الديبع، تحقيق شلحد، ص١٠٦.

٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٤٧٢.

٤ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٠٦، اللطائف السنية، العلامة مُحَّد بن إسماعيل الكبسي، ص١٠٦.

تصدي بني طاهر لهجمات الأئمة الزيدية في المناطق الوسطى: وتذكر المصادر التاريخية دور بنو طاهر في القيام بأعمالهم كولاة للرسوليين في مناطقهم، وذلك بالتصدي لهجمات الأئمة الزيدية والدفاع عن أركان الدولة الرسولية، "ففي سنة عشرين وثمانمائة قصد صاحب صنعاء بلاد بني طاهر آمناً السلطان فتجهز السلطان إليه فاجتمعا بموضع يقالُ له الصرم فانكسر الإمام وعسكره وقتل منهم جمع كثير وتبعهم السلطان إلى وادي خبان ثم رجع إلى المقرانة"[1].

ويقول المؤرخ الخزرجي رحمه الله في تلك المحاولة للإمام الناصر التوسع بدولته في المناطق الوسطى وتصدي بني طاهر له: "بادر الملك الناصر الرسولي على رأس جيشه إلى بلاد رداع للتصدي له، وقامت حرب بينهما اسفرت عن انهزام عسكر الإمام بعد قتل كثير منهم، وانسحب الإمام عائدا إلى صنعاء، وطارده الملك الناصر الرسولي إلى بلاد خبان، ثم رجع الإمام إلى المقرانة بين دمت وجبن من مخلاف الرياشية من أعمال رداع، وذلك لمعاينة قصر النعيم الذي كان يبنى له فيها باشراف الشيخ طاهر بن تاج الدين نائبه في رداع، والذي كلفه الملك الناصر ببنائه في المقرانة لدى زيارته له في عام ٨١٧هـ"[2].

وأيضاً من الوقائع التي تدل على تصدي بني طاهر للأئمة الزيدية في عهد الدولة الرسولية، ما ذكره المؤرخ يحي بن الحسين بن القاسم في تاريخه غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، فذكر في حوادث سنة ٨٤٨هـ أن آل عمار استدعو الناصر بن مُحَّد، فسار إليهم معيناً لهم على بني طاهر، وحط في جبل النقع المجاور لبلاد بني طاهر وحاربهم، ثم وقع الصلح بين الجميع، ورجع الناصر بن مُحَّد إلى ذمار فلبث فيه أياماً، ثم خرج على حين غفلة إلى بلاد بني طاهر، فنهب وأخرب دورا فيها، وألتجأ أهلها إلى حصن لهم، ثم سار إلى هيوة فواجه له أهلها[3].

ثم حكى ما وقع من صلح بين بني طاهر والإمام الناصر بن مُحَّد، سنة ٨٥٢هـ[4].

وبهذا يتبين لنا أن بني طاهر كانوا بمثابة السور المنيع للدولة الرسولية في المناطق الوسطى، وأنهم كانوا يُعدون الحصن المنيع تجاه هجمات الأئمة الزيدية.

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٤٧٢.

٢ العسجد المسبوك، الخزرجي، ص٥٠٩، التاريخ العامر لليمن، مُحَّد يحي الحداد، ١٨٨/٣.

٣ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحي بن الحسين بن القاسم، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة مصر طبعة ١٩٦٨م، ٥٨١/٢.

٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ٥٨٣/٢.

إنعقاد الصهورة بين بني طاهر وبني رسول: استمرت العلاقة بين بني طاهر والرسوليين كولاة وأمناء لهم في مناطق نفوذهم وهي مناطق بني طاهر، وكانت الزيارة مستمرة من الشيخ طاهر ثم من ابنائه للملوك الرسوليين، وكانت من أهم هذه الزيارات الزيارة التي على أثرها انعقدت الصهارة بين الطاهريين والرسوليين ففي يوم الخميس الرابع من شهر صفر سنة خمس وثلاثين وثمانمائة قدم الشيخ شمس الدين علي بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين العمري على الملك الظاهر يحي بن إسماعيل الأشرف بن العباس الأفضل الغساني إلى مدينة تعز وواجهه بدار الشجرة[1].

والظاهر أنه خلال هذه الزيارة أراد الملك الظاهر يحي بن إسماعيل أن يقوي العلاقة بينه وبين الطاهريين وذلك بمصاهرتهم، ولعل السبب الرئيسي لهذه المصاهرة هو الضعف الواضح للدولة الرسولية في ذلك الوقت وبداية انهيارها، وفي المقابل تصاعد نفوذ الطاهريين وتوسعهم في حكمهم.

فتذكر المصادر التاريخية أنه في السنة التالية لهذه الزيارة "اتفقت الصهورة المباركة بين الملك الظاهر وبين الشيخ علي بن طاهر بن معوضة فتقدم الفقيه علي بن مُحَّد الحميري وكيلاً للسلطان في زواج ابنة الشيخ طاهر بن معوضة وتقدم معه الأمير عفيف الدين عبدالله بن مُحَّد الشمسي ومن الفقهاء الفقيه عبدالوالي الوحصي والفقيه أبوبكر بن مُحَّد العرشاني"[2].

وبهذا يتبين أن العلاقة بين الطاهريين والرسوليين لم تكن علاقة عادية أو مجرد علاقة حاكم وعامل له أو والي له في منطقة من المناطق، بل أن العلاقة كانت علاقة سادة وولاة فرضوا أنفسهم لمكانتهم بين قومهم ونفوذهم في مناطقهم، وقوتهم التي كانت معلومة في مناطق اليمن والتي كان يعلمها من كان يحكم اليمن في ذلك الزمان من الملوك الرسوليين والأئمة الزيديين، وكان من الطبيعي أن تنعقد المصاهرة بين الرسوليين والطاهريين لتقوية العلاقة بين الطرفين من ناحية ولكسب ثقتهم وأمن جانبهم وعدم الإنقلاب عليهم من جهة أخرى، ولم يكن الطاهريين ليفعلوا ذلك لولا الضعف الشديد الذي طرأ على الدولة الرسولية، والخوف من أن تمزق هذه الدولة العظيمة إلى دويلات وتقع في أيدي الطامعين من أيدي خاجية وداخلية، وخاصة في ظل الصراعات السياسية في ذلك العصر بين الرسوليين أنفسهم.

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٨١، الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١١.

٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٨١، الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١١.

أبرز الأعمال التي تولاها بني طاهر للدولة الرسولية:

والأعمال التي تولوها بني طاهر للملوك الرسوليين يمكن أن تحصر حسب ما يظهر في المصادر والمراجع التاريخية بالآتي:

أولاً: كان بني طاهر ولاة وحكام لبني رسول منذ زمن الملك الأشرف الثاني بن الأفضل ثم في أيام الملك الناصر، أي منذ أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع، وقد لهم ولاية واسعة في مناطق جبن وبلاد آل عمار وحبيش والحبيشية والرياشية وبلاد رداع الجنوبية والشرقية والغربية إلى خبان من ذي رعين، وكذا المقرانة وحجاج، وقد امتدت ولايتهم إلى أبعد من هذه المناطق في أواخر الدولة الرسولية، فقد وصلت ولايتهم إلى مناطق لحج وأبين والضالع وإب والبيضاء، حتى أنها كانت تصل أحيانا إلى عدن وما حولها.

ثانياً: أكدت المصادر التاريخية أن بني طاهر لم يكونوا مجرد ولاة وحكام للرسوليين في مناطقهم بل إنهم كانوا أمناء لهم، ومؤتمنين على نفوذهم وممالكهم في مناطقهم، وهذا يدل على أنهم كانوا مستشارين للملوك الرسوليين في إدارة شؤون اليمن، وذلك لمعرفتهم بأمور المناطق التي كانوا ولاة عليها وما حولها من المناطق الأخرى.

ثالثاً: من خلال المصادر التاريخية والروايات التي وردت يتضح لنا أن قرية المقرانة لم تكن مجرد مركز للقيادة وإدارة المملكة لبني طاهر فقط، بل إنها كانت منطقة مهمة للرسوليين ومركزاً للقيادة والحكم للبلاد من هذه المنطقة للمناطق الأخرى، ولم تكن أقل أهمية من المناطق الأخرى التي اتخذها الرسوليون لإدارة وحكم اليمن، مما أهلها لتكون عاصمة في عصر الطاهريين، ومما يدل على ذلك أن الملك الناصر قد أمر ببناء قصر له في المقرانة وكان يسمى قصر النعيم، والذي كان يبنى له فيها بإشراف الشيخ طاهر بن تاج الدين نائبه في رداع، وقد كلفه الملك الناصر الرسولي ببنائه في المقرانة لدى زيارته له في عام ٨١٧هـ.

رابعاً: حربهم للأئمة الزيدية كالإمام علي بن صلاح الدين نيابة عن بني رسول في منطقة رداع التي كانت تعتبر خط الدفاع الأمامي ضد التوسع الإمامي فيها وفي المناطق المجاورة لها كبلاد ذمار وغيرها، وكان الأئمة منذ دبّ الضعف في الدولة الرسولية قد شددوا هجماتهم عليها في كثير من مناطق نفوذها وحتى تهامة، ويتبن ذلك من خلال الخبر الذي أوردناه من تصدي بني طاهر والملك الناصر سنة عشرين وثمانمائة للإمام علي بن صلاح الدين صاحب صنعاء وغيرها من الأحداث.

وبالجملة فإن الطاهريين كانوا ولاة وعمالاً وحكاماً وأمناء لبني رسول في عصر الدولة الرسولية، ولأهمية بني طاهر في الدولة الرسولية يكفي أن نعلم أنهم بمكانتهم هذه قد سادوا وتولوا المناصب العالية خلال فترة حكم عشرة من ملوك الدولة الرسولية وهم: الملك الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس والملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن العباس، والملك المنصور عبدالله بن الناصر أحمد، والملك الأشرف الثالث إسماعيل بن المنصور، والملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل بن المنصور، والملك الأشرف الرابع إسماعيل بن يحي الظاهر، والملك المظفر يوسف بن الملك المنصور، والملك المفضل أسد الدين مُحَمَّد بن إسماعيل، والملك الناصر أحمد بن الظاهر بن يوسف بن عبدالله بن المجاهد، والملك المسعود أبو القاسم بن الأشرف إسماعيل، والملك المؤيد حسين بن الملك الظاهر بن الأشرف.

المطلب الثالث

نهاية الدولة الرسولية وظهور الطاهريين

ولاية الملك المظفر والصراع على الحكم:

لما تولى الخلافة والملك الأشرف الرابع إسماعيل بن يحي بن إسماعيل عام ٨٤٢هـ، فرّ منه إلى وصاب ابن عمه المظفر يوسف بن المنصور عمر بن الملك الأشرف وأقام عند الشيخ الصالح يحي الذباني صاحب الصنحوج مستجيراً.

فلما انقضت مدة الأشرف بن الظاهر عام ٨٤٥هـ، أجمع اهل الحل والعقد على إقامة المظفر المذكور خليفة، وقد كان الناس يلهجون قبل ولايته ويذكرون عدله وانصافه، فتسلم الملك بوصاب ثم سار إلى تعز فنزل بدار الشجرة في موكب عظيم ثم ركب إلى دار النجا بتعز ولم يزل بها، ولم يتحرك منها الأمر الذي شجع بعض جنده من المماليك الأتراك وغيرهم على نقض بيعته والخروج من تعز إلى زبيد بقيادة بشك الحاصبي[١].

بداية الصراع في الدولة الرسولية وظهور بني طاهر:

بعد أن تولى المظفر الملك بشهور قليلة خرج جماعة من الجند والترك الذين بايعوه على الطاعة، ونزل المماليك إلى زبيد صحبتهم بشبك الحاصبي، وكان صاحب شدة وبأس ففعل هو والمماليك أفاعيل، منها أنهم أقاموا أسدالدين مُحَمَّد بن إسماعيل بن عثمان بن الأفضل سلطاناً بتربة الطليحة ولقبوه المفضل، فدخل مدينة زبيد أول سنة ٨٤٦هـ وصرف أموالاً كثيرة وأدخل العرب زبيد، وأعطاهم جملة من الخيل والسلاح حتى قويت شوكتهم، وأخذوا نخل الوادي زبيد على أهله واقتسمه القرشيون والمعزبة ومنعوا أهله منه رأساً[٢].

ثم أن المماليك والعبيد أفسدوا فسداً عظيماً في زبيد وتهامة، وجرت أمور ومفاسد من العساكر بزبيد يطول شرحها، فنزل من قبل المظفر الطواشي محسن، والشهاب الصباحي، والوجيه بن حسان، والشيخ شمس الدين علي بن طاهر، فلما علم الطواشي نجيب بوصولهم لزم المفضل بزبيد ولما دخلوا زبيد، خرج النجيب بالمفضل إلى تعز، في الثامن من ربيع الآخر سنة ٨٤٦هـ، ومات الوجيه بن حسان في ذلك اليوم، واستشهد المفضل في شعب الديار رحمه الله كما قتل بشبك الحاصبي في أثره، ثم طلع ابن طاهر باستدعاء المظفر له يوم الخميس تاسع الشهر المذكور[٣].

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٧٩، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٨٨.

٢ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٨٩.

٣ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١٦، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨٠.

ثم أظهر العسكر أن المظفر ضعف عن أمر الخلافة، وخرج جماعة من العبيد إلى حيس فبحثوا عمن بها من أولاد الملوك، فوجدوا أحمد الناصر بن الظاهر بن يوسف بن عبدالله بن المجاهد علي الرسولي، فولوه سلطاناً ودخل إلى زبيد ونزل بالدار الكبير الناصري ولقبوه بالناصر[1].

وكان هذا الخروج الثاني للعسكر والجند على المظفر خلال سنة واحدة، وتولية أحد أبناء عمومته ينازعه في الملك، ولم يكن أحمد الناصر بن الظاهر بذاك الرجل المستحق للخلافة فقد انتهى أمره بسرعة.

ثم كانت وقعة زبيد التي قتل فيها الناصر من زبيد كل من وجد من صغير وكبير بسبب خروجهم عليه، فلم يبق لأهل زبيد باقية حتى أخرجوا ما في الآبار والمدافن، ولم يسلم إلا بيوت جماعة من الدولة والمناصب، وأصبحت زبيد كأن لم تغن بالأمس وتفرق أهلها شذر مذر، وسلم أكثر بيوت المجنبذ[2] فلقب هذا السلطان بالخاسر لهذه الوقائع التي وقعت بأيامه.

ثم لزمه المظفر أي قبض عليه في ربيع الأول من سنة ٨٤٧هـ، ثم خرج سالماً إلى الطليحة هو وأولاده وكان قيامه نحو عشرة أشهر[3].

ثم أقام المماليك بعده ابنه صلاح الدين أبا القاسم بن الأشرف المخلوع بن الناصر بن الأشرف ولقب بالمسعود، وعمره ثلاثة عشر سنة وكان تنصيبه بمدينة زبيد في ربيع الأول من سنة ٨٤٧هـ فدخل عدن في ذي القعدة[4].

والمشايخ بنو طاهر بلحج من حزب المذفر[5]، معاونين للملك المظفر وفي أنفسهم ما فيها من الإستبداد بالملك لما يرون من ضعف المملكة وانحلال أمرها فقاومهم الملك المسعود وأخرجهم من عدن ودخلها ثم أخرجهم من لحج وأبين ومكن السيطرة فيها سنة ثمان وأربعين[6].

ولم يكن بنو طاهر موالين أو راضين بتولي المسعود الملك، كمالم يرضوا لأبيه الناصر بتوليها من قبل ولا للمفضل من قبله، فمنذ أن خرجوا على المظفر وولاهم العساكر والترك والعبيد، كان الصراع مستمراً بين الطاهريين وبين جميع من خرجوا على المظفر وآخرهم المسعود.

"وفي سنة ٨٤٩هـ قدم الأمير زين الدين جياش بن سليمان السنبلي إلى مدينة زبيد مقدماً من قبل المسعود، فاصطلح هو والمعازبة ونابذ القرشيين، فغزا الأشاعر إلى المخيريف فأخربها، وغزا القرشيين

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٠.
٢ المجنبذ: أحد أرباع مدينة زبيد. حاشية بغية المستفيد للأستاذ عبدالله الحبشي.
٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨٠، بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١٤.
٤ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٩٠، غاية الماني، يحي بن الحسين، ص٥٨١.
٥ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٠.
٦ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١٤.

ونزل النخل في أيامه وصحبه المعازبة والعبيد، فحمل عليه القرشيون صبيحة مبيته في النخل في ربيع سنة ٨٥٠هـ، وانهزم الأمير جياش وهرب العبيد والقواد، وقتل الأمير يحي بن زياد وصهره عبدالله الدردباشي، والمشد محمد بن معوضة ومولانا حمزة بن الملك العادل، وجماعة من بني إقبال وسلم الأمير زين الدين جياش، وكانت وقعة عظيمة عرفت بعذيب جياش.

ثم إن المسعود قصد تعز وحاصر المظفر بحصنها، فتعب المظفر من ذلك، وأرسل إلى بني طاهر وكان ما يزال متمسكاً بآل طاهر، فنزل إليه الشيخ عامر بن طاهر مناصراً له على المسعود، وأقام بدار القسطال، ليحارب المسعود من قرب، فلم يزل الشهاب الصياحي يعمل الحيلة في إخراج ابن طاهر من القسطال، حتى إنحاز إلى بلده راضياً مختاراً.

ولم يزل المسعود بدار الوعد، من مدينة تعز، حتى قام عليه بنو طاهر مرة أخرى وأخرجوه من تعز سالماً بجميع ما معه، يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان، سنة ٨٥٢هـ فبلغ موزع ثم هقرة ثم عدن، ودخلها يوم السادس من شوال.

ثم نزل المشايخ بنو طاهر والمظفر إلى لحج، والمسعود بعدن في ذي القعدة، وحصل بينهما لقاء، فقتل من عسكر المسعود جماعة، وقامت حرب بين الجانبين، لم يتمكن المتحالفان الملك المظفر وبنو طاهر خلالها من الإستيلاء على عدن، وعاد المظفر إلى تعز، بينما عاد بنو طاهر إلى بلادهم كعادتهم للمزيد من الإستعداد[1].

وفي عام ٨٥٤هـ تحرك الملك المسعود من عدن إلى تعز، فخلّى المظفر بين المسعود وبين حصن تعز، فنزل منه وقبضه المسعود سنة ٨٥٤هـ[2]، ثم تنازل له بعد ذلك عن الحكم أيضاً.

وأما ابن طاهر فابتنى داراً بلحج ووقف بها مدة، ثم ارتحل إلى بلده، ثم نزل في المحرم سنة ٨٥٨هـ في عسكر ضليع، فقابلته عسكر المسعود، فنال منهم ونالوا منه، ثم رجع إلى بلده.

وفي هذه المدة من أيام المظفر إلى آخر دولة بني رسول، لم يزل أمر العبيد يستفحل بزبيد، حتى استقلوا بالأمور دون أوليائهم، وفعلوا ما فعلوا، وأخذوا كل سفينة غصباً، وولوا بزبيد الملك المؤيد حسين بن الملك الظاهر بن الأشرف في آخر يوم من شعبان سنة ٨٥٥هـ سلطاناً [3].

فلما علم المسعود بذلك نزل إلى زبيد في رمضان، فلم يدخلها بل استقر خارجها ليحارب المؤيد، فأحس من عساكره بمكر وخداع، ولم يظفر من المؤيد بشيء فرجع إلى تعز، ثم عاد منها إلى عدن.

---

[1] غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨٤، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٩١، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١١٦.

[2] بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١٥.

[3] بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١٦.

وما زالت الحرب بينه وبين بني طاهر سجالاً حتى خلع نفسه، وخرج من عدن سادس جمادى الآخرة، ودخلها المؤيد يوم السابع والعشرين من جماد الاخر سنة ٨٥٨هـ، ووقف بها إلى أن نزل الملكان ابنا طاهر، ولم يتمكن بنو طاهر من دخولها لصمود حاميتها أمامهم[١].

الملك المؤيد آخر ملوك بني رسول: مع أن الملك المسعود قد خلع نفسه من الملك وخرج من عدن مستسلماً للأمر الواقع، إلا أن ذلك لم يعجب من له مصلحة من استمرار الفوضى والضعف الساري على الرسوليين، فأراد أن يستمر الضعف في الدولة الرسولية في اليمن ليتمكن من تحقيق مصالحه، وبسط نفوذه على الضعفاء، في ظل لفظ الدولة الرسولية لأنفاسها الأخيرة.

وعلى رأس هؤلاء المؤيدين للفوضى والضعف في الدولة الرسولية وبقاء الصراع الأسري بين الرسوليين هم العبيد والأتراك والمماليك، الذين ظلوا مسيطرين على كثير من مفاصل الدولة الرسولية فيقيمون من يريدون من الملوك ويخرجون على من شاؤوا كما مرّ معنا، فبعد أن نصب العبيد الملك المؤيد حسين بن الملك الظاهر بن الأشرف في آخر يوم من شعبان سنة ٨٥٥هـ سلطاناً[٢]، تمزقت الدولة الرسولية إلى دويلات أكثر ضعفاً وكان آخر ما استقر عليه أمر العبيد من الملوك هو الملك المؤيد، فقد كان المؤيد مستقلاً بزبيد بينما كان المسعود مستقل بحكم عدن وما حولها.

وبعد خلع المسعود لنفسه ومغادرته عدن، طمع المؤيد في الإستيلاء على عدن بعد أن خلت من أي حاكم لها من بني رسول فبادر الملك المؤيد إلى دخول عدن في السابع والعشرين من جمادى الآخرة، فاستولى عليها وأقام فيها حتى زحف نحوه الملكان عامر وعلي ابني طاهر بجموعهما في شهر رجب من عام ٨٥٨هـ وعسكرا خارجها[٣]، وكان هذا هو المسمار الأخير في نعش الدولة الرسولية، وبداية نهضة الدولة الطاهرية على ما سيأتي معنا بيانه في تاريخ الدولة الطاهرية.

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩١، الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١٨، التاريخ العامر لليمن ١٩٤/٣.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١١٦، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٩٢.

٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٤٩٢.

الباب الأول

قيام الدولة الطاهرية وعوامل نهوضها

في هذا الباب سنبين بداية النهوض للدولة الطاهرية، والإنقسامات التي ظهرت في أواخر عهد الدولة الرسولية، والعوامل التي أدت إلى انهيارها، وأسباب استيلاء بني طاهر على آخر معاقل الدولة الرسولية، والعوامل التي ساعدت على نهضة الدولة الطاهرية، واستيلاءهم على أهم المدن التي تبقت بأيدي، وهي عدن وتعز وزبيد وتهامة والشحر وحضرموت وغيرها، لذا فإني سأقوم بتقسيم هذا الباب إلى خمسة خمسة فصول كالتالي:

الفصل الأول: الإنقسام السياسي وعوامل انهيار الدولة الرسولية

الفصل الثاني: الإستيلاء على عدن وتعز

الفصل الثالث: الإستيلاء على زبيد وإخضاع القبائل التهامية

الفصل الرابع: الإستيلاء على الشحر وحضرموت وظفار

الفصل الأول
الإنقسام السياسي
وعوامل انهيار الدولة الرسولية

مرّ معنا أن الموطن الأصلي لبني طاهر هو منطقة المقرانة وحجاج وجبن من بلاد رداع حيث كانت لهم الرياسة فيها، وقد صار آل طاهر ولاة لآل رسول في جهاتهم، بل وامتد حكمهم إلى عدن في فترات لاحقة، وعندما أيقن آل طاهر من أن أمر الرسوليين إلى زوال لا محالة، أعدّ الشيخ علي بن طاهر بن معوضة الملقب بالمجاهد الذي سيقدر له مع أخيه عامر الملقب بالظافر أن يكون أول ملوك دولة الطاهريين حملةً لحرب الملك الرسولي المسعود في عدن، ولكنه عاد من حملته خائباً ولم يتمكن من القضاء على خصمه المسعود.

ثم أعد نفسه إعداداً أفضل فكرر حملته على عدن في العام ٨٥٨هـ، وتمكن هذه المرة من طرد المسعود منها، فتوجه المسعود إلى بلاد موزع ومنها إلى مدينة حيس بصحبة المماليك الذين أرادوا دخول عدن ثانية معه لكنه خلع نفسه هناك كملك، ليبقى في الساحة الملك المؤيد الذي دخل عدن إثر انسحاب الطاهريين الطوعي منها إلى المقرانة مقر حكمهم لمزيد من الإستعداد، ثم أعادوا الكرة الأخيرة في شهر رجب من العام نفسه وتمكنوا من دخول عدن وأسر المؤيد هناك آخر ملوك دولة بني رسول.

وقبل ذكر العوامل والأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة الرسولية وقيام الدولة الطاهرية، لابد أولاً أن نذكر أحوال اليمن بشكل عام، والإنقسامات السياسية والدويلات التي ظهرت على إثر الضعف والإنهيار الذي أصاب الدولة الرسولية في أواخر عهدها، لذا فإننا سنذكر أولاً الوضع السياسي والدويلات التي ظهرت في اليمن قبل قيام الطاهريين في مبحث، ثم نتكلم في مبحث آخر بشكل عام عن العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة الرسولية وكذلك العوامل التي ساعدت في قيام الدولة الطاهرية، وذلك في مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول: الإنقسام السياسي والدويلات التي ظهرت في اليمن قبل قيام الدولة الطاهرية

المبحث الثاني: عوامل إنهيار الدولة الرسولية وأسباب سقوطها والتمهيد لقيام الدولة الطاهرية

المبحث الأول
الإنقسام السياسي والدويلات التي ظهرت في اليمن
قبل قيام الدولة الطاهرية

على إثر الضعف والإنهيار الذي أصاب الدولة الرسولية في أواخر عهدها بسبب الصراعات الداخلية بين الرسوليين على السلطة والحكم، وكذلك ضعف شخصيات الملوك الرسوليين الذين حكموا اليمن مؤخراً واستيلاء المماليك والعبيد على الحكم ومفاصل الدولة في الباطن ومن وراء الستار ولم يكن للرسوليين دور حقيقي في السلطة، فإن ذلك كله بجانب انتشار الظلم والفساد والطغيان، وعدم الإستقرار الأمني من قبل المماليك والعبيد، أدى ذلك كله إلى انقسامات عديدة في اليمن، وإلى ظهور قوى سياسية في الساحة السياسية اليمنية، وزعامات قبلية سعت للسيطرة على عدد من المناطق، وتتصارع كلها للإستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأرض والنفوذ السياسي، وكذلك الإستقلال بأكبر قدر من السلطة في المناطق التي ظهرت وقامت بها.

وهذه القوى التي ظهرت على أنقاض الدولة الرسولية وفي أواخر عهدها، في الغالب كانت عبارة عن مناطق نفوذ رسولي تابعة للدولة الرسولية، فكانت الدولة الرسولية تولي على هذه المناطق حاكماً أو والياً من قبلها، وقد يكون هذا الحاكم في الغالب من مشايخ المنطقة التي كانت تقع تحت نفوذ الدولة الرسولية، وعندما ضعفت الدولة الرسولية وانهارت ولم تستطع أن تدير شئون الدولة، استقل هؤلاء الحكام بالمناطق التي يحكمونها وأعلنوا سيطرتهم عليها، وطمع البعض في أن يكون الملك المتوج بها، ويمتد نفوذه إلى مناطق أخرى على حساب الدولة الرسولية والضعف الذي لحق بها.

وقد تكون هذه المناطق التي استقلت عن الدولة الرسولية مناطق صراع بين حكام سابقين وبين الدولة الرسولية، أو مناطق نفوذ لأسر أو مشايخ قبيلة أوجدت أو حاولت أن تجد لها مكاناً في ظل ضعف الرسوليين.

فعندما حل الضعف بالدولة الرسولية في أواخر عهدها استغل هؤلاء الفرصة وأعادوا المناطق التي كانت تابعة لهم إلى حكمهم وسيطرتهم.

ونستطيع القول من خلال المصادر والمراجع التاريخية أنه قد ظهر في أواخر عهد الدولة الرسولية وقبل قيام الدولة الطاهرية بسنوات قليلة فقط أكثر من عشر دويلات أو سلطنات أو مناطق حكم ذاتي،

تتمتع كلها بحكم ذاتي وسلطة مستقلة تماماً عن الدولة الرسولية، وكانت اليمن في ذلك الوقت تُحكم بأشبه ما يكون بملوك الطوائف، تماماً مثل ما كان حاصلاً في الأندلس في أواخر عهدها.

ومن أبرز هذه الدويلات أو السلطنات التي ظهرت بجانب الوجود السياسي للدولة الرسولية وولاية بني طاهر، في أواخر عهد الدولة الرسولية وقبل قيام الدولة الطاهرية:

الأئمة الزيدية والذين كانوا يحكمون شمال اليمن من مدينة ذمار تقريباً إلى صنعاء وحجة وصعدة والمحويت والجوف وعمران وغيرها من المناطق الواقعة شمال اليمن، وقد ظهر في أواخر عهد الدولة الرسولية ثلاث مناطق حكم مستقلة، يتنازعها فيما بينهم ثلاثة من الأئمة الزيدية كلهم من آل البيت، فبعد وفاة الإمام علي بن صلاح الدين والإمام المهدي أحمد بن يحي في عام ٨٤٠ هـ، قام بعدهم ثلاثة من الأئمة تعارضوا في عصر واحد وهم الإمام المتوكل المطهر بن مُحَّد بن سليمان والإمام المهدي صلاح بن علي بن أبي القاسم وعارضهما الإمام المنصور الناصر بن مُحَّد، وقد تنازع هؤلاء الأئمة الثلاثة على الإمامة، وتصارعوا وتقاتلوا فيما بينهم كلاً منهم يُريد الإستيلاء على الحق في الإمامة بالدعوة لنفسه بذلك، وبسط نفوذه على حساب الآخرين في مناطق اليمن الأعلى[١]، وأما مناطق نفوذ كلاً منهم:

أولاً: الإمام المتوكل المطهر بن مُحَّد بن سليمان: كانت مناطق نفوذه تقع في كوكبان وحجة وقد دخل صعدة وصنعاء مراراً وتملك ذمار من قبل الطاهريين حتى توفي فيها سنة ٨٧٧هـ[٢]، وقد أسر الإمام الناصر بن مُحَّد بعد أن فرّ من ذمار خوفاً من بني طاهر[٣].

ثانياً: الإمام المهدي صلاح بن علي بن أبي القاسم: فقد كانت مناطق نفوذه وحكمه واقعة في صعدة وما إليها من مناطق كالجوف وبعض حجة[٤].

ثالثاً: الإمام المنصور الناصر بن مُحَّد: وقد كانت المناطق التي تقع تحت سيطرته غي الغالب هي صنعاء وذمار وما حواليها من مناطق ومدن، مع صراع مستمر بين هؤلاء الأئمة فيما بينهم على

١ اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَّد بن إسماعيل الكبسي، تحقيق الأستاذ خالد الأذرعي ص١٦٩.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٧٥، اللطائف السنية، الكبسي، ص١٦٩، فرجة الهموم والحزن، عبدالواسع بن يحي الواسعي، ص٢١٢.

٣ فرجة الهموم والحزن، عبدالواسع بن يحي الواسعي، ص٢١٢.

٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٧٣.

صنعاء وغيرها من المناطق وكانت الحرب بين الناصر وبني طاهر مستمرة، وقد ملك ذمار وصنعاء وأغلب اليمن الأعلى خلال فترة إمامته[١].

هذه هي المناطق التي استقلت عن الدولة الرسولية في أواخر عهدها في المناطق الواقعة في شمال اليمن، والتي كانت تخضع للأئمة الزيديين رغم الصراع الذي جرى فيما بينهم، وأما بالنسبة لبقية المناطق اليمنية فقد ظهرت كذلك دول أخرى هي:

رابعاً: إمارة مُحَمَّد سعيد بادجانة في الشحر وظفار:

آل بادجانة كانوا نواب وولاة الدولة الرسولية في الشحر وظفار، وقبيلة آل بادجانة من كندة والمهرة أخوالهم، وقد حكم الأمير سعيد بن مبارك بن فارس بادجانة الكندي الشحر نحو عام ٨٣٦هـ بعد ضعف حكم بني رسول حكام اليمن آنذاك، إذ كانوا ينيبون عنهم أمراء لحكم البلاد وإرسال الإتاوات إلى العاصمة تعز بعد أن جعلوها عاصمتهم بعد زبيد[٢].

خامساً: مملكة آل السيري في بعدان:

في أواخر الدولة الرسولية وفي عصر الملك الأفضل وولده الملك الأشرف الثاني ظهر الشيخ أبوبكر بن معوضة السيري صاحب بعدان والذي وصفه ابن الديبع في مخطوطه قرة العيون بأنه كان أحد رجالات الدهر، حيث سيطر على جبل بعدان وحصن حب وحصن عزان المطل على مدينة إب من الجنوب الشرقي ومدينة إب نفسها وأعلن استقلاله عن الرسوليين، وكان مقره في جبل بعدان ثم في قرية حقلة من عزلة المقاطن جنوب غرب مدينة إب[٣].

ثم تولى السلطة من بعده في هذه المناطق الشيخ مُحَمَّد السيري ويشير الخزرجي مؤلف العقود اللؤلؤية[٤] المتوفى سنة ٨١٢هـ والمعاصر لهذه المدة أن جبل بعدان كان عاصياً على الرسوليين منذ أيام السلطان

---

١ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٧٠، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٧٤، فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، العلامة عبدالواسع بن يحي الواسعي، ص٢١٠.

٢ مختصر من كتاب الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص ٣٦، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٥، قلادة النحر، الطيب بامخرمة، ٤٥٠/٦، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، أحمد بن عبدالله شنبل، ص١٨٨.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٦،العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، على بن الحسن الخزرجي، تحقيق مُحَمَّد بسيوني، دار صادر بيروت لبنان، مطبعة الهلال مصر ١٩١٤م، ٢٧٩/٢.

٤ العقود اللؤلؤية، الخزرجي، ٢٨٠/٢.

المجاهد والد الأفضل، وقد حاول الملوك الرسوليون استعادة جبل بعدان وحصن حب عدة مرات وذلك بإرسالهم عدة حملات إلا أنهم فشلوا في استعادتها من السيري.

ولقد استمرت سلطة عائلة السيري على بعدان وحصن حب إلى ما بعد سقوط الرسوليين الذين حل محلهم الطاهريون[1] .

سادساً: العباس بن الجلال الحبيشي وسلطته في مخلاف جعفر بإب:

كانت بلاد الحبيشي تقع في حبيش من مناطق إب، وقد كانت من أبرز المدن التي إستقل بالسلطة بها مدينة جبلة والتي بنيت في عصر الدولة الصليحية وتبعد عن مدينة إب حوالي ستة كيلو مترات فقط، وقد كان آل الحبيشي من المتمردين في أواخر عهد الدولة الرسولية واستمر تمردهم وطموحهم للإستيلاء على السلطة إلى عصر الدولة الطاهرية، وكان معقلهم وحصنهم المنيع هو حصن التعكر الشهير القريب من مدينة جبلة[2] .

سابعاً: سلطنة العماري في المناطق الوسطى[3]:

ومن المناطق التي استقلت عن الدولة الرسولية في أواخر عهدها، سلطنة العماري الأسد بن الورد العماري وابن اخيه المعافا ابن الورد والذي كان نفوذه يمتد على مصنعة ربيع وشخب وكهال وحصن القاهرة المذيخرة، وكذلك كان من رجال دولته أخوه مُحَّد بن أبي المعالي الورد الحجاجي[4]، والذي تملك في بنا بلاد التويتي[5]، وبلاد أهل جميل بيت الفائق والمرخام، وحصن عهر، فيما ابن عمه مُحَّد بن الورد يسيطر على العرافة وحيد الجرادي حصن شمر وتلك الحصون تشمل ما بينها من رقعه سهليه وجبلية. وهي ب عض المناطق الوسطى من إب التي شملها سلطان هؤلاء إذ أن في ذلك الزمن من يسيطر على الحصون يبسط سيطرته على كل ما يتبعها او ينحصر تحت سلطانها.

ثامناً: السلطان بدر الكثيري في حضرموت:

ومن القبائل التي استقلت بمناطقها عن الدولة الرسولية، وكان لها نفوذها وسلطتها الخاصة بها في مناطقها، آل كثير في وادي حضرموت بزعامة السلطان بدر بن مُحَّد الكثيري، وقد كانت الصراعات

١ تاريخ إبّ، د. مُحَّد مظفر الأدهمي، منشورات جامعة إب اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، ص١٢٤.
٢روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٤، تاريخ إبّ، د. مُحَّد مظفر الأدهمي، ص ١٦١.
٣ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص٤٠.
٤ نسبة الى حجاج خبان وليس بلاد حجاج التي ينتمي إليها بني طاهر من مديرية جبن.
٥ عزلة في مديرية الشعر.

مستمرة بينهم وبين آل بادجانة، ثم مع قيام الدولة الطاهرية تودد السلطان بدر الكثيري للدولة الطاهرية والسلطان عامر بن طاهر حتى صار نائباً لهم في الشحر وحضرموت وظفار، وكان ذلك بداية لظهور أمراء آل كثير[1].

تاسعاً: المخلاف السليماني في جازان: وفي شمال تهامة كان المخلاف السليماني من المناطق أو الإمارات التابعة للدولة الرسولية في اليمن، وقد كان حكم الرسوليين يمتد في جميع أرجاء اليمن، ووصل حتى مكة والمدينة وبهذا كان يشمل المخلاف السليماني[2].

غير أنه في أواخر عهد الدولة الرسولية والإنقسامات التي لحقت بالدولة الرسولية جعلت الكثير من المناطق تستقل عنها، وممن استقل عن الدولة الرسولية في أواخر عهدها المخلاف السليماني، وقد دخل أمراء المخلاف السليماني في صراع مع السلطان الناصر وهو من أواخر ملوك الدولة الرسولية[3].

وقد قال بعض المؤرخين بأن أمراء المخلاف السليماني كانوا إمارة مستقلة في الحكم عن اليمن، إلا أنها تحكم في ظل الدولة الرسولية[4].

هذه كانت أهم الدويلات والسلطنات التي قامت في أواخر عهد الدولة الرسولية، والتي وصل عددها إلى أكثر من عشر إمارات وسلطنات كما ذكرنا بالإضافة إلى الدولة الرسولية وولاية بني طاهر في ذلك الوقت.

وقد صارع معظمها الدولة الطاهرية عند بداية تأسيسها، ناهيك عن أن هناك التمردات القبلية وما كانت تقوم به من قطع للطريق وسلب ونهب وترويع للآمنين والتي كانت منتشرة في معظم أرجاء اليمن لاسيما مناطق تهامة وغيرها من المناطق.

وقد ظلت هذه الدويلات والسلطنات قائمة في اليمن وكانت اليمن مقسمة قبائل وشيعاً وأحزاباً تتصارع وتتناحر فيما بينها، ويكثُر فيما بين القبائل وهذه القوى المتفرقة السلب والنهب وقطع الطريق والتعدي على الحرمات والظلم والجور والإستبداد، حتى سخر الله وقيض لأهل اليمن الطاهريون والتي توحدت اليمن في ذلك العصر على أيديهم من أقصاها إلى أقصاها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وأرسى بني طاهر العدل والأمان في أرض اليمن، وسيأتي معنا ذكر هذه الدول ونشأتها والصراع الذي جرى مع بني طاهر، ونهاية كلاً منها على يد الدولة الطاهرية.

---

١ قلادة النحر، الطيب بامخرمة، ٤٥٠/٦، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، أحمد بن عبدالله شنبل، ص١٨٨، الشحر عبر خميس حمدان، ص٣٧.

٢ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن الحسين الخزرجي،١٢٩/٢.

٣ الدولة الرسولية في اليمن دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية، محمد الفيفي، الناشر الدار العربية للموسوعات طبعة ٢٠٠٥م.

٤ مختصر التاريخ السياسي للمخلاف السليماني، حسين صديق الحكمي.

المبحث الثاني

عوامل إنهيار الدولة الرسولية وأسباب سقوطها ونهوض الدولة الطاهرية

أدت عدة عوامل إلى انهيار الدولة الرسولية وزوال ملك بني رسول الذي دام لأكثر من مائتين عام في اليمن، وباجتماع هذه العوامل التي أدت إلى انهيار الدولة الرسولية، كان ذلك إيذاناً لنهوض الدولة الطاهرية وبداية نهضتها، لذلك سنبين هنا أولاً العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة الرسولية، وثم سنبين بعد ذلك في المقابل عوامل النهوض للدولة الطاهرية.

أولاً: العوامل التي أدت إلى سقوط الدولة الرسولية:

١. إنقسام الرسوليين وظهور أكثر من ملك في وقت واحد فقد تنازع أمراء الأسرة الحاكمة على الحكم، الأمر الذي شكل مصدرا آخر للإضرابات، وأضعف جانب الدولة وبالذات في المراحل الأخيرة من عهدها، ومهد الطريق لآل طاهر للوصول إلى الحكم، كالصرع الذي جرى بين المظفر والمفضل والناصر وابنه المسعود، ثم آخر صراع رسولي الذي كان بين المسعود والمؤيد.

٢. استكثار ملوك بني رسول من المماليك إلى جانب مماليك الدولة الأيوبية حتى صار للمماليك عموماً مراكز قيادية في الإدارة والجيش، وصاروا يشكلون مراكز قوى يثيرون الإضطرابات، ويقلقون الأمن، وعبثون ويفسدون ويسلبون وينهبون، وصاروا في الفترة الأخيرة من عهد الدولة الرسولية، يخلعون ملكاً ويقيمون ملكاً، حتى أضعفوا جانب الدولة، وزعزعوا كيانها وصدعوا صرحها وهيئوا عن غير قصد لآل طاهر أن يقيموا حكمهم على انقاضها.

٣. تدهور الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية في الدولة الرسولية، فبسبب الصراعات السياسية بين الرسوليين أدت هذه الفتن إلى عدم الإستقرار السياسي مما أدى استنزاف خزائن الدولة في هذا الصراع بدل أن توجه لصرفها في المصالح الإقتصادية والإجتماعية، وكل ذلك أدى إلى تدهور الحالة المعيشية لليمنيين وسؤ المعيشة بشكل عام في المجتمع.

٤. ضعف ثقة ملوك بني رسول باليمنيين واعتمادهم في الوظائف الهامة مدنياً وعسكرياً على غير اليمنيين، الأمر الذي أفقد الدولة تعاون اليمنيين واخلاصهم، وتفانيهم في خدمتها والذود عنها، عدا من فرض نفسه بقوته وهيبته وولاء قبائلهم لهم كالطاهريين.

٥. النظام الوراثي الذي انتهجه بنو رسول في حكمهم، والذي اوصل إلى الحكم ضعاف الملوك والأحداث كالمسعود الذي تولى الحكم وعمره ثلاثة عشر عاماً وهو من آخر ملوك الرسوليين، وأتاح للماليك الإستبداد بالأمور، والعبث والفسادوأدى إلى التنافس والتناحر وتعميق الإنقسام

بعزل هذا الملك وتنصيب ذاك، حتى زاد ضعف الدولة وزالت هيبتها، وشجع بني طاهر على حرب الملك المؤيد آخر ملوك بني رسول جهراً وعلناً.

٦. تمرد القبائل اليمنية على الرسوليين في أواخر عهد الدولة الرسولية وعدم قدرة الدولة الرسولية على السيطرة عليها، وذلك لعدم وجود القوة الكافية لقمع التمردات من جهة، ومن جهة أخرى كثرة الخارجين على الدولة الرسولية من أبناء القبائل بسبب الظلم وسوء التعامل الرسولي واتباعهم المماليك والعبيد الواقع على اليمنيين.

كل هذه العوامل وغيرها أدت إلى استياء عام من قبل اليمنيين من الظلم والجور الحاصل عليهم من قبل آخر الحكام الرسوليين وولاتهم، وعدم الأمن والإستقرار الناتج عن الإختلال في السلطة والتنافس بين الرسوليين عليها مما أنساهم القيام بدورهم كحكام، والمعنيين هنا هم آخر الحكام الرسوليين كما ذكرنا.

ثانياً: العوامل التي ساعدت على نهوض الدولة الطاهرية:

١. إنقسام الرسوليين والصراع على كرسي الحكم فقد تنازع أمراء الأسرة الحاكمة على الحكم، وتقاتلوا لأجل ذلك مما أضعفهم وفرقهم، الأمر الذي شكل مصدرا للإضرابات، وأضعف جانب الدولة وبالذات في المراحل الأخيرة من عهدها، ومهد الطريق لآل طاهر للوصول إلى الحكم، كالصرع الذي جرى بين المظفر والمفضل والناصر وابنه المسعود، ثم آخر صراع رسولي الذي كان بين المسعود والمؤيد، ورغم هذا الصراع إلا أن ولاء الطاهريين في آخر عهد الرسوليين كان للملك المظفر والذي اجتمعت كلمة أهل الحل والعقد على تعيينه، والظاهر انهم لم يخرجوا عليه أبداً حتى عزل نفسه وترك الحكم للخارج عليه وهو الملك المسعود ومن هنا بدأ الصراع الطاهري الرسولي على الحكم.

٢. من أهم العوامل التي ساعدت على قيام الدولة الطاهرية الظلم والإستبداد الذي استشرى في عصر الدولة الرسولية في أواخر عهدها وذلك بسبب تولي من لا صلاح فيه شؤون الحكم كالعبيد والمماليك والأتراك وأهل الفسق والظلم والإستبداد كما مرّ معنا، مما استدعى قيام بني طاهر لدفع هذا الظلم ورفعه عن اليمنيين، رحمة بهم من الظلم المستبد، فقد كانوا أهل صلاح وعدل كما نقل ذلك المؤرخين ولأنهم كذلك كانوا القوة العظمى في ذلك الوقت التي كان باسطاعتها رفع هذا الظلم وكانت أبصار اليمنيين متجهة إليهم لصنع شيئاً لرفع معاناة اليمنيين، يقول العلامة عبدالرحمن الديبع رحمه الله وهو من المعاصرين للدولة الطاهرية في وصف قيام هذه الدولة بعد طول ظلم واستبداد من أهل الزيغ والفساد: "لما أراد الله تعالى رحمة العباد، ومعاملتهم باللطف والإسعاد، وإزالة أهل الزيغ والفساد، والشقاق والعناد، نزل الملك المجاهد وأخوه الظافر من

بلادهما إلى مدينة عدن، وقد قررا القواعد مع أهل الدرك، بتلك البلد، لم يحل بينهما بين أخذها أحد، لمساعدة السعادة لهما، وجريان الفضاء بوفق مرادهما"[1]، ويقول ابن الديبع كذلك في مؤلف آخر له: "اعلم وفقنا الله وإياك أن الله تعالى بفضله لما أراد رحمة عباده وبلاده ومعاملة خلقه بلطفه وإسعاده شيد للعدل والأمن بنياناً وهدم من الجور والخوف أركاناً فهيأ نزول المجاهد علي وأخيه الظافر عامر فنزلا من بلادهما إلى عدن وقد قررا القواعد مع أهل الدرك بتلك البلد فلم يحل بينهما وبين أخذها أحد وذلك بعد سعي شديد وجهد جهيد وصبر حميد وترغيب وترهيب وتبعيد وتقريب مع مساعدة السعادة وجريان القضا بوفق الإرادة فدخلها المجاهد علي بن طاهر ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رجب من سنة ثمان وخمسين وثمانمائة"[2].

٣. ميل القبائل اليمنية للطاهريين وولائهم لهم، وحبهم لبني طاهر لملامستهم حكمهم العادل ولا سيما في المناطق التي كان يحكمها آل طاهر، وكذلك الأمن والإستقرار والعدل الذي عاشوه في مناطقه، وعلى رأس هؤلاء القبائل قبائل رداع وما حولها وقبائل بلاد خبان وعمار والحبيشية وجبن وحجاج والمقرانة والرياشية ولحج وأبين ويافع وغيرها، والتي كان يحكم مناطقهم بني طاهر، فقد كان لهذه القبائل دور كبير في سيطرة الطاهريين على كبرى المدن كعدن وزبيد، والنهوض بدولتهم ومن هذه القبائل آل أحمد أكبر فخذ من قبائل يافع والتي ساعدت في السيطرة على عدن، والقرشيين الذين والوا الطاهريين منذ بداية الأمر وساعدوهم في دخول زبيد كما سيأتي معنا.

٤. القوة التي وصل إليها بني طاهر وتوسع نفوذهم في مقابل الضعف الذي كان يزداد يوماً بعد يوم في الدولة الرسولية وانكماش وتقلص نفوذهم، وسقوط كثير من المناطق من أيديهم على أيدي القبائل المتمردين والمماليك والعبيد وغيرهم، مما دفع الطاهريين إلى تدارك هذا التمزق والشتات والإنقسامات التي بدأت تسري في جسد الدولة الرسولية، فعمل الطاهريين على استعادة اليمن بتوحيده وتدارك التمزقات التي حدثت بدحر المتمردين وكسر شوكتهم وإمساك زمام الأمور بقوة.

---

١ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢١.
٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٤ .

الفصل الثاني
الإستيلاء على عدن وتعز

أدت عدة عوامل كما ذكرنا إلى انهيار الدولة الرسولية وزوال ملك بني رسول في اليمن، وباجتماع هذه العوامل التي أدت إلى انهيار الدولة الرسولية، كان ذلك إيذاناً لنهوض الدولة الطاهرية وبداية نهضتها، وقد خشي بنو طاهر من وجود بعض القوى السياسية الطامعة في الإستيلاء على عدن، وخاصة هذه الدويلات أو السلطنات التي ظهرت بجانب الوجود السياسي للدولة الرسولية وولاية بني طاهر، لذلك كله كان لا بد لبني طاهر أن يعجلوا في الإستيلاء على أبرز المدن التي تجاور مناطق نفوذهم وهي عدن وتعز، وخاصة أن هذه المدن تُعد ذو أهمية إستراتيجية من الناحية التجارية وكذلك الإقتصادية، لذا فإننا في الفصل سنبين في المبحث الأول إستيلاء بني طاهر على مدينة عدن، ثم نبين في مبحث آخر إستيلاء بني طاهر على مدينة تعز:

المبحث الأول: الإستيلاء على مدينة عدن

المبحث الثاني: الإستيلاء على مدينة تعز

المبحث الأول

الإستيلاء على مدينة عدن

اهتم بنو طاهر في سبيل استيلائهم على الحكم بالإستيلاء والسيطرة على مدينة عدن أولاً، وذلك للإستعانة بمواردها المالية لتحقيق ذلك، فقد كانت مدينة عدن من أهم المناطق اليمنية الإقتصادية منذ القدم وذلك بسبب موقعها الإستراتيجي على خليج عدن ومضيق باب المندب ولأنه يتواجد بها ميناء من أهم موانئ العالم في ذلك الوقت لربطه بين حركة التجارة العالمية بين الشرق والغرب.

وكان الشيخ عامر بن طاهر قبل توليه الحكم كثير التردد إلى عدن للتجارة قبل أن يستولي عليها، كما ذكر ذلك المؤرخ العلامة الطيب بامخرمة، وقال إنه أخبره عبدالله بن مُحَّد بافضل الملقب بامشتير وكان ثقة قال: دخلت عدن مراراً من طريق البر في قافلة عامر بن طاهر للتجارة قبل أن يلي[١].

لذلك كان بني طاهر يعلمون أهمية عدن الإقتصادية والتجارية، فكان لابد لهم من السيطرة عليها لتكون مصدراً للدخل الإقتصادي يمكنهم من إدارة دولتهم، وخاصة أنهم كانوا وكلاء للدولة الرسولية في تجارتهم بعدن ونواباً لهم في جباية ضرائب ميناء عدن[٢].

وكل ذلك كان يحتاج من الطاهريين، إلى إعداد القوة والسلاح والرجال والترتيب والتنسيق مع القبائل الموالية وغير الموالية لكسب موالاتها، وعندما أيقن آل طاهر من أن أمر الرسوليين إلى زوال لا محالة أعدَ الشيخ علي بن طاهر بن معوضة الملقب بالمجاهد مع أخيه عامر الملقب بالظافر حملةً لحرب الملك الرسولي المسعود في عدن، ولكنه في المرة الأولى عاد من حملته خائباً ولم يتمكن من القضاء على خصمه الملك المسعود، ثم أعد نفسه إعداداً أفضل فكرر حملته على عدن في العام ٨٥٨هـ.

ولأجل هذه الإستعدادات للسيطرة على عدن ركز الطاهريون ابتداءً على لحج لأنها مدخل عدن والطريق الرئيسي الموصل إليها فابتنى الشيخ علي بن طاهر داراً بلحج ووقف بها مدة[٣]، وتمركز بنو طاهر مع قواتهم في لحج، ثم ارتحل الشيخ علي بن طاهر إلى بلده المقرانة، ثم نزل في المحرم سنة ٨٥٨هـ في عسكر ضليع، فقابلته عسكر المسعود، فنال منهم ونالوا منه[٤]، ثم رجع إلى بلده وما زالت الحرب

١ قلادة النحر، الطيب بامخرمة، ٤٣٨/٦.

٢ عدن في عهد الطاهريين، عباس علوي، ص٣٣.

٣ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١٦.

٤ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٢.

بينه وبين بني طاهر سجالاً حتى خلع نفسه، وخرج من عدن سادس جمادى الآخرة، ودخلها المؤيد يوم السابع والعشرين منه، ووقف بها إلى أن نزل الملكان ابني طاهر، ولم يتمكن بنو طاهر من دخولها لصمود حاميتها أمامهم.

وعلى ذلك استغل الشيخ علي بن طاهر وأخيه عامر بن طاهر الظروف التي مرّت بها الدولة الرسولية في أيامها الأخيرة، وخاصة بعد خلع المسعود لنفسه وانسحابه من عدن، ودخول المؤيد إليها، فقد كانت الفرصة سانحة لهم في ظل عدم الإستقرار السياسي والأمني للدولة الرسولية وانقسام الولاءات بين عدة شخصيات رسولية وتفرق القبائل عنهم، فكانت الخطة تقضي بالإستيلاء على عدن وذلك بأن يقوم الشيخ علي بن طاهر بدخول عدن من أسوارها خفية دون أن يشعر أحد من حاميتها بذلك، ثم يقوم بفتح بوابات عدن لأخيه عامر بن طاهر وجيوشهما لتستولي على عدن.

وقد استغل الأخوين علي وعامر ابني طاهر الفرصة المناسبة والتوقيت المناسب لتنفيذ خطتهما وكان ذلك في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ٨٥٨هـ ليلاً فكان توقيت دخول عدن هو بعد دخول المؤيد بأيام قليلة والذي دخلها في السابع والعشرين من جمادى الآخرة من عام ٨٥٨هـ، وتذكر بعض الروايات أن دخولهما عدن كان في اليوم الثاني من دخول المؤيد، وذلك لإستغلال الإرتباك والإنشغالات الكثيرة الواقع فيها المؤيد لإرساء الحكم في عدن ولعدم تمكنه بعد من إحكام السيطرة على عدن.

وزحف جيش الطاهريين المرابط كما ذكرنا سابقاً في لحج باتجاه عدن واستقر حول أسوارها وأحكم القبضة على عدن وأسوارها وبواباتها، وكانت أسوار عدن صامدة وأبوابها مغلقة في وجه الطاهريين وحاميتها، حريصة على عدم دخول الطاهريين بحسب أوامر وتوجيهات المؤيد آخر الرسوليين في عدن.

دور قبائل آل أحمد اليافعية في مساعدة الطاهريين على دخول عدن والسيطرة عليها:

كان لا بد على الطاهريين من إيجاد ثغرة في أسوار عدن أو بواباتها ليستطيعوا أن ينفذوا من خلالها إلى داخل عدن، وقد جاءت هذه الفرصة للشيخين علي وعامر ابني طاهر وذلك عن طريق التحالف مع آل أحمد اليافعيون، ولتوضيح دور آل أحمد في مساعدة الطاهريين للإستيلاء على عدن، لا بد من بيان الوضع الذي كان عليه آل أحمد وبقية اليافعيين في عدن والحالة الإجتماعية الذي كانت عليها عدن من الداخل قبل دخول الطاهريين.

وقد لخص العلامة المؤرخ الطيب با مخرمة قضية المساندة التي قدمها آل أحمد اليافعيون والأسباب التي أدت إلى ذلك والثمن الذي تقاضوه من بني طاهر مقابل ذلك فقال:

"كانت الفتنة قائمة في أيام المسعود بين قبيلتين من يافع تعرف إحداهما بآل أحمد والأخرى بآل كلد، وكانوا يتحاربون في نفس البلد، وينهبون بيوت التجار والأغراب، ولا يسلم منهم إلا من لجأ إلى أحد كبار يافع ونقبائهم، وربما كان التاجر قد يأخذ جماعة من يافع بالجامكية يبيتون فوق سطح بيته ومعهم الحجارة، يرجمون من قصد ذلك البيت بالنهب.

وكانت الحصون بيد آل أحمد وهم رتبتها، وآل كلد في البلد وهم أكثر عدداً من آل أحمد، والحرب بينهم سجال ولا ينقادون للمسعود، ولا يمتثلون أمره، وإنما هو صورة له الخطبة والسكة لا غير.

خرج مرة يقرع بينهم في حرب كانت بينهم، فرموه بالحجارة حتى أدموه، وقتل شخص منهم في الحرب، فدفنوه قائماً تفاؤلاً منهم بقيام الشر والفتنة نعوذ بالله من الجهل.

ولما رأى المسعود عدم الإنقياد من يافع مع تردد المشايخ بني طاهر لحصار البلد، خشي أنهم يسلموه إليهم، فخرج من عدن إلى العارة طريق البحر، ثم خرج من العارة هقرة.

ولما خشي آل احمد الغلبة من آل كلد، خرج جماعة من نقبائهم منهم النقيب طاهر بن عامر والنقيب با كسامة وغيرهما، وقصدوا المشايخ بني طاهر وباعوهم البلد، واشترطوا عليهم شروطاً، منها أن يبقوا نقباء آل أحمد على نقابتهم وتقدمهم على يافع، وأن يخرج آل كلد من البلاد ولا يقتل منهم أحد، وشروطاً أخرى[1]".

وينقل أحمد مؤرخي يافع ما حدث وما أشترطه آل أحمد من شروط، فيقول: وعندما ألتقى الوفدان ليلاً رتبا خطة الدخول وبسرية تامة مقابل الحصول على مميزات هي الآتي:

١. الإبقاء على آل أحمد في حراسة الثغور وأسوار عدن.
٢. منحهم ضرائب عدن كاملة والتي كانت تخص آل كلد.
٣. طرد آل كلد من عدن تماماً[2].

---

١ قلادة النحر، الطيب با مخرمة، ٤٢٥/٦.

٢ وقائع من تاريخ يافع، محسن بن محسن ديان، مطبعة الكاتب العربي دمشق سوريا، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص١٥٣.

قبل الشيخين علي وعامر ابني طاهر عرض آل أحمد بالمساعدة لهما في دخول عدن في مقابل إسترداد مكانتهم في عدن، وطرد آل كلد من عدن والإستيلاء على ما كانوا عليه من مكانة وسلطة، ووعدوهم بأن يوفوا لهم بهذا الإتفاق إذا مكنوهم وساعدوهم في دخول عدن.

"فلما قرر آل أحمد الكلام مع بني طاهر على ذلك وتحالفوا على ذلك، نزل نقباء يافع إلى عدن، ثم نزل المشايخ آل طاهر بعدهم في جيش عظيم، وحطوا في المياه[1]".

ويحكي العلامة المؤرخ كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي في كتابه تاريخ مدينة زبيد بداية هذا التحالف بين الطاهريين وقبيلة آل أحمد اليافعية وسببه، والذي ساعد كثيراً في الإستيلاء على مدينة عدن فيقول: "وكان قد حصل بين قبائل يافع خلاف، وحصون عدن حينئذ بأيديهم وبعضها بيد أهل أحمد وبعضها بيد الكلد، وكان حصن التعكر[2] بيد أهل أحمد فضيق الكلديون على أهل أحمد وحصروهم فخرج أبو قسامة وهو شيخ وزعيم آل أحمد وأخوه إلى الشيخين شمس الدين علي وأخيه صلاح الدين عامر ابني طاهر وعرضوا عليهم حصن التعكر وبذلوه لهما على خلاصهم مما هم فيه من الحصار والتضييق، فبادر الشيخان إلى التجهز والخروج معهما حتى وصلا إلى باب عدن وخرج العسكر الذي بها وألتقى الجمعان ووقع بينهما حرب عظيم وقتل، وتوهم الشيخان من أبي قسامة المخادعة وعدم النصح وهمَّا بالرجوع إلى بلدهما فعمد أبوقسامة إليهما وعزم عليهما في الرجوع معه فرجعا وقال لهما: أنا بين أيديكما إن لم يفتح الحصن وإلا فاصنعا ما شئتما، فتقدم معه الشيخ شمس الدين في جماعة من العسكر حتى وصلا إلى تحت حصن التعكر الذي على باب البر وطلع معه من أصحابه من وثق به بنفسه معهم"[3].

فاختار الشيخ علي بن طاهر لتنفيذ خطة الدخول إلى عدن رجال قليلين من أشجع فرسانه لتسلق أسوار عدن ليلاً، وليدخلوا برفقته لفتح بوابة عدن لأخيه الظافر عامر بن طاهر وجيشهما المرابط حول أسوار عدن، ويدل ذلك على شجاعة فائقة وفروسية رائعة وحب للمغامرة للشيخ المجاهد علي

---

١ قلادة النحر، الطيب بامخرمة، ٤٢٦/٦.

[2] التعكر: جبل يشرف ويهيمن على باب مدينة عدن، كما أنه معاند لجبل المنصوري، غير أنه يُعرف اليوم باسم جبل الخِسَاف، وقد لعب هذا الجبل دوراً بارزاً في تاريخ مدينة عدن والدفاع عنها، وفي سفحه كان دفن الداعي سبأ بن أبي السعود بم زُريع المتوفى سنة ٥٣٢هـ، إلا أن مما يؤسف له أن الهدم قد طال باب عدن كما طال أجزا كبيرة من هذا الجبل الذي أحتلته البنايات الأسمنتية الحديثة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٢٣٤/١.

٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٣٩.

بن طاهر، ولم يرضى الشيخ علي إلا أن يقوم بهذه المهمة بنفسه هو ومجموعة معه من أخلص رجاله وأشجعهم.

وتنفيذاً لهذا الإتفاق انطلق المجاهد علي بن طاهر مع كوكبة من رجاله وفرسانه الذين اختارهم مع زعماء آل أحمد فأدخلوه عدن مع جمع من عسكره.

"ودخل المجاهد شمس الدين علي بن طاهر عدن ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رجب من سنة ٨٥٨هـ ليلاً من السور بالحبال في جماعة قليلة من عسكره من جانب حصن التعكر، ولما صار المجاهد بالحبل بين الحصن والأرض، همّ النقيب القحاط أحد المرتبين بالحصن الغدر به وقطع الحبل ليسقط إلى الأرض، فمنعه النقيب طاهر والنقيب با كسامة والنقيب أحمد، وغيرهم ممن قد حلف لبني طاهر، فلذلك كان الشيخ علي بن طاهر يراعي النقباء المذكورين ويحترمهم ويكرمهم، ولم يكن للقحاط عنده منزلة ولا ميزة بالكلية، فلما استقر المجاهد بالحصن ضربت بها الطبول ليلاً، وصيح فيها بالنصر للمشايخ بني طاهر[١]".

"وكان أهل الخضراء[٢] باعوا الحصن لبني طاهر بكثير من المال وأطلعوا علي بن طاهر إليهم بالحبال، فحين صار علي بن طاهر رأس الخضراء زعقوا بالأصوات يدعون له بالنصر، فركن من قد استقام في باب عدن إلى الفرار فتفرقوا هاربين في سكك المدينة[٣]".

"فلما سمع بذلك آل كلد سُقط في أيديهم وأيقنوا الهلاك، فما أمكنهم إلا لزوم الجُوَر والحُوَط رجالهم ونسائهم، وتركوا البيوت خلية ليس فيها ساكن، ولما كانت صبيحة تلك الليلة فتح باب البرود، ودخل منه الشيخ عامر بن طاهر صبيحة الجمعة هو وباقي العسكر، فاستولى السادة والمشايخ علي وعامر ابنا طاهر بن معوضة على البلد، وقبضا حصونها، ونادوا فيه بالأمان لعامة الناس إلا آل كلد، فلهم مهلة ثلاثة أيام، ومن وجد منهم بالبلد بعد الثالث فدمه هدر، فتفرق آل كلد شذر مذر، منهم من خرج إلى زيلع وإلى بربرة، وإلى سائر بر العجم، وخرج غالبيتهم إلى الشحر، ولزم جماعة ممن تخشى

١ قلادة النحر، الطيب بامخرمة، ٤٢٦/٦

٢ حصن الخضراء: جبل وحصن في الطرف الجنوبي لجبل شمسان المطل من الشمال على خليج صيرة مرسى عدن، ويعرف اليوم باسم المنصوري. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٧٢/١.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٥٩.

معرتهم وقيدوهم كالشهاب الصياحي، والنقيب ابن عثمان وغيرهما، وأخرجا الأمير جياش السنبلي من عدن مطروداً، فخرج هو ومن معه من أهله وكانوا نحو الثلاثين واستقر بموزع[1]".

يقول العلامة المؤرخ عبدالرحمن الديبع: "نزل الملك المجاهد وأخوه الظافر من بلادهما إلى مدينة عدن، وقد قررا القواعد مع أهل الدرك بتلك البلد، لم يحل بينهما بين أخذها أحد لمساعدة السعادة لهما، وجريان الفضاء بوفق مرادهما، فدخلها الملك المجاهد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ٨٥٨هـ ليلاً من السور بالحبال في جماعة قليلين من عسكره من جانب حصن التعكر وهو جبل حديد حالياً، ثم دخلها أخوه المللك الظافر صبيحة الجمعة من بابها وباقي العسكر، فاستوليا عليها وقبضا حصونها، ورتبا فيها من قبلهما من يثقان به.

وأحسنا إلى المؤيد ولم يغيرا عليه، بل جعلاه في بيت وأجريا عليه النفقة، واشتريا ما معه من الطبلخانة والخيل والسلاح وغير ذلك"[2].

"والمؤيد حينئذ فيها كما تقدم ذكره أيس من الولاية وطلب الفسح والخروج من عدن وبيع ما معه من الآلات فساعدوه إلى ما سأل، وعوضوه عما طلب"[3].

ثم أنهما سمحا للمؤيد بمغادرة عدن إلى زبيد وأحسنا إليه كل إحسان فلم يستوليا على شيء من أملاكه بل إنهما أشترا منه السلاح والعدة والعتاد الذي كان يملكه، فركب البحر إلى مدينة زبيد.

وبعد استيلاء الشيخين علي وعامر ابني طاهر على عدن أعلنا نفسيهما ملكين على اليمن، ولقب الشيخ علي نفسه بالملك المجاهد وعامر بالملك الظافر، وكل منهما معاضد للآخر ومؤازر، يصدران الأمر كأنه عن واحد ويدفعان عن الملك عل معاند، وأظهرا العدل في كل ما ملكاه من البلاد ورفعا المكر والجور عن العباد.

ومكث المشايخ حتى قرروا أحوالها وأمنوا من طلب الأمان، ورتبوا في الحصون من يثقون بهم، وأمنوا مدينة عدن بعد أن كانت الفوضى تعمها والفساد والنهب ينتشر فيها، وقبضوا كما ذكرنا على الشهاب الصياحي وخرجوا به صحبتهم وسجنوه في حصن صبر.

---

١ قلادة النحر، الطيب با مخرمة، ٤٢٧/٦.

٢ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢١، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٤.

٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٠.

وأما قبيلة آل كلد اليافعيين فقد خرج غالبيتهم كما ذكرنا إلى الشحر في حضرموت، ينتهزون أي فرصة كما سيأتي معنا للإنتقام من بني طاهر، ويحاولون استعادة عدن.

وبمناسبة استيلاء علي وعامر ابنا طاهر على عدن، هنئهما المؤرخ عماد الدين بن الأنف القرمطي وقد كان معاصر لدولتهما بهذه الأبيات الشعرية التي قال فيها:

كذا تبتني العليا وتبنى المفاخر * وتمضي القنا والمرهفات البواتر

كذا شيد العلياء علي بن طاهر* وقد عمّر المجد الموثل عامر

هممان أبقى طاهر ابن معوضة * فلله ما أبقى لنا القين طاهر

هما ورثا الأملاك من آل جفنة * وسعدهما بالنجح واليمن طائر

رأوا ملك غسان خوين نجومه * وقد فرطت تلك الملوك الأكابر

فقد قربا منه الذي هو نازح * وردا بحسن المرأى ما هو نافر

وقد طمعت فيه الرعايا فاصبحت * تروم سنام الملك والملك عاثر

فقاما إليه قومة قرشية * تذل لها غلب الملوك الأكابر

هنيئاً لثغر الملك أن سد منهما * بقرمين ساد الملك والعز ظاهر

ببدرين في أفق المعالي سناهما * مضاء كلا البدرين للناس زاهر

لقد سرنا لما أتينا واقبلت * بملكهما الملك العزيز البشائر

لقد زينا تخت الخلافة والعلا * وتاقت إلى أن ترقياها المنابر

وقد سبقا غلب الملوك بهمة * تقاصر عنها أول ثم آخر

وحازا قرار الملك بالسيف عنوة * فما لهما إذ يمماه مكابر

فقد ذلت الأعداء في كل وجهة * ودارت عليهم للهلاك الدوائر

فملاهما والحمدلله غالب * ولا أحد إلا هما قط ظافر [1]

وهذه القصيدة تدل على المكانة التي وصل إليه ابني طاهر وأنهما كانا لهما من السمعة الطيبة والكفاءة والعدل والأمانة والقوة ما يستحقان مع ذلك كله أن يكونا ملوك اليمن الجديرين فعلاً بالملك، فقد ساءت الأحوال كما مرّ، وانتظر الناس بعد صبر طويل المخرج والفرج، فكان دخول ابني طاهر رحمة وعدل عمّ الناس بدخولهما عدن الفرح والسرور، يقول العلامة عبدالرحمن الديبع رحمه الله وهو من

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص٦١.

المعاصرين للدولة الطاهرية في وصف قيام هذه الدولة على يدي ابني طاهر، بعد طول ظلم واستبداد من أهل الزيغ والفساد وأن قيامهما بالأمر كان رحمة وعدل: "لما أراد الله تعالى رحمة العباد، ومعاملتهم باللطف والإسعاد، وإزالة أهل الزيع والفساد، والشقاق والعناد، نزل المللك المجاهد وأخوه الظافر من بلادهما إلى مدينة عدن"[1].

ويقول ابن الديبع كذلك في مؤلف آخر له: "اعلم وفقنا الله وإياك أن الله تعالى بفضله لما أراد رحمة عباده وبلاده ومعاملة خلقه بلطفه وإسعاده شيد للعدل والأمن بنياناً وهدم من الجور والخوف أركاناً فهيأ نزول المجاهد علي وأخيه الظافر عامر"[2].

ولما ملكا ابني طاهر الملك المجاهد علي والملك الظافر عامر، جاءت إليهما القبائل ودانت لهما الجحافل ولم يبقى لهما فيما يلي ثغر عدن معاند وخضع لهما كل ضد وحاسد، وهكذا قوية شوكة بني طاهر واستولوا على البلاد واستحوذوا على مقاليد الأمور وأقاموا دولتهما عل أنقاض دولة بني رسول التي عمرت ما يقارب من مائتين وثلاثين سنة، ثم سير الطاهريون دفة الحكم بأحسن حال في البلاد بحكم خبرتهما السابقة في السلطة وإدارة الدولة، لا سيما أنهما كانوا في أواخر الدولة الرسولية في مقام الوزارة والقيادة، حيث كان منهم نواباً وعمالاً للرسوليين، وجريان القضاء بوفق مرادهما، وانتهج بنو طاهر خلال حكمهم سياسة عدم سفك الدماء والخوض فيها، إلا إذا اضطروا لذلك، وقد رأينا ذلك جلياً عند دخولهم عدن فإنهم لم يقتلوا آخر الملوك الرسوليين خوفاً من أن يستعيد ملكه ويطالب به، بل إنه حصل العكس من ذلك فقد سمحوا له بالخروج من عدن مكرماً، وكذلك لم يقتلوا من واجههم من القبائل ومنع دخولهم إلى عدن كآل كلد بل إنهم أكتفوا بطردهم وإجلائهم منها لإستبدادهم وطغيهم فيها وأعطوهم الفرصة للخروج من عدن.

وكان الفساد مستشرياً في مفاصل الدولة الرسولية في أواخر عهدها ولم تكن عدن بأحسن حال من غيرها، "فكان من قضاء الله تعالى وقدره أن المشايخ لما ملكوا مدينة عدن في التاريخ المتقدم والأمير جياش السنبلي حينئذ بها في جماعة من العسكر وكان لهم فيها مرتبات وجرايات كثيرة وإنعامات، فنظر المشايخ في الأمور وتفقدوا الأحوال، فوجدوا غالب خراج البلد ينصرف في هذا الوجه فقرروا ما

---

١ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢١.

٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٤.

لا بد منه من ذلك ونقصوا البعض وقطعوا البعض، فلم يطب خواطر العسكر وتفرقوا في البلاد وتوجه الأمير جياش السنبلي إلى موزع"[1].

وقد بداء حكم ابني طاهر كما رأينا بالإستيلاء على مدينة عدن لأهميتها الإقتصادية، ثم تمكنا بموارد عدن المالية لدولتهما التي أسساها من التوسع في بسط نفوذهما في اليمن، وحرصا على المحافظة على عدن والذود عنها وحمايتها من البرتغاليين والمماليك وغيرهم حتى سقطت من أيديهم على أيدي العثمانيين في آخر عهد الدولة الطاهرية عام ٩٤٥هـ، كما سيأتي معنا ذكر ذلك.

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤١ .

أهم نتائج إستيلاء الطاهريين على عدن:

أولاً: تأمين حركة التجارة والملاحة البحرية في ميناء عدن: وهذا هو الهدف الرئيسي والمهم بالنسبة للدولة الطاهرية، فضمان استمرار حركة التجارة والملاحة البحرية تحت أعينهم وتصرفهم، يؤمن للدولة الطاهرية مصدرً رئيسياً للخزانة المالية للدولة، لذلك سعى بني طاهر لتحقيق هذا الهدف لتكون عدن مصدراً للدخل الإقتصادي يُمكِنهم من إدارة دولتهم، وخاصة أنهم كانوا وكلاء للدولة الرسولية في تجارتهم بعدن ونواباً لهم في جباية ضرائب ميناء عدن، وكانوا مدركين جيداً للأهمية التي تترتب على تحقيق هذا الهدف.

ثانياً: إعطاء الأمان لأهل العدن: فأول ما قام به الملكين المجاهد علي والظافر عامر ابني طاهر هو إعطاء الأمان لأهل عدن وعدم المساس بأي كان وانتهجوا في بداية حكمهما سياسة التسامح والعفو وعدم سفك الدماء إلا عند الضرورة.

ثالثاً: الوفاء لآل أحمد اليافعيين بالوعد الذي ألتزم به الشيخين المجاهد علي بن طاهر والظافر عامر بن طاهر: وقد أوفى لهم الطاهريين بما أشترط آل أحمد لأنفسهم وهو إسترداد مكانتهم التي سلبها منهم آل كلد ونازعوهم عليها وهي حق حراسة الحصون وأبواب المدينة وأسوارها، وبجانب ذلك فقد أخذ آل أحمد ما كان عليه آل كلد من مكانة وهي مقام الشرطة وحراسة المدينة من الداخل وجباية الضراب من التجار الأسواق، بجانب أن آل طاهر أوفوا لآل أحمد بإشتراطهم إخراج آل كلد من عدن وإجلائهم منها.

رابعاً: إمهال آل كلد ثلاثة أيام لإخلاء عدن وتركها وإلا فدماؤهم مهدورة: ذكرنا بأن آل أحمد قد أشترطوا على ابني طاهر في مقابل مساعدتهما لدخول عدن إجلاء آل كلد وبالفعل تم ذلك بعد دخول الملكين المجاهد والظافر مباشرة، وقد كان آل كلد يتوقعون أسوأ من ذلك كالإنتقام منهم بأن يقتلوا أو يسجنوا لوقوفهم في مواجهة الطاهريين ومنعهم من دخول عدن، فقد كانوا يظنون أنهم هالكين لا محالة، ومما يدل على ذلك أنهم عندما علموا بدخول الطاهريين عدن ليلاً بقيادة الملك المجاهد فروا من بيوتهم وأخلوها منتظرين ما يصيبهم، إلا أن ابني طاهر أكتفوا بإخراجهم من عدن فقط.

خامساً: إحسانهم إلى المؤيد وإجراء النفقة عليه: مع أن الملك المؤيد كان آخر الملوك الرسوليين وكان المنافس الأخير لبني طاهر وقد منعهم ابتداءً من دخول عدن، إلا أن ابني طاهر الملكين المجاهد والظافر

عند دخولهما عدن قد أحسنا معاملته ولم يسيئا إليه بل إنهما قد أكرما وأنعما عليه وأقاماه في دار من دور الملك، وأشتريا ما كان معه من سلاح وعتاد خاص بالدولة، وعندما أراد الخروج سمحا له بذلك ولم يمنعاه أو يحتجزاه خشية منه على إسترداد الحكم منهما، وهذا يدل دلالة واضحة على رفعة نفسيهما وكرم طبعهما وتسامحهما البالغ.

سادساً: ترتيب عدن وتقرير أمورها وإحكام السيطرة عليها: أحكم الملكين علي وعامر السيطرة على عدن من الناحية الأمنية فعينا من الرجال الأكفء من يتولى أمور عدن من أقاربهما وعينا كذلك حرسها وشرطتها وأمناء الحصون والأسوار من أنصارهما آل أحمد والذين كانوا قائمين على الحصون والأسوار قبل دخول الطاهريين إلى عدن وغيرهم، وكان المعين من قبل الطاهريين والياً على عدن الشيخ علي بن سفيان كما ورد ذلك في قرة العيون للعلامة ابن الديبع رحمه الله.

سابعاً: رفع الظلم عن أهل عدن: أزال الملكين بعد توليهما شئؤون عدن المفاسد التي كانت موجودة في عدن ورفع الظلم الذي كان واقعاً على أهل عدن.



لوحة فنية تصور مدينة عدن قديماً

المبحث الثاني

الإستيلاء على مدينة تعز

مكث الشيخان المجاهد علي بن طاهر وأخيه الظافر عامر في عدن حتى استتب الأمر فيها كما ذكرنا، واستقرت الأحوال وأمنوا البلاد والحصون والأسوار، ثم إنهم رأوا الصعود إلى تعز وقد كانت تعز سابقاً بيد الملك المظفر الرسولي الذي كان بني طاهر يناصرونه دوماً ضد من خرجوا عليه، ثم إنه استولى عليها الملك المسعود في عام ٨٥٤هـ، فقد تحرك الملك المسعود من عدن إلى تعز للإستيلاء على تعز وحصنها فخلّى المظفر بين المسعود وبين حصن تعز، فنزل منه وقبضه المسعود سنة ٨٥٤هـ، ثم تنازل له المظفر عن الحكم أيضاً.

واستمر المسعود الرسولي متملكاً لتعز حتى تنازل عن الحكم وخلع نفسه في عام ٨٥٨هـ، على أيدي الطاهريين بعد صراع على السلطة، وخرج من عدن سادس جمادى الآخرة وكانت نيته أن يتجه إلى تعز، "فبلغ في خروجه من عدن إلى العارة، ثم إلى هقرة، واستجار بها عند الشيخ عبدالله بن أبي السرور نحواً من شهرين، ثم خرج إليه العبيد من زبيد وراودوه على الدخول معهم إليها فاستوثق منهم بالأيمان.

وأقام المسعود بزبيد إلى الحادي والعشرين من شوال سنة ٨٥٨هـ، وأرسل للشيخ عبدالله بن أبي السرور صاحب هقرة، فجاءه وخرج في صحبته، على نية السفر إلى تعز، فلما استقر بمدينة حيس خلع نفسه.

وبلغ المسعود إلى هقرة، وأقام عند الشيخ عبدالله بن أبي السرور، ثم خرج من هقرة إلى مكة المشرفة"[١].

وبهذا بقيت تعز خالية من أي حاكم عليها بعد أن صرف المسعود نظره عنها ولم تهيأ له الظروف لذلك.

ثم أن ابني طاهر كما ذكرنا صعدا إلى تعز واستوليا على مدينة تعز وحصن صبر في بقية السنة، يقول المؤرخ ابن الأنف القرمطي: "ولما ملكا ابنا طاهر عدن وفرّ عنهما ملوك اليمن، جاءت إليهما القبائل ودانت لهما الجحافل، ولم يبقى لهما فيما يلي ثغر عدن معاند، وخضع لهما كل ضد وحاسد، وبذلا لأهل جبل صبر الأموال ووعداهم بصلاح الأحوال، فوافاهما كبارهم وسلموا حصن جبل صبر لهما

١ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٢.

والعروس وسواه، وسار علي وعامر ابنا طاهر إلى مدينة تعز وعلم والي حصنه أنه عنهما لا يعز، فسلم حصن تعز إليهما، وأدلى إليهما فأعطياه ما رام من المال وأوسعا عليه الإفضال، وكان تسلمهما الحصن في سنة ٨٥٨هـ، فرتبا والياً في الحصن والمدينة، وعادا إلى مقرهما في جبن والمقرانة[١]".

ويقول العلامة المؤرخ كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي: "ثم استولوا على مدينة تعز وحصن صبر بقية السنة واستوثق لهم الإستيلاء على البلاد شيئاً بعد شيء"[٢].

ثم في سنة ٨٦٠هـ، عندما "تمكن الملك المجاهد في زبيد وجمع إلى داره من معه من الخدم والعبيد وصار بهم في إحدى الدور، وباقيها خراب يباب وقد خلت تلك، ورتب رتباً لحرب الدُّمْلُوَه[٣] في كل جانب، وأقاما ابن محسن الطواشي ومن إليه محارب وقطعا المادة والمواصلة له من جميع الجوانب، وملكا حصن ذخر، وما إليه من الجهات التي تجي خراجها نحوه وتتحصل لديه وحاز حصن السمدان وما إليه من البلدان، فلما طال على ابن محسن الخصي الحصار من قبل الملك المجاهد أيقن أن لا ملاذ له ولا فرار وأن ماله في حصن الدُّملوه قرار، سلم حصن الدملوه إلى الملكين عامر وعلي وصارت إلى الملك المجاهد وأخيه الملك الظافر عامر، فوليا فيها الولاة، وأقاما من يتولى في نواحيها والجهات بعد عدة سنين حوصرت الدملوة فيها، وقد راماها وما من الحصون الشامخة يليها، ونزل الطواشي محسن ومعه أموالاً جمة قد جمعها فحل في رباط المداجر في تعز، وجعل أمواله فيها مع الصفة بتعز[٤]".

وقد كانت هناك محاولة لإسترداد حصن تعز، ففي شهر محرم من سنة ٨٦١هـ وصل العلم بأن ابن لُبين، تصغير لبن قبض حصن تعز[٥].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦١.

٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٠.

٣ الدُّملُوه: بضم الدال واللام، قلعة منيعة مشهورة فوق قرية المنصورة من جبل الصلو، على بعد نحو ٦٠ كيلو متر جنوب شرق مدينة تعز، اشتهرت بحصانتها ومناعتها ولعبت أدواراً في الحروب التي شهدتها المنطقة أيام بني أيوب ومن بعدهم بني رسول، وهي اليوم خراب وفيها آثار قديمة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٢١/١.

٤ روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص٦٤.

٥ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٣.



قلعة القاهرة في جبل صبر بتعز



قلعة الدُملوة في مديرية الصلو تعز

وكان قد جمع أهل جبل صَبِر[1] على الخلاف وهو سبب الخلاف من قبل ذلك على السلاطين ورام أن يكون في حصن العروس[2] التمكين، وهذا العروس هو عمدة الجبل فلم يدركوه وقد أعملوا على الإستيلاء عليه الحيل.

وأغار مُحَمَّد بن داود بن طاهر من التعكر عجلاً فأتاه أهل صبر باللبني مكبلاً، فأمر مُحَمَّد بن داود بضرب رقبة اللبني وعاجل أهل الفساد الذين معه بالحين[3]، ثم وصل العلم أن العسكر المنصور المجاهدي نصر عليه وأسروه، وقتلوا من عساكره نحو الخمسين، واستعادوا الحصن[4].

ولم تصل غارة علي بن طاهر من زبيد، وعامر بن طاهر من حجْر، إلا وقد قضى في اللبني ومن أطاعه عاجل الأمر، وطلب علي وعامر أهل الجبل فحرم عليهم السلاح وأمرهم أن يرجعوا على عوائدهم وقت الملوك في بيع الأقشام والفواكه والزهور، ويتركوا غير ذلك من الأمور حتى خيم عليهم السلاطين من قبلهما وشددا الأمر عليهما في ذلك بقولهما وفعلهما[5].

وبهذا أصبحت المناطق الوسطى والجنوبية واقعة تحت حكم الطاهريين وهي ما يعرف الآن بمحافظات عدن وتعز ولحج وأبين والضالع والبيضاء ورداع وإب، وبدأت القبائل تتوافد وتُقبل على الطاهريين لتهنئتهم ومبايعتهم على الحكم، وتستنجد بهم للنزول إلى بلدانهم وتخليصهم من ظلم الطُغاة وفسادهم كالعبيد والمماليك وغيرهم، ومن أهم هذه القبائل التي وفدت على بني طاهر لتخليصهم من ظلم وفساد العبيد والمماليك القبائل التهامية وعلماء ومشايخ وأعيان مدينة زبيد وهذا ما سبينه في الفصل القادم.

---

١ صَبِر: جبل مشهور تقع في سفح منحدره الشمالي مدينة تعز، وهو جبل هرمي على ارتفاع ٣٠٠٠م من سطح البحر، تحيط به المنحدرات السحيقة، وفي اعلاه حصن العروس وبقايا كثير من الحصون القديمة، وتغطي جوانبه الزراعات المختلفة وبخاصة البن والقات والحبوب والفواكه، أما القرى فهي متناثرة في جوانبه ومرتفعاته من جميع الجهات ومن أهمها، الموادم وحطاب ومزعيت وتباشعة وقراضة والعارضة والمعقاب وأدود وغيرها، وممن نسب إلى جبل صبر العلامة أبو بكر بن مُحَمَّد الصبري المتوفى سنة ٨١٠هـ، وكان فقيهاً نحوياً. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٨٩٥/١.

٢ العروس: أعلا قمة في جبل صبر المطل على مدينة تعز، وهي منطقة أقيمت عليها حديثاً محطات تقوية البث الإذاعي والتلفزيزني، وبجوارها مسجد قديم في منطقة المعقاب، يعتقد الأهالي بأنه مكان أهل الكهف المذكورين في القرآن الكريم، وتوجد غرفة في المسجد يتوسطها ضريح الشيخ عبدالرحمن بكرين الذي كان فقيها متصوفاً اشتهر بالزهد، وأعلى المسجد مأذنة يتميز نمط بنائها بذلك النمط الذي كان سائداً في عهد الدولة الرسولية. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠٥٥/٢.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٥.

٤ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٣.

٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٥.

الفصل الثالث

الإستيلاء على زبيد وإخضاع القبائل التهامية

للأهمية الإستراتيجية التي كان يتمتع بها أقليم تهامة في ذلك الوقت في اليمن، كان لا بد أن تكون الخطوة العسكرية التالية لبني طاهر هي الإتجاه لمدينة زبيد عاصمة الإقليم التهامي في ذلك العصر وكبرى مدنه ومن أهم المدن اليمنية، وقد كانت تبدو أهميتها من عدة نواحي فقد كانت عاصمة الدولة الرسولية السياسية وآخر معاقلهم التي توجه إليها آخر ملوك بني رسول وتحصنوا بها بعد عدن، ومن ناحية أخرى تبدو الأهمية العسكرية لمدينة تهامة في أنها تُعد محطة هامة لإنطلاق الحملات العسكرية للقضاء على المتمردين، لأنها تتوسط الأقليم التهامي، وقد كانت الأمور فيما مهيئة فيما يبدو لبني طاهر للإستيلاء على زبيد وتهامة، لا سيما بعد طلب مشايخ وعلماء وأعيان زبيد لبني طاهر دخول بلادهم، وخاصة بعد إفساد العبيد والمماليك فيها، لذلك فإننا سنتكلم في هذا الفصل عن أولاً عن مدينة زبيد ونشأتها وأهميتها التاريخية في مبحث، ثم نتكلم بعد ذلك إستيلاء بني طاهر على مدينة زبيد في مبحث آخر، ثم نبين في مبحث ثالث أبرز التمردات القبلية التي واجهت بني طاهر في أقليم تهامة:

المبحث الأول: مدينة زبيد النشأة والأهمية

المبحث الثاني: الإستيلاء على زبيد

المبحث الثالث: قمع التمردات في تهامة

المبحث الأول

مدينة زبيد النشأة والأهمية

تُعد مدينة زبيد من أهم المدن اليمنية في الفترة ما بين ٢٠٤هـ - ٩٢٣هـ، بإعتبارها:

أولاً: عاصمة لإقليم تهامة منذ فجر الإسلام وحتى نهاية العصر العثماني.

ثانياً: عاصمة لعدد من الدول التي حكمت اليمن منذ نشأتها سنة ٢٠٤هـ، وحتى انتقال مقر العاصمة إلى مدينة تعز على يد طغتكين الأيوبي ٥٨٠هـ - ٥٩٣هـ.

وبانتقال العاصمة إلى تعز أصبحت زبيد بمثابة المركز الدفاعي المتقدم لحماية العاصمة الجديدة من الجهة الشمالية، فضلاً عن كونها مركزاً علمياً مهماً بنيت فيه عشرات الجوامع والمساجد والمدارس، والأربطة والكتاتيب... ألخ.

ومن هنا فإن أهمية زبيد تكمن في أنها كانت عاصمة لدولة وإقليم، وكان لحركة التاريخ اليمني فيها دور كبير في تطورها العمراني، بما اشتملت عليه من منشآت دينية ومدنية، واجتماعية وعسكرية.

وبنفس تلك الأهمية تمتعت زبيد بإهتمام بني طاهر والدولة الطاهرية بها، وببسط نفوذهم عليها، ويبدو ذلك من خلال سعيهم مباشرة بعد أن استولوا على عدن وتعز إلى المسارعة للتنسيق مع علماء ومشايخ وأعيان زبيد لدخول زبيد، وعلى ذلك فإننا سنتكلم أولاً عن الموقع والنشأة لمدينة زبيد في مطلب مستقل، ثم نتكلم بعد ذلك في مطلب ثاني عن تاريخ زبيد العاصمة:

المطلب الأول: موقع ونشأة مدينة زبيد

المطلب الثاني: تاريخ زبيد العاصمة ومساحتها

المطلب الأول
موقع ونشأة مدينة زبيد

زبيد وادٍ مشهور يصب في تهامة ثم البحر الأحمر ومآتيه من جبال العدين وأودية بعدان، والأودية النازلة من غرب وصاب، وهو من أخصب وديان اليمن تربةً ونماء وتبلغ مساحته الزراعية أكثر من ثلاثين ألف هكتار، ويشتهر الوادي بزراعة الخضروات والفواكه وأنواع الحبوب، كما تنتشر سلسلة زراعية من النخيل تشمل نحواً من خمسين نوعاً من التمور، بالإضافة إلى ما تنتجه أرض قرية المغرس من الفُل والنرجس وأغلب أنواع الزهور التي يتم تصديره إلى كثير من المناطق داخل وخارج اليمن[١].

أولاً: موقع زبيد: تقع مدينة زبيد على خط طول ٤٣درجة شرقاً وخط عرض ٢٥درجة شمالاً، وفي موقع متوسط من سهل تهامة الذي يحتل القسم الغربي من اليمن، ويمتد من عدن جنوباً حتى حدود المملكة العربية السعودية شمالاً، وتبعد عن العاصمة صنعاء بحوالي ٢٣٣ كم، باتجاه الجنوب الغربي، كما تبعد عن مدينة تعز بحوالي ١٦١ كم باتجاه الشمال الغربي، وعن مدينة الحديدة ٩٥ كم بإتجاه الجنوب الشرقي، كما أن زبيد تحتل موقعاً متوسطاً بين البحر الأحمر الواقع غرب المدينة، وسلسلة الجبال الواقعة إلى الشرق منها، حيث تبعد عن كل منهما مسافة ٢٥ كم، ولذلك يصفها ابن بطوطة بأنها مدينة برية لا شطية، ويذكرها أبو الفداء بأنها في مستوى من الأرض عن البحر أقل من يوم، أي أنها ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ١٠٠م، كما تقع بين واديين زراعيين مهمين وهما وادي زبيد جنوب المدينة، ووادي رمع شمالها[٢].

ويقول العلامة عبدالواسع بن يحي الواسعي رحمه الله: "زبيد مدينة كبيرة مشهورة بالعلم والفضل والدين والصلاح، خرج منها علماء كبار لا يحصى عددهم، وطار ذكرهم في البلاد والآفاق، وهي مدورة الشكل، تقع بين البحر والجبل، وفي جنوبها واديها المسمى المبارك"[٣].

ويقول العلامة عبدالرحمن الديبع الزبيدي: "وهي بلاد العلم والعلماء، والفقه والفقهاء والدين والصلاح والخير والفلاح، ولم تُعلم مدينة من مدائن اليمن المعمورات ومساكنها المشهورات، ظهر فيها ما ظهر

١ معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٧٣٢/١.
٢ الإستحكامات الحربية بمدينة زبيد، عبدالله الحداد، ص٢٣.
٣ تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن، عبدالواسع بن يحي الواسعي، مكتبة اليمن الكبرى صنعاء الطبعة الثانية، ١٩٩١م، ص٦١.

في مدينة زبيد من العلم والعلماء الأثبات، هذا مع قلة كفاية أهلها وأرزاقهم الدقيقة، فهم أهل السعادة في الدارين حقيقة، وهي أم قرى اليمن، ومحط رحال العلماء في كل فن"[1].

ثانياً: تسمية زبيد: زبيد اسم لأحد أشهر أودية زبيد[2]، ينسبه المؤرخون القدامى كعادتهم إلى إحدى الشخصيات التاريخية التي عاشت في عصور ما قبل الإسلام، وهي زبيد الأصغر بن زمعة بن سلمة بن سعد بن زبيد الأكبر، والذي ينتهي نسبه إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد أهل اليمن، وهو من الأودية المباركة باليمن، بسبب دعاء النبي ﷺ له عندما قدم وفد قبيلة الأشاعرة برئاسة الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لإعلن إسلامه على يديه، ومن هنا جاءت تسمية المدينة نسبة إلى الوادي، وقيل أن زبيد اسم لأحد مخاليف اليمن وهو المخلاف الثالث عشر وقصبته مدينة الحصيب وهو الإسم القديم لمدينة زبيد[3].

وكانت تُعرف قديماً باسم الحُصيب نسبةً إلى الحصيب بن عبدشمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن يقطن بن عُريب بن زهير بن أيمن بن الهُميسع بن سبأ، وقد غلب عليها الأسم الجديد[4].

ثالثاً: نشأة مدينة زبيد: كان موقع زبيد قبل إنشائها أرضاً زراعية كثيرة الأشجار تابعة لوادي زبيد ووادي رمع، يرعى فيها الرعاة مواشيهم ويسقون دوابهم من بئر قديمة، وكان حول هذه الأرض قصور يسكنها قوم من بني كليب ومهلهل، وحول القصور توجد قرى صغيرة متناثرة من أهمها قرية الحصيب والمنامة والنقير وجيبجر وواسط، وساكنوها إلى قبيلة الأشاعر قوم الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، والذي خرج بعد إسلامه إلى تهامة في السنة العاشرة من الهجرة، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا وبنى لهم جامع الأشاعر فكان أول مسجد يبنى في تهامة، وثالث مسجد يبنى في اليمن بعد جامعي صنعاء والجند.

ببناء الجامع بدأ الناس يتجمعون حول قرية الحصيب وأخذت نواة القرية تكبر وتتسع حتى كانت سنة ٢٠٢هـ، عندما ورد إلى الخليفة العباسي المأمون كتاب من عامله في اليمن إبراهيم الأفريقي الشيباني يخبره بخروج قبيلتي الأشاعر وعك عن الطاعة، فأرسل حملة بقيادة مُحَمَّد بن عبدالله بن زياد لإسترداد

---

١ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٣٢.

٢ مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مُحَمَّد أحمد الحجري، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، صنعاء اليمن الطبعة الثانية ١٩٩٦م، ٣٨١/١.

٣ الإستحكامات الحربية بمدينة زبيد، عبدالله عبدالسلام الحداد، ص٢٤.

٤ معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٧٣٣/١.

تهامة، فتوجه ابن زياد نحو اليمن وحج في طريقه سنة ٢٠٣هـ، ثم وصل إلى تهامة واستولى عليها بعد عدة حروب مع أهلها، واختط مدينة زبيد يوم الإثنين الرابع من شهر شعبان من سنة ٢٠٤هـ، ومن حين ذاك بدأت شهرة زبيد كعاصمة لإبن زياد، أما قبل ذلك فكانت عبارة عن قرى متفرقة فمصرها ابن زياد[١] .

فكان أول من اختط هذه المدينة مُحَّد بن عبدالله بن زياد بأمر المامون الخليفة العباسي[٢]، ويرجع السبب في إختيار ابن زياد لموقع زبيد إلى ما يلي:

١. موقعها المتوسط من سهل تهامة، وكذلك موقعها المتوسط بين البحر والجبل جعلها تتحكم بقسمي تهامة الشمالي والجنوبي وكذلك الجبال والموانئ البحرية.
٢. وجود قرية سابقة هي قرية الحصيب، ووجود أقدم جامع في تهامة، حيث أن بناء الجامع في وسطها شرط من شروط إنشاء المدينة عند ابن أبي الربيع، وقد وفر وجود جامع الأشاعر مسبقاً على ابن زياد استيفاء هذا الشرط.
٣. توفر الأرض الخصبة الصالحة للزراعة في وديان زبيد ورمع وسهام والوديان المجاورة.
٤. توافر التربة الطينية التي ساعدت المعمار على استخدام الطين واللبن في بناء مدينة زبيد.
٥. وقوعها على طريق الحج الرئيسية المعروفة باسم الجادة السلطانية، مما جعل منها محطة لإستراحة الحجاج القادمين من الهند عبر عدن.
٦. قربها من البحر وفر لها مصدراً رئيسياً للغذاء، وجعل من ميناء غلافقة ثم ميناء البقعة بعد ذلك الميناء الرئيسي والمنفذ البحري لتجارة زبيد.
٧. قرب المدينة من الجبال الواقعة إلى الشرق منها ذات الكثافة العالية من الأمطار وفر لها مصدراً دائماً من المياه التي تتجمع كسيول تسقي المزارع وتملأ الخزانات والسدود[٣] .

---

١ الإستحكامات الحربية بمدينة زبيد، عبدالله الحداد، ص٢٤.
٢ تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن، عبدالواسع بن يحي الواسعي، ص٦٢.
٣ الإستحكامات الحربية بمدينة زبيد، عبدالله الحداد، ص٢٦.

المطلب الثاني

تاريخ زبيد العاصمة ومساحتها

يمكن تقسيم تاريخ زبيد إلى فترتين تاريخيتين لكل منهما سماتها ومميزاتها:

الأولى: عندما كانت عاصمة فيما بين سنة ٢٠٤هـ وسنة ٥٦٩هـ.

وكانت زبيد عاصمة لثلاث دول متعاقبة هي: دولة بني زياد ٢٠٤هـ، ودولة بني نجاح ٤٣١هـ، ودولة بني مهدي ٥٥٤هـ.

الثانية: بعد تحول العاصمة من زبيد منذ سنة ٥٦٩هـ حتى سنة ٩٢٣هـ.

وبدأت هذه الفترة بعد استيلاء الأيوبيين على زبيد، وقد ظهرت فيها ثلاث دول متعاقبة وهي الدولة الأيوبية ٥٦٩هـ. ٦٢٦هـ، والدولة الرسولية ٦٢٦هـ . ٨٥٨هـ، والدولة الطاهرية ٨٥٨هـ . ٩٢٣هـ، وهي الفترة التي سقطت فيها زبيد بيد الشركس القادمين من مصر[١].

أسوار مدينة زبيد وأبوابها ومساحتها: لمدينة زبيد عدة أسوار بنيت خلال الفترة التاريخية للدول التي اتخذتها عاصمة لها، وذلك لصد الهجمات التي كانت تقع عليها من قبل أعداء من كانوا يتخذونها عاصمة لهم، أو لصد هجمات الطامعين في سلب المدينة والإعتداء على أهلها.

وكذلك كان لمدينة زبيد عدة أبواب وهي أربعة أبواب مفتوحة باتجاهاتها الأربعة.

يقول العلامة ابن الديبع الزبيدي: "وأول من اختط المدينة مُحَّد بن عبدالله بن زياد الأموي، بأمر سلطانه عبدالله المأمون بن هارون الرشيد، في يوم الإثنين الرابع من شهر شعبان سنة أربع ومائتين، وأول من أدار عليها سوراً الحسين بن سلامة وزير ولد أبي الجيش كما حكاه ابن المجاور في كتابه المستبصر نصاً.

ثم أدار عليها سوراً آخر الوزير ابن منصور منَّ الله الفاتكي في سنة بضع وعشرين وخمسمائة.

ثم أدير عليها سور ثالث في أيام بني مهدي.

ثم أدير عليها سوراً رابعاً سيف الإسلام طغتكين بن أيوب في سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وسوره الذي يلي المدينة الآن[٢]، وركب على السور أربعة أبواب:

١ الإستحكامات الحربية بمدينة زبيد، عبدالله الحداد، ص٢٨.

٢ المتحدث هنا هو العلامة عبدالرحمن الديبع الزبيدي، ويتحدث عن مدينة زبيد أثناء كتابته لكتابه بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، وهو خلال حكم الملك الطاهري عامر بن عبدالوهاب رحمهما الله جميعاً.

أحدها: ينفذ إلى المشرق وهو المسمى باب الشبارق ينفذ إلى الشبارق قرية من قرى الوادي زبيد، ثم إلى حصن قوارير وغيره.

والثاني: إلى الشام وهو المسمى باب سهام ينفذ إلى وادي رمع وسهام، وهو وجه المدينة وغرتها.

والثالث: إلى المغرب وهو الذي سمى الآن باب النخل وكان من قبل يسمى باب غلافقة وإلى الأهواب وغلافقة قرية عظيمة مشهورة كانت بندر المدينة زبيد على ساحل البحر، وانتقل البندر إلى قرية الأهواب ويسمى اليوم البقعة.

والرابع: إلى اليمن وهو المسمى باب القرتب ينفذ إلى وادي زبيد، ثم إلى قرية القرتب وهي قرية من قرى الوادي زبيد مشهورة هنالك، خرج منها جماعة من العلماء والصالحين، وكان بناء السور المذكور باللبن والطين، وأبوابه وشراريفه بالآجر في الهوى، نحو من عشرة أذرع.

قال ابن المجاور: عددت أبراج مدينة زبيد، فوجدتها مائة برج وتسعة أبراج، بين كل برج وبرج، ثمانون ذراعاً، قال: ويدخل في برج عشرون ذراعاً، فيكون دور البلد عشرة آلف ذراع وتسعمائة ذراع"[١].

ولكن الصحيح أن مساحة مدينة زبيد في زمن الدولة الطاهرية كان ستمائة وثمانين معاداً[٢]، كما ذكر ذلك العلامة عبدالرحمن الديبع الزبيدي[٣].

ومن يتجول في أحياء هذه المدينة يجد التاريخ بمعالمه التليدة يقف شامخاً أمامك، ممثلاً بقصورها الشاهقة ومساجدها القديمة مثل قصر السلام الذي بني في عهد الدولة الرسولية، ثم قصر الملك المنصور بن مُحَمَّد الفاتك النجاحي، وقصر ليبق شرق المدينة[٤].

مساجدها ومدارسها العلمية: أما المساجد فالباقي منها ٨٢ مسجداً أهمها مسجد الأشاعر ومسجد الجامع الكبير ومسجد الحوازم ومسجد الريمي ومسجد البزاز ومسجد الأهدل ومسجد الحكارية، وهناك عشرات المساجد منها ما هو مهجوراً ومنها ما هو مقاماً، ناهيك عن المساجد المدفونة بأكوام الرمال.

---

١ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص ٣٤.

٢ المعاد يساوي اليوم تقريباً ٤٠٠٠م مربع، أي أن ستمائة وثمانين معاداً تساوي ٢،٧٢٠،٠٠٠ م مربع وهي ما تعادل الآن ٦١٢٠٦ لبنة عشاري في المساحة المعتمدة للبنة في مدينة صنعاء.

٣ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع ص ٣٦.

٤ معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٧٣٣/١.

أما مدارسها القديمة التي كانت وما تزال مصدراً لإشعاع العلم والمعرفة فهي أكثر من ٢٥ مدرسة منها المدرسة العصامية والمدرسة التاجية والمزجاجية بناها الشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد المزجاجي بجوار داره صاحب الملك الأشرف ثم صحب ابنه الناصر الرسولي[١]، والياقوتية بزبيد غربي الخان المجاهدي بنتها الحرة جهة الطواشي اختيار الدين ياقوت[٢]، والفرحانية ويقال لها أيضاً مدرسة أم السلطان وقد بنتها وزجة السلطان الملك الأشرف الرسولي[٣]، والمدرسة المنصوريةبناها الملك المنصور عبدالوهاب بن داود بن طاهر، وقد أمر بعمارتها في شعبان سنة ٨٨٤هـ[٤]، والمحالبية بناها القاضي شهاب الدين أحمد بن إبراهيم المحالبي ووقف بها كتباً عظيمة[٥]، والظافرية ابتناها الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب بن داود سنة ٩٠٠هـ[٦]، والسيفية[٧] والمدرسة البدرية وتسمى أيضاً اللطيفية[٨]، والمدرسة الحسينية والجعامنة والجيشية والحِسانية والخارجية والخريسانية والخُريصانية والغُصنية والفاخرية والكافورية والمرهاد، وقد ورد ذكرها كلها في سجلات أوقاف زبيد[٩]، ومدرسة إسماعيل العلوي بناها إسماعيل بن عبدالله العلوي ووقف عليها وقفاً جاملاً وكان وزيراً للمنصور والأشرف الرسولي[١٠]، فقد كانت مدينة زبيد عريقة بمدارسها الإسلامية، التي أنجبت خيرة أبناء اليمن من أدباء وفقهاء ومفكرين وعلماء اللغة العربية من نحو وصرف، وإن محاولتنا حصر أسماء العلماء البارزين والمحققين والمؤرخين وأئمة الدين واللغة الذين لمعت أسماؤهم من زبيد هي محاولة شاقة لكثرة عددهم، فقد كانت زبيد بمثابة جامعة إسلامية يتخرج منها عشرات العلماء سنوياً[١١].

---

١ المدارس الإسلامية في اليمن، القاضي اسماعيل بن الأكوع، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، مكتبة الجيل الجديد، الطبعة الثانية ١٩٨٦م، ص٣٢٢.
٢ المدارس الإسلامية، اسماعيل الأكوع، ص٣٠٨.
٣ المدارس الإسلامية، اسماعيل الأكوع، ص٢٨٩.
٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٨.
٥ المدارس الإسلامية في اليمن، ص٣٢١.
٦ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٣٨.
٧ معجم البلدان والقبائل اليمنية، القحفي، ٧٣٣/١.
٨ المدارس الإسلامية في اليمن، اسماعيل الأكوع، ص٢٩٥.
٩ المدارس الإسلامية، اسماعيل الأكوع، ص٣٢٤.
١٠ المدارس الإسلامية، إسماعيل الأكوع، ص٣٠٦.
١١ معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٧٣٣/١.

المبحث الثاني

الإستيلاء على زبيد

أولاً: أحوال زبيد قبل دخول الطاهريين:

كانت مدينة زبيد من أهم المدن في اليمن في القرون الأولى حتى القرن التاسع إلى عصر الدولة الطاهرية بل إنها كانت عاصمة لعدة دول، وفي أواخر الدولة الرسولية كانت مقراً للملك المؤيد الذي تركها متوجهاً إلى عدن بعد أن ترك المسعود عدن، ثم خرج المؤيد منها بعد أن استولى عليها بنو طاهر، وبقية زبيد من غير والي أو ملك من قبل بني رسول وبقي فيها العبيد والمماليك يعبثون فيها ويفسدون، ويثقلون أهل زبيد بالظلم والطغيان.

وقد كثر فيها الفساد من العبيد والمماليك واستفحل الظلم فيها، واضطربت أمورها ولم يعد الأمن مستتباً وتقاسمت الآراء والأهواء في زبيد، وخشي الناس على أنفسهم من الطامعين والظالمين وأُكلت الحقوق وانتهبت، حتى أن أعيان مدينة زبيد وقضاتها وعلمائها عجزوا عن ضبط أمورها وإرساء الأمن فيها ولم يستطع أن يصنعوا شيئاً حيال العبيد والمماليك، وكان لابد من استقرار أمر زبيد واختيار الشخص المناسب لإدارة أمورها، ولم يكن أنسب من أهل طاهر في ذلك الوقت لولايتها.

يقول الشيخ كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي وهو من علماء وفقهاء زبيد وممن عاصر هذه الأحداث في ذلك الوقت وعاصر بداية نهضة الدولة الطاهرية وكتب عنها: "وكانت مدينة زبيد قد كثر فيها الفساد من العبيد واشتهر في الناس عدل المشايخ وحسن سيرتهم في الرعايا فانجذبت الخواطر ومالت النفوس إلى محبتهم، فحينئذ ركبت إليهم رؤساء مدينة زبيد وأعيانها ورغبوهم في البلاد وأعلموهم بحال العبيد وما هم عليه من الفساد، وحسنوا لهم التوجه إلى تهامة وسهلوا عليهم قصدها، وكان مدار أمر أهل زبيد على قاضي القضاة جمال الدين مُحَمَّد الطيب بن أحمد الناشري، وشيخ المشايخ شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي، فكتبوا إلى المشايخ فأجابوهم إلى ما سألوا من الوصول إلى تهامة وإنقاذ المسلمين مما هم فيه من الخوف"[1].

ثانياً: أبرز الشخصيات في مدينة زبيد ومواقفهم قبل إستيلاء الملك المجاهد والملك الظافر عليها:

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٠.

كانت هناك شخصيات عديدة وبارزة في مدينة زبيد، ومن أهم هذه الشخصيات آخر من بقي من ملوك بني رسول وهما الملك المسعود والملك المؤيد والأمير جياش السنبلي وقاضي القضاة جمال الدين مُحَمَّد الطيب بن أحمد الناشري، وشيخ المشايخ شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي والأمير الركن عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن زياد الكاملي وقاضي الشريعة مُحَمَّد بن أبي الفضل الناشري، والخطيب الفقيه عبدالمعنم بن موسى الضجاعي، والشريف أبو العباس بن أبي السلطان، وكان للعبيد سطوة وبغي في مدينة زبيد وكان من رؤسائهم البارزين يوسف بن القلقل، وهو طاغيتهم يومئذ، ومن رؤساء العبيد كذلك وأبرزهم عبدالله بن زيتون وفرج خيرين.

وعندما هزم الملكين المجاهد والظافر على الإستيلاء على مدينة زبيد تباينت مواقف أعيان ومشايخ زبيد وأبرز الشخصيات فيها من عزم الطاهريين الإستيلاء على زبيد.

موقف أعيان زبيد وقضاتها وعلمائها: فأما بالنسبة لرؤساء مدينة زبيد وأعيانها فقد دعوا آل طاهر لدخول مدينة زبيد ورغبوهم في البلاد وأعلموهم بحال العبيد وما هم عليه من الفساد، وحسنوا لهم التوجه إلى تهامة وسهلوا عليهم قصدها، وكان مدار أمر أهل زبيد على قاضي القضاة جمال الدين مُحَمَّد الطيب بن أحمد الناشري، وشيخ المشايخ شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي، فكتبوا إلى المشايخ فأجابوهم إلى ما سألوا من الوصول إلى تهامة وإنقاذ المسلمين مما هم فيه من الخوف.

ولما خلع المسعود نفسه من الملك، راسل كبراء أهل زبيد الإمام الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر إلى مدينة عدن ببذل الطاعه له، وتسليم الأمر إليه، وذلك بعد أن قبض حصن التعكر في شهر ذي القعدة[1].

موقف المسعود الرسولي: وأما المسعود فبلغ في خروجه من عدن كما مرّ معنا إلى العارة، ثم إلى هقرة، واستجار بها عند الشيخ عبدالله بن أبي السرور نحواً من شهرين، ثم خرج إليه العبيد من زبيد وراودوه على الدخول معهم إليها فاستوثق منهم بالإيمان.

ودخل زبيد يوم الاثنين ثاني رمضان وعمل سماطاً للإقطار، ودعا إليه رؤساء الناس على عادة سلفه في ذلك، فحين قعد الناس عليه للإفطار تكسرت الإسراء إذا ذاك من تحتهم، فسقط قاضي الشريعة مُحَمَّد بن أبي الفضل الناشري، والخطيب الفقيه عبدالمعنم بن موسى الضجاعي، والشريف أبو العباس بن أبي السلطان إلى الأرض ولم يتغير منهم شيء.

[1] بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١٨، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٠.

وأقام المسعود بزبيد إلى الحادي والعشرين من شوال، وأرسل للشيخ عبدالله بن أبي السرور صاحب هقرة، فجاءه وخرج في صحبته، على نية السفر إلى تعز، فلما استقر بمدينة حيس خلع نفسه.

ورجع العبيد إلى زبيد منكسرين، وبلغ المسعود إلى هقرة، وأقام عند الشيخ عبدالله بن أبي السرور، ثم خرج من هقرة إلى مكة المشرفة.

فكان خروجه من مدينة زبيد قبل دخول الطاهريين لها وقد انتهى أمره كما ذكرنا بالإستقرار في مكة وجاور بها حتى توفي[1].

موقف الأمير جياش السنبلي والعبيد والمماليك: فأما الأمير زين الدين جياش بن سليمان السنبلي فبعد أن خرج من عدن مطروداً مهاناً، هو ومن معه من أهله، وكانوا نحو الثلاثين، فاستقر بمدينة موزع وكاتب العبيد ليأذنوا له في دخول زبيد، فرضي بعضهم وكره البعض، وممن رضي بدخلوه يوسف بن القلقل، وهو طاغيتهم يومئذ، فأدخله زبيد غصب الكارهين.

فلما استقر بها أظهر لهم النصح فأمنوه، فكاتب الملك المجاهد يخبره بانحلال أمر العبيد وضعف شوكتهم، فرد إليه الجواب وألزمه الإفساد بين العبيد وتفريق كلمتهم.

فلم يزل يعمل الحيلة حتى حالف عبيد السيد وعبيد الشمسي للملك المجاهد، ولما استوثق منهم بذلك، راسل الملك المجاهد مع جماعة من كبراء البلد وقضاتها وعلمائها[2]، ومنهم شيخ الإسلام القاضي الطيب الناشري وشيخ المشايخ شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي.

ويذكر المؤرخ ابن الأنف القرمطي أن الأمير جياش السنبلي قد أعمل الحيلة مع بني طاهر ليتمكن من الإستيلاء على مدينة زبيد، والتفرقة بين المماليك، فيقول: "وكان جياش السنبلي في موزع ثم إنه هرب بزعمه أنه خاف من بني طاهر، ودخل مع المخالفين من العبيد في مدينة زبيد، فاستأنسوا به وقدموه ورفعوا قدره وعظموه، فمكث معهم أياماً حتى أمنوا جانبه ولم يدخلهم منه الخوف والمراقبة، فراسل بني طاهر على أن يدخلهم إلى زبيد، برغم المخالفين فيه من العبيد، وصارت المكاتبة والمراسلة على يد مُحَمَّد بن أبي بكر صاحب شرعب وريسان في يده في أوان المظفر بن عمر بن إسماعيل الأشرف، وكان الرسول إلى زبيد إدريس المحرابي[3]".

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٤.
٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١١٩.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦١.

فلما وصلته الكتب خرج من عدن ثالث شوال ٨٥٩هـ إلى بلده جبن، فجمع الجند ثم نزل إلى تعز، فاستدعى العساكر فوصله إلى تعز القرشيون، وكانوا يومئذ في غاية من الكثرة والنجدة واتفاق الكلمة، فحلفوا له على ما أحب فأكرمهم ووعدهم بكل جميل[١].

"وقد جمع علي بن طاهر العساكر وسار إلى زبيد كالمبادر، وكان في تعز وكتب إلى أخيه ليوافيه بالجمع الكثير، ويكونان مزمعين بالسير، فلما وصل عامر إلى تعز وجد أخاه علياً قد تقدم بعسكر إلى زبيد محاصراً، فوقع مع عامر القلق والغرق خوفاً على أخيه من الغدر، وأن لا يقع له ما أمله من الأمر، وقد جمع علي بن طاهر إليه القرشيين، وقال لهم: إنّا جميعاً من قريش، وسار بهم وبكثير معهم من الجيش[٢]".

ثم نزل المجاهد من تعز إلى زبيد على طريق موزع، فلما سمع العبيد بذلك حاصوا حيصة حمر الوحش، ولم ينتظم لهم أمر، فدخل موزع في ذي القعدة واستقر بها، وأرسل للشيخ يحيى بن عمر الثابتي صاحب الحديدة، وكان قد وفد إلى الملك المجاهد وأخيه إلى مدينة عدن، وحلف لهما ودعا إليهما، فأمره أن يستقر ببيت الفقيه ابن عجيل ويمهد قواعد العرب هنالك، وأرسل له من المال بما يعينه على ذلك، فوصل إليها واستقر بها في جماعة من أهله[٣].

"وكان الشيخ الثابتي صاحب الحديدة قد حالف جماعة من العرب أيضاً على الطاعة للملك المجاهد وأما السواد الأعظم فقد امتلأت قلوبهم محبة له لما بلغهم من عدله ورفقه بالرعية"[٤].

ثم وصل الملك المجاهد إلى مدينة حيس ليلة عيد النحر فاشتد ضيق العبيد، وبلغت منهم القلوب الحناجر، فلما كان ليلة ١١ من ذي الحجة، خرجت فرقة من العبيد هاربين وتسوروا الدروب ويعرفون بعبيد فشال.

وفي صبح تلك الليلة وهو يوم الجمعة، جمع الأمير زين الدين جياش السنبلي عنده أكابر العبيد، وأمر منادياً في المدينة بأن البلد للملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر[٥].

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٤.
٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٢.
٣ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١١٨.
٤ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٤.
٥ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١١٩.

"فلما سمع من بقي من العبيد، ومنهم عبدالله بن زيتون أنكروا ذلك على الأمير جياش، فلما أصبحوا اجتمع منهم نحو أربعمائة رجل وتوجهوا إلى دار الأمير المذكور فاستأذن له رؤساؤهم، وكانوا نحو الخمسة، فأذن لهم وبقي الباقون على الباب فلما طلعوا إليه، وفيهم عبد سفيه يقال له فرج خيرين"[1].

وكان البادىء في الكلام مع الأمير جياش السنبلي، "فقال له فرج خيري وهو من طغاة العبيد لما سمع النداء: يا أمير من أذن لك في هذا النداء؟ وأراد إثارة فتنة، فأمر الأمير زين الدين اخويه اسماعيل والصديق بضربه فضرب بالسيف حتى برد، وألقي بين الناس في الشارع من كوة دار الأمير، والعبيد مجتمعون حول البيت من المؤالفين والمخالفين، ثم قبض على عبدالله بن زيتون، وكان طاغية العبيد ورأس الفتنة، وعلى جماعة وحفظهم، فلما علم بذلك باقي العبيد تفرقوا وتشتتوا وتسوروا الدروب وتمزقوا كل ممزق، وكانوا نحو أربعمائة وقبض من خيلهم نحو خمسة عشر فرساً.

وكادت الجمعة تفوت، ثم صلى القليل من الناس الجمعة وخطب للإمام الملك الظافر عامر بن طاهر، واستمرت الخطبة باسمه وهو الأصغر[2].

"فلما انتهى الملك علي بن طاهر إلى زبيد فرق عساكره للقتال، وقد تفرق إلى كل ناحية، ليدفعوا من ألم بهم من أبطال الرجال، وكان جياش السنبلي في ناحية بمن انضاف إليه ومن والاه من أهل زبيد، وقباله علي بن طاهر، والعبيد لا يشعرون بما يريد، فلما تدانى القوم للقتال أدخل جياش ومن معه علي بن طاهر من ناحيته وأنضاف إلى جملته، فلما دخل علي بن طاهر صحب العبيد الهزيمة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم أمر علي بن طاهر برفع السيف بعد أن قتل وأسر وأحصى منهم الأكثر وانتهبهم بمن معه من العسكر، وأخرجهم من زبيد فلم يدع فيها أحد من العبيد[3]".

وفي ليلة السبت ثاني أيام التشريق، تسور جماعة من العبيد السور واستجار جماعة منهم في بيوت مناصب البلد، وخرج الأمير الركن عبدالرحمن بن مُحَّد بن زياد الكاملي إلى باب الشبارق، وكسر قفل الباب وخرج فاراً إلى الملك المجاهد[4].

نهاية الملك المؤيد الرسولي: أما المؤيد وهو آخر ملك رسولي بمدينة عدن، وكان بها عند دخول الطاهريين إليها وقد أحسنوا إليه في عدن عندما أستولوا عليها كما مرّ معنا، ولم يسيئوا إليه، وكان

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٠.
٢ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٠.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٢.
٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٠.

المؤيد هذا بعدما فارق مدينة عدن، وصل إلى زبيد وحلف له العبيد وسلطنوه عليهم واستقربها، فكان استيلاء المشايخ بني طاهر على كل واحدة من المدينتين وهو بها فتيمنوا بلقيه وأحسنوا إليه[1].

وقد كان المؤيد خشي على نفسه من الطاهريين واتباعهم، فاستجار ببيت الشيخ الغزالي، ثم خرج إلى مكة وقصد مصر فأكرمه سلطانها إينال الأجرود، ورتب له مرتباً يقوم بكفايته بمكة المشرفة فرجع إلى مكة واستقر بها حتى توفي[2].

ومن غريب الإتفاق دخول الملكين ابني طاهر مدينتي عدن وزبيد والمؤيد في كل واحدة منهما، وأن الخطيب خطب يوم الخميس وهو العيد للمؤيد حسين، وفي يوم الجمعة بعده لعامر بن طاهر[3].

ثالثاً: دخول الملك المجاهد علي بن طاهر زبيد:

وكان دخول الملك المجاهد علي بن طاهر زبيد آمناً مطمئناً، بغير قتال ولا حرب، ضحى يوم السبت ثاني أيام التشريق سنة ٨٥٩هـ، وفي صحبته ابن أخيه الشيخ جمال الدين مُحَمَّد بن داوود والعلامة شمس الدين يوسف بن يونس الجبائي المعروف بالمقري والقرشيون، وانقادت له العربان، وذلت له الأقران، ودانت له العباد، وأمنت به البلاد، وفرح به المسلمون، وانقمع به المفسدون[4].

وكان في القرشيين طغي وبغي، فانتشروا في البلاد لنهب بيوت العبيد، وكان الملك المجاهد قد وعدهم بنهبها، فيما قيل فأحس الأمير زين الدين بفعلهم فأمر بغلق باب الشبارق، وثار أهل زبيد والعرب الذين بها عصر ذلك اليوم على القرشيين، فقتلوا منهم نحو خمسة عشر نفراً، فضاق القرشيون ورأوا انهم إن أمسوا بزبيد هلكوا، فلجأوا إلى الأمير زين الدين، فاستأذن أمير المؤمنين في الفسح لهم ففعل، وخرجوا مع غروب الشمس ذلك اليوم مطرودين مذمومين مدحورين، وأهل زبيد يتبعونهم ويصيحون عليهم ويرمونهم بالحجارة من على السطوح، واستقر الناس بعد ذلك"[5].

وردّ الملك المجاهد للناس أموالهم المغصوبة مع العبيد وغيرهم، وقام بحجة العامة والخاصة، وقال للناس: ليس لي حاجة في النزول إليكم إلا أمانكم وكشف ما حلّ بكم من العنف والعسف، وأمرهم بحمل

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٠.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٠.

٣ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٠.

٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١١٩.

٥ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢١، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٠.

السلاح والذّب عن أنفسهم وإنكار ما يرونه منكراً والمعاونة والمعاضدة، فامتلأت القلوب بمحبته وامتدت الأيادي بالدعاء بدوام مدته[1].

وأصبحت الخطبة على منابر زبيد لأخيه الملك الظافر عامر بن طاهر بن معوضة، ووليا أبا طاهر مُحَمَّد بن أبي بكر صاحب شرعب في زبيد[2].

1 تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٠.

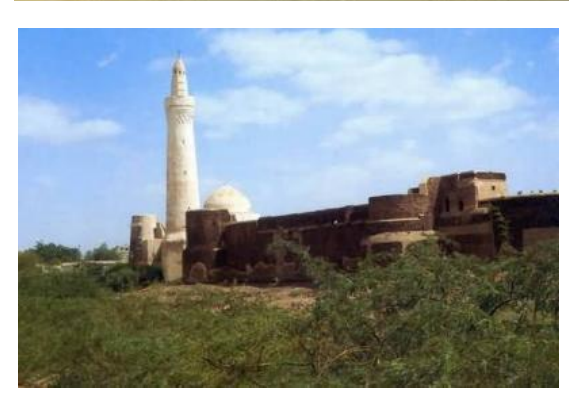
2 روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٣.



دار الإمارة في زبيد



باب الشبارق في زبيد



سور زبيد



جامع الأشاعر في زبيد

المبحث الثالث
ردع التمردات القبلية في تهامة

واجهت الدولة الطاهرية عدة تمردات قبلية وخروج بعض القبائل على الحكم الطاهري وعدم الإمتثال للدولة في بداية نشأتها وقد استمرت بعض هذه التمردات لسنوات طويلة، ونظراً لطبيعة المجتمع اليمني القبلية، فإن العصبية القبلية هي التي كانت سائدة على المجتمع اليمني خاصة في ظل ضعف الدولة الرسولية في أواخر عهدها واعتياد القبائل على الخروج دون مواجهة حاسمة من قبل الدولة الرسولية.

لذا فقد ورثت الدولة الطاهرية هذه التراكمات من التمردات القبيلة واعتياد القبائل على الخروج على السلطة والحاكم دون مواجهة حقيقية، فكان لا بد من القضاء على هذه التمردات وإخضاع القبائل للحكم الطاهري وتوحيد اليمن بأكمله تحت ظل حكم الدولة الطاهرية والسيطرة على القبائل إما باستمالتها إن أمكن ذلك أو القضاء على المعارضين وقمعهم عند الضرورة.

وكان من أبرز هذه التمردات في عهد الملك علي بن طاهر وأخيه الملك عامر بن طاهر، التمردات الواقعة في منطقة تهامة من قبل بعض قبائل تهامة وكان أشدها خروجاً على الطاهريين هم قبائل المعازبة والقرشية والحفصيين، وفي هذا الفصل فإننا سنتكلم عن تمردات كل قبلية في تهامة وأبرز الخارجين هناك كلاً على حدة، في مبحثين كالآتي:

المطلب الأول: تمرد قبيلة المعازبة في تهامة

المطلب الثاني: تمرد قبيلة القرشية وبقية قبائل تهامة

المطلب الأول

تمرد قبيلة المعازبة في تهامة

عند استدعاء أهل زبيد لبني طاهر الملكين المجاهد والظافر وبدأ نزولهما لتهامة وعزمهم على ذلك، تسارعت القبائل لإعلان الولاء وبذل السمع والطاعة للملك المجاهد، فأما القرشيون فقد بايعوا الملك المجاهد عند قدومهم إليه في تعز، فحلفوا له على ما أحب فأكرمهم ووعدهم بكل جميل.

وبعد أن استقر الأمر للملك المجاهد وأخيه في زبيد أرسلا إلى ما حولها من القبائل لبذل الطاعة والكف عن الفساد وتأمين الطرقات وكان معظم القبائل راغبين لحكمهم فرحين بقدومهم واستيلائهم على زبيد، لما سبق بيانه من أسباب دعت لذلك ولطلبهم إياهم في القدوم إلى زبيد لرفع الظلم وإزالة الفساد.

ولكن بعض القبائل رفضت المبايعة وأبت ذلك، وأصرت على التمرد والبقاء خارج سلطة الدولة الطاهرية، وكان من أبرز هؤلاء المعازبة[1] فقد استعصوا وأبوا الطاعة واستمروا في تمردهم، وأبوا إلا قطع الطريق والسلب، والعصيان لبني طاهر.

وقد تحاشى السلطان المجاهد من محاربة قبيلة المعازبة في أول عهد الدولة الطاهرية فبعد سيطرته على زبيد واستقراره فيها بعض الوقت عام ٥٥٩هـ، عمل على كسب ودهم، فأرسل إليهم يدعوهم إلى الطاعة والكف عن أعمال السلب والنهب، فأبوا مغترين بكثرة عددهم ووفرة خيلهم ومتباهين بشجاعتهم.

وكانت أكبر قبائل تهامة هي قبائل المعازبة والقرشيون وكانت لهم خيول وفرسان، وتعديات متواصلة على زبيد وغيرها من حواضر تهامة، وقد زادت تعدياتهم وقطعهم للطريق في أواخر عصر الدولة الرسولية وضعفها.

[1] المعازبة: قبيلة من الأشاعرة مساكنهم ما بين بيت الفقيه والمنصورية من أعمال زبيد، وهي منطقة واسعة كثيرة الخيرات من الزروع، ومن أقسام القبيلة الزرانيق وبني مُحَمَّد وبني المقبول وبني مشهور والعماري وبني الجنيد والهبالية والبهادرة وغيرهم، وقد غلب عليهم إسم الزرانيق باسم أحد فروعهم، وذلك لشهرة الفرع سواء أيام بني رسول أو في العصر الحديث، ومن مشاهير القبيلة الفقيه أحمد بن موسى بن عُجيل المتوفي سنة ٦٩٠هـ، والذي تنسب إليه مدينة بيت الفقيه. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٥٦٥/٢.

وفي أول شعبان من سنة ٨٦١هـ، غزا الملك المجاهد المعازبة وقبيلة المعازبة هم ما يعرفون اليوم بالزرانيق، وقد غزاه الملك المجاهد إلى نخل المدبي، فقتل منهم نحو العشرين، ثم صالحوه على ستين فرساً أدوها إليه.

وكان سبب هذه الحملة أن المعازبة أغاروا في يوم الثلاثاء الرابع عشر من محرم سنة إحدى وستين وثمانمائة، على مدينة فشال وقتلوا من الدولة ستة نفر، واستقلعوا من الخيل نحو العشرين[١].

يقول العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي: "ولما فرغ الملك المجاهد من تقرير حال البلد والنظر في مصالح المملكة، أرسل إلى المعازبة يدعوهم إلى الطاعة ويعلمهم أن مطلوبه منهم الكف عن الفساد وأمن الطرقات، فلم يجيبوا إلى ما سأل ونأوا عن الطاعة، فآذنهم بالحرب وتوجه إليهم غازياً يوم الإثنين خامس عشر من المحرم سنة ٨٦٠هـ"[٢].

ويقول ابن الديبع رحمه الله: "فلما استقر الملك المجاهد بزبيد وطهرت بقاعها من أنجاس العبيد أرسل إلى المعازبة يدعوهم إلى الطاعة ويكفهم عن نهب المسلمين فأبوا، فخرج إليهم في شهر المحرم من سنة ستين وثمانمائة[٣]".

ويقول أيضاً في مؤلف آخر له: "ففي يوم الاثنين، الخامس والعشرين من المحرم سنة ٨٦٠هـ، غزا الملك المجاهد وابن أخيه الشيخ جمال الدين مُحَّد بن داود المعازبة"[٤].

وكان المعازبة "يسكنون بقرية الضجع من وادي رمع، وهم حينئذ متوفرون وخيلهم تنوف على المائة وفيهم جماعة يزعمون الشجاعة والبسالة، فالتقى الفريقان وكان المجاهد وعسكره القادمون معه في يد، والقرشيون في يد هم وخيل تهامة فحملت المعازبة على العسكر حملة رجل واحد، فثبت المجاهد ومن معه وانهزمت اليد الأخرى وفيها أهل الحديدة فحمل المجاهد وخيله على من كان بإزائهم من المعازبة فهزموهم وقتلوا منهم اثني عشر رجلاً، ووصل الخبر إلى زبيد بهزيمة العسكر فماج الناس، ونجم النفاق وتعبت الناس غاية التعب، ثم تقرر الخبر بسلامة الملك المجاهد ونصره، فأمسى بقرية التربية ثم دخل زبيد سالماً منصوراً ثاني الغزوة[٥]".

---

١ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع.
٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٣.
٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٧.
٤ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢١.
٥ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٨.

وأسرت المعازبة يومئذ الأمير مُحَمَّد بن حازم لضعف فرسه وقتلوه صبراً، وكان شجاعاً إلا أنه كان غير ناصح فقتله أقرباء المقتولين من المعازبة.

وفي الثامن والعشرين من الشهر المذكور، كانت وقعة بالمحجرية بين الملك المجاهد والمعازبة بني يعقوب، نصر فيها عليهم وقتل منهم فارساً يسمى مفرح بن جنيد ويُعرف بابن جبيدة.

وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر، دخل الملك الظافر صلاح الدين عامر بن طاهر مدينة زبيد دخولاً معظماً وأقام بها أياماً.

ثم طلع هو وأخوه الملك المجاهد إلى تعز ثم دخل الملك المجاهد عدن[1].

واعلم أن الملوك بني طاهر مدة ولايتهم أدامها الله تعالى في كل سنة يجعلون مخرجاً إلى المدبي نخل المعازبة، سواء كان المعازبة مخالفين أو مؤالفين، ويقطعون ثمره وفائدة قطعه في كل عام إذلالهم وتوطيتهم وإضعاف شوكتهم.

واعلم أيضاً أن لهم غزوات كثيرة على العرب الشامية، من باب زبيد على مور.

أي أن الدولة الطاهرية كانت تقوم بإرسال الحملات العسكرية دوماً، إلى تلك المناطق وذلك لحفظ الأمن والإستقرار، ولقمع المتمردين الذين كانوا يتحينون الفرص لقطع الطريق والسطو على القوافل والمسافرين، وكانوا لا يكفون الأذى عن أهل القرى في تهامة، فكان لابد للدولة الطاهرية من فرض سيطرتها وهيبتها على تلك المناطق وعدم السماح للمفسدين بإلتقاط انفاسهم، وذلك بإخراج الحملات العسكرية المستمرة والمتلاحقة لتحقيق الأمن والسيطرة وضرب المعتدين.

وما زالت قوات الطاهريين تتعقبهم، حتى أذلتهم وكسرت شوكتهم، وذلك بسبب تمردهم المستمر وقطعهم للطريق، ونهبهم للناس وقد مرَّ معنا إرسال الملك المجاهد لهم بالكف عن ذلك وعدم إستجابتهم وشكوى أهل تهامة وأهل زبيد منهم، فكانت الدولة الطاهرية تتبعهم لكف أذاهم وتخليص الناس من شرورهم، وللإستشهاد على ذلك نكتفي بتوضيح العلامة المؤرخ عبدالرحمن بن الديبع لحقيقتهم وما كانوا عليه من الإفساد والزيغ والظلم للناس، وهو من أهالي زبيد ومن علمائهم البارزين ومن المعاصرين كذلك للدولة الطاهرية والعارفين بأحوال زبيد وتهامة وأهلها، وكان أقرب إلى الحقائق بحكم معايشته لها وللدولة ولأهل تهامة، يقول العلامة ابن الديبع رحمه الله: "فلما استقر الملك المجاهد

---

١ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٢.

بزبيد وطهرت بقاعها من أنجاس العبيد أرسل إلى المعازبة يدعوهم إلى الطاعة ويكفهم عن نهب المسلمين فأبوا".

ثم يبين ابن الديبع رحمه الله ما قام به الطاهريون من تصرف لإخضاع تمرد المعازبة ووقف سطوتهم ونهبهم للمسلمين، وإرغامهم بالطاعة: "واعلم أن الملوك بني طاهر مدة ولايتهم أدامها الله تعالى في كل سنة يجعلون مخرجاً إلى المدبي نخل المعازبة، سواء كان المعازبة مخالفين أو مؤالفين ويقطعون ثمره، وربما قطعوا بعض أصوله في بعض السنين، فلا نشغل به التاريخ إذ ليس فيه فائدة أكثر من العلم به، اللهم إلا أن تتعلق به فائدة أخرى فنذكره لها وفائدة قطعه في كل عام إذلالهم وتوطيتهم وإضعاف شوكتهم"[1].

وممن بين حقيقة فساد المعازبة وقطعهم للطريق ونهبهم للعباد العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي وهو كذلك من علماء زبيد وممن عاصر الدولة الطاهرية وقد توفي في عام ٩٠٤هـ، يقول العلامة الذؤالي رحمه الله: "ولما فرغ الملك المجاهد من تقرير حال البلد والنظر في مصالح المملكة، أرسل إلى المعازبة يدعوهم إلى الطاعة ويعلمهم أن مطلوبه منهم الكف عن الفساد وأمن الطرقات، فلم يجيبوا إلى ما سأل ونأوا عن الطاعة فآذنهم"[2].

وبهذا يتبين لنا أن الطاهريين لم يكن مقصدهم قتال المعازبة إلا بسبب تمردهم وإساءتهم للناس بقطع الطريق ونهبهم وسلبهم، فكان واجباً عليهم قتال المعازبة لردعهم وكف أذاهم عن الناس، وإخضاعهم للحق.

ويكفينا دلالة على ذلك شهادة من نقلنا كلامهم من علماءهم وهما العلامة المؤرخ عبدالرحمن بن الديبع الزبيدي والعلامة كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي وهما ممن أيد صنيع الملكين المجاهد والظافر تجاه المعازبة، وهما كما ذكرنا من العلماء المعاصرين للدولة الطاهرية، ومن علماء زبيد المشهورين.

ولهذا كان للملكين المجاهد والظافر حملات دائمة تخرج تقريباً في كل عام لتأديب المعازبة وذلك بسبب فسادهم المستمر وتعديهم على الخلق وقطعهم للطريق، بل إنه وصل بهم الفساد إلى أن يقتلوا القضاة

---

١ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٤.

٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٠.

ومن تعينهم الدولة الطاهرية لجباية الزكاة من كتاب الدولة وغيرهم من المشايخ، كما سيأتي ذكر ذلك معنا.

وقد كانت أول حملة على المعازبة كما مرّ معنا في يوم الإثنين خامس عشر من المحرم سنة ستين، وذلك حين استولى الملكين المجاهد والظافر على زبيد وقد مرّ معنا ذكر ذلك.

وكانت الحملة الثانية في أول شعبان من سنة إحدى وستين وثمانمائة كما مرّ معنا، واستمرت حملات الملكين المجاهد والظافر على المعازبة تقريباً في كل عام كما ذكر ذلك العلامة ابن الديبع، وذلك لإستمرارهم بالطغي والفساد في عصر الطاهريين.

وفي جمادى الآخر من سنة ٨٦٣هـ، غزا الأمير مُحَّد بن وهبان المعازبة وانتهبهم نحو سبعمائة رأس بقر[١].

وفي يوم الثلاثاء، خامس شهر رمضان من سنة ٨٦٤هـ، كانت فعلة أو وقعة الفرس والمعازبة بنخل وادي زبيد، وقتل من الفرس خمسة نفر[٢].

وبعد هذه الوقعة قدم الملك الظافر مدينة زبيد يوم الإثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور، وخرج يوم ثاني دخوله، إلى نخل المدبي وأقام فيها إلى الرابع والعشرين من شوال، وغزا الجحبة من هنالك وقتل منهم جماعة، ولزم آخرين وأخذ منهم خمسة عشر فرساً، وجملة ما ضرب من نخل المدبي في مدة إقامته خمسون ألف عود.

قمع بقايا العبيد المفسدين مع المعازبة والإستيلاء على حصن قمرة:

وفي رمضان أيضا من سنة ٨٦٥هـ، قدم الملك المجاهد مدينة زبيد، وخرج إلى نخل المعازبة، وعيد هناك عيد الفطر، ثم صالح المعازبة على تسليم الخيل التي معهم[٣].

وكان نية الملك المجاهد في نزوله هذا ومكوثه في مدينة زبيد حتى عيد الفطر، هو ترسيخ الحكم في مدينة زبيد وما حولها وتحقيق الأمن والإستقرار في مناطق تهامة، وكان من أعتى الخارجين على الدولة الطاهرية في مناطق تهامة في ذلك الوقت هم المعازبة والعبيد الذين خرجوا من مدينة زبيد فارين عند دخول الطاهرين إليها، فأما المعازبة فقد اصطلحوا مع الملك المجاهد ولم يبقى إلا جزءاً أو جماعة منهم وهؤلاء أنضموا مع العبيد، ثم إنهم تحصنوا بقرية اللوى وامتنعوا بها بحصن عظيم يُقال له حصن قمرة،

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٥.
٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٦.
٣ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع.

وانضم معهم كذلك قطاع الطرق وجماعة ممن عليهم جنايات، وظنوا أن لهم قوة بالباطل يمنعون به الحق ويفرون من العقاب.

وقد غزا الملك المجاهد علي بن طاهر عبيد اللواء، ثالث يوم من شوال من نفس العام فهزمهم وبدد شملهم، وأباد منهم أمماً وتسلم حصن قمرة من حصون اللواء فانحسمت مادة الشر، ثم دخل زبيد يوم الجمعة ثامن شوال، وقد كان هؤلاء العبيد من بقايا عبيد زبيد الذين فروا منها عند دخول الطاهريين إليها، وكانوا بعد خروجهم من مدينة زبيد قد أرتضوا لأنفسهم عيش السلب والنهب وقطع الطريق وإخافة السبيل والمسافرين، وقد أنضم إليهم وقوى من شكيمتهم جماعة من المعازبة.

يقول المؤرخ العلامة كمال الدين الذؤالي في تفاصيل هذه الحملة على العبيد المفسدين "ثم غزا الملك المجاهد من المدبي إلى قرية اللوى، وكان قد اجتمع بها خلق من العبيد المخرجين من زبيد، وكثر منهم السلب والنهب وإخافة السبيل وانضم إليهم طائفة من المعازبة، فتوجه إليهم في طريق ضيقة لا يمر فيها إلا واحد بعد واحد، حتى أن المحمل الذي ركب فيه الملك المجاهد لم يمكن إدخاله على هيئته حتى فرق شقين، وأظلم الليل على العسكر وهم في أثناء هذه الطريق الضيقة، فناموا على حالة غير طيبة حتى أصبحوا وتوجهوا نحو العدو، فنصر الله عليهم، وتفرقوا شذر مذر على أقبح حال، فأقام الملك المجاهد بقرية اللوى، وملك الحصن المطل على القرية المذكورة المسمى حصن قمرة، ورتب فيه طائفة من العسكر وانقطعت أطماع أهل الفساد وأرباب البغي والعناد من تلك الجهة، لأن الحصن وأهله كانوا معتمدهم ومأواهم، فحصل للمسلمين سرور عظيم، وابتهج الملك المجاهد بهذا الفتح وحمد الله وشكره على ما يسره له، والحمدلله رب العالمين"[1].

وبهذه الحملة انكسر المعازبة لسنين وضعفت شوكتهم وخف ضررهم لثلاث سنين على الأقل، فلم يُذكر تعدي لهم حتى عاودوا ذلك بعد ثلاث سنين، بل إنه لم يعاود السلب والنهب إلا جماعة منهم فقط وبالتعاون مع بعض القرشيين الذين وافقوهم في السلب والنهب.

وكان هذا التعدي من قبل بعض المعازبة في ذي القعدة من سنة ٨٦٨هـ، فقد نهب جماعة من المعازبة من أهل المدبي، من قرابة العجيلي، وغيرهم وجماعة من القرشيين قرية التُّحيتا، وهي قرية الشيخ ابن بكر بن حسان، وقتلوا اثنين من أهلها، وهجمو تربة الشيخ أبي بكر بن حسان[2].

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٦.

٢ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٣.

قتل المعازبة للقاضي عبدالقادر بن الجمال مُحَّد اسحاق: وفي ربيع الأول من سنة ٨٦٩هـ، خرج شرذمة من المعازبة وقتلوا القاضي عبدالقادر بن الجمال مُحَّد اسحاق الوزير وكان صهر السلطان الملك الناصر وممن قتل كذلك علي بن جعفر النخلي، وكان يخرج كل عام إلى نخل المدبي يعده ويجني أمواله وقد قتلا في جماعة معهما، وكان المعازبة قد أضمروا الغدر به غير مرة، فلما فرغ أجله قتلوه، ومثلوا به وقتلوا حماره بيده[1].

وكان سبب هذه الوقعة أنه خرج من الكتاب في عسكر قليل لمباشرة زرع ببلد المعازب ونخل المدبي، والملك المجاهد وأخوه إذ ذاك مشتغلان بحرب صنعاء، وقد أثار مقتل القاضي عبدالقادر غضب الطاهريين من المعازبة، وكان هذا سبباً لعدة حملات على المعازبة.

فغزاهم أحمد بن عيسى الهبل القرشي في جماعة من أصحابه، وقتل منهم اثنين وغزاهم الأمير أحمد بن شقراء، وأحرق بلادهم.

ثم جمع ابن سفيان جموعاً كثيرة وجاءته معونة من الجبل، فخرج إلى قرية المرة، ثم إلى بيت الفقيه ابن عجيل واستقر هنالك، وغزاهم وقتل منهم جماعة وأسر آخرين.

وفي جمادى الأولى قبض ابن سفيان على الشيخ مُحَّد بن يوسف بن الزقاق شيخ المعازبة المدبي، بغير سبباً ظاهر لأن المذكور كان ناصحاً للدولة قائماً بمصالحها، وكان القبض عليه بقرية بيت الفقيه ابن عجيل، وربما أن الشيخ ابن سفيان قبض على الشيخ مُحَّد بن يوسف الزقاق لكونه شيخ المعازبة، وقد يكون تقاعس عن منع أصحابه من التعدي أو أنه لم يقم بواجبه كما ينبغي من منعهم وقتال المفسدين وقُطاع الطرق، وقد يكون هذا ضغط من قبل الشيخ ابن سفيان على شيخ المعازبة ابن الزقاق لكف أذى المفسدين منهم[2].

ويقال إن الذي غمز عليه الفقيه مُحَّد بن الأمين، لأن المذكور كان لا يقيم له وزناً، وكان الملك المجاهد عالماً بمناصحة ابن الزقاق لا يقبل فيه قول أحد، ثم حمل مقيداً إلى زبيد فتكلم أولاً جماعة الذين يعلمون محبته ونصحه مع الملك المجاهد منهم القاضي شمس الدين المقري وغيره، فأفلته من القيد ولم تطل مدته بعد ذلك، وكان المذكور قد حكم على قرابته واستخرج للدولة أموالاً جمة وجمع هو لنفسه

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٦.

٢ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٤.

مالاً عظيماً أودعه جماعة، فلما مات جحده أكثرهم وأجود الجماعة الشيخ الشنيني، فإنه سلّم ما عنده إلى ورثته، ثم أودع ذلك المال عند الفقيه إبراهيم بن جعمان، فصرفه على ورثته إلى أن نفذ[1].

وفي شهر ذي الحجة منها كانت واقعة الشبارق قتلت فيها المعازبة من عبيد السيد وأهل التربية نحو الثلاثين، وفيهم النقيب اسماعيل بن أحمد بن أقبال[2].

وفي منتصف ربيع الأول سنة ٨٧٠هـ، ضايق الشيخ علي ابن سفيان حصن الشريف، وهو من الحصون المنيعة والمعاقل النافعة ونصب عليه الحرب من جهة ما كان يقابل الحصن المذكور، ولم يزل كذلك إلى أن سلموه الحصن المذكور، فتسلمه ورتب فيه رتبة جيدة، وكان هذا الحصن مأوى لأهل الفساد والمتمردين، ولا يزال في حماية هذا الحصن جماعة من المفسدين ومن ينهبون ويخيفون السبيل، فكفى الله شرهم وهدم ركنهم[3].

ثم إن الشيخ علي بن سفيان عمره وعمر حصناً آخر بموضع يسمى القاهرة تحت الحصن المذكور فعظم النفع به وحسن وقعه وجعل فيه رتبة نافعة.

ثم إن الشيخ علي بن سفيان خرج من زبيد إلى ناحية بيت الفقيه ابن عجيل فمر بقرية المعازبة وهي الحسينية.

وغزا المعازبة وجمعهم متوفر وقد ملأت مواشيهم الفجاج، فقتل منهم جماعة، وانتهب ما معهم من المواشي وغيرها، وهم إذ ذاك بقرية الحسينية[4].

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٦.
٢ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٤.
٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٦.
٤ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٥.

المطلب الثاني

تمرد قبيلة القرشية وبقية قبائل تهامة

الأصل أن قبائل القرشيين[1] كانوا من المبايعين للدولة الطاهرية، ولم يحصل منهم مخالفة للدولة الطاهرية ابتداءً، وقد بايعوا الملك المجاهد عند قدومهم إليه في تعز، فحلفوا له على ما أحب فأكرمهم ووعدهم بكل جميل.

ولعل أول مخالفة لهم كانت بعد وفاة شيخهم الصديق بن مُحَمَّد بن غراب، ففي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي الحجة من عام ٨٦٠هـ، فقد توفي شيخ القرشيين الصديق بن مُحَمَّد بن غراب[2].

وبعد موت شيخ القرشيين مباشرة اختلف القرشيون فيما بينهم وضعفت شوكتهم، وانقلبوا على بني طاهر وخرج جماعة منهم عليهم وتمردوا، وأفسد سفهائهم في الأرض.

ثم أن الملك المجاهد قدم إلى زبيد في يوم الجمعة خامس المحرم سنة ٨٦١هـ، قدم الملك المجاهد إلى زبيد، وطالب بالمفسدين من القرشيين، فأستجاروا عند الشيخ اسماعيل الجبرتي فقبض خيلهم ثم ردها لهم، ورفع أيديهم عن نخل الوادي زبيد ورده على أهله[3].

"ثم ضمن مشايخهم بما يحدث من شرهم فرد خيلهم ورسم المجاهد على القرشيين بأن يضربوا الملاك النخل بسهم في ثمرته وكان بأيديهم مدة ففعلوا ذلك مدة ثم أمر برفع أيديهم من نخل الوادي زبيد بالكلية فتصرف الناس في أملاكهم"[4].

وفي سنة ٨٦٢هـ منع الملك المجاهد القرشيين ولم يعطهم من مال النخل شيئا، بل قيد منهم جماعة وطلع بهم المقرانة، منهم عفيف بن غراب وعبدالعليم الهبل والبيذق ومُحَمَّد بن عفيف الأحدب من القرشية[5].

---

١ القرشيون: قبيلة من الأشاعرة هم القِراشية القاطنين في غربي مدينة زبيد، وهي قبيلة كبيرة كانت من أقوى قبائل تهامة وأكثرها عدداً وأعظمها بأساً ونجدة، ومن فروعهم بني غراب وبني الهبل وبني أبكر وبني الخبيتي وبني دعسين، ومن قراهم البكيرية والقاسمية والهبيلية والمدمن والمجيليس والفازة وإليهم يُنسب الفقيه حسن بن مفرح القرشي، وهو من علماء الشريعة في القرن السابع الهجري. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٢٦٣/٢. ويقال بأن أصولهم ترجع إلى قبيلة قريش. أنظر: ابن المجاور، ٣٨/٢.

٢ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٥.

٣ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٣.

٤ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٨.

٥ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٥، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٠.

وفي سنة ٨٦٢هـ ثارت فتنة بين قبيلتين من القرشيين فيما بينهم، وهم بنو بكر وبنو علي، "ففي ثالث عشر من ذي الحجة من سنة ٨٦٢هـ ثارت فتنة بين القرشيين وهم بنو علي وبنو بكر فالتقوا بقرية القرشية فانهزم بنو بكر وقتل منهم ستة ونهبت بيوتهم وأحرقت وخرجوا إلى قرية المرة"[١]، وخرج بنو بكر من القرشية[٢].

ثم إن الملك المجاهد دخل زبيد في عشية السبت ثامن ربيع الأول سنة ٨٦٣هـ، وفي أول ربيع الثاني صالح بين القرشيين، ورد بني بكر إلى القرشية بعد أن خرجوا منها، وأمرهم أن يسكنوا قرية القرشية جميعا، وأهدر ما بينهم من القتلى وغير ذلك وولى مُحَّد بن وهبان أحكام زبيد[٣].

وفي رمضان سنة ٨٦٣هـ، دخل الملك المجاهد زبيد، ورسم على جماعة من القرشيين وقيد بعضهم، وصادرهم في عشرين ألف دينار[٤].

وفي جمادى الأخرى غزا ابن سفيان العبيد العامريين، وهم في مخلاف منيع فدخل عليهم، وبدد شملهم، وقيد منهم جماعة وانتهب بلادهم، واخذ حصن الضامر الذي لا يمكن أخذه، فانهد ركنهم وانكسرت شوكتهم[٥].

أهم نتائج الإستيلاء على زبيد والمدن التهامية ووديانها:

أولاً: توحيد الأراضي اليمنية وذلك بضم المناطق التهامية والمناطق الجنوبية تحت سلطة واحدة وهي سلطة ابني طاهر بقيادة الملكين المجاهد علي بن طاهر وأخيه الملك الظافر.

ثانياً: إزالة الفساد والبغي ورفع المظالم عن أهل زبيد ويبدو ذلك جلياً من الظلم الذي كان واقعاً على زبيد ورفع ذلك إلى الملكين ابني طاهر من قبل أهل زبيد عند قدومهم إليه وهو في عدن، وكان على رأس القادمين إلى بني طاهر وإعلان تأييدهم لآل طاهر وترغيبهم بدخول زبيد أعيان وفقهاء وقضاة ومشايخ مدينة زبيد وكان مدار أمر أهل زبيد على قاضي القضاة جمال الدين مُحَّد الطيب بن أحمد الناشري، وشيخ المشايخ شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي، فكتبوا إلى المشايخ فأجابوهم إلى ما سألوا من الوصول إلى تهامة وإنقاذ المسلمين مما هم فيه من الخوف.

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٥.
٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٥.
٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٥.
٤ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٥.
٥ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣٥.

ثالثاً: بيان الطاهريين لمقصدهم من نزول مدينة زبيد وسبب دخولها، وقد اتضح ذلك من صنيع الملك المجاهد فقد كان أول ما قام به عند دخوله مدينة زبيد هو أن ردّ للناس أموالهم المغصوبة مع العبيد وغيرهم، وقام بحجة العامة والخاصة، وقال للناس: ليس لي حاجة في النزول إليكم إلا أمانكم وكشف ما حلّ بكم من العنف والعسف.

بل إنه لم يكتفي بذلك بل حثهم عل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقمع المتمردين والدفاع عن أنفسهم ضد المفسدين فأمرهم بحمل السلاح والذّب عن أنفسهم وإنكار ما يرونه منكراً والمعاونة والمعاضدة[1].

رابعاً: قمع التمردات في تهامة والخارجين على الدولة وكان على رأس هؤلاء المتمردين قبائل المعازبة والذين كانوا يفسدون وينهبون الناس ويقطعون الطريق، وقد بين حالهم العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي فيقول: "ولما فرغ الملك المجاهد من تقرير حال البلد والنظر في مصالح المملكة، أرسل إلى المعازبة يدعوهم إلى الطاعة ويعلمهم أن مطلوبه منهم الكف عن الفساد وأمن الطرقات، فلم يجيبوا إلى ما سأل ونأوا عن الطاعة، فآذنهم بالحرب وتوجه إليهم غازياً "[2].

خامساً: انتهاء أمر العبيد والمماليك والذي كان قد استفحل أمرهم وأشتدت وطئتهم على أهل زبيد، يقول الشيخ كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي وهو من علماء وفقهاء زبيد وممن عاصر هذه الأحداث في ذلك الوقت وعاصر بداية نهضة الدولة الطاهرية وكتب عنها: "وكانت مدينة زبيد قد كثر فيها الفساد من العبيد".

سادساً: العفو والإحسان إلى معارضيهم في زبيد وكانت هذه سياسة الطاهريين كما سبق معنا توضيح ذلك عند دخولهم إلى عدن، فقد أحسنوا إلى الملك المؤيد عند دخولهم إلى مدينة زبيد، والذي سبق وأحسنوا إليه في عدن رغم محاولته الثانية لمعارضتهم مما أقنعه بالخروج من اليمن نهائيا وهجرته إلى مكة ومن ثم إلى مصر، وقد أحسنوا كذلك لمعارضيهم في زبيد من مشايخ القبائل المعارضين والعبيد والمماليك وأطلقوهم ولم يقتلوا إلا من كان قاتلاً أو داعياً إلى إثارة فتنة.

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٣.

٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٣.

الفصل الرابع
الإستيلاء على الشحر وحضرموت وظفار

كانت من أبرز المناطق والأقاليم الإستراتيجية في اليمن في ذلك العصر مدينة الشحر وأقليم ظفار، ولعل أبرز ما جعل بني طاهر يفكرون في الإستيلاء على أقليم ظفار ومدينة الشحر وحضرموت، هي الأطماع التي أبداها أمير الشحر في ذلك الوقت وهو أبي دجانة من نيته الإستيلاء على عدن، وخاصة بعد توسع إمارته وبعد أن أطمعه في ذلك بعض زعماء قبيلة يافع وهم آل كلد، والذين نزحوا إلى مدينة الشحر بعد أن نفاهم بني طاهر منها، إلا أن بادجانة خسر ملكه وإمارته بسبب سوء تصرفه، وفي هذا الفصل سنوضح الأهمية الإستراتيجية لمدينة الشحر ومكانتها قبل دخول بني طاهر إليها في مبحث أول، ثم نبين في مبحث آخر أطماع بادجانة في الإستيلاء على عدن، والتي انتهت بخسارته للشحر ولأقليم ظفار وحضرموت، ثم نوضح استخلاص والدة أبو دجانة لإبنها من الأسر مقابل تسليم الشحر، في أربعة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: الشحر قبل الطاهريين

المبحث الثاني: محاولة بادجانة للإستيلاء على عدن

المبحث الثالث: هزيمة بادجانة ووقوعه في الأسر

المبحث الرابع: تنازل بادجانة عن الشحر للدولة الطاهرية

المبحث الأول
الشحر قبل الطاهريين

أولاً: تاريخ وحال الشحر قبل دخول الطاهريين إليها: الشحر[١] مدينة تقع في شرق اليمن على سواحل حضرموت[٢] وتقع بين المحيط الهندي والبحر الأحمر فهي بين عدن وعُمان على بحر العرب، وهذا الموقع جعلها مركز إتصال بين الهند وأفريقيا الشرقية وبلاد الصومال جنوباً ومصر غرباً، ويعتبرها أهل السفن الموقع الوسط في رحلاتهم الذاهبة شرقاً والقادمة من الغرب.

وتعتبر هي الميناء البحري الوحيد في عصر الدولة الرسولية والطاهرية وما قبلها من دول سابقة، المزود لجميع مناطق حضرموت الداخل بالمؤن والبضائع.

---

١ الشحر: بكسر أوله وسكون ثانيه قال الشحرة الشط الضيق والشحر الشط وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن قال الأصمعي هو بين عدن وعمان قد نسب إليه بعض الرواة وإليه ينسب العنبر الشحري لأنه يوجد في سواحله وهناك عدة مدن يتناولها هذا الإسم. أنظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، طباعة دار الفكر بيروت لبنان، ٣٢٧/٣.

٢ حضرموت: صقع مترامي الأطراف في شرقي اليمن، يشكل في أعماله اليوم واحدة من محافظات الجمهورية، قيل أن اسمه القديم وادي الأحقاف استناداً إلى قوله تعالى: "وأذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف"، وأشار المسعودي في كتابه مروج الذهب إلى أن التسمية عائدة إلى الملك حضرموت بن قحطان بن عابد بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح الذ أقام دولته على أنقاض دولة عاد، وأن هذه الدولة تأسست قبل ثمانية عشر قرناً من ميلاد المسيح، وقيل أنها سميت حضرموت لسبب ذكره بعض المؤرخين وذلك أن عامر بن قحطان أول من نزل الأحقاف فكان إذا حضر حرباً أكثر من القتل، فصاروا يقولون عند حضوره حضر موت، ثم صار ذلك عليه لقباً وصاروا يقولون للأرض التي بها قبيلته هذه حضرموت، وقد سكن بحضرموت في الجاهلية الصّرْدف وكانت تُجيب، أهم عشائرهم وقتئذ، ثم تغلب عليها الحميريون واستولوا عليها وحكموا ريدان وسبأ وبعد ظهور الإسلام تناولتها أيدي الخلفاء الراشدين ثم خلفاء الدولتين الأموية والعباسية، وبعد أن استقل محمد بن زياد بزبيد امتدت يده إلى حضرموت، ثم خلف زياد بنو معن ملوك عدن، ثم عادت لآل رشيد بطن من كندة وعارضهم عثمان الزنجاري من قبل بني أيوب، ثم امتدت إليها يد السلطان المظفر عمر بن علي بن رسول فمن بعده، وجرت عليها إمارة آل الصبرات وآل يماني وآل راصع، ثم غلبت عليها إمارة آل كثير وعارضهم غيرهم، وقد انتسب إلى حضرموت جمع غفير من العلماء والأدباء والفقهاء والشعراء والأعيان، ومن هؤلاء وائل بن حجر الحضرمي أحد أقيال حضرموت المشهورين وقد شهد الإسلام وكان على رأس وفد حضرموت الذي وفد على الرسول ﷺ وقد قال فيه الرسول: "هذا وائل سيد الأقيال"، ومن أشهر القبائل التي تعيش في حضرموت اليوم قبائل الصيعر والكرب وسيبان ونوح والخنابشة والمناهيل والحالكة والعوابثة وآل كثير وآل جابر والعوامر والجعدة ويافع بني أرض وغيرهم، وتنقسم حضرموت جغرافياً إلى شطرين حضرموت الساحل وحضرموت الوادي، ويشمل الساحل مدينة المكلا العاصمة وكذا وادي حجر وغيل باوزير والشحر والريان وبروم ووادي المسيلة وغيرها وأما الشطر الداخلي فيمتد من الصيعر إلى المهرة شرقاً ويضم عدة وديان منها وادي دوعن ووادي عمد ووادي العين ووادي وغيرها، وأشهر بلدانه شبام وتريم وسيئون والغرفة والقطن وغيرها، وتمتلك حضرموت أرثاً حضارياً عظيماً يعود إلى عصور ما قبل التاريخ لا يتيح لنا المجال للإشارة إلى تفاصيله. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٤٧٦/١.

وكانت حدود الشحر الساحلية قديماً تمتد على الشريط الساحلي من عُمان شرقاً إلى أبين غرباً كما ذكر صاحب المنجد، فهي تجمع ظفار[1] وبلاد المهرة[2]، وريدة بن عبدالودود وقصيعر وقرن الديس والمدينة وملحقاتها ومدينة الحامي ومدينة الشحر وشحير وروكب والمكلا وبروم وبلحاف وشقرة وهكذا في استمرار الشاطئ حتى أبين.

فكانت الشحر إذا أطلقت قديما يقصد بها جميع المناطق والشريط الساحلي من ظفار إلى أبين وعاصمتها مدينة الشحر التي لم يكن مدينة أهم منها في ذلك الوقت، ولم تكن مدينة المكلا ومينائها موجودة ومشهورة آنذاك.

ولهذه الأهمية كانت الشحر محط أنظار كل من كان يحكم اليمن فقد كانت تابعة لليمن منذ بداية الإسلام وكانت الشحر في عهد الدولة الأموية والعباسية تخضع لحكم والي اليمن المعين من قبل الخلافة الإسلامية، وكان الولاة يعهدون بحكم الشحر لولاة من كندة، وأول دولة من كندة جعلت الشحر عاصمتها وغير خاضعة لوالي اليمن هي دولة آل فارس عام ٤٨٧هـ.

---

١ ظفار: اسم مشترك بين محلات كثيرة، منها ظفار الحبوظي مدينة على ساحل حضرموت بالقرب من عمان، وظفار المشهورة اليوم فليست إلا مدينة على ساحل البحر الهندي بينها وبين مرباط خمسة فراسخ وهي من أعمال الشحر، وقريبة من صحار بينها وبين مرباط، وحدث رجل من أهل مرباط أن مرباط فيها المرسى وظفار لا مرسى بها، وقال لي إن اللبان لا يوجد في الدنيا إلا في جبال ظفار وهو غلة لسلطانها وأنه شجرة ينبت في ذلك الموضع مسيرة ثلاثة أيام في مثلها، وعنده بادية كبيرة نازلة ويجتنيه أهل تلك الناحية وذاك أنهم يجيئون إلى شجرته ويجرحونها بالسكين فيسيل اللبان إلى الأرض ويجمعونه ويحملونه إلى ظفار فيأخذ السلطان قسطه ويعطيهم قسطهم ولا يقدرون يحملونه إلى غير ظفار أبداً وإن بلغه عن أحد منهم أنه يحمله إلى بلد غيره أهلكه، ونسب إلى ظفار الحبوظي الخطيب أبو جعفر بن فارس القحطاني وابنه الخطيب عمر. أنظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، محمّد بن أحمد الحجري، ٥٦٦.

٢ المهرة: قبيلة كبيرة تنتمي إلى قضاعة من حمير، وهو عند النسابة مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ، ويطلق اسم القبيلة على محافظة المهرة التي تقع في الزاوية الشرقية من اليمن، على طول الأرض الموازية للبحر العربي فيما بين حضرموت وعمان، كما تمتد في الداخل شمالاً لتشمل جزءاً من الربع الخالي، وقبائل المهرة كثيرون منهم آل اليزيدي في سيحوت وآل بن كلشات بالغيضة وحصويل وآل بن زعبنات ببادية الغيضة وآل عفرار وفيهم الزعامة وغيرهم، ولقبائل المهرة لغة غير العربية يقال أنها لغة عاد، وتتميز المهرة بشريط ساحلي رملي وهضبة جبلية تنتهي بمناخ معتدل على نفس الشريط، وصحراوي على الشريط الصحراوي، ويمتد ساحل المهرة على طول ٥٥٠ ميلاً، ويختزن بحر هذه المحافظة أصنافاً عديدة من الثروات السمكية خصوصاً أسماك الشروخ الصخري، وفي الجانب الزراعي تشتهر بزراعة الذرة الرفيعة والدخن، وتعد شجرة اللبان أهم المحاصيل الزراعية في مرتفعات وجبال حوف، وهي الشجرة التي استمدت أهميتها التاريخية كسلعة مقدسة في العصور القديمة، وتشتهر بالعديد من المعالم الأثرية المنتشرة في أغلب المديريات والمناطق، ومنها موقع أيروب المشهور بالقبب السبعة والموجود جوار مدينة الغيضة على بعد ١٥ كيلو متر، وكذا ميناء دمقوت القديم الذي كان يختص بتصدير اللبان في العهود القديمة، كما توجد عدد من الحصون والقلاع الأثرية مثل حصن الكافر في حيريج وحصن بيت السويري في منعر وحصن دمقوت الذي اشتهر في مقاومة الغزو البرتغالي، وكذا المغارات في حبروت وشحن وفيها بقايا كتابات سبئية، وقد كانت سيحوت من المدن القديمة المعروفة قبل الإسلام، ثم صارت بعد الإسلام عاصمة لدولة محمّد سعيد بادجانة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٦٧٤/٢.

ثم وقعت الشحر تحت حكم ابن مهدي اليمني في عام ٦١٥هـ، ثم استولى عليها الأمير سالم بن أدريس الحبوظي القادم من ظفار.

وفي عام ٦٨٧هـ هجم بنو رسول حكام اليمن في ذلك الوقت على ظفار واعتقلت جميع أسرة الحبوظي وقتل الأمير سالم الحبوظي في معركة ضارية وانتهت إمارة آل الحبوظي وابتدأت سلطة الدولة الرسولية في الشحر وحضرموت[1].

ثانياً: إمارة مُحَّد سعيد بادجانة: آل بادجانة كانوا نواب وولاة الدولة الرسولية في الشحر وظفار، وقبيلة آل بادجانة من كندة والمهرة أخوالهم، وقد حكم الأمير سعيد بن مبارك بن فارس بادجانة الكندي الشحر نحو عام ٨٣٦هـ بعد ضعف حكم بني رسول حكام اليمن آنذاك، إذ كانوا ينيبون عنهم أمراء لحكم البلاد وإرسال الإتاوات إلى العاصمة تعز بعد أن جعلوها عاصمتهم بعد زبيد.

وقد حاول الرسوليون استعادة الشحر في عصر الملك الظاهر ابن الأشرف فأرسلوا حملة عسكرية لقتال الأمير سعيد بن مبارك بادجانة، إلا أن حملة الظاهر باءت بالفشل، وظلت الشحر تحت سيطرة الأمير سعيد بادجانة إلى أن توفي سنة ٨٦١هـ ثم تولى بعده ابنه مُحَّد بن سعيد بادجانة[2].

وفي عهد مُحَّد بن سعيد بن بن مبارك بن فارس الكندي المعروف بإسم مُحَّد بن سعيد بادجانه توسعت هذه الإماره وساعده على ذلك ضعف الدولة الرسولية وقد استقر آل بادجانة بمدينة الشحر سنة ٨٣٦هـ وجعلها الأمير مُحَّد بن سعيد بادجانة مركزاً لإمارته بدلاً من حيريج.

وبعد سقوط الدوله الرسولية وقيام الدوله الطاهرية وإستيلائهم على عدن سنة ٨٥٨هـ، كانت أحوال عدن في اضطراب والدولة الطاهرية في بداية نشأتها كانت تعاني من محاولة السيطرة على أنحاء اليمن وإرساء الأمن، وتحقيق الإستقرار في مناطق اليمن.

وسبق بأن ذكرنا بأن قبائل يافع "آل أحمد، آل كلد"، كانت المسيطر الحقيقي على عدن وهم الذين مكنوا الرسوليين من قبل من السيطرة عليها وكان يقوم آل أحمد بحراسة المدينة وأسوارها وحصونها بينما يقوم آل كلد بجمع الضرائب داخل المدينة من التجار بالإضافة إلى دور الشرطة في المدينة، وقد دخلها الطاهريين الملك المجاهد علي بن طاهر والملك الظافر عامر بن طاهر ولكن بمساعدة آل أحمد فقط، وعلى إثر ذلك وبحسب الإتفاق مع آل أحمد وشرطهم بخروج وإجلاء آل كلد، تشرد آل كلد إلى

---

١ الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء اليمن الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص٣٠ وما بعدها.
٢ باختصار من كتاب: الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، ص ٣٦.

حاضرتهم خنفر ومنهم من ذهب إلى المكلا بقيادة مبارك بن صالح الثابتي الكلدي وجيشان السنيدي الكلدي[١].

كل هذه الأمور والتي كانت في بداية نشأة الدولة الطاهرية أغرت الأمير مُحَّد سعيد بادجانه ودفعته للتفكير في إحتلال عدن وزادت رغبته في إحتلال عدن بعد الفتنه الداخليه التي شهدتها عدن بين القبائل اليافعية "آل أحمد وآل كلد" ومناصرة الطاهريين لآل أحمد وتوجه الشيخ مبارك الكلدي إلى الشحر داعياً أبادجانه لإحتلال عدن واعداً إياه بالدعم والمساندة.

وقد كان وصول آل كلد بزعامة مبارك بن صالح الكلدي وجيشان السنيدي قبل وفاة الأمير سعيد بن مبارك بادجانة، ومن خلال بقائهم قريبون من الأمير أغروا الأمير با دجانة على التحالف معهم لإستعادة عدن من أيدي الطاهريين، لكنه توفي في الوقت الذي أبدى به استعداده[٢].

وعندما تولى الأمير مُحَّد بن سعيد بادجانة بعد والده، كانت هناك عدة عوامل دفعته إلى الإستيلاء على عدن:

العامل الأول: سقوط عدن بيد الطاهريين، وإنتهاء وسقوط الدولة الرسولية مع سقوط عدن، مما شجع الأمير بادجانة إلى التفكير بالإستيلاء على عدن، لأهميتها الإقتصادية والعسكرية والسياسية، ولأنه كان يطمح للإستيلاء على الساحل الجنوبي لليمن بأكمله وضمه لإمارته في الشحر.

العامل الثاني: ضعف الدولة الطاهرية في تصور بادجانة ولا سيما أنها في بداية نشأتها، وكانت معاركها وحروبها كثيرة وفي عدة جهات من اليمن، مما شغلهم وشتت قواهم في عدة مناطق وأماكن لمحاولة السيطرة على أكثر وأهم المناطق والمدن اليمنية.

العامل الثالث: إغراء القبائل اليافعية لمحمد بن سعيد بادجانة وعلى رأسهم قبيلة آل كلد التي خرجت من عدن إلى الشحر، وكانت لها أهدافها بإستعادة مكانتها في عدن، وقد عرضت عليه التحالف والقتال معه بجميع رجالها وعلى رأسهم زعماء آل كلد الشيخ مبارك الثابتي الكلدي وجيشان السنيدي الكلدي.

كل هذه العوامل وغيرها دفعت بادجانة للتصور بأن قواته بالتحالف مع آل كلد وغيرهم من القبائل تستطيع الإستيلاء على عدن، وإخراج بني طاهر منها.

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦، وقائع من تاريخ يافع، محسن ديان، ص١٥٣.

٢ وقائع من تاريخ يافع، محسن ديان، ص١٥٤.

المبحث الثاني

محاولة بادجانة للإستيلاء على عدن

أولاً: إستعداد بادجانة للإستيلاء على عدن: بعد خروج وإجلاء آل كلد من عدن على أيدي الطاهريين وبحسب الإتفاق مع الطاهريين وآل أحمد مقابل مساعدتهم في دخول عدن، توجه الشيخ مبارك بن صالح الثابتي الكلدي والشيخ جيشان السنيدي زعماء آل كلد إلى الشحر، وهدفهم دعوة أبادجانه لإحتلال عدن واعداً إياه بالدعم والمساندة.

وبسبب توافق الأهداف والطموحات لدى بادجانة وآل كلد، فإنه قد حصل بينهم تقارب كبير نتج عنه بأن يكونوا قريبين من الأمير ومن رأس السلطة، بل إنه جعلهم من قيادات دولته فعندما تولى الأمير مُحَمَّد بن سعيد إمارة الشحر بعد وفاة والده عين الشيخ مبارك نائباً له ومستشاراً خاصاً، وكذلك عين جيشان السنيدي قائداً لجيشه في إمارة الشحر[1].

وكل ذلك بسبب إطماعهم له بالإستيلاء على عدن وخط الملاحة من الشحر إلى عدن، "وذلك أن يافع الذين خرجوا من كلد وغيرهم حسنوا له ذلك، ورغبوه في أخذها، وزعموا أنهم يعرفون مواضع يُدخل منها إلى البلد من غير الأبواب، منها الموضع الذي فيه الحصن المعروف بالقفل، ولم يكن إذ ذاك به حصن، وإنما بني بعد ذلك، وسمي بالقفل لأنه كالقفل على المدينة[2].

وقد ظهرت رغبة بادجانة في إحتلال عدن على أن تكون قبيلة كلد اليافعية عوناً له، وعلى رأسها زعمائها الداعين له للإستيلاء عليها، وهم كما ذكرنا الشيخ مبارك بن صالح الثابتي الكلدي وجيشان السنيدي.

قطع خط الملاحة البحرية إلى عدن: وقد بدأ الأمير بادجانة بتحقيق أطماعه تلك بالفعل، وكانت أول خطوة قام بها هو قطع خط الملاحة البحرية الموصل من الهند وشرق آسيا إلى عدن والبحر

---

١ وقائع من تاريخ يافع، محسن ديان، ص١٥٦.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦.

الأحمر، وذلك بتلقي السفن التجارية على خط الملاحة البحري ومنعها من الوصول إلى عدن، وبهذه الطريقة يضيق على الدولة الطاهرية ويحاصرها اقتصادياً من وصول البضائع والتموينات والموارد المالية إليها، مما يؤدي إلى تعطيل حركة التجارة والنقل في ميناء ومدينة عدن، وبالتالي سيؤثر ذلك سلباً على اقتصاد الدولة الطاهرية.

وينقل لنا المؤرخ ابن الأنف القرمطي هذا الحدث فيقول: "وكان صاحب الشحر قد قطع السفن عن الوصول إلى ثغر عدن، وتلقاهم بالسفن في البحر يصدهم من الوصول ببندر اليمن، فشق ذلك على علي وعامر وأرادا أن يجهزا السفن إليه ويملأها من العساكر[١]".

وملوك الدولة الطاهرية وخاصة الملك عامر بن طاهر يعرف تماماً مدى تأثير هذا الحصار البحري وقطع خط الملاحة البحرية من الهند وشرق آسيا إلى عدن، فقد كان متمرساً بالتجارة قبل سيطرتهم على عدن، وكان كثير التردد إلى عدن للتجارة قبل أن يستولي عليها، كما ذكر ذلك المؤرخ العلامة الطيب بامخرمة، وقال إنه أخبره عبدالله بن مُحَمَّد بافضل الملقب بامشتير وكان ثقة قال: دخلت عدن مراراً من طريق البر في قافلة عامر بن طاهر للتجارة قبل أن يلي[٢].

لذلك كان بني طاهر يعلمون أهمية عدن الإقتصادية والتجارية، فكان لابد لهم من السيطرة عليها لتكون مصدراً للدخل الإقتصادي ليتمكنوا من إدارة دولتهم، وخاصة انهم كانوا وخاصة أنهم كانوا وكلاء للدولة الرسولية في تجارتهم بعدن ونواباً لهم في جباية ضرائب ميناء عدن[٣].

وإزاء هذا الطموح في الإستيلاء على عدن، جهز الأمير مُحَمَّد بن سعيد بادجانة ما جمعه من عسكر من المهرة ويافع والحموم، وجهز سفناً بحرية تقدر بتسع سفن مجهزة بالغذاء والعتاد[٤]، وذكرت بعض المصادر أنها حوالي إثنى عشر سفينة[٥].

إعتراضات ونصائح: وقد اعترضت والدة مُحَمَّد بن سعيد بادجانة ابنها مُحَمَّد على هذا الزحف وكانت معاشرية مهرية ذات ذكاء ورجاحة عقل[٦]، إلا أن بادجانة أصر على رأيه ولم يستمع لنصيحة والدته،

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٥.

٢ قلادة النحر، الطيب بامخرمة، ٤٣٨/٦.

٣ عدن في عهد الطاهريين، عباس علوي، ص٣٣.

٤ الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص٤٧.

٥ الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، ص ٣٦.

٦ الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، ص ٣٦.

والذي كان لها دور كبير في إدارة شئون الحكم والبلاد، وخاصة بعد وقوع بادجانة في الأسر بعد حملته الفاشلة للإستيلاء على عدن.

وممن أعترضه كذلك قاضي الشحر القاضي سليمان بن عبود ابن تائه الشحري الذي لم يحبذ هذه الفكرة ومبرراتها، ومال إلى أهمية العمل على تحصين الشحر وحمايتها من أي غارات كإجراء احترازي، ثم مصالحة الطاهريين وخلق علاقة حسن الجوار[١]، فاستاء بادجانة من إعتراض قاضيه ولم يستجب لنصائحه، بل إنه لم يكتفي بعدم الأخذ بنصيحته ولكنه سجنه بسجن البلد حتى مات القاضي ابن تائه رحمه الله في سجنه[٢]، وعين بدلاً منه وزيراً مهرياً يوافقه في رأيه[٣].

وقد يكون القاضي ابن تائه قد دعا على ابن دجانة مما لاقاه من ظلم قبيح، فأُستجيب لدعوته.

ولم يكن القاضي ابن تائه أول من تعدى عليه بادجانة، بل إن ذلك كان ديدنه فقد تعدى بادجانة على أحد العلماء، وهناك رواية تقول إن بادجانة قبل تحركه للإستيلاء على عدن وأثناء استعداده لذلك قد أساء الأدب مع أحد الأولياء، يقول ابن الديبع رحمه الله عن تصرف بادجانة مع أحد العلماء: "ولم يكن أهلاً لذلك ولكنه أساء الأدب على بعض الأولياء فدعا عليه فتحرك حركة انعكست عليه"[٤].

ويقول المؤرخ كمال الدين الذؤالي: "وكل ما جرى على أبي دجانة من كرامات الشيخ الكبير السيد الشهير عفيف الدين عبدالله بن أبي بكر باعلوي فإنه كان ينابذه ويعاكسه فدعا عليه فجرى عليه ما جرى، ولم ينتفع بنفسه بعد ذلك"[٥].

وإن عاقبة من تعدى على العلماء والصالحين وخيمة وخاتمة ملكه زائلة لا محالة، وفي التاريخ عبرة ودروس فإننا ما سمعنا بحاكم أو والياً أساء الأدب مع علماء الأمة أو صالحيها أو دعاتها، إلا وعُجل له عقوبته في الدنيا ما لم يتُب، وكم من دول وممالك انتهت وزالت ومضت ودالت عليها دول أخرى وتملكت بسبب تعدي ملوكها وحكامها على علمائها، وتوقير العلماء وأهل العلم والدين وتقريبهم واستشارتهم والأخذ برأيهم ونصائحهم هو من أسباب ترسيخ الحكم وإستقراره.

---

١ الشهداء السبعة، محمد عبدالقادر بامطرف، دار الحرية للطباعة بغداد العراق، طبعة ١٩٧٤م، ص٢٧، عدن في عهد الطاهريين، عباس علوي، ص٥٣.

٢ الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، ص ٣٦.

٣ الشهداء السبعة، بامطرف، ص٢٧.

٤ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٨.

٥ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٤.

وانصرف أبو دجانة لإعداد حملته وأحاطها بشيء من السرية حتى لا يصل خبرها إلى عدن، وتمكن من قبض جميع سنابيق أهل الشحر، وخصوصاً العازمة منها للإبحار إلى عدن، إلا أن سنبوقاً واحداً فر خفية ووصل عدن، وأخبرهم بنيات أبي دجانة[1]، وذكر المؤرخ بامخرمة أن بادجانة "حيّر السنابيق عن الوصول إلى عدن، لئلا يردوا العلم بتجهيزه، فخرج سنبوق من الشحر خفية في الليل، ووصل إلى عدن وأخبر بالتجهيز[2]".

تولية بنت معاشر حكم الشحر بالنيابة: كانت والدة مُحَمَّد بن سعيد بادجانة حاولت أن تثني ابنها مُحَمَّد عن هذا الزحف ولكنه لم يستجب لها كما ذكرنا، وقبل مغادرته أناب عنه والدته بنت معاشر عند مغادرته الشحر إلى عدن، وكانت إمرأة كاملة ذات حزم وعزم كما ذكر ذلك المؤرخ بامخرمة[3]، وكانت معاشرية مهرية ذات ذكاء ورجاحة عقل[4]، وهي أول أمرأة حضرمية تولت الحكم في الشحر[5]، وهي التي ضبطت الشحر في غيبة ولدها[6].

---

١ العقبة دراسة تحليلية لجانب من عدن، عبدالله أحمد محيرز، وزارة الثقافة مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر عدن، ص١٦٦.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦.

٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦.

٤ الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، ص ٣٦.

٥ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري اليافعي، المطبعة السلفية مصر الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ، ١١٩/١.

٦ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦.

المبحث الثالث

هزيمة بادجانة ووقوعه في الأسر

ذكرنا قبل ذلك أن "صاحب الشحر قد قطع السفن عن الوصول إلى ثغر عدن، وتلقاهم بالسفن في البحر يصدهم من الوصول ببندر اليمن، فشق ذلك على علي وعامر وأرادا أن يجهزا السفن إليه ويملأها من العساكر فهم في ذلك مجدون ومعدون ومستعدون[1]".

وبدأ أبو دجانة بجمع المقاتلين من القبائل والعساكر وغيرهم، وجمّع من بيت زياد وبيت مُحَّد، وجهزوا في مراكب إلى عدن لمحاربة ابن طاهر[2]، فأعد الكندي جيشاً خليطاً من قومه ومن يافع ومن الحموم ومن المهرة[3].

وفي أواخر شهر ربيع من سنة ٨٦١هـ، تحرك أبو دجانة مُحَّد بن سعد بن فارس صاحب الشحر، من مدينته الشحر ليأخذ مدينة عدن، فجاء معه تسعة مراكب إلى عدن، ولم يكن إذ ذاك بها أحد من الملوك[4].

إلا أنه وبالرغم من تكتمه الشديد على تحركاته، بهدف مفاجئة المدينة والإستيلاء عليها دون مقاومة من الطاهريين، فقد تسرب خبر حملته إلى الطاهريين[5]، حيث تسلل لفيف من الموالين لبني طاهر والمعادين لأبي دجانة في قارب من ميناء الشحر خفية في الليل وتمكنوا من الوصول إلى عدن قبل وصول الحملة، وأبلغوا الأمر إلى واليها الشريف علي بن سفيان الذي لم يكن لديه حينذاك القوة الكافية من الجند لمواجهة حملة الأمير مُحَّد بن سعيد بادجانة، ولهذا بادر والي عدن إلى الملك الظافر عامر بن طاهر والملك المجاهد علي بن طاهر، ليحثهما على إنقاذ مدينة عدن من حملة بادجانة[6].

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٥.

٢ تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، أحمد بن عبدالله شنبل، تحقيق عبدالله الحبشي، الناشر مكتبة صنعاء الأثرية صنعاء اليمن الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، ص١٨٨

٣ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، ص١١٩.

٤ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٦.

٥ الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص٤٧.

٦ الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، ص ٣٧.

وعلى إثر ذلك اتخذ الأمير علي بن سفيان احتياطاته، فقد "أخبر الواصلون في السنبوق أن غرض أبي دجانة وأصحابه الدخول إلى البلد من الموضع الذي منه حصن القفل الآن، فجعل فيه ابن سفيان رتبة من البرابر والحبوش، لعدم العسكر في البلد[1]"، وأيضا حصنوا البلد أهل يافع آل أحمد[2].

وذكر بامخرمة أنهم أرادوا نصب المدافع على الدروب، ليرموا إلى جهة التجهيز، فلم يجدوا في البلد إلا أربعة أو خمسة مدافع صغيرة وذلك لضعف البلد[3]، ومن المعلوم أن هذه المدافع لا تفي بالغرض، وهذا إن دل على شي إنما يدل على ضعف حامية عدن وقلة عتادها الحربي آنذاك[4].

وعند وصول بادجانة إلى سواحل عدن، أشار له كبار جيشه أن يتراجعوا بمراكبهم إلى البحر ويتظاهروا بالإندحار، حتى إذا أطمئن الأعداء على أنفسهم أعادوا الكرة على غرة، ولكن الكندي أبى إلا الهجوم في سماء ذلك اليوم غير مبال بكثرة جيش أعدائه[5].

وحاول دخول عدن هو ومن معه من قبيلة آل كلد الذين شاركوا معه في هذه الحملة بحسب الإتفاق بينه وبينهم، فلم يمكنه ذلك، وأرشدته قبائل آل كلد إلى مواقع تعرفها كي تسهل على قواته اقتحام مدينة عدن، وقد كان آل كلد يعرفون هذه المواقع منذ كانوا في مدينة عدن فقد كان لهم معرفة بمداخل عدن وأسوارها وحصونها، إلا أن آل أحمد كانوا مستعدين لهذه الحملة بسبب التنبيه الذي جاءهم من رجالهم في الشحر، فقد أحكموا السيطرة على سواحل عدن وسدوا وأغلقوا جميع المنافذ والثغرات المؤدية إلى عدن، وقد كان آل أحمد استولوا على حراسات وحصون وأسوار عدن وأوكلوا بذلك من قبل الملك المجاهد علي بن طاهر.

"فبينما هم في ذلك مجدون ومعدون ومستعدون، إذ وصل أبو دجانة صاحب الشحر إلى ساحل الثغر ورام أن يكون له في اليمن ملك الأمر، ووصل إلى عامر علمه فوقع معه الشجن وخاف منه الفساد في ثغر عدن وطلب إدريس بن مُحَّد بن إدريس، وقال تجد معي المسير أنت وعبدالله بن علي بن حسين لنجالد على المملكة ونحامي من بغى علينا لعل الله يوقعه في الهلكة، وخشي إدريس بن مُحَّد أن يطول في ذلك الوقت واعتذر، وقال أنه قد اعتراني الكبر وضعفت فلا أطيق السفر وابن عمي عبدالله

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٦/٤٥٠.
٢ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، ص١٢٠.
٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٣/٤٥٠.
٤ عدن في عهد الطاهريين، د. عباس علوي، ص٥٤.
٥ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، ص١٢٠.

بن علي لا يرضى والده بتعبه ولا يسر، فخرج عامر بن طاهر فيمن حضره من العساكر ووافى عدن وقد هرب أهل مراكب الشحر وعادوا راجعين في البحر[1]".

ووصل أبو دجانة في تسعة مراكب إلى فوق البندر، ورام دخول البندر فلم يقدر، فقد هبت رياح عاصفة قوية ومستمرة، ولم تستطع سفن بادجانة الصمود والمقاومة وأصاب المراكب ريح عظيمة انكسر من مراكبه اثنان[2].

وأغرقت بعض مراكبه بما فيها من مؤن وذخيرة، فاضطر لأن يرجع إلى البحر فركب هو وبعض رجاله مركباً فانقلب بهم المركب لشدة العاصفة وكاد الأمير الكندي يغرق لولا أنه آوى إلى الساحل هو ومن معه[3].

وينقل لنا المؤرخ كمال الدين الذؤالي ما جرى لأبي دجانة فيقول: "وفي ذلك الوقت قدم الملك الظافر عدن بقبيل مغرب يوم الإثنين ٢٤ من شهر ربيع الآخر سنة ٨٦١هـ، وبات الناس بأمان فرحين بوصوله، وقويت الريح في تلك الليلة قوة عظيمة فانقطع رجاء صاحب الشحر، فأصبح يوم الثلاثاء متوجهاً نحو بلده هارباً، فانفتح المركب الذي هو فيه، ونبذه البحر إلى ساحل المكسر، خور مكسر حالياً[4]".

وقبض الله أن الريح ساقت ملكهم أبا دجانة في سفينة إلى حيث لا مخرج له وأدخلته من عدن إلى المخرج الضيق الحرج، فقبض عليه عامر بلا تعب ولا نصب[5].

يقول المؤرخ الطيب بامخرمة: "وقوي الريح في تلك الليلة التي وصل بها الملك الظافر قوة عظيمة، وانقطع رجاء صاحب الشحر من البلد، فأصبح يوم الإثنين متوجهاً نحو بلده هارباً، فانفتح المركب الذي هو فيه، ونبذه إلى ساحل المكسر[6]".

فخرج له الملك الظافر بعساكره من باب البر وأسره، وأسر ابن أخيه، وقتل مبارك الثابتي من نقباء يافع، وهو الذي كان جسر المذكور وأطعمه في البلد، وقتل ابن عمه"[1].

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٥.
٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦.
٣ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، ص١٢٠.
٤ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٤٣.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٦.
٦ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥١/٦.

وكان المبادر لقتل مبارك الثابتي نقباء يافع آل أحمد، وبادروا أيضاً إلى قتل ابن عمه حسْب أن خرجا من البحر، خشية أن يؤسرا، فيكيداهم بالصحيح والسقيم، ولام الملك الظافر نقباء يافع على قتل الثابتي، وكان غرضه أسره[2].

وأسر جماعة من أصحابه ودخل بهم مدينة عدن، وأركب أبا دجانة على جمل ليراه الناس، وكان يوماً مشهوداً معظماً"[3].

وصعد الملك الظافر إلى دار السعادة التي تشرف على الميدان معبراً عن انتصاره على تلك الحملة[4].

ويحى أنه قيل للشيخ عامر بن طاهر وأبو دجانة في الميدان والخيل تلعب فيه: إنه محسوب لأبي دجانة أن يشرف من دار السعادة، فأمر باطلاعه إليه مقيداً، وأمر بأن يشرف من الروشن على الذين يلعبون في الميدان[5].

ووصل الملك علي بن طاهر وأبو دجانة في يد أخيه وقد أسره وسار به إلى حجْر ونواحيه، فأودعه السجن في المقرانة وأذله الله وأهانه فلم يزل مسجوناً مصفداً حتى عمل على تسليم ما في يديه من حصون شحر عُمان ومدنها، وما كان من أموالها وسفنها[6].

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٣، اللطائف السنية، الكبسي، ص١٨٣، الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٦.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦.

٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٤٣، الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٦.

٤ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٣، عدن في عهد الطاهريين، عباس علوي، ص٥٤.

٥ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦.

٦ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٦.

المبحث الرابع
تنازل بادجانة عن الشحر للدولة الطاهرية

كان بادجانة قد أناب عنه أمه بنت معاشر عند مغادرته الشحر إلى عدن، وكانت إمرأة كاملة ذات حزم وعزم فقامت بأمر البلاد أثناء غيابه خير قيام، وقد مرّ معنا أنها أبدت إعتراضها على هذه الحملة، ولكنه لم يأخذ برأيها.

ولما بلغ ذلك إلى الشحر جمعت أمه الحاكمة بالنيابة الأعيان واستشارتهم في أمر ابنها، فانكمشوا وقبعوا خوفاً من أن يغتالهم آل طاهر في عدن، فسافرت هي بمفردها إلى عدن، واجتمعت بالسلطان الظافر عامر بن طاهر وفاوضته ليطلق سراح ابنها من السجن، فامتنع السلطان في باديء بدء، ولكنه في النهاية خضع لقوة تأثيرها وبلاغتها وصراحتها فأجابها إلى ذلك[1] .

وكان ذلك من حسن طالعهم، فقد جاء بادجانة للإستيلاء على عدن، ففقد بلاده وعرشه وحياته، ذلك أن الملك الظافر عامر بن طاهر وافق على العرض الذي تقدمت به أم بادجانة، فأمر بإطلاق ابنها من السجن، ولكنه استبقاه في عدن حتى يتم تسليم الشحر لنائب بني طاهر الأمير جياش السنبلي.

والظاهر أن بادجانة عندما تم أسره في عدن أنه اعتقل فترة بسيطة في سجون عدن للتحفظ به ثم تم إرساله مباشرة إلى بلاد المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية، فقد توجهت بنت معاشر والدة أبي دجانة إلى المقرانة وأطلقت سراح ولدها بعد أن قضى في السجن نحو عامين[2] .

وقد قال بذلك العلامة كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي في حكايته لمجيء والدة بادجانة إلى الملكين المجاهد والظافر إلى المقرانة عاصمتهم في كتابه تاريخ زبيد، يقول رحمه الله: "ووصلت والدة أبي دجانة إلى الملكين الظافر والمجاهد إلى جبن والمقرانة وتكلمت في إطلاق ولدها وفكاكه، فساعدا في ذلك على عادتهما في محاسن الأفعال ومكارم الأخلاق، وأُطلق الأمير وعاد مع أمه إلى بلده"[3] .

---

١ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، ص١٢٠.

٢ الشهداء السبعة، بامطرف، ص٣٥.

٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٤٠.

كما قال بذلك المؤرخين ابن الأنف القرمطي وعبدالله ابن شنبل في تاريخهما وهما مؤرخين معاصرين للدولة الطاهرية وأقرب إلى الأحداث وحقيقتها، فقد توفي ابن شنبل في عام ٩٢٠ هـ[١].

ويجب أن نوضح هنا إلى أن الفترة ما بين أسر أبي دجانة وتسليم مدينة الشحر للدولة الطاهرية قد طالت إلى سنتين، لذلك نجد أن جميع المصادر التاريخية تتفق أن أبا دجانة وقع في الأسر في ٢٤ ربيع الآخر سنة ٨٦١هـ، وأن إطلاقه ووصوله إلى بلاده حيريج في أقليم ظفار كان في أوخر سنة ٨٦٣هـ، ولم يدخل الأمير جياش السنبلي الشحر إلا في شهر ذي القعدة سنة ٨٦٣هـ[٢]، وبهذا يتضح لنا أن ما بين تسليم القبض على أبي دجانة واستلام بين طاهر للشحر ما يقارب السنتين.

ثم إن بادجانة وخلال مكوثه في دار الأدب في المقرانة ومجيء والدته لإخراجه بحسب الإتفاق بينها وبين الطاهريين، أرسل الملك الظافر إلى المقرانة لإرسال بادجانة إلى عدن والتحفظ به في عدن إلى أن يتم الإتفاق ويتم تسليم مدينة الشحر لنائب بني طاهر.

وأثناء مكوث الأمير بادجانه في سجون الخساف بعدن أوفدت الدوله الطاهريه قوه عسكريه إلى الشحر بقيادة الأمير زين الدين جياش السنبلي، ولكن الظاهر أن هذا الإتفاق لاقى بعض المعارضة من أهل الشحر وممن بقي في السلطة من آل بادجانة، فقد واجه الأمير جياش السنبلي صعوبات في إستلامه مدينة الشحر وتنفيذ الإتفاق، وحصلت هناك معركة شرسة في مدينة الشحر واستمرت لعدة أيام.

ولعل سبب التأخير في إطلاق أبي دجانة وتسليم مدينة الشحر يرجع إلى الفتنة التي حدثت في الشحر جراء وقوع أبا دجانة في الأسر، فيذكر المؤرخ ابن شنبل أنه وبعد وقوع با دجانة في الأسر هو وأصحابه وساروا بهم إلى المقرانة، وقع الخلاف في الشحر بين أهلها وأولاد فارس بن سعد وأخوالهم آل عفرار فحصروها وانفضوا بغير شيء[٣].

ومع ذلك فقد إلتزمت الدولة الطاهرية بجانبها من الإتفاق، فأطلقت أبي دجانة من القيد والحبس ولكنها بقيت متحفظةً بها حتى يوفوا بما عليهم من الإلتزام، فيروي المؤرخ بامخرمة أن الملك الظافر أطلق

١ تاريخ ابن شنبل، عبدالله بن شنبل، روضة الأخبار ونزهة الأسمار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص٦٥.
٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٥.
٣ تاريخ حضرموت، ابن شنبل، ص١٨٨.

أبو دجانة من القيد والحبس، وجعله هو ووالدته في بيت تحت الحفظ إلى أن قبض نائبهم الشحر، فأطلقوه هو ووالدته، فسارا إلى بلدهم حيريج[1].

وقد يكون السبب في عدم تسليم الشحر أن والدة بادجانة لم تطمئن لهذه الإتفاقية، وربما شعرت أن الملك الظافر قد لا يصدق معها في إطلاق سراح ولدها بادجانة، ومع ذلك وأياً كانت الأسباب التي أخرت تنفيذ الإتفاقية، بشأن تسليم مدينة الشحر لنائب بني طاهر الأمير جياش السنبلي.

فقد تم إرسال حملة عسكرية بقيادة الأمير جياش السنبلي المعين من قبل الدولة الطاهرية والياً على مدينة الشحر وما حولها من المناطق، وقد تمكنت تلك الحملة من إحتلال النصف الشرقي من مدينة الشحر أما النصف الغربي فقد ظل تحت سيطرة والدة الأمير أبادجانه، وبعد مناوشات طويلة توسّط بعض رجالات الشحر لحل المشكلة وانتهت تلك المفاوضات على إطلاق سراح الأمير مُحَمَّد بن سعيد بادجانه على أن يذهب إلى حيريج وأيضاً تغادر والدته معه الشحر.

وقد كان إطلاق سراح الأمير أبادجانه في سنة ٨٦٣هـ، وغادرت والدته الشحر، وفي ذي القعدة منها دخل الأمير جياش السنبلي مدينة الشحر[2].

"وقد أطلقه عامر بن طاهر من السجن وكتب له بالدعة والأمن، بعد أن سلم ما في يديه وأعطاه عامر ما ملكه ورد أمره إليه فأجرى عليه عامر ما يقوته في السجن، وأطلقه بعد أن ملك دونه الأمر وأرسل عامر مواليه، وأضاف إليه من جهاته من يليه[3]".

تولية الأمير جياش السنبلي مدينة الشحر: في جميع الأحوال فإن مدينة الشحر دخلت على هذا النحو في ملك الدولة الطاهرية ودون حرب، ثم أسند بني طاهر ولايتها إلى الأمير جياش السنبلي ٨٦٣هـ، الذي دخلها نيابة عن بني طاهر في ذي القعدة من تلك السنة[4].

وتم القبض على الظّفاري وخادم آل با دجانة، قبضه أخدام آل طاهر بالشحر وقيدوه[5].

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥١/٦.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٥.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٦.

٤ للإستزادة راجع الكتب التالية: الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٦، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٤٩٨، الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، ص ٣٦، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ ابن شنبل، عبدالله بن شنبل، روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص٦٥، قلادة النحر، الطيب بامخرمة، ٤٥٠/٦، اللطائف السنية، الكبسي، ص١٨٣، وتاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري اليافعي، ص١١٩.

٥ تاريخ حضرموت، ابن شنبل، ص١٨٩.

ثم إن الملك عامر بن طاهر تراجع عن إسناد إمارة الشحر لجياش السنبلي، ورده عن ذلك، وقال: لا أرتضيه وأني أخاف منه الخلاف وأن يقبض خراجه ولا يؤديه[1].

ومما يُروى أن أبا دجانة لما وصل إلى فوق بندر عدن، خاف أهل البلد من دخوله للبلد، لأن غالب عسكره أوباش مُجمّع، فرأى بعضهم في النوم كأن باب الساحل مفتوحاً، وأن الشيخ مُحَمَّد برسة الجبرتي ماداً ذراعيه بين البابين، وطالت ذراعه حتى بلغت من الباب إلى الباب كالمانع للناس من الدخول، فأصبح يخبر الناس بذلك ويبشرهم بالأمان[2].



لوحة فنية تقريبية لميناءعدن في العصر القديم

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٦.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦.

الباب الثاني

حرب بني طاهر مع الأئمة الزيدية

في أواخر الدولة الرسولية كانت المناطق الجبلية في اليمن تقريباً مقسومة إلى قسمين في ذلك العصر، فكان القسم الأعلى من اليمن يخضع للأئمة الزيدية، والقسم الأسفل وتهامة يخضع لحكم الدولة الرسولية، ومن بعدها الدولة الطاهرية أي الذين على مذهب الشافعية أو عقيدة أهل السنة، وقد عبر المؤرخ العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي عن ذلك في كتابه اللطائف السنية عند ذكر أحداث الصراع بين الطاهريين والأئمة الزيدية، ففي مؤلفه هذا دائماً ما يسرد العلامة الكبسي الأحداث والوقائع التاريخية على قسمين، وهي الأحداث والوقائع التاريخية في اليمن الأعلى والأحداث والوقائع التاريخية في اليمن الأسفل، وعندما يذكر أخبار اليمن الأعلى فإنه يذكر أخبار الأئمة الزيديين ومناطق صنعاء وحجة وصعدة وما حولها[1].

وإذا سرد الأحداث التي جرت في اليمن الأسفل فهو يقصد أخبار الدولة الرسولية، ومن بعدها الطاهرية في مناطق رداع وإب وتعز وتهامة ولحج وعدن وحضرموت وغيرها من المناطق الجنوبية وبقية اليمن.

ولنوضح حقيقة وبداية الصراع بين الأئمة الزيدية والطاهريين لابد من الرجوع إلى الخلف لعشرات السنين لنبين متى بدأ الصراع بين الطاهريين والأئمة الزيديين، لذلك سنبين ابتداءً بداية الصراع بين الأئمة الزيديين والطاهريين ثم أبين بعد ذلك صراع الأئمة فيما بينهم وحقيقته خلال حكم وتملك الطاهريين، ثم أخيراً نسرد الأحداث والوقائع التاريخية التي جرت بين الطاهريين والأئمة الزيديين، في فصلين كالتالي:

الفصل الأول: الحرب بين بني طاهر والأئمة الزيدية في عهد الدولة الرسولية

الفصل الثاني: الصراع بين الدولة الطاهرية والإمام الناصر صاحب صنعاء

---

[1] اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي.

الفصل الأول
الحرب بين بني طاهر والأئمة الزيدية
في عهد الدولة الرسولية

نستطيع أن نقول أن أهم الصراعات على السلطة خلال حكم بني طاهر كان مع الأئمة الزيدية، ولم يكن بداية هذا الصراع مع استيلاء بني طاهر على السلطة وتكوين دولتهم، بل يرجع هذا الصراع إلى عصر الدولة الرسولية عندما كان بني طاهر ولاة للرسوليين في مناطقهم، فقد كان بنو طاهر الدرع الأول للدولة الرسولية تجاه مناطق نفوذ الأئمة الزيدية، ومع نشأة الدولة الطاهرية كان لا بد لبني طاهر أن يقضوا على مناوئيهم ويبسطوا نفوذهم نحو شمال اليمن، لهذا بدأت سلسلة من الصراعات السياسية على السلطة بين الدولة الطاهرية والأئمة الزيديين، وفي هذا الفصل سنبين الصراع بين بني طاهر وأئمة الزيدية في أواخر عهد الدولة الرسولية ونبين قبل ذلك حال الأئمة الزيدية فيما بينهم قبل قيام الدولة الطاهرية وسيكون ذلك في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: حال أئمة الزيدية قبل الدولة الطاهرية

المبحث الثاني: الصراع بين الطاهريين والأئمة الزيديية في عهد الدولة الرسولية

المبحث الأول

حال أئمة الزيدية قبل الدولة الطاهرية

ضعفت الدولة الرسولية كثيراً في أواخر عهدها وخاصة في ظل صراع الرسوليين فيما بينهم، وظهور عدة ملوك في آن واحد، وفي المقابل كان الأئمة الزيديين يتحينون الفرصة لبسط نفوذهم ومد سلطتهم والتوسع في مناطق أخرى خارج مناطق حكمهم على حساب الدولة الرسولية في ظل ضعفها، إلا أن الأئمة الزيدية كانوا في بعض الأحيان يختلفون فيما بينهم ويتنازعون الإمامة، فقد كان يظهر أحياناً عدة أئمة في وقت واحد يدعوا كلاً منهم بالأمر لنفسه.

وكانت الإمامة في اليمن الأعلى من جهات صعدة وحجة في أواخر عهد الدولة الرسولية للناصر صلاح الدين مُحَمَّد بن علي[1]، وعندما توفي في عام ٧٩٣هـ اختلف الأئمة فيما بينهم وتنازعوا الإمامة، ودعى ثلاثة أئمة إلى أنفسهم في وقت واحد، فقد خلفه ولده الإمام المنصور علي بن صلاح الدين[2]، ودعا لنفسه بالإمامة وبايعه على ذلك جماعة من أهل العلم[3]، وقد كانت للإمام علي بن صلاح الدين خلال دعوته بالإمامة مواقع عديدة مع الطاهريين فقد حاول عدة مرات التقدم والإستيلاء على بلادهم، وكان ذلك خلال حكم الدولة الرسولية وكان الطاهريين ولاة للرسوليين في مناطقهم التي ذكرناها.

---

١ الإمام صلاح الدين مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن علي بن يحيى بن منصور بن المفضل بن الحجاج بن علي بن الأمير المعتضد يحيى بن القاسم بن الإمام الداعي يوسف بن يحيى بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، القاسمي، الهدوي، ولد سنة ٧٣٩هـ وتوفي في عام ٧٩٣هـ.. أنظر: طبقات الزيدية الكبرى، ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، للسيد العلامة إبراهيم ابن القاسم بن المؤيدبالله، من إصدارات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن.

٢ الامام المنصور على بن مُحَمَّد الناصر صلاح الدين ابن على المهدى ولد سنة ٧٧٥هـ، ولما مات والده الامام صلاح الدين مُحَمَّد بن على بن مُحَمَّد فى سنة ٧٩٣هـ، وكانت خلافته قد تمكنت فى الديار اليمنية وعظمت سطوته وكثرت جيوشه وبعد صيته أرسل امراءه ووزراءه الى القاضى العلامة عبد الله بن الحسن الدوارى الى صعدة فوصل الى صنعاء ثم أجمع رأيه ورأى أرباب الدولة على مبايعة صاحب الترجمة ورأوا فى ذلك صلاحا لكونه ناهضا بالملك والا فهو لم يكن قد نال من العلم، واشتغل بالمعارف العلمية فى خلافته حتى فاق فى كثير من المعارف ولقد أثنى عليه السيد الامام العلامة مُحَمَّد بن ابراهيم الوزير ثناء طائلا وصنف فى ذلك مصنفا سماه الحسام المشهور فى الذب عن دولة الإمام المنصور، مات فى سابع وعشرين شهر صفر سنة ٨٤٠هـ.. أنظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الإمام مُحَمَّد بن علي الشوكاني، الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة مصر، ٤٦٥/١.

٣ خلاصة من تاريخ اليمن، محمد بن أحمد الحجري، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، ص٢٣، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي، ص١٥٩، فرجة الهموم، الواسعي، ص٢٠٧.

وقد نازعه الإمامة والدعوة لنفسه الإمام المهدي أحمد بن يحي المرتضى[1]، وكانت دعوته بعد موت الإمام الناصر صلاح الدين، واجتمع عليه العلماء بمدينة صنعاء وبايعوه ثم خرج منها وشرعت أموره في الإنتظام حتى وقع في الأسر واستولى جنود علي بن صلاح الدين على محطته في بلد معبر من ناحية جهران[2].

وقد نازعهما في الإمامة كذلك الإمام الهادي علي بن المؤيد[3]، وقد كانت دعوته بهجرة قُطابر[4] من أرض خولان، في شهر شعبان سنة ٧٩٦ هـ، وقد توفي عام ٨٣٦ هـ[5].

ثم أنه كانت وفاة الإمام علي بن صلاح الدين في شهر المحرم من عام ٨٤٠ هـ، وفي شهر رجب من عام ٨٤٠هـ كذلك توفي الإمام المهدي أحمد بن يحي المرتضى بحصن الظَّفير من بلاد حجة[6].

وقام بعد وفاته ووفاة الإمام المنصور علي بن صلاح الدين ثلاثة من الأئمة تعارضوا في عصر واحد وهم الإمام المتوكل المطهر بن مُحَمَّد بن سليمان[7]، والإمام المهدي صلاح بن علي بن أبي القاسم[1]، وعارضهما الإمام المنصور الناصر[2] بن مُحَمَّد[3].

---

١ المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى بن المفضل ابن منصور الحسني، من سلالة الهادي، ولد سنة ٧٧٥هـ، عالم بالدين والادب، من أئمة الزيدية باليمن، ولد في ذمار، وبويع بالامامة بعد موت الناصر (سنة ٧٩٣ هـ في صنعاء، ولقب المهدي لدين الله، وقد بويع في اليوم نفسه للمنصور علي ابن صلاح الدين، فنشبت فتنة انتهت بأسر صاحب الترجمة وحبسه في قصر صنعاء سنة ٧٩٤ - ٨٠١ هـ وخرج من سجنه خلسة، فعكف على التصنيف إلى أن توفي في جبل حجة غربي صنعاء سنة ٨٤٠هـ، من كتبه البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار. أنظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الناشر دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م، ٢٦٩/١.

٢ اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي، ص١٥٩، خلاصة من تاريخ اليمن، الحجري، ص٢٣، فرجة الهموم، الواسعي، ص٢٠٨.

٣ الهادي علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى، أبو الحسن، الملقب بالهادي لدين الله، ولد سنة ٧٥٧هـ، من أئمة الزيدية في اليمن. قام بالدعوة في هجرة " قطابر " من أرض خولان بني عامر بصعدة، لما سجن المهدي أحمد ابن يحيى. وانبسطت يده في الجهات الخولانية والاهنومية والشرفية، وطافها مرارا. ولما أطلق المهدي، استمر صاحب الترجمة على دعوته إلى أن توفي سنة ٨٣٦هـ، ودفن في " فلله. أنظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، الناشر دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م، ٢٧/٥.

٤ قُطابر: من أقدم الهجر في نواحي صعدة، سكنها عدد كبير من العلماء.

٥ خلاصة من تاريخ اليمن، الحجري، ص٢٣، فرجة الهموم، الواسعي، ص٢١١، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي، ص١٦١.

٦ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٦٩، خلاصة من تاريخ اليمن، الحجري، ص٢٣، فرجة الهموم، الواسعي، ص٢٠٨.

٧ الإمام المتوكل على الله المطهر بن مُحَمَّد بن سليمان ابن يحيى الحسين بن على بن مُحَمَّد ابن حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين ابن القاسم بن إبراهيم بن اسمعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبي طالب سلام الله عليه وعليهم هو أحد أئمة الزيدية القائمين بالديار اليمنية ولد في أول القرن التاسع ودعا إلى نفسه بعد موت الإمام المنصور على بن صلاح المتقدم ذكره في سنة ٨٤٠ وأجابه جماعة من الزيدية وكان عالما كبيرا أخذ العلم عن الإمام المهدى احمد بن يحيى ولازمه مدة طويلة أخذ عن غيره وملك كحلان وغيره من

وقد تنازع هؤلاء الأئمة الثلاثة على الإمامة، وتصارعوا وتقاتلوا فيما بينهم كلاً منهم يُريد الإستيلاء على الحق في الإمامة بالدعوة لنفسه بذلك، وبسط نفوذه على حساب الآخرين في مناطق اليمن الأعلى.

ثم أن الإمام الناصر بن مُحَمَّد لزم الإمام المطهر في قريش من ناحية جهران، وكان نازلاً هو وقاسم سنقر إلى جهة ذمار، وكان قاسم سنقر من مماليك علي بن صلاح، استقل بالأمر بعد موت مولاه، وكان يُدخِل صلاحاً مرةً إلى صنعاء والإمام مطهر مرة، فلما رأى الإمام صلاح أنه مستولٍ على الأمر، أمل في نفسه أن يقبض عليه ويستقل بالأمر، لأنه كان يواجهه حيناً ومعه خدمه، وحيناً وحده، فتواطأ الإمام صلاح هو وعدةٌ من خواصه على أن قاسم سَنْقر متى دخل قبضه جماعة قد عينهم، فعلم سنقر ذلك، ونُقل إليه ما أجمعوا عليه، فطلع على عادته مُصبحاً للإمام، فكان أول كلمةً قالها: "أنت أيها الخادم الفلاني وفلان وفلان، تريدون تمسكوني وترسموا علي، هذا جزائي وفعلي مع مولانا المعروف"، يعني الإمام صلاح، ثم أشار إلى خدمه أن اقتلوهم قبل أن يقتلوكم، فقتلوهم ورموا برؤوسهم إلى الميدان، ونصروا سنقر وأسروا الإمام صلاح، فبقي ملزوماً حتى احتالت الشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح وهي زوجته في فكاكه من الحبس، ثم انتقلت هي وهو إلى صعدة، ثم همَّ سنقر بلزوم الناصر، فاختفى وخرج من صنعاء متنكراً بين سبع نسوة حرائر وإماء حتى دخل هِرّان، وأنضاف إليه بقية

حصون المغارب ثم ملك ذمار وعارضه المهدي صلاح بن على ابن مُحَمَّد بن أبي القاسم وعارضهما المنصور بالله الناصر بن مُحَمَّد بن الناصر بن احمد بن المطهر بن يحيى فأسر هذا صاحب الترجمة وسجنه بمكان يقال له الربغة فأنشأ صاحب الترجمة قصيدة يتوسل بها أولها (ماذا أقول وما آتى وما أذر *** في مدح من ضمنت مدحا له السور) فلما أتمها بلغت إلى وزير الناصر فقال انظروا فإذنكم تجدون الرجل قد خرج من السجن ببركة هذا الشعر فكان الأمر كما قال وبعد خروجه من السجن مازالت أحواله مختلفة تارة يقوى وتارة يضعف إلى أن مات في صفر سنة ٨٧٩هـ بذمار ودفن بها. أنظر: البدر الطالع، الإمام الشوكاني، ٣٠٣/٢، اللطائف السنية، العلامة الكبسي، ص١٧١.

١ الإمام المهدى صلاح بن على بن مُحَمَّد بن أبي القاسم الحسنى كان من أكابر علماء عصره ومن مؤلفاته النجم الثاقب بشرح كافية ابن الحاجب ودعا بصنعاء في سنة ٨٤٠هـ، ثم قبض عليه الأمير سنقر وحبسه بصنعاء ثم خرج من الحبس وسار إلى صعدة ثم عاد إليها بجيش عظيم في سنة ٨٤٢ وكان اسره حول صنعاء وإيداعه السجن بها حتى مات فيه في سنة ٨٤٩هـ، وقبره بصرح مسجد موسى المعروف بصنعاء. انظر: البدر الطالع، الإمام الشوكاني، ٤٦٩/٢.

٢ أحمد الناصر بن مُحَمَّد المطهر بن يحيى، من أئمة الزيدية باليمن، ربى في حجر الخلافة لأن أمه مريم بنت الإمام المنصور علي بن صلاح،قال الكبسي في اللطائف السنية: "فدعته همته العالية على معارضة الإمام المطهر والإمام صلاح على حداثة سنه وقصور علمه عنهما، قاد الجيوش وأسر معارضيه المذكورين وغيرهما من ملوك زمانه" واستولى على كثير من حصونها. وملك ذمارا وصنعاء وصعدة، وقاتل بني طاهر زمنا، ثم ضعف أمره وظفر به المتوكل على الله المطهر بن مُحَمَّد ابن سليمان بن يحيى بن حمزة فقبض عليه سنة ٨٦٦هـ وحبسه في كوكبان، فمات في حبسه سنة ٨٦٧هـ ونقل إلى صنعاء. انظر: الأعلام، خيرالدين الزركلي، ٢٣٠/١، اللطائف السنية، العلامة الكبسي، ص١٧٤.

٣ خلاصة من تاريخ اليمن، الحجري، ص٢٥، فرجة الهموم، الواسعي، ص٢١٥، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي، ص ١٦٩.

عبيد علي بن صلاح لأنهم أنفوا عن خدمة سنقر، فاستقوى الناصر بهم، ووقع من سنقر مع ذلك أمرٌ عظيم، فاستدعى الإمام المطهر واجتمعا على نزول اليمن، فظفر بهما الناصر في قريش، وأُسِر الإمام المطهر وسنقر، وقتل سنقر في السجن وحبس الإمام المطهر في حصن الربعة، غربي مدينة ذمار، فأنشأ الإمام المطهر القصيدة المشهورة في مدح خير الخلق مُحَّد ﷺ:

ماذا أقول وما آتي وما أذرُ * في مدحِ من ضُمنت مدحاً له السورُ

فلما أتمها بلغت إلى وزير الناصر فقال انظروا فإذنكم تجدون الرجل قد خرج من السجن ببركة هذا الشعر فكان الأمر كما قال، وقد كان الإمام المطهر في خلال حبسه علَّم ولد والي الحصن القرآن العظيم، فأتمه في مدة قريبة، ففرح ذلك الولد، وقال للإمام: "ما جزاؤك يا مولانا إلا أن أخرجك"، فأحتال الولد في فك حلقة من قيده، وحمله على ظهره طول ليلته، فأصبحا وقد جاوزا بلاد الدولة، فلحقهما أهل الحصن فلم يظفروا لأنهم دخلوا بلاد الغَز، وبعد خروجه من السجن مازالت أحواله مختلفة تارة يقوى وتارة يضعف، وتارة يجيش على صنعاء وتارة يفتُر، ودخل صنعاء مراراً على التبعية لفاطمة بنت الحسن، ومرة مع الأشراف الحمزيين لما ملكوها، وملك كوكبان وغيرهُ، ولم يزل مجاهداً إلى أن ملك ذمار واستوطنها وبنى مسجده المعروف ومشهده شرقيه، وكان ملكه لها من جهة بني طاهر أعطوه إياها[1]، واستمر هذانِ القائمان على ما بينهما من المباعدة والإختلاف[2]، حتى وفاته بذمار في صفر سنة ٨٧٧هـ بذمار، وتكون مدة خلافته ٣٨ عاماً[3].

أما الإمام المهدي صلاح الدين فلما جرى له مع سنقر ما قدمناه قريباً وخرج من السجن ورحل إلى صعدة، وهي بيد زوجته الشريفة فاطمة بنت الحسن بن صلاح معارِضة الإمام المطهر، واستمد من الأشراف بني حمزة جنداً وحط على صعدة، وكان الإمام صلاح خارجاً عنها، ووقع مع الشريفة فاطمة وأعوانها الخوف على صعدة، فسار الإمام صلاح بجنده ليلاً ونهاراً مغيراً على صعدة، وبلغ الإمام المطهر ومن معه فتلقوه إلى درب الحناجر[4]، فخالفهم إلى طريق الجبل جبل بني عويمر وبلاد المهاذر، فلما دخل الإمام صلاح صعدة رجع الإمام مطهر إلى اليمن، فثبت الإمام صلاح في صعدة وقبض

١ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٧٠.

٢ فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، العلامة عبدالواسع بن يحي الواسعي، ص٢١٠، خلاصة من تاريخ اليمن، الحجري، ص٢٥.

٣ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٧٣.

٤ الحناجر: من قبائل همدان، إليهم تنسب قرية الحناجر الواقعة بالقرب من بلدة المنقب، على خط طريق صنعاء إلى شبام كوكبان. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥١٧/١.

فيها أموالاً جمة وتقدم إلى اليمن، فأشار إليه بعض خواصه ألا يتعرض لصنعاء فلم يسعدهم وتقدم إلى حمراء علب يمانيّ صنعاء، فخرجت لحربه صنعاء بمن فيها، ووقع طرف القتال، فأنجلت المعركة على أسر الإمام المهدي صلاح وانتهب ما معه من الثقل، وقوي أمر الناصر من تلك الساعة، وبقي الإمام صلاح مسجوناً إلى أن توفي في السجن في سنة ٨٤٩هـ[١].

وبهذا بقيت القوة الزيدية متمثلة في الإمام الناصر، واستمرت الحرب بين الناصر وبني طاهر من عهد الرسوليين، وقد ملك ذمار وصنعاء وأغلب اليمن الأعلى خلال فترة إمامته، ثم انعكست عليه الأمور آخر مدته فخرج إلى ذمار ثم فرّ من ذمار إلى هران خوفاً من بني طاهر بعد أن أوقعوا به الهزيمة، ثم خرج من هران قاصداً وخالف الطريق المعتادة ومال عنها إلى طريق عرقب وهو وادٍ من جهة بلاد الحداء فغدر به أهل عرقب بعد أن أضافوه وقبضوا وسلموه إلى الإمام المطهر فحبسه بكوكبان حتى مات عام ٨٦٧هـ[٢].

وسيأتي معنا ذكر ما جرى له في سرد الوقائع التي جرت بينه وبين الملكين المجاهد والظافر ابني طاهر.

١ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٧٣.

٢ فرجة الهموم، الواسعي، ص ٢١٢، اللطائف السنية، الكبسي، ص ٧٥.

المبحث الثاني
الصراع بين الطاهريين والأئمة الزيديين
في عهد الدولة الرسولية

مرّ معنا سابقاً عند ذكرّ نشأة الدولة الطاهرية ودورهم السياسي خلال الدولة الرسولية، أن الطاهريين كانت لهم سلطة واسعة ونفوذ قوي في مناطقهم منذ بداية القرن التاسع، وقد كان الشيخ طاهر وأبنائه أمناء لسلاطين بني رسول[١]وولاتهم في مناطق جبن وبلاد آل عمار وحبيش والحبيشية والرياشية وبلاد رداع الجنوبية والشرقية والغربية إلى خبان من ذي رعين، وكذا المقرانة وحجاج.

وتذكر المصادر التاريخية دور بنو طاهر في القيام بأعمالهم كولاة للرسوليين في مناطقهم، وذلك بالتصدي لهجمات الأئمة الزيدية والدفاع عن أركان الدولة الرسولية، ولعل أقدم المصادر التاريخية التي ذكرت دور بني طاهر للتصدي للأئمة الزيدية في عهد الدولة الرسولية، هو ما أورده أحد مؤرخي الدولة الرسولية في أحداث العام ٨١١هـ، فقد ذكر أنه اتصل العلم بخروج الإمام إلى بلاد معوضة بن تاج الدين نهار ٧ من شهر ذي القعدة سنة ٨١١هـ[٢]، وقد كان ذلك قبل وفاة الشيخ معوضة بن تاج الدين، والذي ظل يقوم بدوره والمهمة الموكلة إليه من قبل الدولة الرسولية في التصدي لأئمة الزيدية، حتى توفي في نهار الجمعة ٢٣ من شهر جماد الآخر سنة ٨١٢هـ[٣].

واستمر دور بني طاهر في التصدي لحملات الإمام علي بن صلاح كخط دفاع أول للدولة الرسولية، وفي عام ٨١٧هـ سار الشيخ طاهر بن معوضة إلى الناصر أحمد بن إسماعيل، فأكرمه غاية الإكرام، وأمره أن يبني له داراً في المقرانة، فبنى له داراً سماها دار النعيم[٤]، لتكون بمثابة مقراً عسكرياً يدير العمليات العسكرية ضد قوات الأئمة الزيدية.

---

١ الفضل المزيد، ابن الديبع، ص١٠٦، اللطائف السنية، العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي، ص١٠٦.

٢ الكتاب الظاهري تاريخ الدولة الرسولية باليمن، جمال الدين محمد بن علي الحاسب المصري، تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠١٥م، ص١٦٦، تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، مؤلف مجهول عاش في القرن التاسع، تحقيق عبدالله الحبشي، مطبعة الكتاب العربي دمشق سوريا، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ص١٥١.

٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٢، تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص١٥٦، تاريخ الدولة الرسولية، ابن الحاسب المصري، ص١٦٨.

٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩، تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص١٧٢، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحي بن الحسين، ص٥٦٣.

ولمعرفة مدى العلاقة بين بني طاهر وملوك الدولة الرسولية، نجد ذلك في الإستقبال الكبير الذي استقبل به المنصور ابن الملك الناصر الرسولي الشيخ طاهر بن معوضة فتشير بعض المصادر التاريخية أنه في شهر محرم بداية العام ٨١٨هـ "وصل الملك الناصر إلى تعز ودخل بالطنب إلى دار العدل السعيد، وتقدمه ابنه المنصور والأمير بدر الدين الشمسي للقاء ولد الشيخ معوضة بن تاج الدين والشهاب السعيدي معاً، وورد أمر الملك الناصر على الأمراء والمقدمين أن يلقوا الملك المنصور، هو والأمير بدر الدين الشمسي وولد الشيخ معوضة بن تاج الدين فلقوهم بالعُدد والسلاح، ودخلوا الجميع دخلة عجيبة بالطنب والمواكب إلى دار العدل، وقابل الملك الرسولي ولد الشيخ معوضة بن تاج الدين بكل خير وأحسن إليه الإحسان التام، وبجله غاية التبجيل[١]".

ثم في عام ٨١٨هـ قصد الإمام علي بن صلاح الدين بلاد بني طاهر فاستعانوا بالسلطان أحمد بن إسماعيل الرسولي[٢]، لمساعدتهم في التصدي لحملة الإمام العسكرية.

وفي ذي القعدة سنة ٨١٩هـ، نزل الإمام علي بن صلاح إلى بلاد طاهر بن معوضة وأخذ مواضع من أطراف بلاده، فلما علم الملك الناصر أرسل جريدة من الخيل والرجل ومقدمهم الأمير صارم الدين السنبلي، ومُقدم المماليك سيف الدين مقبل الناصري[٣].

وفي حوادث سنة ٨٢٠هـ، كانت وقعة الصرم، فيقول المؤرخ العلامة ابن الديبع: "في سنة ٨٢٠هـ قصد صاحب صنعاء[٤] بلاد بني طاهر[٥] آمناً السلطان فتجهز السلطان إليه فاجتمعا بموضع يقالُ له الصرم[٦] فانكسر الإمام الناصر وعسكره وقتل منهم جمع كثير وتبعهم السلطان إلى وادي خُبان[٧] ثم رجع إلى

---

١ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص١٧٤.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ٥٦٤.

٣ تاريخ الدولة الرسولية، ابن الحاسب المصري، ص١٩٢، تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص١٨٢.

٤ كان صاحب صنعاء في ذلك الوقت عام ٨٢٠ هـ هو الإمام المنصور علي بن صلاح الدين. أنظر: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي، ص١٦٣.

٥ يقول العلامة مُحَمَّد بن علي الأكوع: "من هذا يبدو أن آل طاهر كانت لهم ولاية على بلاد آل عمار وحبيش الحبيشية والرياشية وبلاد رداع الجنوبية والشرقية والغربية إلى خبان من ذي رعين، وكذا المقرانة وجبن ونحو ذلك وطالت ولايتهم لهذه المنطقة حتى تسمت باسمهم، والمام هو الإمام الناصر" أنظر حاشية قرة العيون، ابن الديبع الشيباني، ص٤٧٢.

٦ وفي اللطائف السنية للكبسي ذكر بأنها قرية يُقال لها الغُرام وهي قرية كبيرة في مآتي وادي زبيد من منطقة عنس من أعمال ذمار، كانت أحد مراكز العلم في القرن الثامن الهجري. أنظر: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي، تحقيق الأستاذ خالد الأذرعي.

٧ وادي خُبان: بضم الخاء، صقع معروف من ذي رعين، بالشرق الجنوبي من مدينة يريم، يعرف اليوم باسم مديرية الرضمة ومديرية السدة، وهو منطقة مغيولة ذات عيون وأنهار جارية يصل مداها لتروي أراضي دلتا أبين، ثم تنتهي في بحر عدن، وإلى خبان ينسب العلامة مُحَمَّد بن يحي الخباني المتوفى سنة ١٣٤٠هـ، وهو من ذرية الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسّي، كما أنها محل سكن آل الذاري وآل العماد وآل

المقرانة[1]"، "ثم دخل المقرانة ونظر الدار المعمورة برسمه، فأعطى البنائين عشرين ألف دينار، ويشير المؤرخ يحي بن الحسين في تاريخه غاية الأماني أن هذه الأحداث جرت في سنة ٨١٨هـ[2]".

ويقول المؤرخ الخزرجي رحمه الله في هذا التصدي: "بادر الملك الناصر على رأس جيشه إلى بلاد رداع للتصدي له، وقامت حرب بينهما أسفرت عن إنهزام عسكر الإمام بعد قتل كثير منهم، وانسحب الإمام عائدا إلى صنعاء، وطارده الملك الناصر إلى بلاد خُبان، ثم رجع الإمام إلى المقرانة بين دمت وجبن من مخلاف الرياشية من أعمال رداع، وذلك لمعاينة قصر النعيم الذي كان يبنى له فيها بإشراف الشيخ طاهر بن تاج الدين نائبه في رداع، والذي كلفه الملك الناصر ببنائه في المقرانة لدى زيارته له في عام ٨١٧هـ"[3].

وفي محرم سنة ٨٢٠هـ اتصل العلم أن الأمير صارم الدين قتل في بلاد طاهر بن معوضة، وذلك أن سنقر مقدم الإمام نزل بلاد طاهر بن معوضة بخيل ورجل كثير وقصدوا محطة الأمير صارم الدين فلما علم بهم خرج هو ومن معه من العسكر لمقاتلتهم وبدر الأمير الصارم من أصحابه وقُتل[4].

وفي شهر شوال سنة ٨٢٠هـ، اتصل العلم أن الإمام علي بن صلاح أخذ حصن الدارم[5] وهو قريب من المقرانة، وأن طاهر بن معوضة تصالح معه[6].

وفي شهر ذي القعدة سنة ٨٢١هـ نزل الإمام علي بن صلاح إلى بلاد طاهر بن معوضة وأخذ عليه حصنين بلق[1] والقُلّة[2]، فخرج الأمير بدر الدين الكاملي لمقاتلة الإمام إلى بلاد طاهر آخر ذي القعدة،

الحجري وغيرهم، وخُبان قرية بجوار النادرة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٥٨/١، وقال القاضي اسماعيل الأكوع: وخبان ناحية من أعمال يريم من مخلاف ذي رعين، وكانت هجرة الذاري مركزها، ثم قسمت سنة ١٩٧٢م إلى ناحيتين، إحداهما خبان العليا مركزها بلدة السدة، وقد سميت بناحية السدة، ثم أضيفت إليها عزل من مخلاف الشعر الذكان تابعاً للنادرة، ثم تحول إلى ناحية مستقلة تابعة للواء إب مباشرة، والناحية الأخرى، خبان السفلى، وجعل مركزها الرضمة، قرية من قرى من عزلة بني قيس، ثم أضيف إليها عدد من العزل من مخلاف آزال الذي كان يتبع النادرة، وبعض عزل من مخلاف صباح الذي يتبع رداع. مخاليف اليمن، العلامة إسماعيل بن علي الأكوع، تحقيق عبدالله السراجي، طباعة الجيل الجديد صنعاء اليمن، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م، ص٢٤٦.

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ص٤٧٢.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٦٤.

٣ العسجد المسبوك، الخزرجي، ص٥٠٩، التاريخ العامر لليمن، مُحَمَّد يحي الحداد، ١٨٨/٣.

٤ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص١٨٤.

٥ الدارم: تبة تقع في قرية شُباعة من بلاد حجاج في مديرية جبن من أعمال محافظة الضالع حالياً، ويطلق عليه حالياً اسم الدارمه، وهي تابعة لقرية شباعة التي تقع على الخط الإسفلتي المار من رداع إلى الرياشية ثم حجاج ثم يتفرع إلى دمت وجبن، ويوجد في شباعة الكثير من الآثار كالأحواض والبرك المائية المبنية بمادة القضاض، والمقرانة قرية تقع في حجاج ويفصل بينها وبين الدارمه جبل يعرف باسم بركان.

٦ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص١٨٥.

وخرج الملك الناصر من تعز إلى جهات حجْر أول ذي الحجة سنة ٨٢١هـ، فاتصل العلم بارتفاع الإمام من بلاد طاهر بن معوضة لما بلغه خروج الملك الناصر إلى تلك الجهات، ثم تسلم بدر الدين عدة حصون في حجْر، ثم وصلت البشائر في شهر محرم سنة ٨٢٢هـ أن الأمير بدر الدين بن زياد الكاملي انتصر على عسكر الإمام وأسر الجميع منهم، وكانت خيلهم قدر مائة وخمسين فارساً ورجلهم يزيد على ألف وخمسمائة، فتعطف عليهم وأطلق الجميع منهم ولم يبقى منهم في الأسر إلا مقدمان مفتاح البلوي والآخر مبارك مقدم صعدة، وجماعة من أكابر عسكرهم وتسلموا الأمراء جميع الحصون التي كان الإمام قبضها على طاهر بن معوضة قهراً بالسيف، ولم يبقى للإمام شيء في تلك الجهات[٣].

وفي شهر جماد الآخر سنة ٨٢٥هـ أرسل الإمام علي بن صلاح بجريدة ومقدم إلى بلد طاهر بن معوضة، وخرج له مقدم آخر إلى جهة عراس فأرسل الملك الناصر الأمير شرف الدين السنبلي بجريدة من الخيل والرجل، وخرج قبله الأمير صارم إبراهيم بن الأنف إلى جهة إرياب، ووصلت البشائر أن جريدة الإمام التي خرجت إلى جهة عراس انكسرت وقتل المقدم عبدُ الإمام ياقوت ووصلوا برأسه الملك الناصر[٤].

وفي شهر ذي الحجة سنة ٨٣١هـ شعرت الدولة الرسولية بخطورة هجمات الإمام علي بن صلاح فأرسلت رئيس وزرائها على رأس حملة للتصدي له فتقدم سيد الوزراء جمال الدين بن إسحاق إلى بلد طاهر بن معوضة من زبيد، وجرت معركة بينه وبين الإمام علي بن صلاح في دمت، انتصر فيها الدولة الرسولية والشيخ طاهر بن معوضة، ثم رجع الإمام إلى بلده مكسوراً مخذولاً وقتل من عسكره أكبر مقدميه وهو الشيخ يحي بن أحمد صاحب دمت، فلما قتل لم يستقر للإمام حال من بعد قتله فرجع إلى بلده في محرم سنة ٨٣٢هـ[٥].

---

[١] بَلَقْ: ويسمى أيضاً ذو بلق، وهو ما يسمة وادي القشيب في منطقة بني قيس من مديرية الرضمة خُبان بالجنوب الشرقي من مديرية يريم. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٩٤/١.

[٢] القُلَّة: من المعروف أنه يقصد ب القله ما أرتفع من الجبال، وهو اسم لعدة قرى وحصون، نذكر ماكان قريباً من مسرح الأحداث التاريخية للدولة الطاهرية، منها قرية في جبل الدار من مديرية عنس وأعمال محافظة ذمار، والقُلة قرية في جبل لبعوس من مديرية يافع وأعمال محافظة لحج، وقلة بني مسلم بلدة في أعلى جبل يريم وهي المعروفة في كتب التاريخ باسم قلعة سحمر، والظاهر أنها هي المقصودة لأنها هذه المعارك جرت في منطقة يريم. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٢٩٤/٢.

٣ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص١٨٨.

٤ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص٢٠١.

٥ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص٢١٢.

وبهذا نرى أن سلسلة المعارك بين بني طاهر والدولة الرسولية من جهة، وبين الإمام علي بن صلاح وحلفائه في المناطق الوسطى كانت متواصلة لا تنقطع، وتذكر المصادر التاريخية أن بني طاهر كانوا قد كانوا مستولين وباسطي نفوذهم على رداع وما حولها من الحصون منذ العام ٨٤٠هـ، وقد يرجع سبب ذلك إلى وفاة الإمام علي بن صلاح، فإنه عندما توفي في سنة ٨٤٠هـ، اختلف الأئمة الزيدية بعد وفاته فيما بينهم وظهر ثلاثة أئمة زيدية في وقت واحد كلاً يدعو لنفسه بالإمامة، فأدى ذلك إلى صراع على السلطة فيما بينهم كما مرّ معنا.

الصراع بين بني طاهر على السلطة وحصن المقرانة: إلا أن من أهم الصراعات التي واجهت الأسرة الطاهرية هو ما جرى من مخالفة ابن أخ الملكين علي وعامر بن طاهر، علي بن تاج الدين بن طاهر بن معوضة، والذي توفي والده مع جده سنة ٨٤٠هـ، فخالف بعد ذلك على عميه علي وعامر ومعه عُبية الطاهري في حصن المقرانة، فمالوا بأن طردوا جماعة منهم، ففروا إليه فلما دخلوا فرح علي بن تاج الدين لأن يكون له بهم قوة[١].

وفي نفس عام ٨٤٠هـ وصلت البشائر بأن الشيخ علي بن طاهر قبض حصن المقرانة، وقد كان خالف فيه ابن أخيه وجماعة من المرتبين، وأظهر الفساد فحصل النصر عليه والظفر به، وذلك بمساعدة الملك الظاهر الرسولي، وأمر الملك الظاهر الرسولي بالفرح وضرب الطبلخانة ثلاثة أيام، وذلك في نهار الإثنين سابع وعشرين ربيع الأول سنة ٨٤٠هـ[٢].

وذلك أن علي وعامر جعلوا لمرتبي وحراسات حصن المقرانة جعلاً، وأباحا لهم العطاء الوافر والمنون، فلما دخلوا إلى المقرانة أدخلوا علياً وعامراً إليها فاستوليا عليها، وطرد علي وعامر هذا المخالف عليهما علي بن تاج الدين، وحبسا عُبية الطاهري في السجن، وأرادا أن يكون فيه من المخلدين، ففر عبية من الحبس هارباً وصار تابعاً لدولة أهل صنعاء، ولمن حاربهم محارباً، وعلي بن تاج الدين جعل يدور إلى بعدان ويأتي إلى صنعاء، ثم ألتقاه عماه علي وعامر وصار إلباً لهما حيث يريد أن ينهى ويأمر[٣].

[١] روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٧.
[٢] الكتاب الظاهري في تاريخ الدولة الرسولية، ابن الحاسب المصري، ص٣٠٣، تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص٣٠٤.
[٣] روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٨.

ويقول ابن الأنف القرمطي في سيطرة واستيلاء بني طاهر على الحصون في تلك المناطق: "وكان أمراء الملك الظاهر الرسولي قد استولوا على حصن رداع[1] بأمره، وتركوه في أيدي بني طاهر، وبنو طاهر قد حازوا كثيراً مما يليهم من حصون الدولتين السلطانية والإمامية بعد سنة ٨٤٠هـ، وكان أهل دمت[2] معادون وإلى حربهم رايحون وغادون، وهم الذين يجرون لحربهم من صنعاء وذمار أهل الدولة، ولا يزال عنهم بهؤلاء الصولة، فكان ملك هذه البلاد مما قوى أمرهم، ورفع للقيام على الملوك بني رسول قدرهم، وكانوا لعدن يحاولون وللدولتين في اليمن والجبل يطاولون[3]".

ومن خلال كلام ابن الأنف القرمطي نجد أن بني طاهر كانوا قد بدأوا بتوسعة نفوذهم على حساب الأئمة الزيدية والدولة الرسولية في آواخر عهدها، وتحديداً من بعد العام ٨٤٠هـ، إلا أن سيطرتهم على مدينتي رداع ودمت قد تكون قبل ذلك التاريخ وذلك بولاية من الملك الظاهر الرسولي عندما سيطر

١ حصن رداع: مدينة في شرقي ذمار بمسافة ٥٣ كيلو متر، تقع في هضبة محفوفة بالكروم والفواكه والحدائق الغناء، التي تحيط بها الجبال من جميع الجهات، وللمدينة القديمة سور حجري إلا أن العمران الحديث قد تجاوزها وتناثرت القصور والمباني الجميلة وسط حقول وبين الهضاب، ومن معالمها الأثرية قلعتها الشامخة التي يعود تاريخها إلى عهد شمر يرعش، وكذا مسجدها المعروف بمسجد العامرية الذي بناه السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري سنة ٨٩٤هـ، والمسجد في طابقين الأول للعبادة والثاني لتدريس العلم وهو في غاية من الزخرفة والإتقان، قال القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع: رداع مدينة من أجمل وأحسن مدن اليمن النجدية موقعاً، وأجملها منظراً وألطفها هواءاً مع اعتدال المزاج وصحة المناخ ورقة النسيم، وهي عروس ذات حدائق غناء، وقصور شماء، وهواء طلق يكسب الإنسان صحة وقوة ونشاطاً وجمالاً، قال العلامة عبدالرحمن الآنسي المتوفي سنة ١٢٥٠هـ من قصيدة له:

أسند الطرف مرسلاً السماع* إن خير البقاع بلدة رداع

وتقع في قلب وادي رحب، يتصل بها قلعة شهباء إمتطت هضبة جبلية في قلب المدينة وكأنها عرش ملكة الجمال، أو خطيب مصقع يقص عليهم وقائع الدهر، وتشكل رداع وما حولها سبع مديريات تابعة لمحافظة البيضاء، تضم المراكز الإدارية التالية: قيفة آل محن يزيد وقيفة ولد ربيع وقيفة آل غنيم، وصباح والرياشية والعرش ومديرية مدينة رداع. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٨١/١.، وقال القاضي اسماعيل الأكوع: مدينة عامرة، وهي من المدن القديمة، ورد ذكرها في الكتابات المزبورة على الأحجار اللغة الحميرية، وتقع إلى الشرق من ذمار على مسافة خمسين كيلو متر. أنظر: مخاليف اليمن، اسماعيل الأكوع، ص٣٧.

٢ دمت: مدينة بالشرق الجنوبي من يريم بمسافة نحو ٤٥ كيلو متر، تشكل اليوم إحدي مديريات محافظة الضالع وكانت سابقاً تابعة لمحافظة إب، وقد اشتهرت مدينة دمت بالقرن التاسع الهجري في أيام السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري، حيث كانت في نواحي عاصمة مملكته، ولكن شهرة دمت ترجع إلى الجبال البركانية الموجودة فيها ومنها جبل الحرضة، وكذا منابع المياه الحارة التي تصل إلى نحو ٤٨ عيناً، وهي مناطق يقصدها الناس للإستشفاء، وتعتبر المناطق القريبة من حمام دمت غير صالحة للزراعة، ذلك أن المياه الجوفية حارة ومالحة، وتشمل مديرية دمت عدداً من البلدان أشهرها: رخمة والأحروم وقهلان ومنقير والظاهرة وميفعان وحمة لهب وكنة والمثيل والسوداء وغيرها. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٢٠/١. وفي دمت الكثير من المعالم التاريخية كحصن دمت الذي يقع في دمت القديمة وجسر عامر الذي بني في عهد السلطان عامر بن عبدالوهاب.

٣ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٣٤.

عليها أمرائه على رداع وما حولها كما مرّ معنا، وقد كان الملك الظاهر يحي بن الأشرف الرسولي قد تولى الحكم في جمادى الاخرة سنة ٨٣١هـ، وتوفي في سنة ٨٤٢هـ[١].

وكان بني طاهر قد عينوا ريحان بن سعيد والياً عليها، وقد كان ريحان بن سعيد خرج من صنعاء عندما سيطر قاسم سنقر على صنعاء سنة ٨٤٠هـ[٢]، فمال ريحان إلى علي بن كامل وهو في منيف ووقع لهم خلاف في حجر سدين، ودخل جماعة من أهل الحاوري على أيديهم، فأخرج أهل الحاوري علي بن الحسن وإسماعيل بن أدريس بعد قتال، وخاف ريحان من همدان فخرج إلى الأشراف صلاح وأخوته ثم ذهب إلى علي وعامر ابني طاهر حين اضطهد وخاف، فالتقياه بالإحسان والإنعام وولياه حصن رداع، وجعلا له فيه الحل والإبرام[٣].

وقد كان ريحان بن سعيد يَفِدُ إلى الإمام الناصر بن مُحَّد بعد سيطرته على صنعاء، وكان في رداع من قبل بني طاهر كما ذكرنا، وكان الناصر يتلقاه بالإيناس والجميل، ويرفع قدره عند الأصاغر من أهل دولته والأكابر، وصرف إليه أمن أهل بابه كما كان وقت علي بن صلاح وأضاف إليه خدامه من جميع أهل السلاح[٤].

إلا أن الحال تغير بين الإمام الناصر وريحان بن سعيد، ولم تدم سيطرة بني طاهر طويلاً على حصن رداع تحت ولاية ريحان بن سعيد، فقد سقطت رداع في يد الإمام الناصر بسبب الخيانة التي حصلت من أحد أصهار ريحان بن سعيد وهو علي بن الكامل، وأدت هذه الخيانة إلى تسليم حصن رداع، وكان الإمام الناصر يحكم معظم المناطق الزيدية، خاصة صنعاء وما كان من جهة ذمار.

ويذكر ابن الأنف القرمطي أحداث ما جرى في رداع، فيقول: "أقام ريحان بن سعيد في خدمة الناصر، وبنو طاهر مبقون له حصن رداع وما إليه، وهي تفد الحبوب الكثيرة من رداع إلى الإمام الناصر.

وهذه رداع عمدة ما مع أهل دولة صنعاء وذمار، وما تحمل مشاقهم ومحاطهم وتكاليف حصونهم على الإستمرار لما فيها من الزراعات والحبوب التي هي جل ما لديهم وأكثر ما تحصل جباتهم إليهم.

فلما كانت تصل إلى ريحان بن سعيد الحبوب الكثيرة وتأتي إليه من نواحي رداع الميرة، قال علي بن كامل للناصر: ما الذي عندك ولديك أو والذي يصل إليك ورداع مع مع ريحان بن سعيد وسائر ما

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ١٠٣.
٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٧٣، اللطائف السنية، الكبسي، ص١٧٠، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٣٤.
٣ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٣٤.
٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٣.

في بلادك سواها لا تغني ولا تفيد، وكثر الحديث من ابن علي بن كامل وغيره إلى الإمام، وقالوا له ليكن إلى رداع منك القصد والمرام، وقالوا له احتل في قبض هذا المكان وخذ ما يجيء من حب ولا تبالي بريحان وأنت تعطيه أقل من هذا وهو ينفعه، وتقبض يده من هذا المكان رداع، وعنه تردعه، وكان ريحان مصاهراً لابن علي بن كامل زوجته ابنته، وكانت عنده أخته بعد أن ماتت عنه، وكان موضع سره، وريحان مرتكن عليه في سره وجهره، وقال الناصر لعلي بن كامل، در في ذلك الحيلة وكن إلى الرأي فيه وسيلة، فقال الرأي أن تصفدني وإياه في الحديد وتطلب منه ما تشاء وتزيد، فدخلا إلى الناصر للصباح على العادة فلما خرجا من عنده أمر من أوثقهما لما دبره من الإرادة، فقال ابن كامل: هل لي سبيل إلى أن أوافق صاحب أمري وأكلمه عساه أن يزيل عني أصري، فأمر الناصر بدخوله، فقال له أوثقنا بالحديد وبادر الخروج بالعساكر لتنال ما تريد، وأخرجنا مصفدين أمامك لتبلغ فيما أملته مرامك، فبادر الناصر الخروج ومعه العساكر، وأخرجهما أمام عسكره مصفدين على حمارين ولم يشاور، فلما أنتهى إلى رداع طلب من واليه التسليم، فامتنع الوالي وقال: لا أفعل ولا يخطر على بالي، فقال الناصر لعسكره: بادروا إلى الحصن بالقتال واجعلوا ريحان بن سعيد حينئذ لما يرشقون به من الحجار والنبال، فقاموا لقتال أهل الحصن وجعلوا ريحان بن سعيد رد جنبهم بعد أن لبسوا للحرب لامتهم، فلما رأي ريحان بن سعيد ذلك ناجاهم بالتسليم، وصاح لهم أنهم طابوا فيه وهو مليم، فسلموا حصن رداع إلى الناصر، وفك ريحان بن سعيد، وكان في عسكره الناهي والآمر، وعاد إلى صنعاء بعد أن افتتح رداع وانتقض الصلح بينه وبين بني طاهر، وصار ما عقدوه إلى انقطاع[1].

ثم أن الإمام الناصر لزم الأكراد بني سكر وأودعهم الحبوس حتى سلموا له مَعْسِج[2] في بلاد عنس، ولم يذكر قتالهم معه في هران، ولولاهم كان في الضيق والحرج[3].

وبعد استيلاء الناصر على رداع وحصنها صالح بني طاهر، وجمع عساكره وأعد العدة وسار بجيوشه إلى مدينة صعدة، واصطلح هو وبنت الحسن على أن زوجته ابنتها بدرة بنت مُحَمَّد بن علي بن صلاح[4].

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٣.

٢ مَعْسِج: سائلة معسج، واد ومنطقة في عنس، بالقرب من مدينة ذمار في غربيها، تضم مجموعة قرى تشكل في أعمالها مركزاً إدارياً من مديرية عنس، ومن هذه القرى دفينة وخرار وماريه وميفع وخرابة المقادشة ومروحان وغيرها، وهي من البلدان الحميرية وفيها آثار قديمة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٥٧٨/٢.

٣ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٥.

٤ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٥.

والراجح أن واقعة استيلاء الإمام الناصر على رداع كان في أواخر سنة ٨٤٧هـ، لأن ابن المؤرخ الأنف القرمطي يذكر أن الإمام الناصر بعد هذه الواقعة قد أعد العدة والجيوش للطلوع إلى صعدة، وقد ذكر المؤرخ يحي بن الحسين أن الإمام الناصر في بداية سنة ٨٤٨هـ سار إلى صعدة فلبث فيها ثلاثة أشهر، ووقع الصلح فيما بينه وبين الشريفة فاطمة بنت مُحَمَّد بن علي بن صلاح، ثم رجع إلى صنعاء[١].

وفي نفس عام ٨٤٨هـ كان الإمام الناصر في صنعاء ومال إليه آل عمار، وخالفوا على بني طاهر، ووقعت بينهم حروب شديدة، فاستدعوا الناصر بن مُحَمَّد، فسار إليهم معيناً لهم على بني طاهر، وحط في جبل النّقْع المجاور لبلاد بني طاهر وحاربهم، ثم وقع الصلح بين الجميع، ورجع الناصر بن مُحَمَّد إلى ذمار فلبث فيه أياماً[٢].

ثم خرج الناصر إلى ذمار فجمع أحزابه وعب كالسيل عبابه، وخرج على غفلة إلى بني طاهر فدخل مدينة دمت عنوة، ولم يكن لمن فيها وقعة قوة، ونهب وأخرب وألتجأ أهلها إلى الحصن في دمت ودخل بعض العسكر دار داود بن طاهر وفيها أهله وأولاده، فانتهبها[٣].

وعاد فقصد حصن هيوة[٤]، فغشى من فيها الجبن فسلموا الحصن، وهو من الحصون الرفيعة والمعاقل المنيعة، ولكن أحدث من فيه الذل والرهب وأرهبوا لما كان عليه الحرب[٥].

وفي سنة ٨٥٢هـ وقع الصلح بين الناصر بن مُحَمَّد وبني طاهر[٦].

ومن خلال هذا الأخبار التي وقعت قبل قيام الدولة الطاهرية، يتبين لنا أن حرب الطاهريين ضد الأئمة الزيدية كالإمام علي بن صلاح الدين ثم من بعده الإمام الناصر بن مُحَمَّد، كانت نيابة عن بني

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨١.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨١.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٦.

٤ حصن هيوة: قرية في رأس جبل عدادها من مديرية صباح من أعمل رداع وأعمال محافظة البيضاء، من القرى المجاورة لها فُرغان وقرن قاسد والمنصورة وخربة جرادة ومشورة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٨٤٠/٢. وقال القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع: هَيوة بفتح الهاء وسكون الياء، بلدة معلقة في الهواء وهي كمعقل أشبه أهله بالسكان من آل علاو وعدادها من مخلاف آل عمار صباح، يقول فيها الفقيه أحمد بن قاسم الشامي يحض الأمة الفوضويين بقصيدة كبيرة جاء فيها:

هلا سألت مطهرا وصلاحا * هل حصلا للمسلمين صلاحا

أو ليس أملاك المتوج طاهر* ملكوا رداع وهيوة وصباحا

ورمى علي في خبان بعسكر* وأصاب دمت ونهرها السفاحا

أنظر: حاشية روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٦.

٥ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٦.

٦ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨٣.

رسول في منطقة رداع والمناطق الوسطى من إب التي كانت تعتبر خط الدفاع الأول ضد التوسع الإمامي فيها وفي المناطق المجاورة لها كبلاد ذمار وغيرها، وكان الأئمة منذ دبّ الضعف في الدولة الرسولية قد شددوا هجماتهم عليها في كثير من مناطق نفوذها وحتى تهامة، ويتبين ذلك من خلال الخبر الذي أوردناه عن تصدي بني طاهر والملك الناصر الرسولي سنة ٨٢٠هـ للإمام علي بن صلاح الدين صاحب صنعاء وغيرها من الأحداث.

فقد كانت حرب الطاهريين ابتداءً هو نيابة عن الدولة الرسولية في ذلك الوقت والتي كانت هي الدولة الشرعية في اليمن وتخضع لها جميع المناطق اليمنية ويخاطبها ملوك الأرض، وتؤيدها الخلافة العباسية في ذلك الوقت.

ثم إن حرب الطاهريين للأئمة الزيديين في ذلك الوقت كانت عبارة عن دفاع عن مناطقهم ونفوذهم وردع للتوسع الزيدي في المناطق التي كانت خاضعة لسيطرة الطاهريين، وهم ولاة الدولة الرسولية.

الفصل الثاني

الصراع بين الدولة الطاهرية والإمام الناصر صاحب صنعاء

بعد سقوط الدولة الرسولية على يدي الملكين المجاهد علي بن طاهر وأخيه الظافر عامر بن طاهر، وذلك باستيلاءهم على مدينة عدن وإخراج المؤيد آخر الملوك الرسوليين منها في عام ٨٥٨ هـ[١]، بدأت الأمور تسهل لهم في بقية مناطق اليمن وتأتيهم الوفود من القبائل اليمنية مبايعة لهم ومطالبة إياهم في بسط نفوذهم على بلدانهم كما مرّ معنا، فكان بعد ذلك استيلاءهم على مدينة تعز ثم مدينة زبيد.

وفي المقابل فإن أطماع الإمام الناصر بن مُحَمَّد قد بدأت تتسع وخاصة بعد سقوط الرسوليين فقد أراد أن يوسع نفوذه على حساب ضعف الرسوليين وانهيار دولتهم، ولكن الطاهريين كانوا أقدر منه لأسباب كثيرة أهمها أنهم كانوا محل ثقة أغلب المناطق والقبائل اليمنية التي سارعت لإعلان الولاء لهم، ثم أنهم كانوا الورثة الشرعيين للدولة الرسولية فقد كانوا ولاة للرسوليين لأكثر من نصف قرن في أغلب المناطق الوسطى، وبمقام خط الدفاع الأول للتوسع الإمامي، وأخيراً فإن أطماع الإمام الناصر كانت في الحقيقة على حساب مناطق بني طاهر، والتي كان يعلم الجميع أنها خاضعة لنفوذهم منذ زمن بعيد وأنها بلادهم التي كانوا مشايخها وزعمائها، فلم يكن ليقبل بنو طاهر توسع الإمام الناصر وغيره من الأئمة في مناطقهم وهم ولاة للرسوليين، وقد مرّ معنا ذكر صراعهم من أجل ذلك وتصديهم للتوسع الإمامي خلال فترة حكم الرسوليين، فكيف وقد أصبحوا ملوكاً لليمن خلفاً للرسوليين.

لذا كان من أهم أهداف بني طاهر الإستيلاء على مدينتي رداع وذمار وما حولها من مناطق ما تحت النقيل وهي ما كانت تعرف باليمن الأسفل عند بعض المؤرخين، وذلك للحدّ من نفوذ الناصر وعدم توسعه في المناطق التي تُعد تابعة لهم، وفي هذا المبحث فإننا سنتكلم أولاً عن الإستيلاء على مدينة رداع، ثم نتكلم بعد ذلك عن استيلاء الطاهريين على مدينة ذمار، وذلك في ثلاثة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: ابتداء الصراع بين بني طاهر والإمام الناصر في المناطق الوسطى

المبحث الثاني: إستيلاء الدولة الطاهرية على رداع

المبحث الثالث: إستيلاء الدولة الطاهرية على ذمار

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١١٧.

المبحث الأول

ابتداء الصراع بين الدولة الطاهرية والإمام الناصر

في المناطق الوسطى

استمر الصلح الذي ذكرناه والذي وقع في عام عام ٨٥٢هـ[1] بين الإمام الناصر وبني طاهر لمدة عشر سنوات، وكان كلاً من الطرفين مشغول بإقامة دولته وتثبيت أركانها وترسيخ الحكم في المناطق التي تحت سيطرته، لذلك لم يرد أياً من الطرفين استفزاز الآخر في باديء نشأة الدولة الطاهرية، فلم يذكر أي أحد من المؤرخين أي أحداث وقعت بين الإمام الناصر والملكين عامر وعلي ابني طاهر بن معوضة ما بين عامي ٨٥٢هـ و٨٦٢هـ.

ثم أن بني طاهر لما رأوا أن الإمام الناصر قد بدأت أطماعه تتضح تجاه المناطق التي كانت تحت سلطة الدولة الرسولية، أرادوا أن يحدّوا الإمام الناصر من التوسع تجاه مناطق نفوذهم، لذا كان لابد لهم كما ذكرنا أن يبسطوا كامل نفوذهم على مدينتي رداع وذمار وما حولهما من المناطق الوسطى، وكان أول مواجهة بين الإمام الناصر والملكين الجاهد والظافر ابني طاهر بعد تأسيس دولتهما هي في عام ٨٦٢هـ.

وقد أورده المؤرخ ابن الأنف القرمطي في تاريخه أحداث ما جرى فقال: "إن عامر بن طاهر أسعر الحرب، وأنه عن نواحيه غير متواني، وفي المقابل خرج الإمام بعساكره من وادي لؤلؤة وعبروا قمرة ووادي ضلع، وقد أصدر من نظر في القلعة المحروسة اطلع فرأى فيها الأشراف وهمدان[2] أسود الكفاح، وقد استعدوا بالخيل والقياس والنبل واستلاموا بالسلاح فحين علم الإمام ذلك أعرض عنهم ونزل من ضلع فبات في قرية ذهبان[3] وسار برجاله وخيله إلى ذي ضان، وأغار من القلعة الرماة والحماة وكان طريقهم عرام، وقالوا لا نلاقي الناصر حيث قصد ورام وقد جمع الصنو علي بن الحسن الأحلاف ومعه عساكر همدان والأشراف وقد أكرمهم وأحسن إليهم وتلقاهم باجمل ما يتلقى الأضياف، وعاد الناصر

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨٣.

٢ همدان: المقصود بهمدان هنا هي كما ذكر العلامة مُحَمَّد بن علي الأكوع: همدان الدنيا ناحية من صنعاء في شمالها، وهمدان عند المؤرخين هي ما شملت حي حاشد وبكيل. أنظر: حاشية روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٣٢.

٣ ذهبان: قرية من السدس الثاني من بني الحارث شمال صنعاء بغرب على مسافة نحو اثني عشر كيلو متراً تقريباً. مخاليف اليمن، اسماعيل الأكوع، ص١٧١.

إلى صنعاء بمن معه من العساكر ورتب فيها، ودخل فيها من يحميها، وتوجه لملاقاة بني طاهر، ثم وقع الصلح بينهم، ودخل همدان ومن إليهم في صلح الملك الظافر عامر بن طاهر[1]".

وقد كانت قبائل همدان حلفاء لبني طاهر فشملهم ذلك الصلح[2].

وقد أخرب همدان كثير من البيوت والبور عند صنعاء وما حولها وأخربوا في رسلان، وأخربوا إلى ما حول صنعاء من البلدان وأما قصر الميسر، فإن أهل الدولة يجعلوه إلى وادي ضلع ورتبوهم فيه ليكتفوا به شر همدان، فلما وصل كتاب عامر بن طاهر بإنعقاد الصلح سر الناس وتركوا الحرب وحصل بالصلح الإيناس[3].

ولم تسفر المواجهة عن قتال مباشر ومواجهة حقيقية بين الملك عامر بن طاهر والإمام الناصر، بل انتهت بالصلح بينهما كما ذكرنا، ففي المحرم أو صفر من سنة ٨٦٢هـ، نزل الإمام الناصر مُحَمَّد صاحب صنعاء من بلده قاصداً ناحية جبن بلد بني طاهر، فتلقاه الملك الظافر وقاومه، واصطلحا من غير قتال ورجع الناصر صاحب صنعاء إلى بلده[4].

ولكن يبدو أن هذا الصلح لم يكن صلحاً نهائياً أو أنه لم يكن اتفاقية ملزمة، فسرعان ما قامت الحرب بين الطرفين الطاهريين والإمام الناصر بعد سنة وبضعة أشهر تقريباً، مما يدل على أن الصلح بين الطرفين كان مؤقتاً.

"ففي رجب أو في شعبان من سنة ٨٦٣هـ، قامت الحرب بين صاحب صنعاء والملكين ابني طاهر، كما ذكر ذلك العلامة ابن الديبع، وهجم الأمير زين الدين جياش السنبلي على محطة صاحب صنعاء، وقتل من أصحابه جماعة وأخذ خيلهم[5].

ويذكر ابن الأنف القرمطي أحداث ما جرى بين الملك عامر والإمام الناصر فيقول: "أن الملك عامر جمع العساكر وقام بحرب الناصر قومة المسارع المبادر وخرج إلى بلاد عنس[1] وما إليها فعاث في البلاد

---

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٨٢.

٢ ذكر هذا التحالف بين همدان وبني طاهر ابن الأنف القرمطي في كتابه روضة الأخبار ونزهة الأسمار، وقد كان الملك الناصر الرسولي قد حالف بين الشيخ طاهر بن معوضة وأخيه الحسين بن الحسن والذي كان يحكم همدان في ذلك العصر. أنظر: روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٠.

٣ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٨٥.

٤ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، تحقيق د. يوسف شلحد ص ١٢٧، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي ص ٢٤٤.

٥ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، تحقيق د. يوسف شلحد، ص ١٢٧.

وأخرب فيها، وتسلم خبج من زُبيد[٢] ونواحيها، ولم يبقى فيها إلا مواضع قليلة وامتنعت لحصانتها وحماية أهلها، وقاتلوا من لجأ إليها وأداروا دائرة السوء عليها.

ووفد كبار عنس إلى الإمام الناصر يصطرخون ويقولون: إن عساكر عامر قد قربت من ذمار فالبدار البدار، قبل أن يسبقوك إلى مدينة ذمار، ويأتونك من ورائك فلا يمكنك منهم الإنتصار، فرفع الناصر خيامه ومحطته وأسرع إلى بلاد عنس غارته، خشية أن يبادر عامر فرصته ووقع بينهم القتال في تلك البلاد، ووصل الملك المجاهد علي بن طاهر إلى أخيه في خيل تهامة مع الجياد ورجالها السمادعة الأجواد فوقفنا بحد الناصر، فلما كان الليل وثبت بنو طاهر على الناصر إلى محطته وانتهى أوائل عسكرهم إلى قرب خيمته وقتلوا جماعة عند الخيمة وخرج ابن علي بن الكامل فقاتل عند خيمة الناصر وانتدى ورفع صوته بالإهتراء، فاجتمع إليه من اجتمع وشجع من تشجع، وأتى إليه من على الهرب أزمع، وحتى كان أصحاب الناصر هموا بالفرار فلم يجدوا إليه سبيلاً، وقد أحاط بهم عسكر بني طاهر من جميع الأقطار، فلما كان الصباح رجع كل من مع بني طاهر إلى مكانهم في المحطة، وأقرء لهم بنو طاهر الخطة.

وقد كان عامر لقي القوم أرادوا أن يشحنوا حصن هيوة بأمر الناصر فلزمهم جميعاً وأخذ ما معهم من الطعام، وزقم ابن الشريف منصور، ووصل كأنه يعلمنا بذلك أعز الله نصره وأمضى أمره، ووصل إلى بني طاهر عطيفة بن المنتصر، وكان لمودتهم يظهر خلاف ما عليه أخوه مُحَّد بن المنتصر فخاطب ابني طاهر بالهدنة وقال لكما عليّ بذلك المنة، فأجاباه إلى ما طلب، وكان ألمّ مع بعض أولاد عامر بن طاهر، فأجاب إلى الصلح فهو لذلك السبب.

وكان الناصر قد أتهم أكبر أهل عسكره ومقدمته أن ابن طاهر بذل لهم في ان يفتكوا به أو برمته يسلموه، فأحسن بنو طاهر إلى عطيفة بن الأمير وأعطوه بغيته من الذهب والحرير، وعاد الناصر إلى

---

١ عنس: مخلاف مشهور، ويدخل تحته الان كثير من المخاليف، مثل مخلاف جبل الدار ومخلاف إسبيل ومخلاف منقذة، وعنس لقب زيد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، ومالك لبه مذحج أبو قبيلة من اليمن من مذحج، ويقال إنه منسوب لعنس بن زيد بن سدد بن زرعة بن سبأ الأصغر، وهو مخلاف نفيس كثير الخير، عتيق الخيل، كثير الأعناب والمزارع والمآثر، به بينون وهكر وقصور قد ضمن ذكرها كتاب الإكليل، ومنها مداقة وبوسان ورخمة وجبل لبؤة بن عنس، وجبل إسبيل منقسم نصفين فنصف إلى مخلاف رداع ونصف إلى مخلاف عنس. أنظر: مخالف اليمن، اسماعيل الأكوع، ص٤٠،١٧.

٢ زُبيد بضم الزاي، إحدى القبائل المذحجية المشهورة وهذه زبيد عنس، وخُبَج بضم الخاء وفتح الباء، بلدة عامرة في عنس شرقي جنوب ذمار ومن اعمال ذمار، والبراق قرية هناك ولهذا تقول الأعراب خبان والبراق أسمان متلازمان. أنظر: حاشية روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، تعليق القاضي مُحَّد بن علي الأكوع.

ذمار، وبنو طاهر إلى بلادهم، فوقف الملك الظافر عامر بن طاهر في حجْر[1]، ونزل الملك المجاهد علي بن طاهر إلى تهامة لصلاح ما هنالك من أمر[2]".

استيلاء الناصر على حصن كحلان[3]: كان الغَز في ذمار وكثير ممن عندهم قد أركنوا عامر بن طاهر ووعدوه أن يأخذوا الناصر إذا خرج إلى صلاة الجمعة برمته، ويسلموه إلى بني طاهر حين قيامه لخطبته فهم بذلك الرأي يحكمون، ولأمره يبرمون إذ جاءهم علم كحلان، واستيلاء القاضي علي بن أبي الحسين اليحيري عليه فارتعدت فرائص الناس ووجلت قلوبهم في كل مكان[4]، وقد كان حصن كحلان من أملاك وحصون الدولة الطاهرية.

وقد كان استيلاء الإمام الناصر على حصن كحلان بواسطة حلفائه، وبسبب خيانة حصلت من قبل حراسات الحصن في شهر رجب من سنة ٨٦٤هـ، وذلك بعد القتال الذي جرى مع الملكين علي وعامر ابني طاهر[5]، وقبل موقعة رضَم في رداع والتي جرت في نفس عام ٨٦٤هـ[6].

ويذكر ابن الأنف القرمطي الأسباب التي أدت إلى سقوط حصن كحلان بيد الإمام الناصر وتمكن أعوانه من الإستيلاء، فيقول: "وسبب ذلك أن عامر بن طاهر بذل ليحي بن عباس على أن يميل إليه

---

١ حجْر: من قبائل ذو رعين من حمير، وهم بنو حجْر بن ذي رعين واسمه يريم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس، إليهم ينسب آل الحجري أهل وادي بنا في السدة منهم المؤرخ النسابة القاضي مُحَمَّد بن أحمد الحجري مؤلف كتاب مجموع بلدان وقبائل اليمن، وشقيه الرئيس القاضي العلامة عبدالله بن أحمد الحجري وهو عالم فاضل تولى أعمالاً حكومية، ومن اولاده أحمد بن عبدالله الحجري الذي كان محافظاً لتعز. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٤١٩/١، وقال العلامة اسماعيل الأكوع: حجر صقع يقع إلى الشمال من جبل الحشا، ويمتد شمالاً إلى الأعشور، وشرقاً إلى الشعيب، ومنه قعطبة ونواحيها، وقال الحجري في مجموع بلدان اليمن وقبائلها: بلاد حجر هي المعروفة اليوم ببلاد اليوبي، وسألت عنه بعض العارفين فقال: أنه مكون من حمر السادة وحمر أبو هدال وحمر الشعب والسقمة والقوز، وقال الأكوع: وحجر هذه تسمى حجر رعين، ومنها علوان الجحدري من أعيان المائة السابعة وله ذكر في تاريخ الدولة الرسولية. أنظر: مخاليف اليمن، اسماعيل الأكوع، ص١٤.

٢ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٢.

٣ حصن كحلان: كحلان ذي رعين وهو مركز إداري من مديرية الرضمة وأعمال محافظة إب، يقع شرقي مدينة يريم بمسافة ٢٣ كيلو متر، سمي نسبة إلى كحلان بن نمران بن هفان الرعيني من ولد يريم ذي رعين الأكبر بن سهل بن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن شمس بن وائل بن سردد بن زرعة بن سبأ الأصغر، يعد من المناطق الأثرية الهامة وفيه حصن مندثر، وكان الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي قد استوطن كحلان ذي رعين واتخذها قاعدة لمملكته، حيث استقر بها من سنة ٣٠٦هـ، إلى أن مات بها سنة ٣٣٢هـ، وقد نقل جثمان الأمير أسعد إلى شاهرة بمنطقة ضلاع همدان بالغرب الشمالي من صنعاء حيث دفن في بستانه الموقوف على الجامع الكبير بصنعاء. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٣٣٠/٢.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٣.

٥ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٧، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٣.

٦ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٦، روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٢٨.

من أجانب الناصر وقد أراد القيام على القاضي وما إليه من البلاد وماله يحاور، ووضع له عطاء مالَ إليه قلبه واشتاق إليه، وفيه ما يعجبه فسار يحي إليه مبادراً، ولم يكن على حصن كحلان محاذراً.

فحسده ابن عمه مُحَمَّد بن جسار، وقال: أنا شريكه في الدرهم والدينار وهؤلاء بنو طاهر قد أقبلوا عليه وتركوني ظهرياً، ولنا قسيمه ومشاركة، وقد استأثر بما يصل إليه ولم يعطني شيئاً فحصل التسهيل في حراسة كحلان، وقد سار أجواد رتبته مع يحي يرمون أن ينيلهم معه الإحسان.

وكان جماعة من أهل بلد كحلان قد قلت آدابهم وصار السرق عملهم والفساد في البلاد دأبهم، فعاقبهم يحي أشد العقوبة ولم يقبل لهم أبداً توبة، فكانوا في عساسة كحلان راتبين، أي حراسات منتظمة لحراسة حصن كحلان، وفي إزالة بني المعمري منه راغبين، وقد بذل لهم القاضي بن أبي الحسين البدائل وهو لهم على أخذ حصن كحلان متغافل، فما برحوا في ذلك ولا زالوا وعليه إذا جمع أمرهم إليه آلوا، وجاءت إلى مُحَمَّد بن جسار النذارة، أن يحرس كحلان ويجمع إليه الرجال، قبل وثوب أهل العدوان، وقبل أن يطلع جماعة من مزيج، واحترزوا على العهدة قبل أن يصيروا في أمر مريج، فقال: وأمر يحي بن عباس له من الملوك الغنى ونحن نبعث في ضيافة من أتى إلينا وسعى، وجاءت إليهم كتب بما ذلك معناه، فلم يفتح مُحَمَّد بن جسار الكتب، ولا نظر إلى تلك الورق، حتى فتحها القاضي بعد أن طلع إلى رأس كحلان وحلق.

ولما كان في بعض الليالي رجب من سنة ٨٦٤هـ جاء إلى القاضي من أهل بلد كحلان الطاغون وقالوا إنا ولينا على كحلان العساسة أي الحراسة، ووجدنا من فيه ليس لهم حراسة، وقد غاب خيارهم مع ابن عباس، فبادر قبل أن يرجعوا ويكون لهم الإحتراس.

فجمع القاضي من لديه وأظهر أنه قاصد لموكل، وكانوا قد نهبوا عسكره قبل ذلك وهرب عنه خوفاً قبل أن يقتل، ثم استحلف من معه أنهم على رأي ولو أوردهم البحر، وكتم عنهم ذلك الأمر، وسار في ليلة ظلماء قد طبق فيها السحاب وانهمر السماء فلما صار إلى القوفعة[1]، طرف جبل أسس وعرفوا أن المداد كحلان جبنوا وأرجفوا، وقالوا: هذا أمر ما سهل ولا هان فخطبهم الجماعة الغادرون، وقالوا: لا ضير عليكم فنادوا لتكونوا الغالبين والظافرين فشجعوهم وحظوهم وأطلعوهم، فلما قربوا من الحيد فشلوا ووقفوا عن الطلوع ونكلوا.

---

١ القَوفعة: بفتح القاف بلدة من عزلة شيزر. أنظر حاشية القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٤.

فطلع الجماعة أهل العيب مبادرين وقد نصبوا سلماً ليطلعوا فيه، وطلع من بعدهم مُحَمَّد بن أبي الحسين وبعده العسكر على توالية، وأسقط قوم بيضة من الحديد من رأس السلم، وأراد أن يُنبه من في الحصن ويعلم، فلم يكن من أهل الحصن حركة بل أنهم في المنام حتى أرأس القوم عليهم بالإعتزام، وأكثر الناس في المسجد رقود، ومُحَمَّد بن جسار والنساء والأطفال في القصر هجود، وكانت انتبهت بنت مُحَمَّد بن جسّار إمرأة يحي بن عباس وقالت: معنا الرحى العساس، وقالت إمرأة مُحَمَّد بن جسار: أرقدي فما عليك من بأس، فلم يشعروا إلا والقوم في داخل الحصن، ودخلوا بيت المهتار، فضربوا الطبل وجاءتهم العساكر، واجتمعت إليهم القبائل والعشائر، ودخل أهل مزيج مغبرين حتى كادوا يصلوا الباب، وكان قد ألتقاهم أخو القاضي في عسكر معه فردوهم على الأعقاب[1].

فوقف القاضي اليحيري ابن أبي الحسين ساعة في الميدان ودخل العماري يخاطب في الأمان، فأمن القاضي النساء وأسر الرجال الكبار من المعامرة والأطفال، وأرسل بهم إلى مصنعة بني قيس، فقيدهم وفي الحديد صفدهم وهم مُحَمَّد بن يحي وبنو جسار ثلاثة وإدريس بن مُحَمَّد بن عمران وكلهم مصفدون، إلا يحي بن عباس الأصغر، ويسمى الناصر بن عباس فلم يقيد لكونه طفلاً، وقال يترك في هذا الأوان ويخلى، وجعل عليهم مع القيود الرسم ممن معه في الخدم، وأطلق النساء ثم ندم على إطلاقهن وتمنى لو أنه عمل على وثاقهن.

ولما وصل العلم إلى يحي بن عباس وهو مع الملوك بني طاهر في المخيم وعلي وعامر مجتمعان وبنو داود في الجيش الأعظم، فنزل بابن المعمري بذلك البلاء المبرم.

وخرج علي وعامر بمن معهما من العساكر، وقيل لهما أن قصر كحلان لم يصل إليه أحد، وأنه محفوظ حتى يصل إليه المدد، فقالا: إذا القصر محفوظ حُملنا إلى حيد الخطر وأطلعنا إليه الرجال، ولو تناولونا وأدلونا بالحبال، فواصلا بعسكرهما إلى البركة عند بني قيس ومن معهما، وكان القاضي لما أستولى على الطود الأشم، قد نزل إلى مِزِيج وجاء عُبية الطاهري[2] من ذمار، وقد أمره الناصر للقاضي مادة، وقد أمره أن يمده ويرسل إليه أجناده، فلقيهم أهل مزيج بالإذعان وسألوهم الأمان، فأمنهم القاضي وأمر

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٣.

٢ عُبية ويقال له عُبية الطاهري من بلاد بني طاهر وقد تقلبته الأحوال إلى أن قتل مع الإمام الناصر كما سيأتي ذلك، وفي مدينة ذمار بيت يقال له بيت عُبية لعلهم من عبية هذا. أنظر: حاشية العلامة الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٥٠. وقال المقحفي: آل عبية قبيلة في وادي ضلاع همدان بالشمال الغربي من صنعاء بنحو ٨ أكيال، يعتقد أنها انتقلت في الأصل من نواحي مدينة ذمار. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠١٣/٢. وعُبية أيضاً أسرة في قرية الغولين من بلاد الحبيشية من مديرية دمت كما سمعت بذلك.

بخراب الدرب وما فيه من الأحجار، وقد كنا عمرناه عمارة أكيدة وضاعفنا فيه الجدار وقلنا هذا يرد الملوك الكبار، وإنما ذلك إلى جنب كحلان إذ هو حصنه الشامخ الرفيع الأركان.

فأسرع القاضي ومن إليه في خراب الدرب وقالوا هذا عامر بن طاهر يروم على بني قيس الحرب، وتركوا ما بقي من الدائر وثاروا مغيرين وهم مما قد صاروا إليه من الطاغين المتكبرين.

ولما وجد بنو طاهر قصر كحلان قد تسلمه القاضي رجعوا إلى بلادهم بعساكرهم وجميع من معهم من أبنائهم وعشائرهم ويحي بن عباس المعمري، وهو لِما صار معه من الضيق لا يستطيع الصبر ولا يطيق[1]".

---

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٣.

المبحث الثاني

إستيلاء الدولة الطاهرية على رداع

كانت مدينة رداع قبل أن تكون بيد الإمام الناصر من المناطق التي تُعد من مناطق بني طاهر، كما مرّ معنا أن أمراء الملك الظاهر الرسولي قد استولوا على حصن رداع بأمره، وتركوه في أيدي بني طاهر منذ سنة ٨٤٠هـ، وكان بنو طاهر قد عينوا على رداع من قبلهم على حصن رداع ريحان بن سعيد عندما لجأ إليهم خوفاً من همدان وجعلا له فيه الحل والإبرام[١].

إلا أن حصن رداع سرعان ما سقط في يد الإمام الناصر عندما كان ريحان بن سعيد والياً على رداع من قبل بني طاهر وذلك جراء الخيانة التي حدثت من صهره علي بن الكامل، وانتقض الصلح بينه وبين بني طاهر، وصار ما عقدوه إلى انقطاع،.... ثم أن الناصر صالح بني طاهر[٢]، والراجح أن واقعة استيلاء الإمام الناصر على رداع كان في أواخر سنة ٨٤٧هـ[٣].

ثم خرج الناصر إلى ذمار سنة ٨٤٨هـ، فجمع أحزابه وعب كالسيل عبابه، وخرج على غفلة إلى بني طاهر فدخل مدينة دمت عنوة، ولم يكن لمن فيها وقعة قوة، ونهب وأخرب وألتجأ أهلها إلى الحصن في دمت ودخل بعض العسكر دار داود بن طاهر وفيها أهله وأولاده، فانتهبها[٤]، ثم قصد حصن هيوة، وهو حصن في مديرية صباح من أعمال رداع، فغشى من فيها الجبن فسلموا الحصن، وهو من الحصون الرفيعة والمعاقل المنيعة، ولكن أحدث من فيه الذل والرهب وارهبوا لما كان عليه الحرب[٥].

وعندما استولى بني طاهر على السلطة وأقاموا دولتهم على أنقاض دولة بني رسول، جرت بينهم وبين الإمام الناصر أحداث ووقائع، جعلت الإمام الناصر يخشى على دولته من نفوذ الدولة الطاهرية المتسارع في المناطق الوسطى.

لم يسكت الناصر على ذلك الأمر فقد بدأ بالإستعداد لحرب الطاهريين، خاصة وأنه قد بدأ يخشى على نفسه من التوسع الطاهري في المناطق اليمنية، ولا سيما بعد وقوع مدينة الشحر وحضرموت

---

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٣٤.
٢ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٣.
٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨١.
٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٦.
٥ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٦.

وظفار تحت سيطرة الدولة الطاهرية، وأغلب المناطق اليمنية ولم يبقى لهم إلا ذمار ومناطق اليمن الأعلى كصنعاء وصعدة وعمران وحجة وغيرها مما حولها، لذلك بدأ الإمام الناصر بإعداد العدة للإستيلاء على مناطق الطاهريين وتوسيع نفوذه.

موقعة رضم: رضم منطقة تقع بالقرب من مدينة رداع، وقد جرت فيها معركة شهيرة بين بني طاهر والإمام الناصر بن مُحَّد، "ففي شهر رمضان من سنة ٨٦٤هـ وصل الإمام الناصر مُحَّد من صنعاء في عساكر كثيرة إلى جهة بني طاهر، فلقيه الملك الظافر في موضع يُقال له رفع[1].

وذكر العلامة ابن الديبع مؤرخ الدولة الطاهرية أن الموضع الذي التقيا فيه إسمه رَضم وهو موضع في ظاهر مدينة رداع، كما ذكر ذلك العلامة مُحَّد بن علي الأكوع[2].

ونرجع إلى خبر الوقعة التي كانت بين الناصر صاحب صنعاء وبين الملك الظافر ولبيان ما جرى في هذه الواقعة نترك رواية ما حدث للعلامة المؤرخ عبدالرحمن الديبع مؤرخ الدولة الطاهرية فهو أقرب إلى الحدث منا، يقول ابن الديبع رحمه الله: "وفيها أي في رمضان سنة ٨٦٤هـ، أقبل صاحب صنعاء في عسكر إلى بلد المشايخ فخرج الملك الظافر مبادراً إلى ملاقاته قبل تكامل العسكر فالتقت الفئتان بموضع يسمى رضم فاستظهر أهل صنعاء لكثرتهم وحصل في العسكر الظافري جولة قتل فيها الشيخ مُحَّد بن طاهر في جماعة، وقتل من أهل صنعاء جماعة منهم ابن كامل المشهور وقتل منهم سلطان

---

١ اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَّد بن إسماعيل الكبسي، تحقيق الأستاذ خالد الأذرعي، ص ١٨٤.

٢ رضم: يقول العلامة مُحَّد بن علي الأكوع: رضم بفتح الراء وكسرها ثم ضاد معجم وميم، موضع في ظاهر مدينة رداع، وذكره لسان اليمن في صفة جزيرة العرب، وقد وهمنا في قرة العيون وتوهمنا أنها الرضمة وقد صححنا ذلك في الطبعة الثالثة. أنظر حاشية: روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٦. ومن باب الأمانة العلمية فإننا ننقل قول الأكوع رحمه الله السابق في المقصود بموضع رضم في حاشية قرة العيون، قال رحمه الله: الرَضم في الأصل الحجارة والصخور المجتمعة وهذا الموضع هو ما يسمى اليوم الرضمة وهي قرية كبيرة ذات سور تطل على وادي سبان وفي شرقها حصن أنسب المشهور وذكره ياقوت وعدادها من مخلاف خبان الشرقية المربوطة بمدينة يريم وهي جنوب قرية الذاري المشهورة في عصرنا. أنظر حاشية: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، تحقيق العلامة مُحَّد بن علي الأكوع، ص ٥٠٠. **ملاحظة من الكاتب:** يوجد مكان يسمى رضام يقع بين قرية ضيق روبان وجبل بحضان من بلاد حجاج مديرية جبن، ومن الجدير بالذكر أن المقرانة عاصمة بني طاهر تقع أيضاً في بلاد حجاج، ولا يفصل بينهما سوى سلسلة جبلية تعرف باسم الكوال والمشرفة لا تتعدى ١٠ كيلومتر مربع، وقرن الأسد قرية تابعة لبلاد العرش من أعمال رداع، وهي تقع في نفس الخط الموصل إلى بلاد حجاج، وبهذا نجد أن هناك تقارب بين منطقة رضام في حجاج والتي تقع في الوسط بين المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية، وقرن الأسد المحطة العسكرية التي أمر ببناءها الملك عامر بن طاهر، وفي تصوري أنها المقصودة بمكان المعركة خاصة إذا علمنا أن بلاد ريام والتي انسحب إليها عامر هي محاذية ومجاورة لبلاد حجاج أيضاً من جهة الشرق، وهذا هو المرجح عندي.

الجوف علي بن مخارش الذي كان محسوباً عندهم بمائة فارس، طعنه الهمام الضرغام الملك المنصور عبدالوهاب بن داود[١]، "طعنة لم يسمع بمثلها، فإنه طعنه في رقبته فقطع حلقومه ومريه[٢].
وقتل من أصحاب الجوف[٣] جماعة، وقُتل الشيخ مُحَمَّد بن طاهر أخو الملكين المجاهد والظاهر بمكان يسمى رضم، وأسر في هذه الوقعة الفقيه عبدالصمد بن مُحَمَّد ولبث في السر سنين، ثم خلصه الله تعالى ببركة سلفه من غير سعي في فكاكه"[٤].
ويسرد أيضاً أحداث هذه الواقعة العلامة كمال الدين موسى الذؤالي الزبيدي في كتابه تاريخ مدينة زبيد وهو ممن عاصر هذه الأحداث والوقائع، يقول رحمه الله: "وفي سنة ٨٦٤هـ اجتمع عساكر الزيدية مع إمامهم الناصر صاحب صنعاء وتجاوزوا الحدود التي إلى جهة المشايخ فاسرع الظافر النهضة إليهم قبل اجتماع عساكره وباهتهم فحمل عساكر صنعاء على أصحاب الملك الظافر فصبروا مع قلتهم وكثرة أولئك واجتماعهم، وكان يوماً عظيماً ظهر فيه نجدة أصحاب الملك الظافر وشجاعتهم غير أن الدائرة كانت لأهل صنعاء فقُتِل جماعة من أصحاب الشيخ عامر منهم أخوه مُحَمَّد بن طاهر، وقتل من عسكر صنعاء الفارس المشهور علي بن مخارش قتله الملك المنصور عفيف الدين عبدالوهاب بن داوود مبارزة"[٥].

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، تحقيق العلامة مُحَمَّد بن علي الأكوع، ص٥٠٠.
٢ وكانا قد تبارزا حسب ما ورد في تاريخ زبيد لكمال الدين الذؤالي، ص ٢٤٥.
٣ الجوف: واد ومنطقة شمال شرق صنعاء بمسافة ١٤٥ كيلو متر، على أطراف الربع الخالي وفي الحدود الغربية والشمالية من محافظة مأرب، وهي منطقة تمتد في سهل منبسط تحيط به المرتفعات الجبلية، وربما أن تسمية الجوف جاءت كتعبير تقريبي لطبيعتها الحاضنة للسيول القادمة من جبال صنعاء الشمالية والشرقية وجبال خولان العالية وجبال نهم وهمدان، وكذا السيول القادمة من جبال نجران ومن جبال صعدة، ومنطقة الجوف من أخصب المناطق الزراعية في اليمن وهي تزرع الكثير من المنتجات مثل الحمضيات والتمور والحبوب والفواكه، وتشمل محافظة الجوف مديريات خب والشعف والزاهر والغيل والمصلوب والحزم والحميدات والمطمة والخلق والمتون وبرط العنان وخراب المراشي ورجوزة، وتعتبر خب والشعف أكبر المديريات حيث تشكل أكثر من نصف مساحة المحافظة، وقد قامت فيها أقدم الحضاراتت التاريخية فهو موطن دولة معين وبراقش، ومن أهم المناطق التاريخية فيها خرائب نشق ومعين وبراقش والسوداء وقرنا وروثان والبيضاء وهرم وكمنة وغيرها، كما أن وادي الجوف هو الموطن الأصلي لقبيلة مراد المشهورة ثم أجلتها عنه همدان في حرب رُزم ملاحا في السنة الثانية من الهجرة، وتسكن الوادي اليوم أخلاط من قبائل ذو حسين بن غيلان وقبائل همدان الجوف، ثم قبائل بني نوف من بطون دهمة من دهم بن شاكر من بكيل، وقبائل المحابيب وقبائل آل مسلم من الأعروش الخولانية، كما أن في الجوف طائفة من ذرية المنصور عبدالله بن حمزة الحسني المتوفى سنة ٦١٤هـ، وهم آل الضمين وآل جوادة، وهم من كانوا يسمون الحمزات. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٣٧٣/١.
٤ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، تحقيق د. يوسف شلحد، ص ١٢٨.
٥ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، ص٢٤٥.

وابن الأنف القرمطي المؤرخ الذي عاصر الملك الظافر عامر بن طاهر وعاصر هذه الأحداث، هو أكثر من كتب حول هذه الوقعة، فقد فصل وأجاد وأسهب في ذكر مجريات هذه المعركة وما آلت إليه.

فيقول: "وأما حديث وقعة رضم وما جرى بين الملوك بني طاهر وبين الإمام، فإن الملك الظافر عامر بن طاهر استحسن عمارة قرن الأسد[١] في نواحي عزان بني وهيب[٢]، وقد ملك تلك البلاد ووقف أخاه مُحَّد بن طاهر عنده ومعه مقدمه مِعْرب، وكان يظهر أكيد وده، ويقدمه على جنده، ويجيز ما فعله من حله وعقده، ويجعله رقيباً مع أخيه مُحَّد بن طاهر، وهما مقيمان في أرض ردمان[٣] فوقفا بالمحطة عند قرن الأسد ومعهما عسكر من الأجناد.

وخرج الناصر من ذمار خروج المبادر ومعه الجموع والعساكر وقد أقبل الناس إليه بعد استيلائه على حصون كحلان، وجاءه من كل جهة ومكان رغباً ورهباً، وجاءه القاضي علي بن أبي الحسين اليحيري بمن معه من العسكر الكثير العرمرم، ومعه خيل كثير من أهل السراة وأهل الجوف قد أتى بهم علي بن مخارش الجوفي وابن مداعس الصعدي، وانتهى الناصر إلى جانب رداع وحط فيه بعساكره، ومعه الإحتفال والإجتماع.

وكان عامر قد أخرب الوادي في رداع وتوسط من توسط بين الناصر وعامر بن طاهر على أن يصطلحا ويتركا كل الناصر من القبائل والعشائر، ويتركوا المخالفين وكل منهما لخصمه يبادر ولا يعترضه منهما الآخر، وقصد بنو طاهر تهامة واليمن، وقصد الناصر الحقل وبلاد همدان، فهم في ذلك كل يروم أن يصفو له الزمن، والرسل بينهما تتردد وهم لا يحفلون من سائر الناس بالأقرب والأبعد.

١ قرن الأسد: قرية في مديرية العرش من مديريات رداع أعمال محافظة البيضاء. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٢٦٦/٢. وقرن الأسد اختطها وبناها السلطان الظافر عامر بن بن طاهر مؤسس الدولة الطاهرية عام ٨٦٤هـ، لتكون محطة عسكرية له بجانب رداع وعلى طريق بلاده وعاصمته المقرانة، كما ذكر ذلك ابن الأنف القرمطي في تاريخه روضة الأخبار ص١٢٦، وتبعد قرن الأسد عن مدينة رداع تقريبا خمسة كيلو مترات باتجاه الجنوب الغربي على طريق جبن، وهي اليوم مدينة آهلة بالسكان.

٢ عزان بني وهيب: عِزّان بكسر العين إسم مشترك بين عدد من الحصون والبلدان الواقعة في أعالي الجبال، منها عزان العرش المذكورة هنا، وهي مدينة مشهورة في منطقة العرش بالغرب الجنوبي من رداع بمسافة ١٨ كيلو متر، من ساكنيها المشائخ آل الطيري، وإليها ينسب آل العزاني وهم بيوت كثيرة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠٦٠/٢.

٣ ردمان: قبيلة يمنية قديمة حكمت اليمن قبل الإسلام، لها بقية في بلاد السوادية شرقي رداع، بجوار سارع، ومن ديارهم اليوم الزاهر وسيلان والنجد ورهبان والقشلة والعياشية، قال الإرياني: ردمان قبيلة مهمة لها ذكر في عدد من النقوش، ولعلها كانت تشمل قيفة ورداع والسوادية، ولا تزال ردمان معروفة اليوم في أسافل قيفة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٨٣/١، وقال القاضي اسماعيل الأكوع: ردمان مخلاف من مخلاف مذحج، وهو من أعمال رداع، وفيه مناطق أثرية وأهمها المعسال، المعروف قديماً بوعلان. أنظر: مخاليف اليمن، اسماعيل الكوع، ص١٧٢.

فأغارت خيل الناصر على محطة ابن طاهر، وتواترت إليه الغوائر وجاء عامر بن طاهر مغيراً غارة المبادر، ومعه الخيل زهاء مائتي فارس، والرجال قليل ولم تجمع ولاته على الصلح قد أزمع، فانتهى إلى محطة أخيه مُحَمَّد والناس في القتال، وجاء الناصر بمن معه وهم في الإجتماع والإحتفال فحمل عبدالله كامل حملة الرئبال وهو يفتخر وينتدي ويزعق عند ملازمته القتال، وحمل على عسكر بني طاهر وهو كالأسد الخادر فاعترضه عبدالوهاب بن داود وطعنه بسنانه في النحر حتى غاب السنان، وبعض العود فرجع عن حومة الكفاح وقد اثخنه ما فيه من الجراح، فلقي الناصر وهو في الكره، وقال إن بي طعنةً أثخنتني بالمرة، فقال له الناصر ما عليك بأس، فارجع إلى الخيمة ودع الناس وما هم فيه من الفتنة، فمضى وعاجلوه حينه والناس في القتال، وقد بلغه ملاحمة عسكر بني طاهر، فقال: قولوا للإمام لا تلقهم في هذا الحال واغتنم الفرصة منهم وبادر ولا تفتر عنهم ومعك العساكر.

وحمل مخارش الجوفي على مُحَمَّد بن طاهر وطعنه فأرداه، واعترض علي بن مخارش عبدالوهاب بن داود فطعنه في صدره فانتفذت الطعنة إلى ظهره وقيل بل طعن ابن مخارش بعض الفرسان الذي مع بني طاهر فقتله قتلاً بين الجياد الضوامر، وعظم القتال واشتد وحمل كل فارس يعد، وقاتل عامر بن طاهر ومعه من أهل الخيل فأحسن قتاله وقلت معه الرجال، وحامى فيمن معه من الفرسان محاماة الأبطال ساعة الطعان، فما قصروا وحاموا محاماة الأمجاد، وتذامروا وكثرت رجالات الإمام وصارت معهم مذحج وفيهم كم من بطل وفارس يجيد النصال ولا يخطيء النبل والنصال، فقتل كثير من عسكر الناصر وحملت مذحج وخيل السراة على عسكر بني طاهر فأصاب من مع عامر الجراح، وقال لهم لا ذهاب ولا براح، حتى كثُر القتل عليهم واصيبوا بالنبل والحجارة، إذ صارت إليهم فحمي الوطيس في المعركة، وحمل كل قرن على قرنه فادركه فافترق عسكر عامر، وطلع منهم من طلع الجبل يبادر.

وخرج عبدالوهاب في جماعة من الخيل فقصد ردمان إذ علم أن عمه مُحَمَّد بن طاهر قد قتل رحمه الله في تلك الأوان، ولولا مبادرته إلى تلك البلاد لوقع الخلاف فيها، وطلع عامر النجادة، وعسر طلوع الشناخب على الخيل، فتركت السوابق وراح فرسانها يفرون ولا يقرون، ويدعون بالثبور والويل، وتبعهم أصحاب الناصر يقتلون ويسلبون، وعليهم في الحملات يصيحون ويجلبون، وأخذت الخيل على عسكر بني طاهر والسلب، وكان لعسكر الناصر الغلب في ذلك وأمعنوا خلفهم على آثارهم في الطلب، فقيل أخذوا من الخيل سبعين وقيل تسعين، وكان القتلى كما يُقال المائة والله أعلم بصحة قول الراوي.

ونجى عامر بنفسه وفر جنده وافترق بعد قتال شديد لم يداخله فيه الفرق، لكن الغلب للأكثر وأصحاب عامر صار منهم قتلى كثيرة في المكر لا سيما رجالاته فإنهم قلوا، وما أنهزمت خيله إلا بعد الصبر الشديد ولا ولوا، وجزت من عسكر بني طاهر الخيام وما فيها، وأخذت السوابغ والبيض والزود وكثير من الحرير والذهب والفضة يزيد على ما يقاس ويحسب.

وأباح الناصر لكل واحد من عسكره ما انتهب، وتفرقت العدة والنهب مع أهل رداع وسواهم من أهل الجوف والسراة وأهل الظاهر وغيرهم من السواس والخدام في عسكر الناصر، وأتي بمِعْرب إلى الإمام أسيراً فأملا بعض عبيده بضرب رقبته، فقطع من صدره، وقطعت رؤوس بإذن الناصر وأمره، وقد قال الناصر لمِعْرب: أنت معرب، قال: نعم، فأمر كما ذكرنا أن تضرب عنقه ولا يرحم، وكانت تلك الوقعة من أشد الوقائع، ولم ينج فيها مع عامر إلا القليل ممن يقاتل ويدافع.

وقتل يحي المعمري صاحب كحلان في تلك الحملة، فكان مع القتلى في الحملة، ولم يوجد رأسه ولا جثته حتى شهد جماعة من عدول محطة الإمام أنه دخل كهفاً فمات فيه رحمه الله، وقطع رأس مُحَمَّد بن طاهر فأخذه بأمر الناصر عُبية الطاهري فكفنه وأمر به إلى أخيه عامر بن طاهر، وحمل رأس معرب مع رؤوس ممن قتل فكانت في صنعاء صيحة عظيمة وجذل، وقد شَمتوا بابن طاهر، فاجتمعت الأرذال والسوقة يصيحون ويتشدقون ويطوفون برأس معرب، ويقولون، ألف مرحب بمعرب، وهو ما وجد مهرب[1]".

وكانت هذه أول واقعة بين الطاهريين والزيديين بقيادة الإمام الناصر بن مُحَمَّد بعد استيلائه على حصن كحلان.

أسباب الهزيمة: والحقيقة أن هذه الهزيمة يمكن أن نرجعها لعدة أسباب أهمها:

أولاً: استعداد الإمام الناصر بن مُحَمَّد لهذه الحملة جيداً فقد استعان بالكثير من القبائل الموالية له حتى أنه استعان بالسلطان علي بن مخارش سيد الجوف وبغيره من القبائل للتوسع في المناطق التي كانت تخضع لحكم الرسوليين ومن بعدهم الطاهريين.

ثانياً: في المقابل انشغل الطاهريين في إرساء الحكم في أغلب المناطق اليمنية والتصدي للمتمردين في تهامة وتعز وإب والشحر وعدن وغيرها من المناطق، مما شتت جهودهم وقواهم في هذه المناطق.

---

[1] روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٦.

ثالثاً: تسرع الظافر للتصدي للإمام الناصر وعساكره قبل اجتماع العساكر إليه، ومع ذلك فقد باهتهم وقتل منهم، وكان عساكر الناصر أكثر بكثير من عساكر الملك الظافر ورغم ذلك فقد صبروا مع قلتهم وكثرة أولئك واجتماعهم.

استرداد بنو طاهر حصن كحلان: ثم كان فتح بني طاهر لحصن كحلان واسترداده من القاضي علي بن أبي الحسين اليحيري، وذلك أنه أسرف في الظلم والإستبداد ضد أهل تلك المناطق، فعاونوا بني طاهر في استرداد الحصن[1]، وسيأتي معنا تفاصيل استيلاء بني طاهر على حصن كحلان في أخبار السلطنة العمارية.

وقد كان لفتح حصن كحلان واسترداده، الأثر الكبير في رفع همة ومعنويات بني طاهر وخاصة الملك عامر بن طاهر لإعداد العدة واسترداد أملاكهم من الإمام الناصر، والإنتقام منه والثأر لأخيهم مُحَمَّد بن طاهر جراء ما وقع في موقعة رضم، فبدأوا تجهيزاتهم للإستيلاء على رداع.

الإستيلاء على رداع: بعد هذه الوقعة في منطقة رضم بين الملك الظافر عامر بن طاهر والإمام الناصر بن مُحَمَّد، والتي نزل فيها الإمام الناصر من بلاده صنعاء إلى بلاد بني طاهر أدرك الملكين المجاهد والظافر، الخطر والتحدي الذي يواجهونه من قبل الأئمة الزيديين، خاصة وأنهم في بداية تأسيس دولتهم والأمام الناصر يسيطر على الكثير من مناطقها التي ورثتها عن الدولة الرسولية، واحتمال توسعه قائم إذا ما انشغلت الدولة الطاهرية بأي طاريء.

فكان لابد لهم من تأمين بلادهم من الهجمات الزيدية ومن التوسع تجاه بلدانهم، ولأجل ذلك بدأ التفكير بالإستيلاء على مدينة رداع وتأمين ما حولها من المخاليف.

والحقيقة أني لم أجد فيما وقع بين يديّ من المصادر والمراجع التاريخية، وخاصة المؤرخين المعاصرين للدولة الطاهرية، من يذكر أو يحكي أية تفاصيل تتعلق بالإستيلاء على رداع وما حولها من البلاد، سوى ما أورده ابن الأنف القرمطي في تاريخه روضة الأخبار ونزهة الأسمار، فقد كانت رداع لفترة محل صراع بين الدولة الطاهرية والأئمة الزيدية.

وسبب ذلك الصراع على منطقة رداع وما حولها كما تقدم معنا، أن الملك الظافر عامر بن طاهر استحسن عمارة قرن الأسد في نواحي عزان بني وهيب وقد ملك تلك البلاد، وهي قريبة جداً من رداع، فكانت موقعة رضم التي جرت في رمضان سنة ٨٦٤هـ بين بني طاهر والناصر، وقتل فيها أخو

---

[1] روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٢.

الملك عامر، الشيخ مُحَّد بن طاهر وقائد محطة قرن الأسد معرب، والشيخ يحي بن عباس المعمري أمير كحلان.

فبقيت تلك الهزيمة في نفوس بني طاهر، وأعدوا العدة للإستيلاء على مدينة رداع وكسر شوكة الناصر والثأر لأخيهم وللهزيمة التي لحقت بهم، ولكن قبل ذلك كان لابد لهما من بسط نفوذهم حول رداع وذمار، وعقد التحالفات مع القبائل التي تقطن هذه المناطق، والتي تعرف بالمناطق الوسطى، وجمع الجيوش الكافية لتأمين هذه المناطق وتحقيق ما يهدفون إليه.

وفي بداية سنة ٨٦٥هـ أي قبل استيلاء بني طاهر على مدينة ذمار، "جمع الملكان المجاهد والظافر العساكر وخرجا إلى بلاد عنس فاستوليا عليها، وقبضت ثاه[1] وما ينضاف إليها، ووثبا على رداع والعساكر معهما في الإجتماع، فحاصراها من كل مكان ومنعا الدخول إليها من الناصر ومن وافق الناصر من الأعوان، وأمر الناصر إلى أهل الجوف وأهل السراة بطلب منهم المادة، وجعل ينفق على الخدام ويكثر استعداده، ورمى الملكان علي وعامر رداع بالمدافع والأحجار، وجمعا من انضاف إليهما من القوى والأمصار، وأمر أهل الأوضاف والقياس، أن يرموا إليها بالأحجار والسهام، وأن يبلغوا في دخولها المرام وقد حمل الحجارة على الجمال وأمر أن تصب هي والنبل في موضع القتال، ثم أنهم صبوا الذهب والفضة واخرجوا من الحرير وأنواعه ما هال من نظره، واثار نار جاحم الحرب واسعره، وقالوا من دخل الدروب في القرية فإنا معطوه فوق ظنه والبغية، فتواثب الناس ودخلوا الداير وكسروا الباب، ودخلوا على من في قرية رداع بعد أن اصابوهم بالحجارة والنشاب فقتلوا قتلاً كثيراً وسلبوا واخذوا ما في القرية وجاءوهم إلى تحت الحصن بنساءهم والعيال ولم يدخلهم من في الحصن خوفاً أن ينجحوا

---

١ ثاه: وكانت تسمى ثاث، بطن من حُجْر رعين الحميرية، ينسبون إلى القيل ذي ثات ابن عريب بن أيمن بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رعين، منازلهم في الوادي الذي يحمل اسمهم وادي ثات الواقع بالغرب الشمالي من مدينة رداع بمسافة ستة كيلو متر، وكانت وادياً مليئاً بالبساتين وقال القاضي عبدالرحمن الآنسي يمدح الوادي:

فإن تكن في الأرض جنةٌ معجلةٌ* فجنة الدنيا ثاه

جمال مرآها وحسنهُ ما أقبله* في الأرض ما أطيب رباه

وقرية ثات الواقعة في الوادي المذكور معمورة فوق أنقاض القرية القديمة التي كانت أخربت، ويقال لها اليوم ثاه بالهاء لا بالتاء، وقد كانت القرية في القرن الثالث الهجري مقراً للزعماء آل الروية المذحجيين الذين لعبوا أدوارا بارزة في تاريخ اليمن، ومما يذكر أن الزعيم أبو العشيرة أحمد بن مُحَّد الروية المذحجي لما أتخذ موقفاً من قوات علي بن الفضل الزاحفة على صنعاء بقيادة ذا الطوق اليافعي، فقد كان أبو العشيرة هدفاً لهذه القوات، فتعقبه إلى بلدة ثاه وقتله بعد قتال مرير طال تسع ليل، استبيحت فيه البلدة، ولاذ الضعفاء والنساء والأطفال إلى مسجدها الجامع الذي ما زال قائماً إلى اليوم. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٢٤٩/١، وقال القاضي اسماعيل الأكوع: وثات قرية عامرة مبنية على أنقاض القرية الأثرية القديمة، وهي في الغرب إلى الشمال من رداع، وفي تاج العروس ثات مخلاف باليمن، ومنه ذو ثات الحميري، وهو قيل من أقيالها، وهو ذو ثات بن عريب بن أيمن بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن ذي رعين. أنظر: مخاليف اليمن، اسماعيل الأكوع، ص٣٧.

المتاع عليهم والماء الزلال، فوقفوا ثلاثة أيام يصيحون ويولولو وينادوا إلى علي وعامر ويهللون ويطلبون أن يرفقوا وينزلوا ويبذل لهم الأمان ويتوسلوا فامتنع عامر بن طاهر عن إجابتهم وقد أهلك كثيراً منهم الظمأ ومات من مات من أطفالهم ولقوا لذلك ألماً فرحمهم علي بن طاهر وأمر بالروايا على البغال والجمال لتحمل إليهم فيها الماء، فكادت أن تصل إليهم وأمر عامر من فراها وردها ومنع عن ايصالها وصدها فاستشاط علي لذلك ضجراً وقال لا يحل لنا أن نقتلهم عطشاً وجوعاً فيكون ذلك منكراً، وإنا نخاف الله، وليس عليه اجترار، فحصل بينهما الخصام والمشاجرة وجرت بينهما المكابرة حتى كاد ذلك أن يفضي إلى المواقعة ويكون منهما بالسلاح المدافعة، فدخل الفقهاء والعقلاء إلى عامر وقالوا اطع أخاك الأكبر ولا تنازعه فيما نهى وأمر فعمل على أن أمنهم ليسروا في البلاد وينزلوا آمنين كما شاء علي وأراد، وأمر علي وعامر بحصار من في حصن رداع ورتبا عليهم من يحاصرهم من جنودهم والأتباع، ورجعا فعاد علي إلى تهامة ووقف عامر في بلاده فتسلم رداع ورتب فيه بعد أن خرج أهله المحاصرون على السلامة[1]".

وبالترتيب التاريخي للأحداث نستطيع أن نقول أن استيلاء الناصر على حصن كحلان كان في رجب سنة ٨٦٤هـ[2]، ثم كانت موقعة رضم في رداع في شهر رمضان من نفس العام[3]، ثم كان استيلاء الملك الظافر عامر بن طاهر على مدينة ذمار في شهر رجب سنة ٨٦٥هـ[4]، وكان استرداد حصن كحلان وحصن رداع قبل دخول مدينة ذمار[5]، أي أن بني طاهر استطاعوا استرداد حصن كحلان وقلعة رداع وما حولها من المناطق كان في بداية سنة ٨٦٥هـ.

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٦.
٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٣.
٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٦.
٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٧.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٢.



منظر لقلعة رداع من وسط المدينة الجهة
الشمالية من جهة مدرسة العامرية



قلعة رداع التاريخية من الجهة الجنوبية

المبحث الثالث

إستيلاء الدولة الطاهرية على ذمار

بعد استيلاء الملكين عامر وعلي ابني طاهر على مدينة رداع، وتأمين ما حولها من القرى وبلاد عنس وجهران، كان الهدف التالي لهما هو مدينة ذمار، وقد كانت مدينة ذمار هي خط القتال الأول بين الطرفين فمنها يستطيع الإمام الناصر أن يتقدم تجاه بلاد يريم وخبان وكحلان وإب غرباً، ومخلاف رداع جنوباً وجبن والمقرانة وبلاد بني طاهر، وكذلك الحال بالنسبة للطاهريين فإن الإستيلاء على مدينة ذمار يمهد لهم الطريق للإستيلاء على مدينة صنعاء ومناطق اليمن الأعلى والقضاء على حكم الأئمة في اليمن الأعلى، فمدينة ذمار كانت عبارة عن محطة مهمة جداً ومطمعاً لكلا الطرفين المتصارعين على السلطة.

وكان السلطان عامر بن طاهر قبل استيلاءه على مدينة رداع "قد أقام الشريف مُحَمَّد بن قاسم عندل في رخمة[1]، وانفق على أهل رخمة ما يحملهم وأغناهم ليقاتلوا من في مدينة ذمار، وهي مدانية لها غير نازحة وذلك من أول حرب الناصر لعامر، فكانوا يغيرون إلى ذمار خصوصاً من أوان أقام فيهم عندل، وعندل هذا من جهران[2] من الأشراف بني سليمان، وقد كان الناصر طرده مما له من الديار وفي حربه جهران من الزمان فكان عندل في خيله معه دائم الغارات إلى ذمار، يمنعون من يأتيه من القبائل ومن أهله ويمتار واشتغل الناصر بحرب عامر عن حربهم وتركهم ظهرياً ولم يحفل بهم، ووقعت وقعة بينهم وبين أهل ذمار وقتل من أهل ذمار رجال وفرسان، وقتل ابن العندل من فرسان عنس في مكر الطعان[3]".

واستمر ابن عندل في مناوشة الإمام الناصر وإقلاقه وزعزعة قواته في ذمار وقطع الإمدادات عنهم، فكانت هذه بعد الحرب الإستنزافية التي شنها بني طاهر على الإمام الناصر بواسطة رجلهم ابن عندل، تمهيداً للإستيلاء على مدينة ذمار التي لم يتبقى سواها من المدن في تلك المناطق.

١ رخمة بلدة من مخلاف عنس شرقي ذمار. أنظر حاشية القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع على روضة الخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٦، مخاليف اليمن، اسماعيل الأكوع، ص٤٠.

٢ جهران: ويقال له حقل وقاع جهران، شمال ذمار. أنظر: حاشية القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٦، وقال العلامة اسماعيل الأكوع: مخلاف جهران: بالقرب من صنعاء، ويعد من بلاد همدان، وفيه قرى منها ضاف وتفاضل وقرن وعسم وقرن تراحب وقرن قباتل ينسب إلى جهران بن يحصب بن دهمان بن سعد بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سبأ، وقال اللحجي جهران من بلاد عنس، وجهران ناحية تابعة لآنس. مخاليف اليمن، اسماعيل الأكوع، ص٥٩.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٦.

فاستعد الطاهريون جيداً وأعدوا العدة للإستيلاء على مدينة ذمار بعد وقعة رضم في رداع، والتي كانت في شهر رمضان من سنة ٨٦٤هـ، فبعد ذلك بأشهر فقط وخلال أقل من عام استطاع الملك الظافر في أول شهر رجب من سنة ٨٦٥هـ الإستيلاء على مدينة ذمار كما ذكر ذلك العلامة ابن الديبع[١].

وكان الإمام الناصر في ذلك الوقت في ذمار وقد فرّ منها إلى حصن هِران[٢] ثم إلى صنعاء[٣].

ويروي ابن الأنف القرمطي أحداث استيلاء الملك عامر بن طاهر على ذمار فيقول: "ثم أن عامر أقبل بالجنود وقد أصدر إليه الخيول من تهامة وجائته الجحافل مجحفلة واجتمعت له خلايق مختلفة حتى غطى جيشه الأقطار وصاروا كالبحر التيار، وقد خاف الناصر من الذين معه المكر وخشى منهم الخديعة والغدر، فأخرج إمرأته بنت السّيري ومعها ابن طفل للناصر إلى هران، ورفع أكثر ما معه إلى هناك في ذلك الأوان.

وخرج الناصر آخر الليل في قليل ممن معه إلى معسج وهو لا يلوي على مكان ولا يعرج، بل قاصد صنعاء يجد في ذلك ويسعى فأمسكه أهل معسج حتى سلم من المال النقد والقماش وسار فتركوه بلا تلبث ولا انكماش، حتى انتهى إلى صنعاء موضع قراره.

وأرسل إلى كافة جنوده وأنصاره وأصدر إلى أهل الجوف وأهل السراة يستحثهم أن يصلوا إليهم خيلاً ورجلاً، وعاقب من استقدر عليه من أهل صنعاء وغيره أمكن وأسبغ للناس عطاءً وبذلاً وجاء عامر بن طاهر فأصبح في مخيمه عند ذمار، وخرج إليه الحسن بن إبراهيم بن يحي المقمحي وإبراهيم بن قاسم سنقر، وجميع الغز بنو الأسد وبنو سكر وأهل ذمار مجمعين، وجاؤا إليه مهطعين فسألوه الأمان وعقروا بقراً أمامه وحلفوا له جليل الإيمان.

فدخل عامر بن طاهر المرة الأولى ذمار بغير قتال واستولى على ما فيها بلا إنظار ولا إمهال، وصرف من دراهمه لعساكره ما يتقوتون وسار فيهم بالعدل والإنصاف، فما أحدٌ منهم أرهب ولا خاف،

١ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، تحقيق د. يوسف شلحد ص ١٢٨.

٢ حصن هران: جبل بركاني أسود، قيل أن قبيلة جنْب التي اشتهرت في القرن التاسع الهجري كانت تسكن في الأرض المحيطة به، ولما توالت عليها المحن انتقلت إلى مغرب عنس بالمنطقة المعروفة اليوم باسم الجنبي، وقد اتصل عمران مدينة ذمار بجبل هران، وتقوم في مواجهة الجبل حاليا مباني جامعة ذمار، كما تمر بجواره طريق ذمار إلى صنعاء. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٨١٤/٢.

٣ هذه هي اليمن. الأرض والإنسان والتاريخ، عبدالله أحمد الثور، ص٣٠٨.

فوقف فيها أياماً وولى فيها ابن أخيه علي بن تاج الدين[1]، وخرج بمن معه من العساكر[2]، وعاد إلى بلاده بالنصر والتمكين[3]".

وفي رواية المؤرخ ابن الأنف القرمطي أنه عاد لحصار مصنعة بني قيس والقضاء على السلطنة العمّارية، وفي كلا الروايتين لإبن الديبع وابن الأنف فإن الملك عامر قد عاد إلى بلاده والتي في طريقه إليها بالتأكيد سيمُر على بلاد آل عمّار وذي رُعين، وسيأتي معنا ذكر ذلك في السلطنة العمّارية.

وقد ذكر العلامة كمال الدين الذؤالي أن استيلاء الملك الظافر على ذمار كان قبل ذلك بنحو شهرين حيث يقول: "وفي ليلة الجمعة ثالث شهر جمادى الأولى سنة ٨٦٥هـ مَلِك الملك الظافر مدينة ذمار واستولى عليها وانقطع منها حكم صاحب صنعاء، وكان أول فتوح ملك بلاد القبلة"[4].

والصحيح أنه دخل ذمار في أول شهر رجب من سنة ٨٦٥هـ، كما ذكر ذلك ابن الديبع والكبسي وابن الأنف القرمطي مؤرخي الدولة الطاهرية[5].

١ علي بن تاج الدين بن طاهر بن معوضة، ابن أخ الملكين علي وعامر بن طاهر، توفي والده مع جده سنة ٨٤٠هـ، فخالف بعد ذلك على عميه علي وعامر ومعه عُبية الطاهري في حصن المقرانة، فمالوا بأن طردوا جماعة منهم، ففروا إليه فلما دخلوا فرح علي بن تاج الدين لأن يكون له بهم قوة، وقد جعل لهما علي وعامر جعلاً، وأباحا لهما العطاء الوافر والمنون، فلما دخلوا إلى المقرانة أدخلوا علياً وعامراً إليها فاستوليا عليها وطرد علي وعامر هذا المخالف عليهما علي بن تاج الدين، وحبسا عُبية الطاهري في السجن، وأرادا أن يكون فيه من المخلدين، ففر عبية من الحبس هارباً وصار تبع دولة أهل صنعاء، ولمن حاربهم محارباً، وعلي بن تاج الدين جعل يدور إلى بعدان ويأتي إلى صنعاء، ثم ألتقاه عماه علي وعامر وصار إلباً لهما حيث يريد أن ينهى ويأمر. أنظر: روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٧.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٦.

٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٨، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠١، اللطائف السنية، العلامة الكبسي، ص١٨٤، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٧.

٤ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي ص ٢٤٥.

٥ روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص ١٣٧.

الباب الثالث

المعارضة والتمردات السياسية في إب

في هذا الباب أسميت التمردات التي وقعت في إب في أواخر الدولة الرسولية بالمعارضة السياسية للإنصاف، فالحقيقة لم تكن هذه المعارضة كالمعارضة القبلية في تهامة، والمتصفة بالطابع القبلي والعشوائية وعدم وجود أهداف غير السلب والنهب وقطع الطرق، بل كانت معارضة منظمة وربما كانت أشبه ما يكون بالحكم الذاتي أو الأقليمي، لأن المعارضين هنا كانوا يسعون للحكم السياسي وتكوين دولة وسلطة خاصة بهم، أكثر من مجرد الأطماع المادية، وقد بنى كلاً من المعارضين في أب سلطته المصغرة المستقلة، بحيث أنها كانت أشبه ما يكون بممالك صغيره وكانوا أمرائها ومشائخها أشبه ما يكونوا بملوك الطوائف في أواخر عهد بلاد الأندلس، فقد كانت دويلات داخل الدولة اليمنية، استقلت عندما سنحت لها الفرصة لذلك بسبب ضعف الدولة الرسولية في أواخر عهدها وعدم استطاعتها السيطرة على جميع البلاد، وكان من أبرز الخارجين في إب سياسياً والمستقلين بالحكم في مناطقهم، آل السيري والذين أنشاؤا ما كان يعرف بمملكة بعدان وكان يحكمها الشيخ أبوبكر السيري، وكذلك كان من أبرز الخارجين على الدولة الرسولية آل الحبيشي والذي استقلوا بحكم مخلاف جعفر، وسلطنة الأسد بن الورد العمّاري في عمّار، لذا سنتكلم في هذا الباب عن كلاً من هذه المعارضات السياسية في ثلاثة فصول مستقلة كالتالي:

الفصل الأول: معارضة الشيخ مُحَمَّد السيري صاحب بعدان

الفصل الثاني: معارضة العباس بن الجلال الحبيشي الإستيلاء على مدينة إب

الفصل الثالث: قيام السلطنة العمارية في المناطق الوسطى

الفصل الأول
معارضة السّيري صاحب بعدان

كانت سلطة آل السيري في المناطق والوسطى وإب من أقوى السلطنات والإمارات التي ظهرت في أواخر الدولة الرسولية وبداية عهد الدولة الطاهرية، خاصة إذا علمنا أن سلطة آل السيري في مناطقهم قد أمتدت إلى ما يقارب المائة والخمسين عاماً، وأن نفوذهم قد أمتد إلى مدينة إب وجبلة، وإلى جبل بعدان وحصن حب، وإلى منطقة سناح وحصن الحمراء في الضالع، وولا شك أن عصيان السّيري على الرسوليين كان جزءاً من حالة عامة عاشها الرسوليون أيام السلطان الأفضل العباس بن المجاهد، الذي واجه عند تسلمه الحكم مقاومة إخوته وواجه أيضاً الإمامية الزيدية وعصيان كثير من القبائل فعمل على القضا عليهم، لهذا فإننا في الفصل سنبين بداية ظهور آل السيري في أواخر الدولة الرسولية وصراعهم على السلطة، ثم نبين بعد ذلك حصار بني طاهر لآل السيري والقضاء على إمارتهم، وذلك في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: معارضة السّيري في عهد الدولة الرسولية

المبحث الثاني: القضاء على معارضة آل السيري في عهد الدولة الطاهرية

المبحث الأول

معارضة السّيري في عهد الدولة الرسولية

في عهد الدولة الرسولية وفي عصر الملك الأفضل بالتحديد وولده الملك الأشرف الثاني ظهر الشيخ أبوبكر بن معوضة السيري[1] صاحب بعدان[2]، والذي وصفه ابن الديبع في قرة العيون بأنه كان أحد رجالات الدهر، وكان قد استولى على حصن بعدان ونزع يده من الطاعة[3]، وحصن حب وحصن عزان[4] المطل على مدينة إب[5] من الجنوب الشرقي ومدينة إب نفسها وأعلن استقلاله عن الرسوليين، وكان مقره في جبل بعدان ثم في قرية حقلة من عزلة المقاطن[1] جنوب غرب مدينة إب[2].

١ السيري: نسبة إلى سَيْر مركز إداري من مديرية بعدان وأعمال إب، نسب إليه الشيخ جلال الدين بن مُحَمَّد بن أبي بكر السيري، شيخ مخلاف بعدان في القرن التاسع الهجري، وهو باني مدرسة الجلالية التي كانت قائمة في مدينة إب القديمة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٨٣٥/١.

٢ بَعدان: جبل مشهور يطل على مدينة إب من الجهة الشرقية، نُسب إلى بعدان بن جُشم بن عبدشمس بن وائل ابن الغوث بن جيدان بن عُريب بن قطن بن زُهير بن أيمن بن الهُميسع بن حمير بن سبأ، وهو من الجبال ذات المزارع والأنهار والعيون وفيه قرى وحصون كثيرة، وهو من مديرية من مديريات محافظة إب، تضم المراكز الإدارية الآتية، المنار، سير، دلال، العذارب، بني عواض، بني منصور، حيسان، الحيث، المشكي، ضابي، جُرانة، الدعيس، ذي أقحم، ومنها حصن يعمد وحصن حب وحصن ظفار وحصن نؤاده وحصن منقذه وقرية النظاري وغيرها، وممن نسب إلى جبل بعدان من العلماء والأعيان نذكر الفقيه علي بن مُحَمَّد البعداني وزير السلطان عامر بن عبدالوهاب وهو الذي أشرف على بناء المدرسة العامرية في مدينة رداع سنة ٩١٠هجرية، والشيخ مُحَمَّد بن عيسى البعداني كان متولياً عمالة مدينة صنعاء في سنة ٨٦٩ للهجرة، ويقول الأستاذ مُحَمَّد الدعيس: كما هو معلوم أن مديرية بعدان من أهم المناطق السياحية والجذابة في بلادنا ليس بمناظرها الجميلة الخلابة وحسب، ولكن أيضاً بمعالمها التاريخية مثل حصن حب وحصن الدقيق وحصن العطاب وحصن المنار، وكذا المساجد القديمة مثل المسجد الطاهري ومناراته العالية في الأرتفاع ومسجد الرفاعي، والأول بالعذارب والثاني بقرية الرصد، وهذه المعالم التاريخية لها أهميتها السياحية. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٨١/١، وقال العلامة اسماعيل الأكوع، بعدان مخلاف كبير من مخاليف إب، ويشمل عدداً من العزل وقد تحول إلى ناحية سنة ١٩٤٨م في عهد الإمام أحمد بن يحي حميدالدين. مخاليف اليمن، اسماعيل الأكوع، ص١٥٦.

٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٥٣.

٤ حصن عزان: عزان اسم مشترك بين عدد من الحصون والبلدان الواقعة في أعالي الجبال، والمقصود بعزان هنا حصن أعلى جبل ريمان المطل على مدينة إب من الزاوية الشرقية الشمالية، وهو على إرتفاع ٣٣٥٠ متراً عن سطح البحر، وفيه قبر المفضل بن أبي البركات الحميري قائد جيش بني الصليحي والمتوفي سنة ٤٩٥م. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠٦٠/٢.

٥ إب: مدينة جنوبي صنعاء بمسافة ١٤٠ كيلو متر، تقوم على ربوة بالسفح الغربي لجبل ريمان من بعدان، وترتفع عن سطح البحر ٦٢٠٠ قدماً، وهي قديمة الإختطاط ترجع إلى عهد الدولة الحميرية، وقد كانت دولة صغيرة لها سور، وفيها من الآثار القديمة قصر البيضاء الحميري، ثم إزدادت شهرتها بعد القرن الرابع الهجري، وتشير كتب التاريخ الإسلامي أن الأمير عبدالله بن قحطان الحوالي هاجمها سنة ٣٨٠هـ، وقد ترك فيها الصليحيون كثيراً من آثارهم، ومن ذلك سواقي الماء الممدودة إليها من جبل بعدان والمبنية بالأحجار المنجورة التي كانت تمد المدينة بمياه الشرب، وتمتاز مدينة إب القديمة بأن شوارعها مرصوفة بالأحجار الكبيرة، ولها سور قديم لا يزال قائماً وخاصة القطاع الغربي منه، وكان يتضمن السور أربعة أبواب في الجهات الأربع هي الباب الكبير وباب سنبل وباب النصر وباب الراكزة، وفي مدينة إب الكثير من الجوامع أهمها الجامع الخطابي الذي يقال أنه بني بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذا جامع ومدرسة الأسدية، ومسجد الجلالية، وجامع ومدرسة

ويشير الخزرجي مؤلف العقود اللؤلؤية[3] المتوفى سنة ٨١٢هـ، والمعاصر لهذه المدة أن جبل بعدان كان عاصياً على الرسوليين منذ أيام السلطان المجاهد والد الأفضل، وقد حاول الملوك الرسوليون استعادة جبل بعدان وحصن حب عدة مرات وذلك بإرسالهم عدة حملات إلا أنهم فشلوا في استعادتها من السّيري.

ولعلّ أول ذكر للأحداث التي جرت بين الشيخ أبو بكر السيري والرسوليين، هو ما أورده الجندي في أحداث سنة ٧٢٧هـ، حيث ذكر بأن السلطان المجاهد الرسولي طلع في أول سنة ٧٢٧هـ إلى حصن التعكر واستدعى من مرتبيها، ثم أرسل القاضي ابن مؤمن إلى جبلة لفتح الجبل المعروف ببعدان، فطلع بعسكره جبل الغالب من العسكر الذي وصل معه من مصر، ورحل كثير بعد أن وصل ابن الشوع إلى تعز ومعه ابن شكر فقابلهم السلطان مقابلة جيدة وخلع وأحسن، وكان معهم جماعة من مشائخ مذحج وأعيانهم، وطلبوا مالاً يبذل لهم على فتح الجبل، وطلع مذحج بعدان وفتحوا فيه الحرب ولم يتم ذلك[4].

واستمر هذا الإستقلال من الشيخ أبوبكر بن معوضة السيري في عهد الملكي الأفضل الرسولي، حتى تمكن من قتله غيلة في فراشه عام ٧٧٥هـ، بعد أن عجزوا على التغلب عليه عسكرياً، واحتز رأسه وحمل رأسه إلى السلطان الأفضل الرسولي، ولما قتل كتب ولده مُحَمَّد بن أبي السيري إلى الإمام صلاح الدين بن مُحَمَّد بن علي الهدوي يستنجده على بلاد السلطان، فأنجده بنفسه وبما يشاء من خيل ورجل وجمع السيري جماعة وسارا جميعاً يريدان تعز فوصلا الجند فأقاما ثلاثة واستخدم السلطان جمعاً عظيماً وكتب إلى كافة القبائل بحفظ الطريق الذي مر الإمام فيها فاستقبح الإمام أمره وكان يقدم الحزم في

الكاظمي، وجامع حرافة، وغيرها من المساجد التي كانت تستخدم كمجالس للعلم يتولى أمرها عدد من علماء الشريعة والفقه، ومدينة إب هي عاصمة محافظة إب وتشتمل على مجموعة وحدات إدارية هي مديريات القفر ويريم والرظمة والنادرة والشعر وبعدان والسدة وحبيش والمخادر وحزم العدين وفرع العدين والعدين وجبلة وإب والسبرة والسياني وذي سفال ومذيخرة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠/١.

١ عزلة المقاطن: منطقة في شرقي مدينة إب من جبل بعدان، قيل أنها سميت نسبة إلى الأقطون بن زيد بن سيبان بن الحيس بن يريم ذي رعين، وتضم المنطقة مجموعة قرى وحصون، أهمها العقبة ورأس النقيل والعجاير والسوايل والجبجب والظهرة والعكدة والوِهاري وحيات والضوالع ورحبان وحقلة والجعاشن وحول الشوافي وبيت الدالي وبيت درموش والسوادي والصافية وبيت السريجي والمعبر وبيت مراد ومنزل عاصم والفجرة وجعران والشياحي والمواسطة والمندم وغيرها. وحقلة قرية من مركز المقاطن في شرقي مدينة إب، كان بها مدرسة قديمة بناها الشيخ الجلال بن مُحَمَّد السيري شيخ مخلاف بعدان والمتوفى سنة ٨٣٥هـ. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٤٨٦/١، ١٦٠٧/٢.

٢ تاريخ إب، د. مُحَمَّد مظفر الدهمي، منشورات جامعة إب، طبعة ٢٠٠٧م، ص٨٧.

٣ العقود اللؤلؤية، الخزرجي، ٢٧٩/٢.

٤ السلوك في طبقات العلما والملوك، بهاء الدين الجندي السكسكي، ٦٠٣/٢، العقود اللؤلؤية، الخزرجي، ٤٥/٢.

أموره فاستمر راجعاً في غير طريقه التي جاء فيه وجد في السير حتى خرج من بلاد السلطان، وتعلق ابن السيري ببلده وحصونه[١].

وقد تولى عدة مشايخ من آل السيري حكم حصن حب وبعدان وإب، ويذكر من هؤلاء مُحَّد بن أبي بكر الذي تولى بعد مقتل والده عام ٧٧٥هـ، والذي تقدم السلطان الأشرف الرسولي في عهده عام ٧٨١هـ إلى مدينة إب فأخذها قهراً بالسيف[٢].

وفي عام ٧٩١هـ تقدم السلطان الأشرف الثاني إلى جبلة، فقدِم إليه الشيخ أحمد بن أبي بكر السيري مبعوثاً من أخيه مُحَّد يطلب الصلح والأمان، فقبل السلطان ذلك وتقدم إلى مدينة إب حيث نزل إليه الشيخ مُحَّد السيري من بعدان وأعلن ولاءه واستعداده لتسليم ما تحت يده من الحصون، فطلب إليه السلطان أن يعود إلى وضعه وأن يبقي ما تحت يده من المناطق ما دام قد أعلن ولاءه للرسوليين، ولكي يثبت السيري هذا الولاء فقد قاتل أهل بعدان بقيادته قوات الإمام الزيدي في حصن نعم في المحطة بأمر من السلطان[٣].

وقد استمر الولاء بين آل السيري والرسوليين، ففي عام ٧٩٨هـ قدم ابن مُحَّد السيري إلى السلطان الرسولي فكساه وأنعم عليه وصرف له حصاناً أخضر وبغلة وانصرف راجعاً إلى أبيه[٤]، إلا أن هذا الصلح انتهى في نفس عام ٧٩٨هـ، وسبب ذلك أن السلطان الأشرف أرسل من يبحث عن حال السيري فوجده على أقبح سيرة وأخبث سريرة، فأرتحل السلطان إلى دار السلام من جبلة فأقام به وأرسل للقبائل واستخدم الرجال وأرسل إلى ابن السيري يطلب منه عسكراً بالجامكية، فلم يفعل فتحقق السلطان فساده وإفساده ومكره وعناده وكان ممن تخلف عن الوصول إلى باب السلطان، وكان جملة من تخلف عن الوصول إلى السلطان من القبائل يومئذ ابن السيري صاحب بعدان، وعبدالباقي الصهباني وعلي بن داود الحبيشي صاحب الخضراء من جبل الشوافي[٥].

وقد امتنع ابن السيري عن تقديم العون فقرر السلطان التحرك من مدينة جبلة التي كان قد وصل إليها في محرم سنة ٨٩١هـ، وتوجه إلى مدين إب حيث هيأ ابن السيري نفسه للقتال والدفاع عن المدينة بقوات تعدادها ألفي راجل، فلما اقترب الأشرف الثاني من مدينة إب "أغلق المدافعون أبوابها، وقاتلوا

---

١ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٥٤.
٢ العقود اللؤلؤية، الخزرجي، ١٤٤/٢.
٣ العقود اللؤلؤية، الخزرجي، ١٧٥/٢.
٤ العقود اللؤلؤية، الخزرجي، ٢٧٩/٢.
٥ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٦٥، العقود اللؤلؤية، الخزرجي، ٢٧٩/٢.

ساعة من نهار قتالاً شديداً، فانهزم العسكر السلطاني هزيمة شديدة، وثبت السلطان وولده الناصر ثباتاً حسناً، وأعاد تجميع قواتهم، وتمكنوا من دخول مدينة إب بالقوة، وأخربها العسكر خراباً كلياً ونهبوا ما وجدوا فيها وقتلوا من أهلها جماعة ورجع السلطان إلى درا السلام ظافراً منصوراً[1]".

ولم يكتفي السلطان الأشرف الثاني بذلك بل أرسل قوات أخرى بقيادة الطواشي جميل إلى ناحية بعدان فقاتلوا أهلا قتالاً شديداً ودمروا خمس قرى ونهبوا كثيراً من أموال أهلها وعادوا إلى السلطان إلى مدينة جبلة[2].

ويبدو أن هذه المعارك التي جرت لم تنهي سلطة آل السيري، ولذلك بقيت بعدان عصية على الرسوليين، والدليل على ذلك ما جرى من معارك بين السلطان الناصر الرسولي والسيري في عام ٨٠٣هـ، فقد كان ابن السيري قد حط على حصن الحمراء في مدة مرض والد الناصر الرسولي، وساعده ولد مهدي صاحب سناح فخرج الناصر في أول ولايته فأخذ سناح وغيره ورفع السيري من مكانه، ونهب ما معهم ثم عاد منصوراً[3].

ثم تولى بعد مُحَمَّد بن أبي بكر السيري ابنه عبدالنبي بن مُحَمَّد، ودخل مدينة إب في آخر يوم من ولايته كما ذكر ذلك المؤرخ البريهي، فيقول البريهي: "أن شيخ بعدان وهو عبد النبي بن مُحَمَّد السيري عام ٨١٢هـ تقريباً، نزل في حال ولايته من حصن حب إلى مدينة إب بعساكر كثيرة وأهبة عظيمة من آلة الحرب وفرح أهل البلد بدخوله فقال الفقيه حمزة اليوم فرح وبكرة ترح وجعل يكرر هذه اللفظة ولم يعرف أكثر الناس معنى ذلك فكان تلك الليلة خالف عليه صنوه الشيخ الجلال بن مُحَمَّد السيري في حصن حب فاستقام بالولاية وخرج الشيخ عبد النبي عن الولاية فعرف الناس معنى كلام الفقيه حمزة وعدوا ذلك من كراماته[4]".

ثم بعد هذه الواقعة تولى جمال الدين الجلال بن مُحَمَّد السيري ويذكر أنه كان محباً للعلماء والفقهاء والصالحين، فقد استدعى القاضي العالم الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن مُحَمَّد النحواني عندما ضاقت

---

١ العقود اللؤلؤية، الخزرجي، ٢٧٩/٢، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٦٦.

٢ العقود اللؤلؤية، الخزرجي، ٢٨٠/٢.

٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٧، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٠.

٤ طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، عبد الوهاب البريهي السكسكي اليمني، تحقيق عبد الله مُحَمَّد الحبشي، الناشر مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، طبعة ١٩٩٤م، ١٢٨/١.

عليه الأمور، فرتبه إماماً ومدرساً في مدرسته التي أنشأها بمدينة إب وأضاف إليه خطبة الجامع المبارك وولاه القضاء على السحول وما إليه وقابله بما يقابل به مثله ثم استقام بوظيفة القضاء بمدينة إب[1].

ويقول مؤرخ الدولة الرسولية ابن الحاسب المصري: "ارتفعت يد عبدالنبي السيري من المشيخة في حصن حب، واستمر أخوه الشيخ جلال عِوِضَهُ بسعاية والدتهم ورضى أهل البلاد بأخيه الجلال، كون عبدالنبي أساء سيرته مع الرعية وذلك في شهر جماد الآخر سنة ٨١٢هـ[2]".

وقد بنى الجلال بن مُحَمَّد السيري مدرسة الجلالية العليا في مدينة إب سنة ٨١٥هـ[3]، ودرس بها القاضي وجيه الدين عبدالرحمن النحواني، والفقيه عثمان بن عمر الناشري والمقريء تقي الدين معوضة بن حسن العنسي والفقيه مُحَمَّد بن عبدالله الحجري والقاضي عمر بن مُحَمَّد المسلمي المشهور باليريمي وغيرهم من العلماء والفقهاء[4].

ثم تولى مخلاف بعدان بعد ذلك الشيخ شهاب الدين أحمد بن الليث السيري، وقد أورد ذكره العلامة البريهي في كتابه طبقات صلحاء اليمن عندما ترجم للفقيه المقرىء عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري، فقال البريهي في ترجمة الناشري: "وقد انتقل إلى تعز ورتبه السلطان الظاهر مدرساً بمدرسة الظاهرية والمرشدية فأقام بها نحو عشر سنين ثم لما بعد تغير حال تعز سنة ٨٤٨هـ، واتفق فيها ما اتفق من الفتن انتقل إلى مدينة إب، فتلقاه الشيخ شهاب الدين أحمد بن الليث السيري أحسن ملقى وأكرمه وقابله بما يقابل مثله واضاف إليه تدريس مدرسته الأسدية وغيرها، ورتب له من النفقة ما يقوم بحاله وأحسن إليه إحساناً تاما فلم تطل مدة إقامته حتى عاجلته المنية بمرض الطاعون في ذي الحجة سنة ٨٤٨هـ[5]".

ثم تولى بعده ابنه مُحَمَّد بن أحمد بن الليث السيري، وكان ذكره في عهد بني طاهر.

---

١ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير مُحَمَّد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة مصر، ٣/٣، طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ٩١/١.

٢ الكتاب الظاهري في تاريخ الدولة الرسولية، ابن الحاسب المصري، ص١٥٤، تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص١٥٥.

٣ الجلال بن مُحَمَّد السيري بنى المدرسة الجلالية العليا في مدينة إب، وتقع حالياً في قلب المدينة القديمة المسورة في أعلى مكان من المدينة، ما تزال عامرة شامخة بمئذنتها السامقة الجميلة التي بنيت في عهد متأخر عن بناء المدرسة، ابتناها الشيخ جلال الدين الجلال بن مُحَمَّد بن أبي بكر السيري، شيخ مخلاف بعدان، من أعيان نهاية المائة الثامنة وبداية المائة التاسعة. أنظر: المدارس الإسلامية في اليمن، اسماعيل الأكوع، ص٣١١.

٤ المدارس الإسلامية، اسماعيل الأكوع، ص٣١١.

٥ طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ١١٦/١.

المبحث الثاني
القضاء على معارضة آل السيري
في عهد الدولة الطاهرية

لقد استمرت سلطة عائلة السيري على بعدان وحصن حب إلى ما بعد سقوط الدولة الرسولية والذي حل محلها الدولة الطاهرية، ولمعرفة طبيعة المنطقة التي سيطر عليها آل السيري، لابد أن نتعرف على حصن حب الذي أتخذه آل السيري مقراً لحكمهم وقلعةً يتحصنون بها ضد أعداءهم.

حصن حب: يقع حصن حب على صخرة جبلية واسعة وشاهقة وسط منخفضات فسيحة وفي منطقة جبلية، ولذلك فإن الصاعد على سطح ريمان من مدينة إبّ يشاهد تلك الصخرة الصماء التي يقع عليها الحصن حالما يصل إلى أعلى ريمان وبعدان.

يقول المؤرخ كمال الدين الذؤالي في وصف عظمة هذا الحصن: "حصن حب وهي القلعة العظيمة التي لا يخاف صاحبها إلا غضب الله تعالى أو عدم الحب"[1].

وقد أشارت المصادر التاريخية والجغرافية إلى قدم حصن حب، فقد ذكر الجعدي في طبقات فقهاء اليمن أن حصن حب أساسه منذ ثمانمائة سنة[2].

ولما كان الجعدي قد عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري وتوفي في عام ٥٨٦هـ، فإن هذا يعني أن حصن حب قد أقيم في حوالي القرن الرابع الميلادي أي قبل الهجرة بمائتين سنة[3].

وعندما استلم الطاهريون السلطة بعد الرسوليين قرروا القضاء على آل السيري، والإستيلاء على مملكتهم وبلادهم بعدان وما حولها من مناطق إب، وخاصة حصن حب وحصن عزان.

لذا بعد أن استولى الطاهريين على الحكم بعد الدولة الرسولية واستيلائهم على عدن وزبيد وتعز، ابتدأ حصارهم لحصن حب، وقد استولوا خلال فترة حصارهم لحصن حب على المناطق الواقعة بإب وبعدان والتي كانت واقعة تحت نفوذ آل السيري، ولم يبقى من مملكة آل السيري إلا حصن حب.

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٥٥.
٢ طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي الجعدي، ص١٥٩.
٣ تاريخ إبّ، د. محمد مظفر الأدهمي، ص١٢٤.



حصن حب في جبل بعدان محافظة إب



منظر لحصن حب من أسفل جبل بعدان

وكان أحمد بن الليث السّيري مستولياً على حصن حب، واستولى الملوك بنو طاهر على حصون لأحمد بن الليث السّيري صاحب بعدان، وهو لا يبالي بما ملك عليه من الحصون والبلدان، وهو مع ذلك مقبل على اللهو والشراب، لا يشتغل بغير ذلك في جميع الأسباب، وكان يأخذ الوسائد ويحضر ما لديه من الخدام والولائد ويأمرهم ان يضربوها بالسيوف ويقول: هذا عامر بن طاهر فلقوه الحتوف، فلما كان بذلك اشتغاله وعليه أيام عمره إقباله، عزله أهل بعدان وأقاموا ابنه وخرج أحمد بن الليث إلى رباط المعائن وهو مقبل على اللهو لا يشتغل بما هو كائن[1].

فتولى مُحَمَّد بن أحمد بن الليث السّيري مشيخة بعدان، بعد عزل والده، "وفي رجب من سنة ٨٦٩هـ، اصطلح الملكان المجاهد والظافر والحبيشي مع صاحب بعدان، الشيخ مُحَمَّد بن أحمد بن الليث السيري"[2].

والظاهر أن الصلح كان مع الشيخ أحمد السيري وذلك بعد أن استولى ولده مُحَمَّد على الحصن وإخراجه منه، وكان أهل البلد قد ملوا ولاية أبيه أحمد لفساده، فأخرجوه من الحصن وشيخوا ولده مُحَمَّداً كما مرّ معنا.

ثم إنه ابتدأ التدبير للسيطرة والإستيلاء على حصن حب وذلك بفرض الحصار على الحصن لأنه لا يمكن اقتحامه بالقوة فقام السلطان المجاهد بحصار حصن حب بإحكام وشدة لدرجة أنه قطع عنهم المؤن والقوت حتى نفذ ما لديهم في الحصن من الحبوب مما اضطر مُحَمَّد بن أحمد السيري إلى الإستسلام بعد أن أشرف أهل الحصن على الموت والهلاك، وكان ذلك في رجب ٨٧٠هـ.

يقول الشيخ المؤرخ كمال الدين الذؤالي في أخذ الطاهريين لهذا الحصن: "وفي شهر رجب من سنة ٨٧٠هـ، ملك المجاهد حصن حب وهي القلعة العظيمة التي لا يخاف صاحبها إلا غضب الله تعالى أو عدم الحب، بعد حصار طويل ومرابطة شديدة في سنين عديدة، فملك أولاً معاشير الحصن وعزله ثم انتهى الحال إلى أن حاصر بقيته وقطع الميرة عنهم فتفرق جمعهم وقلّ عددهم إلى أن عدموا القوت أياماً فبذلوا تسليم الحصن على مال وعلى أن يحملوا ما قدروا على حمله من المتاع والسلاح، فتسلمه الملك المجاهد، ووفى لهم بما وقع الإتفاق عليه، وكان يوم تسليمه وقبضه وخروج ابن السيري منه يوماً مشهوداً مسعوداً ومن أيام الأعياد معدوداً لما حصل للملك المجاهد من السرور على تملك هذه المملكة

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٦.

٢ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٤.

الضخمة وحمد الله وشكره وتصدق بصدقة عظيمة من الذهب الكثير والطعام والحنطة والسكر وحصل للفقهاء والفقراء بما وصل إليهم، وكان الناظر على الصدقة القاضي شهاب الدين أحمد بن علي الحلواني نعم الرجل كان، وكان معظم الصدقة في شهر رمضان من السنة المذكورة"[1].

ويقول العلامة ابن الديبع في المعاناة التي عاناها الملك المجاهد في سبيل الإستيلاء على حصن حب: "قبض المجاهد حصن حب المشهور بعد حصار طويل ومال جزيل ومقاساة شديدة وهو حصن ذي رعين وكان للقاضي مُحَّد البريهي في فتح هذا الحصن سعي ومخاطرة وسبب تسليمهم الحصن أن حبّهم نفذ، وأشرفوا على الهلاك فسلموا الحصن ونزلوا، وكان الذي سلمه مُحَّد بن أحمد بن الليث السيري، وكان أهل البلد قد ملوا ولاية أبيه أحمد فأخرجوه من الحصن، وشيخوا ولده مُحَّداً وكان الصلح على أنهم يسلمونه، ويخرجون بما قدروا عليه فلما خرج مُحَّد السيري بما معه كان والده حينئذ حياً، فادعى كثيراً من الذخائر أنها مشتراة، ورسم على الولد بالمدرسة الأشرفية، وآل أمره إلى أن أصلح والده على مال يسلمه إليه"[2].

ويقول أيضاً في كتابه بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد: "وفي رجب من سنة ٨٧٠هـ استولى المجاهد على حصن حب، المشهور بالمنعة بمخلاف بعدان، بعد حصار طويل، وهو حصن ذي رعين"[3].

ويقول العلامة السخاوي في شأن هذا الحصن المنيع: "وملك حصن حب وهو حصن الملك ذو رُعين من ملوك حمير المعقل الذي ليس في اليمن مثله حضانة ومنعة بعد محاصرته إياه سبع سنين[4]".

وقد كان فتح حصن حب والملك عامر في ذمار يستعد لحملة عسكرية على صنعاء، فبينما هو كذلك جاءت البشرى أن الملك المجاهد افتتح المعقل الشامخ والطود الباذخ حصن حب مقر الملوك بني السيري الذين كانوا فيه كابراً عن كابر، وذلك أنه لما طال عليه الحصار وضيق على الذين فيه أن خرجوا للأوطان، ضاق بهم الحال واستأمنه كثير ممن فيه من النساء والعيال والرجال، فامنهم وخرجوا ومنهم جماعة من أهل عمار الذين شردهم أخوه إليهم، ولجأوا وهم من المقاتلين لداود وعبدالباقي ابني طاهر وهم الذين حفظوا حصن حب وكانوا فيه على من حارب السيري، فلما خرجوا ضاق الحال بمن فيه وعظمت عليهم البلية، حتى انتهوا إلى أكل لحوم الحمر الأهلية، فنزل مُحَّد بن أحمد الليث السيري

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٥٥.
٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٥٠٥.
٣ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٥.
٤ الضوء اللامع، السخاوي، ٧٠/٣.

إلى الملك عامر بن طاهر كما ذكر المؤرخ ابن الأنف، وألقى بنفسه وهو صاغر وقال: ها أنا بين يديك ونسلم حصن حب إليك، وسلم إليه حب وملكه بعد أن حاربه سبع سنين بعد أن أفتتح إباً، وفي آخرها شدد عليه الحصار بلا توان ولا إقصار[1].

وبهذا انتهت مملكة آل السيري وهي مملكة بعدان الأولى والتي انتهت وانقضت على أيدي الدولة الطاهرية، بعد أن ظلت مسيطرة على حصن حب ومناطق بعدان وما حولها لمدة تزيد على مائة وخمسين عاماً بدأت منذ حكم الملك المجاهد الرسولي في عام ٧٢٠هـ، وانتهت في عصر الدولة الطاهرية عام ٨٧٠هـ على يد الملك المجاهد الطاهري.

وقد كانت هذه المنطقة يطلق عليها مسمى مملكة بعدان وكانت من الضخامة والقوة، ما جعل المؤرخين في ذلك العصر يعظمونها ويعظمون حصنها حصن حب، وممن ذكر ذلك العلامة كمال الدين الذؤالي في تاريخه تاريخ مدينة زبيد فقد قال عن استلام الملك المجاهد لهذه المملكة العظيمة: "وكان يوم تسليمه وقبضه وخروج ابن السيري منه يوماً مشهوداً مسعوداً ومن أيام الأعياد معدوداً لما حصل للملك المجاهد من السرور على تملك هذه المملكة الضخمة وحمد الله وشكره وتصدق بصدقة عظيمة"[2].

وقد انتهت هذه المملكة كما ذكرنا في عصر الدولة الطاهرية، ولكنها ظهرت مرة أخرى على يد النظاري في أواخر الدولة الطاهرية بعد مقتل الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب عام ٩٢٣هـ، والتي سيأتي معنا ذكرها لاحقاً.

ورغم انتهاء سلطة آل السيري في بعدان وإب إلا أن الطاهريين وعلى رأسهم الملكين المجاهد والظافر لم يستغنوا عن خبرات أهل بعدان وإب ومعونتهم في القيادة والقتال فقد كان أبرز قادة الدولة الطاهرية من بعدان وعلى رأسهم القائد مُحَمَّد بن عيسى البعداني، وكذلك ابنه القائد الفذ علي مُحَمَّد البعداني وغيرهم كما سيأتي معنا ذكرهم[3].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٣.

٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص ٢٥٥.

٣ سيأتي ذكر ذلك معنا بعد وفاة الملك عامر بن عبدالوهاب وقيام مملكة بعدان بعد عام ٩٢٣ هـ على أيدي بني النظاري.

الفصل الثاني
معارضة العباس بن الجلال الحبيشي
والإستيلاء على مدينة إب

كان من أعتى وأطول التمردات السياسية في مناطق إب ضد الدولة الطاهرية، التمرد الذي قام به الشيخ العباس بن الجلال الحبيشي في مخلاف جعفر وما حوله من المناطق، وقد كانت تصل سلطة الحبيشي أحياناً حتى تشمل مدينة إب وجبلة والشوافي وذي سفال، ومن المعلوم أن تمرد بنو الحبيشي قد إبتدأ منذ أواخر عهد الدولة الرسولية واستمر إلى ما بعد مقتل الملك الظافر عامر بن طاهر، وفي هذا الفصل سنبين التمرد الذي قام به العباس بن الجلال الحبيشي والمناطق التي كانت تقع تحت سيطرته، ثم نبين استيلاء بني طاهر على مدينة إب ودخولها تحت سلطة الدولة الطاهرية، موضحين ذلك في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: تمرد العباس بن الجلال الحبيشي

المبحث الثاني: استيلاء بني طاهر على إب

المبحث الأول

تمرد العباس بن الجلال الحبيشي

كانت بلاد الحبيشي تقع في حُبيش[1] من مناطق إب، وقد كانت من أبرز المدن مدينة جبلة[2] التي بنيت في عصر الدولة الصليحية والتي تبعد عن مدينة إب حوالي ستة كيلو مترات فقط، وقد كان آل الحبيشي من المتمردين في أواخر عهد الدولة الرسولية واستمر تمردهم وطموحهم للإستيلاء على السلطة إلى عصر الدولة الطاهرية، وكان معقلهم وحصنهم المنيع هو حصن التعكر الشهير القريب من مدينة جبلة.

مدينة جبلة وحصن التعكر:

مدينة جبلة: تسمى أيضاً ذي جبلة وتقع في قاعدة سفح جبل التعكر في الشمال الشرقي منه وفي الجنوب الغربي من مدينة إب، وقد سميت جبلة بهذا الإسم نسبة إلى رجل يمني يهودي كان يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه، اسمه ذو جبلة.

ومدينة جبلة حديثة العهد قياساً بقدم بمدينة إب، فقد بنيت مدينة جبلة في بداية عصر الصليحيين، عندما اختطها وبناها عبدالله مُحَمَّد الصليحي سنة ٤٥٨هـ، حين كان والياً على حصن التعكر وبأمر من أخيه مؤسس الدولة الصليحية الملك علي مُحَمَّد الصليحي.

---

١ حُبيش: مديرية في الشمال الغربي من مدينة إب بمسافة ٤٢ كيلو متر، مركزها ظلمه وهي منطقة جبلية تشمل على عدد من المراكز الإدارية منها: جبل عمقة وبني الضاحتين وصائر وجبل خضراء ونقيل عقاب والفراعي والجعافرة وشباعة وكومان، وكانت حبيش والعدين وذي سفال تدعى قديماً باسم ذي الكلاع، وكان قد سكنها بنو الحبيشي من أهل إب فنسبوا إليها وهم من قبيلة مذحج المشهورة والتي من بطونها عنس ومراد وبلحارث وسعد العشيرة وغيرهم، ومن مشاهير أعلامهم نذكر: مُحَمَّد بن عبدالله الحبيشي المتوفى سنة ٨٥٠هـ، كان بمنزلة الوزير في دولة بني طاهر، وقد اناطوا به أمور الناس لتصريفها، وعبدالله بن مُحَمَّد بن أبي بكر الحبيشي من أعلام المائة التاسعة، وكان مفتي مدينة المقرانة والمدرس بها، كما كان والده قاضياً لبلاد جبن في رداع، وتوجد بها قلاع أثرية من مختلف العصور أشهرها: قلعة خدد وقلعة جبل الخضراء. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٤١٢/١.

٢ جبلة: مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من مدينة إب، بينها أربعة أميال تقريباً، قال ابو مخرمة أن أول من أختطها هو عبدالله بن مُحَمَّد الصليحي، وقد ولاه حصن التعكر المطل عليها، فبناها على سفح جبل التعكر وحشر الرعايا إليها من مخلاف جعفر وأسماها جبلة باسم يهودي كان يبيع الفخار فيها قبل عمارتها، ثم انتقل إليها المكرم أحمد بن علي الصليحي وزوجته الملكة أروى بنت أحمد الصليحي الذي فو المكرم أمر المملكة إليها، وصارت جبلة عاصمة للدولة الصليحية، وبها دفنت السيدة أروى، وتقع جبلة على هضبة مسطحة متدرجة ترتفع نحو ٦٧٤٥ قدماً عن سطح البحر، وهي مدينة بين نهرين جاريين شتاً وصيفاً، وللسيدة بنت أحمد مآثر كثيرة في جبلة منها بناء الجامع وتبليط المدينة بالقضاض والأحجار، كما أن بها آثار دارها الشهيرة بدار العز في موضعها المعروف بحافة الدار. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٢٨٥/١.

من جانب آخر انتهت أهمية مدينة جبلة السياسية بانتهاء حكم الصليحيين بعد وفاة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي عام ٥٣٢هـ [١].

حصن التعكر: ارتبط اسم جبل التعكر بحصنه الشهير المسمى حصن التعكر الذي وصفه ياقوت الحموي في مخطوطه معجم البلدان بالقول: "أنه قلعة حصينة عظيمة مكينة باليمن من مخلاف جعفر، مطلة على ذي جبلة ليس في اليمن قلعة أحصن منها"[٢].

ويقول الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب: "أن التعكر من الجبال المشهورة، وهو من شوامخ الجبال التي في رؤوسها المساجد الشريفة، ومواضع المساجد، وحصنه من الحصون الشهيرة في اليمن"[٣].

ويرجع قدم بناء حصن التعكر إلى حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، كما ذكر ذلك العلامة عمر بن علي بن سمرة الجعدي في كتابه طبقات فقهاء اليمن، ولما كان قوله هذا قبل تاريخ وفاته وهو ٥٦٨هـ فإن حصن التعكر قد بني قبل أكثر من أربعة آلاف سنة[٤].

مخلاف جعفر في إب قبل الطاهريين: في أواخر الدولة الرسولية اضطربت أحوال مخلاف جعفر[٥] من إب وساءت أحواله الأمنية، ويصف ابن عبدالمجيد في كتابه بهجة الزمن الأحوال المضطربة في مخلاف جعفر وغيره، ويقول عن جبلة أن رؤساء القبائل وأتباعهم "ملكوا أملاك الملوك، ونهبوا مدينة جبلة وأخذوا ما بها حتى حصر الجامع"[٦].

وعندما استقل بني طاهر بالملك بعد الرسوليين، بسطوا نفوذهم في عدن وزبيد وتعز وتبقى لهم في المناطق الوسطى من اليمن بعض المناطق من إب ومنها مخلاف جعفر ومخلاف بعدان، والتي أراد زعمائها ومشايخها أن يحتفظوا لهم بمكانة بعد انتهاء الدولة الرسولية، وقيام الدولة الطاهرية والملكين المجاهد والظافر بالملك في اليمن.

---

١ تاريخ إبّ، د. مُحَمَّد مظفر الأدهمي، ص١٦١.
٢ معجم البلدان، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الفكر بيروت لبنان ١٩٩٠م.ص.٤٠.
٣ صفة جزيرة العرب، أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق مُحَمَّد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن الطبعة الثانية ٢٠٠٨م، ص٢٣٨.
٤ طبقات فقهاء اليمن، العلامة عمر بن علي بن سمرة الجعدي، ص١٥٨.
٥ مخلاف جعفر: هو ما يسمى اليوم العدين وإب والمذيخرة والسحول، قيل أنه عرف بذلك نسبة إلى الجعافر ملوك الكلاع في الإسلام، ومنهم الأمير جعفر بن إبراهيم المناخي الحميري، الذي حكم المنطقة لأكثر من خمسين عاماً إلى أن قتله في مدينة المذيخرة علي بن الفضل أثناء حرب قامت بينهما. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٣٣٧/١.
٦ بهجة الزمن، ابن عبدالمجيد الأهدل، ص١١٨.

وفي ذي الحجة من سنة ٨٦١هـ، إبتدأ التمرد من قبل العباس بن الجلال بن عبدالباقي الحبيشي صاحب حبيش، فاستولى العباس الحبيشي على مخلافه[1]، وهو مخلاف جعفر والمقصود به ما يقع به جبل التعكر وحصنه المنيع ومدينة جبلة وبلاد حبيش.

وكان العباس بن الجلال بن عبدالباقي الحبيشي قبل ذلك محارباً للعباس بن علي بن الحسام الزاهر، وقد تقوى الحبيشي وجمع كثيراً من القبائل والعشائر، فسلم أخوة العباس بن علي بن الحسام الزاهر حصون الشوافي إلى علي وعامر، ثم أن الحبيشي أطلق العباس بن علي بن الحسام لما صارت الحصون إلى بني طاهر.

وترك الملك المجاهد والملك الظافر حصون الشوافي إلى أولاد علي بن الحسام الزاهر، وردها إليهم ليمتنعوا بها عمن يعاديهم فلم يبقوا فيها إلا أياماً، وصال عليهما الحبيشي عباس وكان شجاعاً شديد البأس أهوج لا يرد رداً عند الناس، فاسترجع حصون علي بن الحسام الزاهر وملكها، وأراد بأمره ونهيه فملكها[2].

فبلغ العلم الملك المجاهد فنزل إليه من بلده، وبادر إلى ذي جبلة واستقر بجبلة من الشهر المذكور إلى شهر ربيع الأول من سنة ٨٦٢هـ، ووقع قتال بينه وبين الحبيشي فانهزم الحبيشي وقتل من أصحابه جموعاً لا تنحصر، ورجع المجاهد إلى بلده[3].

وعند ذلك نهض الملكان علي وعامر لقتاله وقاما لمطاولته وتقصير حاله، فاسترجعا بعض الحصون من يديه وملكا نصف البلاد مما صار إليه وعمرا حصن فروان.

وكان لجياش السنبلي في ذلك القتال الشديد والحملات على الجواد التي هو منها لا يحيد، وكان الملكان قد غضبا عليه لأمر منه أغاظهما، فلما رأى علي بن طاهر حملاته وصولاته قال لأخيه: أهذا يترك ويستحقر، وأرجعا له ما أخذ عليه وزادا له على ما كان في يديه، وقام مُحَمَّد بن داود لمحاربة الحبيشي من التعكر وجبلة، وعمّاه يمدانه بالجيوش ويوسعان عليه العطاء ولا يتركانه بالجملة[4].

وفي ذي القعدة سنة ٨٦٢هـ، توجه الشيخ عبدالوهاب بن داوود في العسكر المنصور إلى ناحية الحبيشية فالتقيا وانهزم الحبيشي، وأخذ عبدالوهاب بن داود جملة من حصون الحبيشي[5].

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٤.
٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٤.
٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٤، قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٩٩.
٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٥.
٥ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٥.



حصن التعكر



جامع جبلة التاريخي



مدينة جبلة التاريخية

المبحث الثاني
استيلاء بني طاهر على إب

للقضاء على التمردات السياسية في إب بشكل عام، كان لا بد على بني طاهر الإستيلاء على مدينة إب، ودحر جميع التشكيلات العسكرية المتواجدة بها، وكانت أبرز التمردات السياسية المتواجدة في إب كما مرّ معنا، الشيخ أحمد بن الليث السّيري في مخلاف بعدان، والعباس بن الجلال الحبيشي في مخلاف جعفر، وقد أدرك كلا الرجلين أن كلاً منهما بمفرده، وبقدراتهم البسيطة لن يستطيع أن يقاوم القوة العسكرية للدولة الطاهرية.

لذا فقد تم التحالف بين الشيخ العباس بن الجلال الحبيشي صاحب مخلاف جعفر، والشيخ أحمد بن الليث السّيري صاحب حصن حب، واصطلح الحبيشي وأهل بعدان، وكان بينهم على حرب بني طاهر الأيمان[1]، وعقدا الإتفاق فيما بينهم، وتعاهدا على عدم الخذلان.

وأيضاً ممن انضم إلى حلف الشيخ العباس بن الجلال الحبيشي الشيخ علي بن المعلا إذ قام بتسليم حصون علب وضرائمه[2] وأكَنْ[3] للحبيشي، ومع تنامي قوة الحبيشي وازدياد نفوذه أنضم إليه أيضاً آل الزاهر بعد أن نقضوا حلفهم مع الدولة الطاهرية[4].

ومن ناحية أخرى استشعر بني طاهر خطورة هذا التحالف بين قبائل إب، فبدأ الملك عامر بن طاهر إعداد العدة للإستيلاء على إب والقضاء على الحبيشي والسّيري ومن معهم، وكان لابد له من الإستعانة بحلفائه لمواجهة هذا التحدي، لذا فقد أرسل الملك الظافر إلى حلفائه لإمداده وكان من أبرز حلفائه قبائل همدان، "فأصدر الملك الظافر عامر بن طاهر إلى علي بن الحسن يطلب منه المادة من همدان، وأن يصل من الناس حسب الإمكان، فأرسل إلى حاتم بن إبراهيم بن إدريس بمائتي رجل من يرامي ويناضل، فلما وصلوا إلى الملك الظافر سار بهم صحبته وقد جمع عسكره وهيأ عدته[5]".

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١١٨.
[2] ضرائمه: حصن في أعلى جبل الأفيوش من بلاد العدين. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٩٤٤/١.
[3] أكَنْ: حصن في منطقة الأفيوش من مديرية المذيخرة وأعمال محافظة إب. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٩٨/١.
٤ روضة الخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٦.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١١٨.

وقد أورد المؤرخ ابن الأنف القرمطي معركة إب التي جرت بين الملك عامر بن طاهر ومعه قبائل همدان من جهة، وبين الحبيشي والسّيري من جهة أخرى، ويبدو أن الإستيلاء على مدينة إب ومجريات هذه المعركة قد وقعت في سنة ٨٦٣هـ، وذلك قبيل إستعداد ونزول الإمام الناصر لنجدة حلفائه من عنس والمناطق الوسطى من بني طاهر[1].

ومما يدل على أن استيلاء الدولة الطاهرية على مدينة إب كان في سنة ٨٦٣هـ، أن المؤرخ ابن الأنف في كتابه روضة الأخبار ذكر أن استيلاء بني طاهر على حصن حب في بعدان كان في سنة ٨٧٠هـ بعد سبع سنوات من إستيلائهم على مدينة إب[2].

ويحكي ابن الأنف ما جرى فيقول: "فوصل عامر إلى قرب مدينة إب وقد جمع فيها القبائل من أهل بعدان فكان بينهما القتال، وخرج أهل بعدان فصفوا عسكرهم خلف درب إب وتنازل الأبطال، فسأل حاتم بن إبراهيم عامر أن تقاتل همدان مع العساكر، فتلكأ ثم أذن لهم فتقدم همدان ورموا أهل بعدان فأصابوهم بالعيدان، وكان يقع في كل رجل سهم أو اثنان فلما أصابت أهل بعدان السهام تأخروا عن الإقدام، ونظر إليهم عامر وقد تدحرجوا لما أصيبوا بالنبل، وكثر فيهم الجراح والقتل، فلما رآهم عامر قد فشلوا، وعن مواضعهم تزلزلوا، قال أراهم يبعدون وأصحابنا إليهم يقربون فأمر عسكره بالحملة عليهم فولوا الأدبار وألتجأوا إلى الفرار، وحاز منهم جند عامر أربعة فضربوا بالسيوف والخناجر، وفروا إلى داخل المدينة من عسكر عامر، ودخل عليهم جنود عامر المدينة وانتهبوا منها نهباً، وسلبوا مما فيها سلباً، وكانت لهمدان الجميلة وحاتم بن إبراهيم أول من حمل إلى دائر المدينة ومعه حسن بن داود الجشمي صاحب بيت غفر فارسان، وشكر عامر همدان وقد عرف أن تبين لهم سبب هربة أهل بعدان، وقاتل أيضاً عامر الحبيشي فأمر من معه من عسكره بالحملة، وترك رماة همدان حوله، وعاد عامر إلى بلاده حَجْر ومعه همدان فأعطاهم بعض الشيء، وقال: أرجعوا إلى بلادكم فإني أخاف أن ينتقص ما بيننا الحرب وابن الإمام، فلا آمن عليكم في الطريق أن يُقطع عليكم من أمام، وكان الإمام الناصر قد صار إليه وأضاف أهل بلاد شيزر وأهل بلد سودان إليه[3]".

وفي نفس الوقت لمجريات معركة إب أوكل الملك عامر لكلاً من مُحَمَّد بن داود وأخيه عبدالوهاب وإدريس بن مُحَمَّد القرمطي قيادة القوة المتوجهة إلى دمت ونواحيها ودارت بينهم موقعة الأكمة،

---

١ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٥.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٣.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١١٨.

انتصرت فيها قوات الدولة الطاهرية، وتقدمت حتى استولت على جبل زلمان، فاستسلم علي بن المعلا وسلم كل ما بيده من حصون للطاهريين بعد أن انسحبت منها قوات الحبيشي، كما استأنفت القوة الطاهرية تقدمها باتجاه الشوافي لحرب آل الزاهر وعباس الحبيشي، فتراجعت قوات التحالف أمام زحف الطاهريين فاستولوا على حصن نعمان الشوافي[١] والحصون التابعة له[٢].

ثم اتجه بني طاهر إلى مناطق الحبيشي فاستولوا على أغلب معاقلهم وعلى رأسها قلعة[٣] السَّحُول[٤].

وبعد هذه المعارك وسيطرة الملك الظافر عامر بن طاهر على مدينة إب وما حولها من الحصون والقلاع والمناطق، إنحصر السّيري في حصن حب، وكان انتهاء معارضته بالإستيلاء على حصن حب كما مرّ معنا سنة ٨٧٠هـ.

وأما العباس بن الجلال الحبيشي فقد استمر في عملياته العسكرية ضد الدولة الطاهرية في إب، ففي جمادى الأخرى من سنة ٨٦٦هـ استولى على حصن علب[٥]وما والاه[٦].

ونظراً لأهمية المنطقة التي خرج فيها الحبيشي على الدولة الطاهرية، عمل السلطان المجاهد بالإسراع في قمع هذه الحركة حتى لا تقوى ويكثر أنصارها ويصعب إخمادها، وخاصة بعد أن استولى الحبيشي على حصن علب، فأستأنف السلطان مهاجمة الحبيشي في جمادى الآخرة من عام ٨٦٦هـ[٧]، فجهز له الملك المجاهد العساكر، فانتزع منه بعد مدة[٨].

---

[١] نعمان: جبل شهير فوق قرية الدُنوة من الجهة الجنوبية الغربية وكلاهما في رؤوس مدينة إب، ونعمان قرية في مركز المعشار من مديرية المخادر وأعمال محافظة إب. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٧٤٧/٢.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٥.

[٣] السَّحُول: حقل واسع من أرض الكلاع، يمتد من سفح جبل سمارة وحتى سفح عقبة مدينة إب جنوباً، سمي نسبة إلى السحول بن سواده بن عمرو بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سردد بن زرعة وهو حمير الأصغر، كما سمي باسم الأمير جعفر بن ابراهيم المناخي الحميري، وتارة سحول بن ناجي، نسبة إلى ناجي بن أسعد التباعي الحميري، وتشكل بلدان السحول مركزاً إدارياً من مديرية المخادر وأعمال إب، وأهم هذه القرى منقذه ومليل والملحمة وبيت عنان وسمحان. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٧٧٥/١.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٦.

٥ حصن علب: حصن قديم يقع أعلى جبل حبيش من عزلة جبل خضراء مندرس أنقاض. تكرر ذكره في حروب الدولة الطاهرية وهو اليوم خرائب وأطلال. أنظر: حاشية قرة العيون، للقاضي مُحَمّد بن علي الأكوع، ص٥٠٢، معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١١٠٤/٢.

٦ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٦، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٢.

٧ الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص١٢٥.

٨ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٢.

وفي نفس العام أيضاً استولى الملك الظافر عامر بن طاهر على حصن بحرانة[١] وما والاها من الحصن والقلاع[٢]، من أعمال ذي السفال[٣].

واستمر التمرد والإعتداءات من قبل العباس بن الجلال الحبيشي، إلا أن محاولاته كلها باءت بالفشل ولم يستطع الحبيشي أن ينال شيئاً، فقد كانت الدولة الطاهرية هي القوة الضاربة في اليمن مع موالاة معظم القبائل لها، لذا رأى العباس الحبيشي أن الأفضل له أن يصالح الملكين الظافر والمجاهد وأن يخضع لسلطتهما وحكمهما لعله ينال بذلك شرفاً ويكون له يداً عندهم، وبالفعل تم ذلك.

ففي شهر ذي الحجة أواخر عام ٨٦٦هـ، اصطلح الملكان المجاهد والظافر مع الحبيشي الشيخ عباس بن الجلال بن عبدالباقي صاحب حصن خدد[٤]، وواجههما وأنعما عليه ورضيا عنه[٥].

وقد كان لهذا الصلح الذي تم بين بني طاهر والحبيشي الأثر الكبير في إجراء الصلح أيضاً بين بين طاهر والحبيشي من جهة، وبين آل السيري من جهة أخرى، والذي يقع سلطانهم بالجوار من سلطنة الحبيشي، فيذكر ابن الديبع أنه بعد أشهر قليلة فقط من الصلح السابق، "في شهر رجب سنة ٨٦٩هـ، اصطلح الملكان والحبيشي، مع صاحب بعدان الشيخ مُحَمَّد بن أحمد لليث السّيري[٦]".

ولكن لم يدم الصلح بين السلطان وأدريس الحبيشي طويلاً، فقد عاد لتمرده بعد مقتل الملك الظافر، ففي الوقت الذي واصل فيه عباس الحبيشي الطاعة للطاهريين تزعم أخوه أدريس الحركة من بعده عام ٨٧٠هـ، وبادر السلطان المجاهد إلى محاربته فاستولى السلطان علي بن طاهر ابتداءً على حصن حب المشهور بمخلاف بعدان بعد حصار طويل.

---

[١] حصن بَحْرَانة: حصن خارب في أعلى منطقة السيف الواقعة في الغرب الشمالي من مديرية ذي السفال ومن أعمالها، تقع في سفحه قرية تحمل اسمه، وهي عامرة وبجوارها بلدتي إرياب والعسكر، كما تشرف على الحيمة العليا وعلى قرية العقيره. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٣٩/١.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٩، قرة العيون، ابن الديبع، ٥٠٢.

٣ ذي السفال: مدينة مشهورة شمال القاعدة بمسافة ١٠ كيلو متر، ما بين مدينتي جبلة وتعز، وهي في منطقة كثيرة الزروع والأشجار والأنهار، ويقال أنها قامت على أنقاض مدينة ذي العُلا التي ذكرها الهمداني في صفة جزيرة العرب، ثم أزدهرت في عهد الدولة الصليحية، وقد خرج منها عدد من العلماء والأدباء أمثال المُصوع وآل العلقمة وآل اليحيوي وآل البريهي وآل الجنيد وآل اليقظان وغيرهم، وتشكل ذي سفال مديرية من أعمال محافظة إب، وتشمل المراكز الإدارية التالية العداني وحُبير وذي الحود ومعاين وريدة وريد، وبني عبدالله والحبْلة والصفة ورُعاش والعنسيين والدخال وخِنوة ووادي ضُبا وشوائط وغيرها. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٧٩٤/١.

٤ حصن خَدِد: حصن أثري مشهور بالمنعة، يقع في منطقة العارضة من جبل حبيش، شمال مدينة إب، فيه بقية من آثار العمائر الحميرية والصهاريج والسدود المحفورة في الجبل، وقد تردد ذكره في كثير من الكتب القديمة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٦١/١.

٥ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٦.

٦ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣٤، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٤.

ثم أن الملك المجاهد بعد أن سلم بنو الحبيشي للدولة الطاهرية، أراد أن يستميلهم ويستعين بهم في أمور الولاية وشؤون الحكم، "ففي محرم سنة ٨٧٦هـ، أقطع الملك المجاهد الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي البلاد الشامية، فخرج إليها في عساكر وخيل كثيرة سادس الشهر المذكور، ووقف في المراوعة أياماً، ثم دخل عليه في أثنائها علي بن أبي الغيث بن حفيص، والفقيه مُحَمَّد بن أبي بن حسين، والفقيه علي بن حشيبر فأسرهم، وأرسل بهم إلى مدينة زبيد، ثم غزا البجليين فقتل منهم نحو العشرين، وسبى نساءهم ونهب مواشيهم، ثم صالحوه على ثمانية عشر فرساً يؤدونها إليه.

ثم غزا الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي المعازبة وأهل الجحبة، بعد أن غدروا بإسماعيل بن محفوظ المصري، وجماعة من الفرسان والعبيد كانوا هنالك يستخلصون من الجحبة مالاً، فانكسر المعازبة والجحبة، فقتل منهم ذلك اليوم نيفاً على المائتين، واحتز من رؤوسهم قريب المائة، ودخل بهم بيت الفقيه ابن عجيل دخولاً معظماً، ثم اصطلحوا بعد ذلك، وسلم المعازبة عشرة أفراس، والجحبة تسعة آلاف دينار، ثم دخل زبيد عقب ذلك.

ثم خرج الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي من زبيد غازياً أهل شمير، فأغار على بني حسين الأهمول، وقتل منهم ثلاثين نفراً وأسر آخرين، ونهب مواشيهم، ودخل بهم زبيد يوم الخميس من ربيع الأول[١]".

إلا أن الأعمال والتصرفات التي قام بها الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي باسم الدولة، والتي أسرف فيها بالقتل والنهب والسلب وسبي النساء، أثارت استياء وحنق الملك المجاهد علي بن طاهر، فرغم أن الملك المجاهد قد ولى الأمير عمر بن العزيز الحبيشي ووثق به، إلا أنه لم يجعله في معزل من الرقابة والمحاسبة على أعماله وتجاوزاته، والإفراط في الإساءة للناس والتعدي على حقوقهم، وإن كانوا قد أجرموا وسفكوا الدماء.

فبعد هذه الحوادث والأعمال التي صدرت من الأمير الحبيشي أرسل الملك المجاهد علي بن طاهر الشيخ عبدالوهاب بن داود بن طاهر في يوم الأحد شهر ربيع سنة ٨٧٧هـ إلى زبيد، فقدِم مدينة زبيد بغتة وقت الظهر، فقرر أمور الرعية، ولم يعلم أحد بمقصوده، حتى قبض على الأمير عمر بن عبدالعزيز، وعزم به في صحبته في أعيان الكتاب يوم السبت ١٨ الشهر المذكور، فواجهوا الملك المجاهد بتعز، وأنكر الملك المجاهد على الأمير عمر بن عبدالعزيز أموراً أحدثها، وأفعالاً ارتكبها ووبخه توبيخاً عظيماً، وحاسب الكتاب في عدن، ثم قيد الأمير عمر بن عبدالعزيز، وخرج به صحبته من

---

١ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٣.

عدن إلى تعز، ثم أطلقه بعد مدة على مال سلمه[1]، ويذكر العلامة المؤرخ كمال الدين الذؤالي الزبيدي بأن الذي حصل للأمير عمر بن العزيز هو مكيدة ومؤامرة دبرت له لإفساد العلاقة بينه وبين الملك المجاهد، فيقول الشيخ كمال الدين: "قدم الشيخ عفيف الدين عبدالوهاب إلى زبيد على حين غفلة من أهلها لمكيدة أكيد بها الأمير عبدالعزيز ...، فأعلمه بطرف من المكيدة فقال: ها أنا ذا بين يديك، وبدا المحقق للشيخ عفيف الدين أنها مكيدة، ولكنه لم يسعه إلا امتثال أمر عمه الملك المجاهد[2]"، ثم أن الملك المجاهد أعاده إلى الولاية فجعله مقدماً على زبيد في أول سنة ٨٧٨هـ[3].

ثم وبعد وفاة الملك الظافر عامر بن طاهر، وبعد غدر الشيخ أدريس الحبيشي، حطّ الملك المجاهد علي بن طاهر في سنة ٨٧٧هـ، على الشيخ أدريس بن الجلال الحبيشي، بخدد وما والاه، ثم ارتفع عنه[4].

وفي الثالث من شوال سنة ٨٧٧هـ، طلع الملك المجاهد إلى تعز ثم إلى جبلة، ووقعت بينه وبين الحبيشي وقائع عظيمة، نصر المجاهد فيها عليه، وأخذ له عدة حصون ومنها المصينعة حصن الخضراء[5] ثم رجع إلى تعز[6].

وعلى أثر هذه الهزائم المتوالية التي لحقت بالشيخ أدريس الحبيشي، وخروج الحصون والقلاع من تحت سيطرته، أضطر أدريس بن الجلال الحبيشي إلى عقد الصلح مع الملك المجاهد، ففي ربيع أول عام ٨٧٩هـ حصل صلح تام، ودخل الحبيشي في صحبة الملك المجاهد إلى تعز[7].

إلا أن هذا الصلح لم يدم طويلاً، فقد بدر من الشيخ أدريس ما جعل الملك المجاهد في شهر ذي القعدة ينصب على حصن الخضراء المنجنيقات ويحاصره[8]، واستمر الصراع حتى قتل الشيخ أدريس الحبيشي كما سيأتي معنا في الأحداث التي جرت بعد مقتل الملك الظافر عامر بن طاهر.

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٤.
٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، ص٢٦٦.
٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١١.
٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٥.
٥ حصن الخضراء: حصن في قمة جبل حبيش، شمال غرب مدينة إب، بقرب خدد، يشكل مركزاً إدارياً يضم عدد من القرى منها قرية السر والشوافي وبيت هلال والثوماني وغيرها. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٧٢/١.
٦ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٥.
٧ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٧، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١١، الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص١٢٦.
٨ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٣.

الفصل الثالث
السلطنة العمارية في إب

كان من أشرس الصراعات الدموية على النفوذ والسلطة في تاريخ بني طاهر قبل أن يتولوا الحكم ويقوموا بتأسيس دولتهم، هو صراعهم مع قبائل آل عمّار في المناطق الوسطى من إب، وقد كان بداية هذا الصراع في أوخر عهد الدولة الرسولية، وبداية ظهور بني طاهر في مسرح الأحداث السياسية كنواب للدولة الرسولية في المناطق الوسطى ورداع وما حولها، لذا فإننا في هذا الفصل سنبين قيام السلطنة العمارية في المناطق الوسطى في أواخر عهد الرسوليين، وصراعهم مع بني طاهر بصفتهم نواباً للدولة الرسولية في تلك المناطق، ثم نبين بعد ذلك سقوط وزوال السلطنة العمارية على يد الدولة الطاهرية، وذلك في مبحثين كالآتي:

المبحث الأول: قيام السلطنة العمارية في أواخر الدولة الرسولية

المبحث الثاني: الصراع بين بني طاهر والسلطنة العمارية في أواخر عهد الدولة الرسولية

المبحث الثالث: الصراع بين الدولة الطاهرية والسلطنة العمارية

المبحث الرابع: استيلاء بني طاهر على حصن كحلان ويريم وزوال السلطنة العمّارية

المبحث الأول

قيام السلطنة العمّارية في أواخر الدولة الرسولية

كانت الدولة الرسولية وهي في أوج قوتها تبسط نفوذها في كافة أنحاء اليمن، وكان بني طاهر نوابهم في المناطق الوسطى إب ورداع وما حولها، ولما ضعفت الدولة الرسولية في أواخر عهدها استقلت كثيرٌ من المناطق والمخاليف عنها، ومن المناطق التي استقلت عن الدولة الرسولية في أواخر عهدها، سلطنة العمّاري بزعامة الأسد بن الورد العماري، وابن أخيه المعافا ابن الورد والذي كان نفوذه يمتد على مصنعة ربيع وشخب وكهال والقائمة وحصن القاهرة.

وأطلق اسم العمّاري نسبةً إلى منطقة أو بلاد آل عمّار، والتي تعتبر حالياً مركزاً إدارياً من مديرية الرضمة محافظة إب، ويُعرف حالياً بمركز آزال، ومما تجدر الإشارة إليه أن بلاد عمّار ترتبط من جهة الشرق الشمالي بأرض قبيلة قيفة وخاصة قراهم هيوة والمنصورة والغريرة والكولة، وعمّار أيضاً جبل عال منيف في بلاد النادرة، أعلاه حصني شخب وكُهال[1].

ولابد من الإشارة إلى أن أهل بلد سُودان[2] كان لهم الولاية في بلاد ذي رُعين[3]، وقت الإمام صلاح الدين مُحَمَّد بن علي إمام الزيدية في ذلك الوقت[4]، والذي توفي في عام ٧٩٣هـ، وابنه علي بن صلاح الدين المتوفى في عام ٨٤٠هـ[5]، كما ذكر ذلك المؤرخ ابن الأنف القرمطي في تاريخه روضة الأخبار[1].

١ معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١١١٥/٢.

٢ سُودان: مركز إداري من مديرية الرضمة وأعمال محافظة إب، منه قرية ذي أشرع الأثرية ذات القصور والخضرة الجميلة، وذي أشرع قرية أثرية تقوم على وادي سبان المشهور وجوارها الطريق الذاهبة من يريم إلى الرضمة ثم إلى دمت، وهي محل مساكن المشايخ آل صلاح كما كان فيها مولد المؤرخ مُحَمَّد بن أحمد الحجري مؤلف كتاب مجموع بلدان اليمن وقبائلها. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٨٢٧/١، ٧٠/١.

٣ مخلاف ذي رعين: منه مصانع رعين ومنه شخب وكهال ومن الأودية وادي سّبان ووادي خبان وذو بلق ووادي حرد ووادي ذي يعزز وثريد، ومن المصانع حصن كحلان وحصن مثوة وكهال ومنها الصّولع ولبو والمواعلة ومليان وهيرة وصلاف فإلى ما حادّ حيشان فيحصب العلو من ناحية ظفار فراجعاً إلى مخلاف ميتم وحدود مذحج من بني حبش، وحقل صالح من أرض الرّبيعيين والزيادّيين وقد يعد من مخلاف رعين التراخم مثل بنا وشراد والخبار وميتم وشرعة وماوة وكانوا ملوك رعين وهم من ولد ذي ترخم بن مريم ذي الرمحين بن عجرد من سبأ الصغرى وجميع مخلاف رعين لا يسكنه إلا آل ذي رعين مثل يحيرو وسن والأملوك والأحروث وغيرهم وأحياء آل ذي رعين بهذا المخلاف أوفر منهم في جنوب بلد رعين ومشرقها الذين غلب على أكثرهم مذحج. أنظر: صفة جزيرة العرب، أبو مُحَمَّد الحسن الهمداني، باب سرو مذحج، ٥١/١.

٤ الإمام صلاح الدين مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن علي بن يحي من ذرية الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، القاسمي، الهدوي، ولد سنة ٧٣٩هـ وتوفي في عام ٧٩٣هـ.. أنظر: طبقات الزيدية الكبرى، ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، للسيد العلامة إبراهيم ابن القاسم بن المؤيدبالله، من إصدارات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن.

٥ الإمام المنصور على بن مُحَمَّد الناصر صلاح الدين ابن على المهدى ولد سنة ٧٧٥هـ، استخلف لما مات والده الإمام صلاح الدين مُحَمَّد بن على بن مُحَمَّد فى سنة ٧٩٣هـ، وكانت خلافته قد تمكنت فى الديار اليمنية وعظمت سطوته وكثرت جيوشه وبعد صيته أرسل امراءه ووزراءه

ومن خلال هذه الرواية يتضح لنا أن السلطنة العمارية في تلك المناطق قد نشأت قبل العام ٧٩٣هـ أي قبل وفاة الإمام صلاح الدين مُحَمَّد بن علي، وأن الحروب كانت مستمرة بين بني طاهر نواب الدولة الرسولية، وبين آل عمّار وهم نواب الإمام علي بن صلاح، وكل طرف يستعين بمن ورائه من الملوك والأئمة.

فتُشير أحد المصادر التاريخية وهو غاية الأماني إلى أن أول صدام عسكري حصل في المناطق الوسطى كان في سنة ٨٠٢هـ، إذ يقول المؤرخ يحي بن الحسين في أحداث سنة ٨٠٢هـ: "أن الإمام علي بن صلاح وصل إليه كتاب من أهل قرية في الحقْل[٢] تسمى طَيْبة[٣]، يطلبون منه الوصول إليهم لقبض بلدهم، وكانت راجعة إلى ولاية سلطان اليمن الأسفل، وفيها جماعة من أصحابه فطردوهم واستدعوا علي بن صلاح الدين، فسار إليهم من غير أن يطلب منهم رهينة، فلما أوغل في تلك الجهة، ثار عليه كمين من باطنية تلك البلاد فدافعهم، وقتل منهم جماعة، وانتظر وصول المستدعين له فلم يصلوا، وتألبت عليه باطنية عراس[٤] وكحلان وإرياب[٥] وآل حجاج، فرجع إلى ذمار وقُتل من أصحابه جماعة حال الهزيمة، وظهر أن تلك القرية إنما أرادوا المكر به[٦]".

الى القاضى العلامة عبد الله بن الحسن الدوارى الى صعدة فوصل الى صنعاء ثم أجمع رأيه ورأى أرباب الدولة على مبايعة صاحب الترجمة ورأوا فى ذلك صلاحا لكونه ناهضاً بالملك، مات فى سابع وعشرين شهر صفر سنة ٨٤٠هـ.. أنظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الإمام مُحَمَّد بن علي الشوكاني، ٤٦٥/١.

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١١٩.

٢ الحقْل: هو ما أتسع من الأرض تحيط به الجبال، والحقل المعني هنا حقل قِتاب في بلاد يريم يُنسب إلى قتاب بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعه، يعرف اليوم بحقل كتاب بالكاف بدلاً عن القاف، وسابقا باسم حقل يحصب، يشرف عليه من الشرق جبل ظفار الذي كان عاصمة الحميريين بعد مأرب، وكان الحقل في زمن الحميريين منزرعاً بالأعناب والفواكه وفيه المياه الجوفيه وافرة، كما كان في يريم وفي قاعها أيام الحميريين العديد من السدود التي تتجاوز الثمانين سداً. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٤٨٥/١.

٣ طيبة: قبيلة ومركز إداري من مغرب عنس وأعمال ذمار، رؤسائهم بنو الورد. معجم البلدان والقبائل اليمنية، ٩٦٨/١.

٤ عراس: منطقة جنوب مدينة يريم ومتصلة بها، إليها نُسب القاضي العلامة مُحَمَّد بن أحمد محي الدين العراسي المتوفى سنة ١٣١٦هـ، وكان من كبار رجال الإفتاء بصنعاء، وجده عبدالله بن محي الدين العراسي هو صاحب كتاب الثمرات في تفسير الآيات وغيره من المؤلفات وكانت وفاته ١١٨٧هـ، ومن هذا البيت طائفة استطونت عدن بالقرن الحادي عشر الهجري. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠٣٧/٢.

٥ إرياب: جبل يُطل على نقيل سُمارة صيد، يبعد عن مدينة يريم جنوباً بنحو عشرين كيلو متر، كان به قصر حميري قديم أشار إليه الأعشى في شعره، وإليه ينسب مركز إرياب التابع لمديرية يريم، ويضم بعضاً وخمسين قرية مما المراجب وكتاب وبيدحة وعُقد وبيت عبسين وغيرها. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٢/١.

٦ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٥٦.

ولكن أول صدام ذُكر فيه القتال بين بني طاهر والإمام علي بن صلاح في المناطق الوسطى، كان في عام ٨١٨هـ، كما أشار لذلك أيضاً صاحب غاية الأماني، وهو عندما قصد الإمام علي بن صلاح الدين بلاد بني طاهر فاستعانوا بالسلطان أحمد بن إسماعيل الرسولي[١].

ويذكر بعض المؤرخين أن هذه الواقعة في المناطق الوسطى كانت في سنة ٨٢٠هـ، فيقول المؤرخ العلامة ابن الديبع: "في سنة ٨٢٠هـ قصد صاحب صنعاء[٢] بلاد بني طاهر[٣] آمناً السلطان، فتجهز السلطان إليه فاجتمعا بموضع يقالُ له الصرم فانكسر الإمام الناصر وعسكره وقتل منهم جمع كثير وتبعهم السلطان إلى وادي خُبان[٤] ثم رجع إلى المقرانة[٥]".

ويقول المؤرخ الخزرجي رحمه الله في هذا التصدي: "بادر الملك الناصر على رأس جيشه إلى بلاد رداع للتصدي له، وقامت حرب بينهما أسفرت عن إنهزام عسكر الإمام بعد قتل كثير منهم، وانسحب الإمام عائدا إلى صنعاء، وطارده الملك الناصر إلى بلاد خُبان، ثم رجع الإمام إلى المقرانة بين دمت وجبن من مخلاف الرياشية من أعمال رداع، وذلك لمعاينة قصر النعيم الذي كان يبنى له فيها بإشراف الشيخ طاهر بن معوضة نائبه في رداع، والذي كلفه الملك الناصر ببنائه في المقرانة لدى زيارته له في عام ٨١٧هـ"[٦].

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ٥٦٤.

٢ كان صاحب صنعاء في ذلك الوقت عام ٨٢٠هـ هو الإمام المنصور علي بن صلاح الدين. أنظر: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة محمَّد بن إسماعيل الكبسي، ص١٦٣.

٣ يقول العلامة محمَّد بن علي الأكوع: "من هذا يبدو أن آل طاهر كانت لهم ولاية على بلاد آل عمار وحبيش الحبيشية والرياشية وبلاد رداع الجنوبية والشرقية والغربية إلى خبان من ذي رعين، وكذا المقرانة وجبن ونحو ذلك وطالت ولايتهم لهذه المنطقة حتى تسمت باسمهم" أنظر حاشية الأكوع على قرة العيون، ابن الديبع الشيباني، ص٤٧٢.

٤ وادي خبان: بضم الخاء، صقع معروف من ذي رعين، بالشرق الجنوبي من مدينة يريم، يعرف اليوم باسم مديرية الرضمة ومديرية السدة، وهو منطقة مغيولة ذات عيون وأنهار جارية يصل مداها لتروي أراضي دلتا أبين، ثم تنتهي في بحر عدن، وإلى خبان ينسب العلامة محمَّد بن يحي الخباني المتوفى سنة ١٣٤٠هـ، وهو من ذرية الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسّي، كما أنها محل سكن آل الذاري وآل العماد وآل الحجري وغيرهم، وخُبان قرية بجوار النادرة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٥٨/١، وقال القاضي اسماعيل الأكوع: وخبان ناحية من أعمال يريم من مخلاف ذي رعين، وكانت هجرة الذاري مركزها، ثم قسمت سنة ١٩٧٢م إلى ناحيتين، إحداهما خبان العليا مركزها بلدة السدة، وقد سميت بناحية السدة، ثم أضيفت إليها عزل من مخلاف الشعر الذكان تابعاً للنادرة، ثم تحول إلى ناحية مستقلة تابعة للواء إب مباشرة، والناحية الأخرى، خبان السفلى، وجعل مركزها الرضمة، قرية من قرى من عزلة بني قيس، ثم أضيف إليها عدد من العزل من مخلاف آزال الذي كان يتبع النادرة، وبعض عزل من مخلاف صباح الذي يتبع رداع. أنظر: مخاليف اليمن، العلامة إسماعيل بن علي الأكوع، تحقيق عبدالله السراجي، طباعة الجيل الجديد صنعاء اليمن، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م، ص٢٤٦.

٥ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ص٤٧٢ .

٦ العسجد المسبوك، الخزرجي، ص٥٠٩، التاريخ العامر لليمن، محمَّد يحي الحداد، ١٨٨/٣.

والغريب أني لم أجد في جميع المراجع التاريخية والتي تكلمت عن الدولة الطاهرية، أي مرجع يتكلم عن السلطنة العمارية أو عن الأحداث والوقائع التي جرت في المناطق الوسطى، غير ما أورده المؤرخ عماد الدين بن الأنف القرمطي في تاريخه روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، وأشارت بعض المراجع التاريخية إشارة بسيطة لبعض الأحداث التي ارتبطت بالأئمة الزيدية في ذلك العهد كما جاء في تاريخ غاية الأماني لصاحبه يحي بن الحسين[1]، وتاريخ الدولة الرسولية لمؤلف مجهول في ذلك العصر[2]، وقد يرجع سبب اهتمام عماد الدين ابن الأنف القرمطي بتدوين أحداث المناطق الوسطى والسلطنة العمارية لأسباب رئيسية، أهمها أن ابن الأنف القرمطي كان يقطن بلاد عراس من يريم والتي كانت من تُعد من مخلاف ذو رُعين، وهي المنطقة التي شهدت الصراع بين بني طاهر وآل عمّار، وكان أيضاً معاصراً للملوك المؤسسين للدولة الطاهرية، الملك الظافر والملك المجاهد، ومتحالفاً معهما ومؤيداً ومناصراً لهما.

لذلك نجد المؤرخ ابن الأنف القرمطي يدون الأحداث التاريخية التي جرت في تلك الحقبة وفي تلك المناطق بالتفصيل، فيقول عن تلك الحروب: "كان لا يزال الحرب بين بني طاهر بن معوضة بن تاج الدين وأهل عمّار[3] أهل مصنعة ربيع[4] وشخب[5] وكهال[6] والقائمة[7] في أوان الأسد بن الورد العمّاري

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٥٦.

٢ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص٢٦٥.

٣ عمّار: مركز إداري من مديرية الرضمة وأعمال محافظة إب، يعرف اليوم بمركز آزال، من أهم بلدانه الأجلب وبيت الحنش والتوير والخرابة وبيت سيدم وبيت بدر والجبيب، وهي من المناطق الأثرية الهامة وتسكنها بعض قبائل ذي رعين ومنهم آل الفرح وآل الطيب وبيت الزواوي وبيت بدر وغيرهم، وإلى عمار ينسب آل العماري أهل صنعاء، ومما تجدر الإشارة إليه أن بلاد عمّار ترتبط من جهة الشرق الشمالي بأرض قبيلة قيفة وخاصة قراهم التالية: هيوة والمنصورة والغريرة والكولة، وعمّار أيضاً جبل عال منيف في بلاد النادرة، أعلاه حصني شخب وكُهال. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١١١٥/٢.

٤ مصنعة ربيع: مُفرد مصانع، ويقصد بها الحصون والقلاع. ومصنعة ربيع خراب في عزلة مالك وشخب وكهال. أنظر: تعليق القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع على حاشية روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٧، معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٥٤٨/٢.

٥ شخب: حصن عالي منيف في جبال عمار من بلاد النادرة وأعمال إب، لا يرتقى إليه إلا بصعوبة وعبر سلالم منحوتة في أصل الجبل، وإليه ينسب مركز شخب ويشمل بلدة كُهال وبيت مشرح وسلبة وبيت الوعيل وغيرها. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٨٥٤/١.

٦ كُهال: قرية مشهورة في شرقي النادرة، ومن أعمالها سميت نسبة إلى كُهال بن عدي بن مالك بن زيد بن نبت بن حمير، وهي منطقة أثرية تطل عليها قلعة شماء مسامته لحصن شخب، تحتوي على خرائب وأطلال قديمة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٣٥٤/٢.

٧ القائمة: بلدة عامرة مشهورة في شرق عمّار من مديرية دمت وأعمال محافظة إب سابقاً، وأعمال محافظة الضالع حالياً، أشار إليها الجندي السكسكي في أحداث سنة ٧١٣هـ، وذكر الشيخ معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد جد بني طاهر، وعدها الجندي من بلاد الحبيشية التابعة لمديرية دمت، وهي غير حبيش، وقال: وشيخ البلد رجل خير من أعيان مشايخ الوقت اسمه معوضة بن مُحَمَّد بن سعيد شيخ باق مالك لمدينة القائمة يذكر بالدين وكثرة الصيام والقيام والصدقة والعدل، ولم لم يكن له من الخصال المحمودة إلا أخذه بثأر الفقيه هذا كيف وهو يذكر بالدين والعبادة

وابن أخيه المعالي بن الورد، والعمّاري يستنصران بصاحب صنعاء، وهو إلى المضرة على بني طاهر لا يزال يكدح ويسعى[1].

ولمعرفة طبيعة الصراع في مناطق ذي رُعين وهي خُبان وعمّار مع بني طاهر، لابد لنا من التعرف على أبرز القبائل والشخصيات التي كانت متواجدة في المنطقة في ذلك الوقت، والتي كان لها الدور الكبير في صناعة هذه الحقبة التاريخية المهمة، ومن كان من هؤلاء موالياً للدولة الرسولية ومن بعدهم الدولة الطاهرية في ذلك الوقت، وكذلك من كان موالياً ويقف في الجانب الآخر مع الأئمة الزيدية.

وإذا نظرنا لأبرز المشايخ والشخصيات والقبائل التي كانت موالية لبني طاهر في ذلك الوقت، نجد في المقدمة وعلى رأسهم المعامرة وكانوا مشايخ حصن كحلان[2]، وأبرزهم كان الشيخ يحي بن عباس المعمري وفي آخر عهده استولى الإمام الناصر على حصن كحلان، وقد قتل في سنة ٨٦٤هـ في منطقة رضَم في رداع وهو يقاتل مع بني طاهر[3]، وأيضاً ابن عمه الشيخ مُحَمَّد بن جسّار المعمري، وقد تولى إمارة حصن كحلان بعد ابن عمه.

ومن حلفاء بني طاهر في المناطق الوسطى بنو اللميسي وعلى رأسهم الشيخ عمران بن أحمد اللميسي صاحب حصن حيد الجرادي[4]، وأيضاً ممن كان ولاءهم لبني طاهر عماد الدين إدريس بن الأنف القرمطي صاحب كتاب تاريخ روضة الأخبار، وكان إمام دعوة الإسماعيلية في تلك المناطق وابن أخيه

ومحبة العلماء والصالحين وإطعام الطعام وفي مدينته جماعة من الفقهاء منهم بنو الغسيل خطباء المدينة. أنظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك، الجندي السكسكي، ٢٦٦/٢، تحفة الزمن، بدر الدين الأهدل، ٥٤٥/١، معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٢٣٠/٢.

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٧.

٢ كُحلان ذي رُعين: مركز إداري من مديرية الرضمة وأعمال محافظة إب، يقع شرقي مدينة يريم بمسافة ٢٣ كيلو متر، سمي نسبة إلى كحلان بن نمران بن هفان الرعيني، من ولد يريم ذي رعين الأكبر بن سهل بن زيد بن قيس بن معاوية بن شمس بن وائل بن سدد بن زرعة بن سبأ الأصغر، يعد من المناطق الأثرية الهامة وفيه حصن مندثر، وكان الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي قد إستوطن كحلان ذي رعين، واتخذها قاعدة لمملكته، حيث استقر بها من سنة ٣٠٦هـ، إلى أن مات بها سنة ٣٣٦ هـ، وكان نائبا عنه على صنعاء ومخاليفها أخوه عبدالله وأبوالفتوح، وقد نقل جثمان الأمير أسعد إلى شاهرة بمنطقة ضلاع همدان، بالغرب الشمالي من صنعاء، حيث دفن في بستانه الموقوف على الجامع الكبير بصنعاء، كما تجدر الإشارة إلى ان من وديان هذه المنطقة وادي حرد ووادي ذي يعزر، كما تجدر الإشارة إلى أن وفاة المؤرخ الكبير مُحَمَّد بن الحسين الوحاظي الكلاعي كانت في هذه المنطقة عام ٤٠٣هـ. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٣٣١/٢.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٦.

٤ حيد الجرادي: هو ما يسمى حصن شمر يطل على العرافة من الشرق وعلى وادي عصام من الغرب من خُبان ذي رُعين. أنظر: حاشية القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٩. وهو حصن في غربي وادي عُصام من بلاد السدة، وقد يقال له حصن شَمَر. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٤٣/١.

وإدريس بن مُحَمَّد أمير بلاد عراس، وكان لهم دور بارز في مساندة الملك عامر بن طاهر في حروبه ضد الإمام الناصر وآل العماري في المناطق الوسطى[١].

وفي الجانب الآخر كانت السلطنة العمّارية تتمثل بالشيخ العمّاري وابنيه الأسد بن الورد والمعافا بن الورد، وكان من أبرز حلفاء العمّاري بنو الحجاجي على رأسهم الشيخ أبو المعالي الحجاجي وأبنائه وكان من أبرز رجال دولته مُحَمَّد بن أبي المعالي الورد الحجاجي[٢]، والذي كان له دور كبير في هزيمة الملك الظافر عامر بن طاهر ومقتل أخويه في إحدى المعارك مع العمّاري، وقد ملك الشيخ مُحَمَّد بن أبي المعالي الحجاجي كثيراً مما حوله في بنا كبلد بيت جميل[٣] وقصر التويتي[٤] والمرخام[٥] وحصن عهر، فيما ابن عمه مُحَمَّد بن الورد يسيطر على العرافة وحيد الجرادي (حصن شمر) وتلك الحصون تشمل ما بينها من رقعه سهليه وجبلية.

وهي بعض المناطق الوسطى من إب التي شملها سلطان هؤلاء، إذ أن في ذلك الزمن من يسيطر على الحصون يبسط سيطرته على كل ما يتبعها أو ينحصر تحت سلطانها[٦].

ومن أبرز حلفاء بني العمّاري أيضاً القاضي علي بن أبي الحسين اليحيري المعين من قبل الإمام الناصر في تلك المناطق، والأمير مُحَمَّد بن المنتصر والذي كان ولاية في يريم من قبل الإمام الناصر.

وسنذكر هنا أهم الأحداث التي جرت في بلاد ذي رُعين من المناطق الوسطى قبل قيام الدولة الطاهرية، والصراعات الدموية على الحصون والقلاع، وهي استيلاء أبو المعالي على حصن عهر.

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٠.

٢ نسبة الى حجاج خبان وليس بلاد حجاج التي ينتمي إليها بني طاهر من مديرية جبن.

٣ أهل جميل: في بيت الفائق من مخلاف الشعر من ذي رعين. أنظر: حاشية القاضي مُحَمَّد الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٩.

٤ التويتي: من مديرية السدة من ذي رعين، يقع بالشمال الشرقي من مدينة الشعر، تحيط به عدد من الحصون والاكام المملوءة بالآثار القديمة، منها حصن التواس، وحصن المشراق، وحصن البرش وخوال وأكمة المراغه، وهو جبل متسع من أعلاه بقدر ميل وفيه بنيان قوي بأحجار ضخمة منجورة، ولا يتم الصعود إلى أعلى الجبل إلا عبر طريق واحدة، ويشمل جبل التويتي عدداً من القرى، منها الجراجر وبلداخ وجزْف المولد وذي شماء والمعزبة والدنوة والصُول، وفي شرقي قرية الصول سرداب قديم في سايلة الجدله مطوى بعمارة حميرية ويخرج منه غيل. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٢٤٦/١.

٥ المرخام: مركز إداري من مديرية السدة وأعمال محافظة إب، من بلدانه بيت الشامي والجرامز وبيت وحيش وبيت نسيم وماور والعدن والجلبي. أنظر: معجم القبائل والبلدان اليمنية، المقحفي، ١٤٨٧/٢.

٦ روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٠٩.

استيلاء أبي المعالي الحجاجي على حصن عهر: "كان الحاج مُحَّد بن أبي المعالي قد صاحب عسكر الحُبالي، فكانت بينه وبين الحبالي صحبة وألفة ومصاهرة، والجلال بن أبي المعالي أمه أخت عسكر الحُبالي، وهذا عسكر الحبالي كان صاحب حصن عهر.

وكان عسكر الحُبالي له ابن أخت اسمه علي بن الليث، قُتل والده الليث اللميسي وكان عمران بن أحمد اللميسي قد قتل والد علي بن الليث، وأخرجه وهو طفل من حصن حيد الجرادي.

فآواه خاله عسكر وجعله صاحب أمره، ورباه واختصه وتبناه وهو طفل فلما كبر وشب أصدر إلى ابن خالته من قضاة الأكمة فأصدر إليه جماعة من أكمة أهل يحير أرسلهم القاضي صاحب الأكمة، وكان أيضاً عسْكر الحُبالي صهراً لهذا صاحب أكمة أهل يحير، وهو أيضاً ابن أخت عسكر الحُبالي، فتركهم علي بن الليث إلى أن نزل الذين مع عسكر إلى البلد للغداء، فخباهم معه اللميسي المذكور في بيته من الليل حتى وجدوا غرة من خاله عسكر الحبالي، فخرج الذين معه على خاله فقتله وقتل جدته والدة عسكر وفعل بهم المنكر.

ووثب أبو المعالي وكان متزوجاً لأخت عسكر وهي والدة الجلال بن أبي المعالي، فحط أبو المعالي على عهر وحاصره، ولما ضاقت أحوال الذين فيه وثبوا على ابن الليث اللميسي قاتل عسكر فقتلوه وسلموا عهر إلى أبي المعالي الحجاجي، فأقام أبو المعالي قاسم الحُبالي ابن عم عسكر في حصن عهر فسلمه إليه، فقام قاسم الحُبالي فيه إلى سنة ٨٤٠هـ ومات فيها، وكذلك مات فيها أبو المعالي الحجاجي[١].

ووليّا بعد قاسم على حصن عهر مُحَّد بن حجاج الحُبالي، بادله مُحَّد بن أبي المعالي على ما بينهم من الصحبة والألفة والمصاهرة[٢]، وكان مُحَّد بن حجاج موالياً لأبي المعالي بن عمران بن أحمد اللميسي ولبني طاهر، فخالف بني الحجاجي.

ولاية مُحَّد بن أبي المعالي: وقام بعد أبو المعالي ابنه مُحَّد بن أبي المعالي الحجاجي، وكان صالح الأحوال في دينه ودنياه مجانباً لسير السفهاء والجهال، وأقام بعد أبيه خير قيام وحج بيت الله الحرام، وملك كثيراً مما حوله في بنا كبلد أهل جميل وقصر التويتي والمرخام، وذل له من حوله بالإرغام، ثم إنه خطب من مُحَّد بن حجاج ابنة عمه، فأجابه إلى مطلوبه برغمه[٣].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٠٩.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٩.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٠٩.

ثم أن مُحَمَّد بن حجاج الحُبالي أقسم على مُحَمَّد بن أبي المعالي الحجاجي ليدخل معه في حصن عهر للضيافة، فأجابه إلى ذلك ولم يكن منه خيفة، فلما فرغ من ضيافته ووقف إلى الليل وقد أمر وأرسل لأبي المعالي بن عمران بن أحمد اللميسي صاحب حيد الجرادي، فوافاه في جماعة كبيرة ولم يعلم به مُحَمَّد بن أبي المعالي[١].

واجتمع أبو المعالي اللميسي ومُحَمَّد بن حجاج ومن معهما على قتل مُحَمَّد بن أبي المعالي الحجاجي، وكحلوا من كان مع الحجاجي من خواص خدمه والمقربين من حشمه[٢]، فقتلوا الحاج مُحَمَّد بن أبي المعالي غدراً وسطوا عليه خديعة ومكراً، وقتلوا معه من أعيان رجاله بعد أن ضيفوه وقاموا بحاله[٣].

وقد جرت هذه الأحداث في سنة ٨٤٨هـ وهو نفس العام الذي وقعت فيه وقعة جبل اليَفْع بين بني طاهر والإمام الناصر[٤].

ولاية الجلال بن أبي المعالي الحجاجي: وقام بعد مُحَمَّد بن أبي المعالي الحجاجي أخوه الجلال بن أبي المعالي الحجاجي، فأحرب اللميسي صاحب حيد الجرادي والحُبالي صاحب حصن عهر، ومع الجلال ابن عمه مُحَمَّد بن الورد الحجاجي صاحب حصن العرافة[٥].

فجرت بينهم الحروب وما زال بينهما القتال حتى قتل مُحَمَّد بن حجاج الحُبالي بسهم رماه بعض أصحاب الجلال كان سبب موته بعد أيام[٦].

وهو مناصر هو وابن عمه صاحب العرافة وبينهم المودة والرأفة ومكث الجلال مدة في حربهم ثم أنه بذل بعد سنين لمن أدخله حصن عهر، وقتلا ابن مُحَمَّد بن حجاج الحُبالي وثأروا وأدركوا من غدر بأخيه وله وتر[٧]".

وكان فعل الجلال لا يحمده الله ولا يرضيه من فعل المنكرات وظلم من حوت عليه يده من أهل الجهات، وكانت سيرته غير سيرة أهله، وهو منهمك في غوايته وجهله[٨].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٠٩.
٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٥٠.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٠٩.
٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٥٠.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٥٠.
٦ روضة الخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١١٠.
٧ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٩.
٨ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١١٠.

ومن خلال هذه الأخبار التي وقعت قبل قيام الدولة الطاهرية، بين بني طاهر وآل عمّار يتضح لنا أن حرب الطاهريين ضد الأئمة الزيدية كالإمام علي بن صلاح الدين ثم من بعده الإمام الناصر بن مُحَمَّد وأعوانهم من آل عمّار، كانت نيابة عن بني رسول في منطقة رداع والمناطق الوسطى من إب، والتي كانت تعتبر وتُعد في الأصل بلاد بني طاهر ومناطق نفوذهم وخط الدفاع الأول ضد توسع الزيدية فيها وفي المناطق المجاورة.

ويذكر المؤرخ الزيدي يحي بن الحسين في تاريخه غاية الأماني أن المخالفة والمعارضة إنما وقعت من آل عمّار لبني طاهر نواب وولاة الدولة الرسولية في تلك المناطق، وذلك إستعانتهم بالإمام الناصر بن مُحَمَّد إمام الزيدية في ذلك العصر[١]، وكان الأئمة ومنذ دبّ الضعف في الدولة الرسولية قد استغلوا الفرصة، وشددوا هجماتهم عليها في كثير من مناطق نفوذها، وخاصة أنهم وجدوا لهم أعواناً في المناطق الوسطى، وقد تبين ذلك من خلال الخبر الذي أوردناه عن تصدي بني طاهر والملك الناصر الرسولي سنة ٨٢٠هـ للإمام علي بن صلاح الدين صاحب صنعاء[٢] وغيرها من الأحداث.

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨١.

٢ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٢.

المبحث الثاني
الصراع بين بني طاهر والسلطنة العمارية
في أواخر عهد الدولة الرسولية

مرّ معنا أن الصراع في المناطق الوسطى بين بني طاهر كنواب للدولة الرسولية، وبين آل العماري كنواب للأئمة الزيدية قد بدأ منذ العام ٨٢٠هـ في عهد الإمام علي بن صلاح، كما أشارت لذلك المصادر التاريخية[١].

وقد يكون أول مصدر ذكرت فيها ولاءات بعض مشايخ المناطق الوسطى للإمام علي بن صلاح هو ما ورد في تاريخ الدولة الرسولية، أن صاحب دمْت كان ولائه للإمام علي بن صلاح وأنه نزل بحملة عسكرية إلى تلك الجهات، وهو ما جعل الدولة الرسولية توجه حملة عسكرية لردعه، "ففي شهر ذي الحجة سنة ٨٣١هـ شعرت الدولة الرسولية بخطورة هجمات الإمام علي بن صلاح فأرسلت رئيس وزرائها على رأس حملة للتصدي له فتقدم سيد الوزراء جمال الدين بن إسحاق إلى بلد طاهر بن معوضة من زبيد، وجرت معركة بينه وبين الإمام علي بن صلاح في دمت، انتصر فيها الدولة الرسولية والشيخ طاهر بن معوضة، ثم رجع الإمام إلى بلده مكسوراً مخذولاً وقتل من عسكره أكبر مقدميه وهو الشيخ يحي بن أحمد صاحب دمت فلما قتل لم يستقر للإمام حال من بعد قتله فرجع إلى بلده في محرم سنة ٨٣٢هـ[٢].

وفي شهر ذي القعدة سنة ٨٣٣هـ وصل العلم بأن مشائخ الحقْل المعمري واللميسي وغيرهم غزوا محطة الإمام علي بن صلاح، وقتلوا من عسكره قتلاً ذريعاً واستقلعوا خيلاً كثيرة وأخذوا سلاحاً كثيراً، ولم ينج من عسكره إلا اليسير ورجع إلى بلده ذمار مكسوراً خائباً[٣].

ثم خرج الإمام علي بن صلاح بحملة أخرى في شوال سنة ٨٣٦هـ على ذرع من مناطق الحقْل، فاجتمعوا مشايخ الحقل وكسروه وعاد خائباً إلى ذمار[٤]، وفي ١٥ شهر ربيع الأول سنة ٨٣٧هـ وقع الصلح بين الإمام علي بن صلاح والدولة الرسولية وبني طاهر، وكان ممثلاً عن الدولة الرسولية الأمير

١ قرة العيون، ابن الديبع، ص٤٧٢، العسجد المسبوك، الخزرجي، ص٥٠٧.
٢ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص٢١٢.
٣ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص٢٢٩.
٤ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص٢٦٥.

إبراهيم بن عبدالله ابن الأنف صاحب عراس[1]، فتوقفت على إثر هذا الصلح الحروب في المناطق الوسطى لسنوات طويلة حتى تولى الإمام الناصر بن مُحَّد.

وعندما تولى الإمام الناصر بن مُحَّد الإمامة سنة ٨٤٠هـ[2] بعد الإمام علي بن صلاح، كان أهل دمت[3] معادون لبني طاهر وإلى حربهم رايحون وغادون، وهم الذين يجرون لحربهم من صنعاء وذمار أهل الدولة، ولا يزال عنهم بهؤلاء الصولة، فكان ملك هذه البلاد مما قوى أمر بني طاهر، ورفع للقيام على الملوك بني رسول قدرهم، وكانوا لعدن يحاولون وللدولتين في اليمن والجبل يطاولون[4]".

وعلى إثر هذه الحروب جرت المراسلات بين أهل عمّار والإمام الناصر لمعاونتهم في حرب بني طاهر، "ولما كان في سنة ٨٤٨هـ خرج الناصر إلى ذمار فجمع أحزابه وعب كالسيل عبابه، وخرج على غفلة إلى بني طاهر فدخل مدينة دمت عنوة، ولم يكن لمن فيها وقعة قوة، ونهب وأخرب وألتجأ أهلها إلى الحصن في دمت ودخل بعض العسكر دار داود بن طاهر وفيها أهله وأولاده، فانتهبها[5]".

وعاد الإمام الناصر فقصد حصن هيوة[6]، والذي يقع في بلاد صباح بين رداع ودمت، فغشى من فيها الجبن فسلموا الحصن، وهو من الحصون الرفيعة والمعاقل المنيعة، ولكن أحدث من فيه الذل والرهب وارهبوا لما كان عليه الحرب[1].

---

١ تاريخ الدولة الرسولية، مؤلف مجهول، ص٢٧٤.

٢ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٦٩.

٣ دمت: مدينة بالشرق الجنوبي من يريم بمسافة نحو ٤٥ كيلو متر، تشكل اليوم إحدي مديريات محافظة الضالع وكانت سابقاً تابعة لمحافظة إب، وقد اشتهرت مدينة دمت بالقرن التاسع الهجري في أيام السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري، حيث كانت في نواحي عاصمة مملكته، ولكن شهرة دمت ترجع إلى الجبال البركانية الموجودة فيها ومنها جبل الحرضة، وكذا منابع المياه الحارة التي تصل إلى نحو ٤٨ عيناً، وهي مناطق يقصدها الناس للإستشفاء، وتعتبر المناطق القريبة من حمام دمت غير صالحة للزراعة، ذلك أن المياه الجوفية حارة ومالحة، وتشمل مديرية دمت عدداً من البلدان أشهرها: رخمة والأحروم وقهلان ومنقير والظاهرة وميفعان وحمة لهب وكنة والمثيل والسوداء وغيرها. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٢٠/١. وفي دمت الكثير من المعالم التاريخية كحصن دمت الذي يقع في دمت القديمة وجسر عامر الذي بني في عهد السلطان عامر بن عبدالوهاب.

٤ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٣٤.

٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٦.

٦ حصن هيوة: قرية في رأس جبل عدادها من مديرية صباح من أعمل رداع وأعمال محافظة البيضاء، من القرى المجاورة لها فُرغان وقرن قاسد والمنصورة وخربة جرادة ومشورة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٨٤٠/٢. وقال القاضي مُحَّد بن علي الأكوع: هَيوة بفتح الهاء وسكون الياء، بلدة معلقة في الهواء وهي كمعقل أشبه أهله بالسكان من آل علاو وعدادها من مخلاف آل عمار صباح، يقول فيها الفقيه أحمد بن قاسم الشامي يحض الأمة الفوضويين بقصيدة كبيرة جاء فيها:

هلا سألت مطهرا وصلاحا * هل حصلا للمسلمين صلاحا

أو ليس أملاك المتوج طاهر * ملكوا رداع وهيوة وصباحا

ورمى علي في خبان بعسكر * وأصاب دمت ونهرها السفاحا

ثم يستمر ابن الأنف القرمطي في سرد الأحداث التي جرت بين آل عمار يساندهم الإمام الناصر بن مُحَمَّد من جهة، وبين بني طاهر نواب الدولة الرسولية في ذلك الوقت، فيقول ابن الأنف: "فلما قوي بنو طاهر بن معوضة وملكوا أرض ردمان[٢] ودمت وغير ذلك من الحصون والبلدان رجعوا لقتال العماري وحربه وتقليل اتباعه وحزبه.

والناصر حين ملك صنعاء وذمار، وأدعى إمامة الزيدية في الجهر والإسرار قائم في الحرب من أهل عمّار، وبنو طاهر يغيرون ويغزون إلى جبل صباح[٣] وبلاد عنس، وما والى ذلك من بلاد الإمام، وهم أولوا قوة وهمة واعتزام متى صالحوا السلطان من ملوك غسان عادوا لحرب العماري، وتناولوا الأطراف من بلاد الإمام.

وفي عام ٨٤٩هـ، توجه الشيخ علي بن طاهر إلى الحج، ومجاورته في سنة ٨٥٠هـ كما ذكر ذلك المؤرخ العلامة كمال الدين الذؤالي[٤]، فأقام سنين مجاوراً للبيت الحرام[٥]، وأشار العلامة البريهي في تاريخه أنه جاور في المدينة ثلاث سنين[٦]، وأخيه عامر بن طاهر في بلادهم منتصب لحرب الناصر[٧].

ويبدو أن هجرة علي بن طاهر إلى مكة والمدينة وغيابه هناك استمر لثلاث سنوات، وقد أثر ذلك في مجريات المعارك في بلاد بني طاهر مما أدى إلى هزيمة الشيخ عامر بن طاهر هزيمة قاسية نتج عنها مقتل أخويه خلال تلك الفترة، فقد كان للشيخ علي بن طاهر الأخ الأكبر لعامر، تأثيرٌ كبير على القبائل في المناطق الوسطى وذلك لقوة شخصيته وتقواه وورعه الشديد في التعامل مع الآخرين.

ولعل تلك المعركة هي أقسى المعارك وأشدها فتكاً ضد بني طاهر في سنة ٨٤٩هـ[١]، ويحكي تفاصي تلك المعركة ابن الأنف القرمطي فيقول: "ثم إن عامر بن طاهر بعد أن راح أخيه علي بن طاهر

أنظر: حاشية روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٦.

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٦.

٢ ردمان: قبيلة يمنية قديمة حكمت اليمن قبل الإسلام، لها بقية في بلاد السوادية شرقي رداع، بجوار سارع، ومن ديارهم اليوم الزاهر وسيلان والنجد ورهبان والقشلة والعياشية، قال الإرياني: ردمان قبيلة مهمة لها ذكر في عدد من النقوش، ولعلها كانت تشمل قيفة ورداع والسوادية، ولا تزال ردمان معروفة اليوم في أسافل قيفة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٨٣/١.

٣ صباح: مركز إداري من مديرية رداع وأعمال البيضاء، من أهم بلدانه مؤكل وحوات وزخم وفُزغان ومسورة والبيضاء صباح والأخيرة هي قرية القاضي العلامة أحمد بن عامر بم مُحَمَّد الذماري الصباحي، كان عالماً بالفروع وتولى القضاء إلى وفاته سنة ١٠٤٥هـ. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٨٩٣/١.

٤ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٧٧ .

٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٧.

٦ طبقات الصحاء اليمن، عبدالوهاب البريهي السكسكي، ٢٣٩/١.

٧ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٧.

للحج، جمع من العساكر ما استطاع إليه وساروا معه إخوته ومن أنضاف إليهم فاخربوا بلاد أهل عمار وعادوا بعد خراب الأودية إلى تسنم الأوعار فطلعوا ذات يوم مجمعين إلى ما توعر من بلاد آل عمار، وقد جمع العماري القبائل من أهل عمار وحلفائهم وضم منهم عساكر كثيرة لديه فحمل عليهم بجمعه عامر ومن معه من العساكر، وطلع عليهم في الوعر العسير ووقع عليهم القتال الشديد الكثير وحما عامر وأخوته في تلك الجبال والشعوب والتلال، فعثر بداود بن طاهر جواده ووقع على الأرض، وقد حمل عليه أهل عمار ضرباً بالسيوف ورمياً بالحجارة وحمل أخوه عبدالباقي بن طاهر ليدفع عنه العداء، فوقع بعبدالباقي جواده في تلك الهيجاء فقتل داود وعبدالباقي ابني طاهر رحمة الله عليهما، واستلب أهل عمار ومن لديهم خيلاً لهم ودروعاً وانهزم جند ابن طاهر حين ذلك، وتعطف عامر في تلك الأوعار والمسالك فلم يصل أخوته إلا وقد حقت لمن حف به الهزيمة، وتقلب عامر بعد أن كاد ونجاه من رجاله وحامى عليه الأجواد.

فلما قتل أخواه داود وعبدالباقي أمعن في حرب أهل عمار، وأضرم قلبه عليهم وعلى من واصلهم النار، وشرد في أوديتهم ورقي في جبلهم إلى أصعب المراقي.

وكان الحاج مُحَّد بن أبي المعالي الحجاجي وقومه في تلك الحملة مع أهل عمّار، وهم ممن قاتل قتال الأبطال، ولولاهم لركن أصحاب العماري إلى الفرار، فاتخذ عامر لابن أبي المعالي لذلك حنة في صدره، وأسر له الفعل فيما كان من أمره وكان الحاج مُحَّد بن المعافى قد ملك في بنا[2] بلاد أهل جميل وقصر التويتي والمرخام، فقوي أمره في تلك الجهات وحاز أكثر بنا إلى ماله من الحصون العاليات، فهابه من حوله وكثر على القبائل طوله وكان ابن عمه الحاج مُحَّد بن الورد قد أزمعا أن يغزوا حيد الجرادي، وهو في ملك ابن المعالي بن عمران اللميسي، وكان مع الناصر هو ويحي بن عباس المعمري في البون، فحضر مُحَّد بن أبي المعالي ومُحَّد بن الورد صاحب العرافة، وجرت بينهم مكابرة ومنافرة في ظاهر أمرهما وتواعدا للحرب بينهما، وراح كل واحد منهما فجمع عسكره، فلما كان من الليل اتفقا

---

١ عدن في عهد الطاهريين، د. عباس علوي فرحان، كلية الآداب جامعة عدن، ٢٠١١م، ص٣٥.

٢ بنا: وادي بنا هو أشهر وديان اليمن، وتأتي مساقطه من بلاد يريم وقاع الحقل يحصب ويمر بالسدة، حيث يلتقي بمياه حوْرة التي تتألف من جبال الأعماس والمرخام وجبل حجاج، وترفده مياه وادي الحبالي ومياه المسقاة، وكذا مسيل الدلاني النازل من رأس جبل الشعر وجبال العود، ثم يسيل الوادي إلى دمت فيلتقي بمياه الشلالة والذاري وجبن وشرقي بلاد النادرة، ثم يمضي فيلتقي بمياه مريس من بلاد قعطبة، ويجتمع بمياه يافع العليا، ومنها يذهب إلى منطقة أبين فيسقي أراضي الدلتا الغنية بزروع القطن والفواكه وغيرها، ومن أشهر المناطق في وادي بنا السد وذي صلل وعميقه ونيعان والمسقاة والنادرة ودمت وجبن. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٩٧/١.

بمن كان معهما وقصدوا حيد الجرادي، فانتهوا إلى رأسه ودخلوا بابه ولم يبقى إلا الدار، فتحاسدوا على الحصن ولم يتفقا على أمر واحد، فنزل مُحَمَّد بن أبي المعالي ونزل معه الورد بعده[1]".

وقد بقيت هذه الهزيمة القاسية والمؤلمة في نفس الشيخ عامر بن طاهر، فأراد أن يثأر لمقتل أخويه داود وعبدالباقي، "وما زال بينه وبين أهل عمار الحرب متواترة فأخرب أكثر البلاد عليهم وساق المكروه الشر إليهم وكان يقوم بنفسه بحربهم ولا يمل ولا يفتر من غزوهم والغارات إليهم ليلاً ونهاراً حتى أضر بهم، فاستنصر أبو المعالي بن الورد العمّاري بالإمام الناصر بعد أن اشتد عليهم القتال من عامر بن طاهر، وألحوا عليه أن يعينهم ويؤازرهم، فجمع الناصر جنوده وحشد حشوده وطلع الناصر جبل اليَفَع[2]، وهو جبل مطل على بلاد بني طاهر، وقد أشار على من لديه ممن يرجع في رأيه إليه أن يقحم إلى هذا الجبل فيضيق عليه الموارد والمصادر فلم يقبل ذلك لهمته، وسما إلى ذلك الجبل مع وعورته وارتفع إلى أعلى قمته ونصب في ذلك الجبل خيامه ووقف فيه بخيله ورجله وملك وعوره وآكامه.

وأمر عُبية الطاهري فحطّ على مصنعة الجهمي[3] العليا في عسكر كبير عدة، وهي في ناحية جبل اليَفْع ووقف في الجبل ليعضده ويشده وقد جمع الناصر إليه أعوانه وجنده، وأحاط من حوله المصنعة بها من جميع الجهات، ورموها بالمدافع والنفط المصيبات لها الواقعات، وتجلد من فيها وصبروا وقالوا قلوا مما عندكم وكثروا فما لكم فينا حيلة لمن يحتال ولا يداخلنا وجال، وأصاب عامر لذلك المقيم المقعد وجعل يجمع للناصر ويحشد، ويبذل الدراهم والدنانير للأبطال، ويزأر لذلك زئير الرئبال، وبذل لمن حاز أكمة في ذلك الجبل بذلاً كثيراً.

فحازها من أهل حجاج وأهل مزيج من استسهل من ذلك عسيراً، وكان وثوبهم الليل فلما طلع الصباح قصد الناصر لهم برجله والخيل فأحاطوا بها من جميع الجوانب، وقاتل من فيها قتالاً غير مكترث ولا راهب، فعند ذلك قصده عامر بن طاهر بعساكره ورجاله، وعمد غير خائف وأرهب لقتاله، وقام الناصر بن مُحَمَّد بجنوده يكافح ويحامي وحملت خيله ومن يضارب ويرامي، وسقط من أصحاب ابن طاهر جماعة في ذلك القتال، ويجالد عليهم الأبطال فحمل فارس من الترك من أصحاب

---

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٧.

٢ جبل يَفَع: جبل في بلاد رداع من أعمال محافظة البيضاء. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٩٢٠/٢. وقال القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع: يفع بدون ألف ولام من جبال الرياشية في رداع. أنظر: حاشية روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٨.

٣ مصنعة الجهمي: قال القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع: مصنعة الجهمي لا زالت معروفة وبنو الجهمي قبيلة في الرياشية معروفة في هذا العصر. أنظر: حاشية روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٥٠.

ابن طاهر يسمى برقوق فجعل العثار خلفه ومعه فرسان ابن طاهر كلهم للقاء مشوق، كالمولى الفارس المشهور وغيره من كل بطل لا ينكل ولا يخور.

وحمل عامر بن طاهر بنفسه عند الجلاد يجول ويصول، وكرّت من أصحاب الإمام الناصر الخيول، فقام لهم قيام من أبغض الحياة وأحب الممات ولم يفتر عن الكر والمحامات، فعند ذلك ركن أصحاب الناصر إلى الهزيمة وجال عليهم أصحاب ابن طاهر جولة عظيمة، ووقف الناصر مكانه لا يتزحزح وعاد عليه حماة عسكره وكمأتهم، وهو في مكانه لا يبرح فعجب الناس من صبره، إذ لم يحل عن ذلك المكان ولم يدخله الجبن عند حملة الرجال والفرسان، وعاد عامر بعساكره بعد أن خلص أهل الأكمة ورجع الناصر فبات بمخيمه فرجع إليه من فر من عساكره، ولأذوابه محتمين محامين بعد أن قتل جماعة من حماته وقساورته، ووقع من أصحاب الناصر الجبن، وقالوا كيف المقام وأين لنا الخلاص بعدما حق علينا من الإنهزام، وباتوا ليلتهم في أمر عظيم وكل منهم للهرب يقصد ويروم فأما الحسن بن إبراهيم المقمحي فروي انه أحدث في سراويله، وأصابه من الخوف والذعر ما أنخب فؤاده، وأضرم جاحماً في غليله من فؤاده.

وهمّ الناصر أن يستل من عسكره متنكراً، وقد نالهم من الروع والفزع شيء ما فيه مراء، فباكر العمّاري إليهم بالجيش الكبير فآنسوا بجمعه وقويت قلوبهم، وزال عن كل أحد منهم ما داخله من روعة وبلغ ذلك الأمر مُحَمَّد بن المنتصر وهو في ذمار فخرج يصيح يا للثأر والدمار، وأمر القضاة فحرضوا على الجهاد في خطبهم وأن يقوموا بنصر مذهبهم، فغارت مع ابن المنتصر جماعة كثيرة من الحشود، ووافقوا الناصر إلى محطته واجتمعت له العساكر والجنود، وقويت المحطة على المصنعة العليا وحاصروها من كل جانب وضاقت على من فيها المصادر والمذاهب.

فعندئذ شمر عامر بن طاهر تشمير الأسد وحرض من معه وصار لا يلوي على أحد في ليلة ظلماء كثيرة الأمطار، وتقدم عسكره إلى المحطة في الأوعار، فلم يشعر عُبية الطاهريي ومن معه إلا وقد هجموا العسكر وصاروا معهم في محطتهم عند الكر، وركن عُبية ومن معه إلى الفرار، وتركوا خيامهم ومحطتهم فلم يكن لهم فيها قرار، وانخب فؤاد عُبية الذعر ولم يستطع حين حوله أصحاب ابن طاهر الكر، فحمله على ظهورهم الرجال وهربوا وقد حفت بهم المخاوف والأوجال، فالتقاهم من محطة الناصر ريحان بن سعيد، وجعل علي بن كامل يصيح بأرفع صوته لا فرار ولا محيط، فتقررت المحطة بعد

أن تزعزعت، وتوقفت عن الهرب وتورعت، ووقف عامر بن طاهر عند العليا وقد حازَ ما حولها من سلب المحطة واستولى عليها وقتل منهم رجالاً وأسر فوق المائة إذ لم يجدوا مجالاً.

فعند ذلك نزل مُحَّد بن المنتصر إلى عامر وقصد إليه قصد المسارع المبادر وقد كان سعى قبل ذلك في الصلح فلم يجبه الناصر، فقال لعامر ما الذي منا تروم، ونحن ثلاثمائة فارس لحربكم كل منا يحوم، فما ترى دون واحداً منا إلا وقد أردينا جماعة منكم وإنا لا نحيد ولا نفر عنكم.

وقد كان أصحاب عامر تلقوا لهم الطرقات، وقطعوا عليهم الميرة، وأيقن أصحاب الناصر أن لا سبيل لهم إلى النجاة.

وقال مُحَّد بن المنتصر لعامر: هل لك في الصلح الذي هو خير وأن تسكن الدهماء وتحقن الدماء في ذلك ولا ضير، فأجابه عامر إلى ما سئل على أن يسلم له القصر، قصر آل سعيد[1] في جبل صباح أو يخرب، على أن يرجع كلاً إلى مكانه، ويتم للأمير ما من الصلح طلب، فيُسَير عامر بن طاهر مُحَّد بن جسار المعمري إلى قصر صباح في جماعة انتقاهم، وأمرهم أن يتسلموه ويقفوا فيه وقدمهم إليه وولاهم ووقع الصلح.

وسار الناصر بعسكره راجعين وفرحوا بذلك، وساروا إليه مسارعين، وسارت الجمال بالخيام والثقل، ولزم عامر ذلك المكان وقد وقع معه الجذل.

وأمر بالأسرى فعرض بهم في محطته ثم أطلقهم ومنّ عليهم ولحقوا عسكر الناصر وساروا إليهم، وندم عامر إذ كان الناصر قد وقع في الهفوة، وقال لو أنّا طلبنا منهم تسليم هيوة، لكن خدعنا الأمير ومكر بنا فيما به نشير.

فلما خَلُص الناصر ومن معه من العساكر، قال إنّا نريد القتال على قصر بني سعيد في صباح ونقتل من فيه ونرميهم في الضياح، فقال الأمير بن المنتصر لا نساعدك أن تغدر بهم وقد أمنتهم، أو نقصدهم بمكر وقد ضمنتهم، ولكن نخرب هذا المكان فقد شرطت خرابه إن لم تتركه في أيديهم، وذلك أقرب ما كانوا فأخربوا ذلك القصر، وعاد ابن جسّار إلى عامر ومن معه، وكانوا قد أيقنوا لا خلاص لهم لما أضمر الناصر فيهم من الغدر بهم ومن حشده وجمعه وعاد الناصر إلى ذمار[2]".

---

١ قصر آل سعيد: وهو ما يسمى القصر من مخلاف آل عامر صباح وهو خراب. أنظر: حاشية القاضي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٥٢.

٢ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص٥٠.

وقد وقعت هذه المعركة الثانية أيضاً بين بني طاهر والإمام الناصر في جبل اليَفَع في سنة ٨٤٨هـ كما ذكر ذلك المؤرخ القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع في حاشيته على روضة الأخبار، حيث ذكر هذه الوقعة المؤرخ يحي بن الحسين في تاريخه غاية الأماني في أحداث سنة ٨٤٨هـ، فقال: "وكان الإمام الناصر في صنعاء ومال إليه آل عمّار، وخالفوا على بني طاهر، ووقعت بينهم حروب شديدة، فاستدعوا الناصر بن مُحَمَّد، فسار إليهم معيناً لهم على بني طاهر، وحط في جبل النّقْع المجاور لبلاد بني طاهر وحاربهم، ثم وقع الصلح بين الجميع، ورجع الناصر بن مُحَمَّد إلى ذمار فلبث فيه أياماً[١]".
أنه وقع الصلح بين الناصر بن مُحَمَّد وبني طاهر[٢].

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨١.
٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٨٣.

المبحث الثالث

الصراع بين الدولة الطاهرية والسلطنة العمارية

عند قيام الملكين علي وعامر بن طاهر بتأسيس الدولة الطاهرية في سنة ٨٥٨هـ، حاول الكثير ممن سبق الصراع معهم على السلطة مداهنتم وكسب ثقتهم، وكان من بين هؤلاء القاضي علي بن أبي الحسين اليحيري نائب الإمام الناصر بن مُحَمَّد في المناطق الوسطى.

وكان "الإمام الناصر بن مُحَمَّد قد ولى من قبله نائباً على تلك الجهات القاضي اليحيري علي بن أبي الحسين[١].

استيلاء الناصر واليحيري على حصن حيد الجرادي: كان أول مهمة كلف بها الإمام الناصر القاضي اليحيري هو استيلائه على حصن حيد الجرادي، وهو من الحصون القديمة وكان معروفاً باسم حصن شمر[٢].

وكان صاحب حصن حيد الجرادي الشيخ أبوالمعالي بن عمران اللميسي، وأنه لما ولى الناصر القاضي اليحيري أكثر البلاد وجعل له فيها الإصدار والإيراد، احتال على ابن اللميسي صاحب الحيد وكان كثير الإختلاف إلى بلاده عصام[٣] والتردد إليها ليجمع ما يحتاج إليه من الحطام، فأفسد بعضُ مَن مع اللميسي من الخُدام، وأفسد رجلاً من كبار أهل عصام، فكان اللميسي يطوف في بلاده ويمشي فيها بخدامه فبيته القاضي ابن أبي الحسين ليلة، وقد وعد بعض أهل الحيد، وهو العصامي الغادر.

فتوجه فلزم أبي المعالي اللميسي المسجد وأسره، وقد أطلع إلى الحيد عسكره فأدخلهم ذلك الغادر وقد ائتمنه اللميسي، ولحفظ الحيد أمره فاستولى على الحيد قاضي أهل يحير[٤]، وفعل مع صاحبه بعد أن أسره النكير وأدخله إلى مصنعة بني قيس[١] فسجنه وقيده وامتحنه[٢].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١١٩.

٢ حيد الجرادي: هو ما يسمى حصن شمر يطل على العرافة من الشرق وعلى وادي عصام من الغرب من خُبان ذي رُعين. أنظر: حاشية القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٩.

٣ عِصَام: واد وجبل من خُبان رُعين في جنوب يريم، يشكلان مركزان إداريان من مديرية السدة وأعمال محافظة إب، ومن بلدان جبل عصام خدار والحقلين وبيت فائق وهجارة، أما أهم بلدان وادي عصام فهي بيت حلبوب وبيت الشقدري وألمان والجبانة والسُويق. معجم البلدانوالقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠٧٦/٢.

٤ يَحير: بطن من ذي رُعين، به سميت منطقة يحير من مديرية الرضمة خُبان سابقاً التي تقع شرقي مدينة يريم ومن أعمال محافظة إب، وهي مركز إداري يشمل من القرى موسد وبيت الهُويدي وبيت العُباب وبيت مصلح والحمّة وبيت الزوم وقرية الحرف وبيت عبدالرزاق وغيرها،

فمكث اللميسي في السجن مدة من الأيام، ثم هرب من المصنعة إلى المشائخ المعامرة أهل كحلان، فصار معهم في الأمن وهو مصاهر ليحي بن عباس المعمري، ويحي زوج ابنة أخيه، وهو في صحبته لا يمتري.

ثم أن يحي بن عباس صاحَب القاضي بن أبي الحسين اليحيري، يخافه لشره ليأمن منه أن يحيط به بمكره ولينال على يديه من الناصر بعض برّه، واشترط القاضي اليحيري على المعمري أن يخرج صهره من حصن كحلان فأخرجه وسكن في منكث مع الأمير[3]".

"وكان القاضي اليحيري مكاراً خبيثاً غداراً، وكان يخالط الملك الظافر عامر بن طاهر، ويريد الصحبة وصدق المودة والمحبة وكان أول أمره يخالطه متخفياً بزعمه متستراً ثم أنه خالطه مظهراً متفهماً وكان ينال من إحسانه، وكان يقول لعامر إني منك وإليك، وما معي من الحصون إليك إن مات الناصر أو إن ضعف أمره ودارت عليه الدوائر، فأمهلني حتى أتمكن في البلاد، وأنا أجلب إليك من الناصر المصلحة والسداد، وإني منك وإليك وإنما أداري الناصر ومعولي في أمري عليك[4].

ثم أن المصادر التاريخية تشير إلى أن الجلال الحجاجي قد صالح الشيخ عامر بن طاهر، "وكان الجلال بن أبي المعالي الحجاجي قد أصدر إلى عامر ابن أخيه مُحَمَّد رهينة، فأحسن عامر إلى ابن أخيه وقربه ثم أنه بعد عام سأل عامر أن يصدر إليه ابن أخيه، وأنه لا يخالف ما أعجبه فأصدر عامر ابن أخيه إليه على قوله وظن أنه يمن عليه بذلك ليجتلب منه الشكر، وأنه لا يخالفه في الأمر فطالب الجلال الحجاجي أن يزيده عامر في العطاء، وامتنع عامر أن يعطيه إلا القليل، وكان القبائل يألفون من ملوك غسان الرسوليين أن يرضوهم إذا غضبوا بإفاضة المال وتعرفوا عما فعلوا إليهم من الأحوال، وابن طاهر

ومن نسب إلى منطقة يحير الأديب الشاعر سليمان اليحيري الرُعيني أحد أعيان القرن الخامس، والفقيه قاسم بن أحمد اليحيري المتوفى سنة٨١٨هـ. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٩٠٠/٢.

١ مصنعة بني قيس: قال القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع: مصنعة بني قيس خراب وكان فيها آثاراً كثيرة، ومواجل ومساجد كلها أطلال وخرائب، وبنو قيس قبيل ووطن من خبان ذي رعين ومن قراهم الرضمة المشهورة اليوم وصرم بني قيس التي منها العلامة يوسف بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٨٣٢هـ صاحب الثمرات. أنظر: حاشية القاضي مُحَمَّد علي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٨. وبنو قيس: مركز إداري من مديرية الرضمة وأعمال محافظة إب، يشمل مجموعة قرى، وكان العلماء آل عثمان وآل المعلا قد سكنوا هذه المنطقة، لذلك قصدهم طلبة العلم للأخذ عنهم. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، إبراهيم أحمد المقحفي، دار الكلمة للطباعة والنشر صنعاء اليمن والمؤسسة الجامعية للدراسات بيروت لبنان، طبعة ٢٠٠٢م، ١٣٠٩/٢.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١١٩.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٠.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٠.

لا يبالي بمن غضب من الناس أو رضي، وهو وأخاه قائمان في إقامة الملك، وكلاهما عن الحقد لا يغفل ولا يقضى، فحالف الحجاجي علي بن طاهر.

إلا أن الجلال الحجاجي كان مداهناً للطرفين، فقد كان في نفس الوقت محالفاً للعمّاري على أن يقاتل معه بني طاهر، فيذكر ابن الأنف القرمطي أن الجلال "حالف العمّاري على أنه معاضد لهم في الحرب، وعليهم مناصر، وسطو على رباط في بلاد بني طاهر، فقتلوا جماعة بالخناجر فاستشاط من ذلك عامر بن طاهر غضباً، وبقي عاتباً متعباً، وذكر ما تقدم من الأحقاد ومعاونة أهل حجاج للعمّاري يوم قتل داود وعبدالباقي ابني طاهر، حتى توغلوا على العمّاري في دخول البلاد[1].

استيلاء الناصر والقاضي اليحيري على حصن عهر: كاتب الإمام الناصر علي بن القاضي اليحيري أن يقوم معه إلى أن ينفي الحجاجي من البلاد ويتبعه، فجمع الحشود من الجهات وجاء القاضي اليحيري وقد جمع العساكر ومالأ أهل الحُبالي[2]، فقالوا له: سارع إلى عهر ما دام الحجاجي فيه وبادر، وكان إلى القاضي كما ذكرنا أكثر بلاد الناصر، وكان الأمير مُحَمَّد بن المنتصر في حرب أهل حجاج مجتهداً، وأحب أن يصير حصن ظبية[3] له إن عدا، وكان ابن أبي المعالي وقوفه في عهر، وهو باللهو واللعب مشتهر خلاف أهله وسيرتهم، وقد طرد أهل بلاده من أهل حجاج بظلمهم والتعدي في أموالهم ومحنتهم، وبادر القاضي إلى عهر وقد ساعده أهل الحُبالي فقتل جماعة من أصحاب ابن أبي المعالي في القرية وحازوا الجلال في عهر وقاتلوا عليه، ووقع فيه سهم ولم يتهيأ له أن يقيم في الحصن ولا يقر، حتى رافقه وطلع إلى اليهودية، واستولى القاضي على عهر وهو عدو صادق النية[4].

وخرج الناصر إلى منكث وهو في قوة قوية، وطلعت المحطة في حصن على ظبية مع بني مُحَمَّد بن المنتصر ورجا أن يحوز البلاد، ورمى ظبية بالعرادة جند الناصر وطلعت مقاومته إلى ما حولها، وأغار إدريس بن مُحَمَّد إلى اليهودية وأمر الجلال أن بالمسير إلى عراس ليرجع من فوره إلى اليهودية، ويركنوا إلى الإيناس فلم يجد منهم إلا قليلاً واستخدم فيها من أهل مزيج وأهل كحلان وأولاهم جميلاً.

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٠.

٢ الحُبالي: واد وجبل في مديرية السدة من محافظة إب، يشكلان مركزان إداريان يضمان مجموعة قرى، فمن أهم قرى الوادي بلدة المسقاة ومحل آل الشامي ونيْعان والجبوبة والحرْف والبياضة، أما جبل الحُبالي ففيه من القرى المغربة والخرِبة وذي الجُرف وكُبار وغير ذلك. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٤٠٣/١.

٣ ظبية: قريتان ظبية العليا وظبية السفلى بينهما الحصن خراب وعدادهما من عزلة حجاج خُبان. أنظر: حاشية القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢١.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢١.

ثم أنه لما خاف أدريس بن مُحَّد على البلاد أن تفوت ويستولي عليها الأعداء، وقل معه الأصحاب والأولياء تقدم إلى عامر بن طاهر، وقال له أتريد أن يملك عدونا البلاد، وأن يقطع ما بيننا وبينك الوداد، وكثر عليه في الكلام وطال عليه في ذلك الملام، وتقدم قاضي أهل يحير إلى عامر بن طاهر وهو ما فيه من النفاق، ورجاء أن يكتم كذبه ويكون له نفاق، وجاء مُحَّد بن المنتصر إلى عامر يداجيه وبالبهتان يعده ويرجيه، وكانت بين إدريس بن مُحَّد والقاضي اليحيري المكابرة والمنابذة بالقول والمجاهرة، وقال القاضي لإدريس بن مُحَّد: هل تسلموا جهات أهل حجاج لعامر بن طاهر وتترك ما أكثرت فيه من اللجاج، فقال إدريس بن مُحَّد: نحن نسلم إلى يديه اليهودية وظبية والعرافة، وإنا لا نشجن منه ولا نخافه، وأنت سلم ما لديك من الحصون ودع السخافة.

وكان مُحَّد بن الورد الحجاجي صاحب العرافة مع إدريس بن مُحَّد، فأمر عامر بمائة رجل إلى اليهودية وسبعين إلى العرافة[١].

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢١.

المبحث الرابع
الإستيلاء على حصن كحلان ويريم
وزوال السلطنة العمارية

استرداد بنو طاهر حصن كحلان: مرّ معنا أن القاضي علي بن أبي الحسين اليحيري والذي ولاه الإمام الناصر بن مُحَمَّد بلاد ذي رُعين والمناطق الوسطى، قد استولى على حصن كحلان الواقع في بلاد ذي رُعين في شهر رجب سنة ٨٦٤هـ، وذلك بسبب خيانة حصلت من الحراسة المكلفة بحراسة الحصن، وكان يحي بن عباس المعمري أمير الحصن متغيباً في ذلك الوقت مع الملك عامر بن طاهر في حروبه ضد الناصر[1].

"ثم كان فتح حصن كحلان وذلك أنه لما استولى القاضي اليحيري ذو الظلم والعدوان، على حصن كحلان أظهر الظلم وسطا بالجور على أهل الإيمان وتكبر وتجبر ولم يراقب خالق البشر، وسار خبث السير وأظهر الحن وتوعد بالمحن وأبدا ما أجن وأساء إلى من كان في البلاد، وسعى في الأرض بالفساد واستخف بأهل كحلان وأهل مزيج، واستحقرهم وتهاون بهم وتعدى عليهم فيما نهاهم وأمرهم.

فقام قاضي القضاة الفضلاء ووكيل الدعاة الأجلاء مُحَمَّد بن أحمد قعيش بطلب الفرج بعد الشدة، ويبذل لإسترجاع الطود المنيع جهده، حتى وافق رجلاً من أهل بلد كحلان كان في بلد أهل سودان، وكان أهل سودان من حراس حصن كحلان، وكان أهل سودان قد ملوا القاضي وظلمه وجوره، وقد زاد في عتوه وتعدي طوره وكانوا يرومون الخلاف عليه فوقعت قضية كحلان وصاروا أذل من فقع القيعان، فقال القاضي قعيش للكحلاني: هل من حيلة وأنا أبذل من قام في استرجاع الحصن ما طلب بذيله مكن لنا إلى من وجدت منه المليح الوسيلة، وصادف جماعة من أهل سودان كانوا حراس الحصن فأطمعهم في بذل المال، وأعطاهم ما اقترحوه من السؤال، وكان أهل مزيج قد لقوا من الذل والهوان، فاجتمع إليهم من اختاروه من أهل كحلان، ووافاهم جماعة من أهل عراس قد جاءهم الليلة الأولى ووصلوا فلم يتم أمرهم، وعادوا وقد كادوا ييأسوا مما أملوا، وعادوا الليلة الثانية فأجتمعوا جميعاً وتوقلوا ذلك الجبل المنيف المنيع، وقسموا البلاد إلى الطور الرفيع، وكانت قد وصلت النذرات إلى

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٣.

القاضي وهو في بني قيس، فقال: ومن النساء أو من يجمعهم وقد مضى يحي بن عباس وهؤلاء المعامرة في سجني، ومن ذا الذي يسطو ولا يخاف مني.

وأطلعهم الحراس الذين عاهدوا القاضي قعيش فاستولوا على كحلان المحروس، وكان الداخلون أول مرة أربعون رجلاً، وفي الحصن سبعون رجلاً، فنصرهم الله تعالى وهو حسب من يتوكل عليه وبه يستعين، وانحاز أصحاب القاضي إلى القصر وفتح الباب لأهل مزيج وبلد كحلان ومن وافاهم من البلدان، وصار الحصن المحروس وهو من أهل الدعوة ملئان، واستسلم الذين كانوا في القصر من الظالمين، وأمنوهم فخرجوا سالمين، وجعلوا أمانهم صدقة لما منّ الله عليهم بحسن النية، وقالوا ما قصدنا غير هذا الحصن، وقد بلغنا إليه بصجق الطوية، وطلع إليه القاضي قعيش في الصباح وقد إمتلأ وساير أهل الدعوة من الأفراح، وكانت مسيرة عظيمة وحقت بالظالمين الغاشمين الهزيمة، وأغار القاضي اليحيري من مصنع بني قيس وهو يدعو بالويل والثبور، فجاء وقد شدت سبله، وقد لقيه الرجال إلى الوادي الذين بهم تحمى الثغور، وسارت البشرى إلى عامر بن طاهر وهو ما بين تعز وجبلة، فابتهج لذلك وأكثر الحمدلله وشكرهم على هذه الفعلة، وكان القاضي اللعين يوم رضم واقف رأساً لبعض المقتولين، وقال هذا رأس عامر ولعن وشتم، ثم وجده رأس رجلاً من الأشراف كان معنا فخاب ظنه"[1].

إلا أن القاضي قُعيش والذي كان له الدور الكبير في التخطيط والإعداد والإستيلاء على حصن كحلان، لم يُعمّر كثيراً، فقد "طلع القاضي قعيش بن أحمد إلى محروس كحلان، فلم يقف فيه أكثر من سبعة أيام وأصابه الألم فأنزل إلى منصورة مزيج فمات فيها رحمه الله"[2].

وقد كان لفتح حصن كحلان واسترداده، الأثر الكبير في رفع همة ومعنويات بني طاهر وخاصة الملك عامر بن طاهر لإعداد العدة واسترداد أملاكهم من الإمام الناصر، في مناطق رداع وما حولها، والإنتقام منه والثأر لأخيهم مُحَّد بن طاهر جراء ما وقع في موقعة رضم، فتم لهم الإستيلاء على رداع في بداية سنة٨٦٥هـ، ثم تمكنوا من الإستيلاء أيضاً على مدينة ذمار في شهر رجب سنة ٨٦٥هـ.

وكان عرض هذه الأمور وقبل استيلاء الملك الظافر على ذمار، خروج بني المعمري من السجن الذي كانوا به في مصنعة بني قيس، وهم الشيخ مُحَّد بن جسار المعمري وأولاد يحي بن عباس المعمري وإدريس بن أحمد بن عمران اللميسي[3]، فخرجوا من السجن فتلقاهم رتبة من أهل حماك تابعين للملك

---

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٣.

٢ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف، ص١٣٥.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٥.

عامر بن طاهر كانوا يخرجون في الليل ويدورون حول المصنعة فلما سمعوا صلصلة القيود أسرعو إليهم فعرفوا المعامرة وساروا بهم إلى بلد عامر ثم إلى منصورة مزيج، فأزيلت عنهم القيود في المنصورة وطلعوا حصن كحلان، وبعد أن وصل مُحَمَّد بن جسار وابن يحي بن عباس إلى عامر فأذن لهم في دخول حصنهم كحلان وأحسن إليهم[١]، وكان الملك عامر بن طاهر قد استرده قبل ذلك من القاضي اليحيري والإمام الناصر.

الإستيلاء على يريم: بعد استيلاء الملك عامر بن طاهر على مدينة ذمار، كانت آخر المهام له في المناطق الوسطى هو الإستيلاء على بقية الحصون والقلاع المتبقية من خُبان ذي رُعين وبلاد عمار، والقضاء على آخر معاقل السلطنة العمارية.

فعاد الملك عامر بن طاهر إلى بلاد بني قيس، ورتب في جميعها وأمر على القاضي بن أبي الحسين اليحيري المعامر، ورتب فيها الرتب، وأمر كلهم أن يقوم على مصنعة بني قيس وبها يحاصر، وحارب على مصنعة بني قيس من معه من العساكر وهو لذلك الضال حاصر، فأخرب قريتها، وأمر مُحَمَّد بن جسار وأصحابه وهم متحولون إلى القاضي اليحيري أن يأذن لهم لينظروا القتال من المصنعة وهم كما ذكرنا أسارى معه، فقال القاضي: ما يروم ابن جسّار، أو ما الذي يرجوه ولو أعلم أن عامر ينتصر علي لطرحتكم إلى الحيود، قبل أن يظفر ويبلغ مني ما يريد.

وبذل عامر لأبي المعالي اللميسي وأمره أن يعمر على حيد الجرادي المعامر، ويحارب عليه بقومه وأهل عصام وله يحاصر.

وسار عامر بعساكره إلى بلد ذي رعين، ولقيه إدريس بن مُحَمَّد بن إدريس بعساكره أهل الدعوة من أهل عراس وأهل حجاج[٢] وأهل كحلان وأهل مزيج[٣] وأهل عِمران[١].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٦.

٢ حجّاج: مركز إداري من مديرية جبن وتتبع حالياً محافظة الضالع، وإن كانت من قبل من أعمال مخلاف رداع، وحجاج منطقة واسعة جغرافياً حيث تُعتبر أكبر مركز إداري في محافظة الضالع، ويحدها عدة مديريات، وتتوسط ثلاث مدن تاريخية رداع شمالاً ودمت غرباً وجبن جنوباً، ويحدها من الشمال الرياشية والعرش، وغرباً دمت وجنوباً جبن والحبيشية وشرقاً بني ظبيان وقيفة آل غنيم، ويتبعها ما يقارب ثلاثين قرية أشهرها المقرانة والتي كانت عاصمة الدولة الطاهرية، والغفرة وشباعة ومسيكة ووادي حميسان واللميحية وجبوب خولة والمحرم والخضيرية وغيرها، ويوجد بها الكثير من الآثار القديمة الحميرية والتي يدل على ذلك النقوش والكتابات الحميرية في القرى، وأيضاً يوجد بها الكثير من العمائر وبقايا آثار إسلامية والتي بني معظمها في زمن الدولة الطاهرية، وخاصة المساجد والحصون والقلاع المنتشرة في معظم القرى كالمقرانة والغفرة ووادي حميسان، وأيضاً المواجل والبريك والأحواض المائية.

٣ مزيج: بنو مزيج بكسر الميم والزاي، بلدة كبيرة من عزلة كحلان. أنظر: حاشية القاضي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٥١، وإليه يُنسب آل المزيجي أهل ذمار. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٥٠٧/٢.

وتَسلم عامر يريم[٢]، وولاه إدريس بن مُحَمَّد بن إدريس، فولى فيه من تحت يده الشماحي بن قاسم.

وتسلم أيضاً خاو[٣]، وولى فيه المشايخ الذي كان له قبل أن يملكه الإمام.

وجاء إليه نهشل مع أبيه مُحَمَّد بن المنتصر وسلم له ما صار إليهما يوم ريام[٤] من الخيل والدروع والعدة والخيام وعرف منها درع أخيه مُحَمَّد بن طاهر وبيضته التي أخذت يوم قتل رحمه الله.

وقد ذكر المؤلف ابن الأنف القرمطي نهاية هذا الصراع بين الطاهريين وبنو الورد العمّاري، وتحدث أيضاً عن العلاقة التي كانت تربط بنو الورد بالطاهريين وخصوصاً علاقة الأب مُحَمَّد بن الورد الذي أنهى الصراع المرير بالصلح، والتنازل عن سلطته في بلاد آل عمّار للطاهريين، وبهذا انتهت سلطنة العماري تماماً من المناطق الوسطى في اليمن"[٥].

---

١ عِمران: مناطق كثيرة في اليمن بهذا الأسم، ونظرا لأن الأحداث جرت في يريم وذمار وما حولها فإن المقصود بهم هنا عِمران بخفض العين من مشايخ جبل الدار في جنوبي ذمار، لهم قرية باسمهم يقال لها رباط عمران. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١١١٩/٢.

٢ يريم: مدينة في قاع الحقل ما بين ذمار وإب، سميت باسم القيل الحميري: يريم ذي رعين الأكبر بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، وهي مدينة مشهورة من أر يحصب، تقع بين جبلين، أحدهما جبل يُصبح الذي يطل عليها من ناحية الشمال الشرقي، والآخر هو جبل شرنوب من الجنوب الغربي، كما أنها مدينة قديمة وفيها الكثير من المعالم الأثرية وبقايا عمائر الحميريين، خاصة المنطقة المعروفة الآن بآكام المرايم جوار المدينة الحديث، وكذا القلعة التاريخية الموجودة في وسط المدينة التي يصل ارتفاعها إلى خمسين متراً، وهي بارتفاعها هذا تطل على جميع أحياء المدينة، ويحيط بها سور من جميع الجهات مبنياً من الحجر الأسود وله بوابة واحدة، كما يوجد في المدينة سرداب تحت الأرض يعرف حاليا باسم المِعيان وجوانبه مبنية من الحجر الأسود، وسقفه على هيئة قبة، وفيه كانت تمر المياه إلى أحياء المدينة المختلفة، ومن معالم يريم الأثرية أبوابها القديمة التي أندثر بعضها والبعض لا يزال قائماً، وهي باب السبح، باب صنعاء، باب القرضة، باب الدرب، باب الخان، باب اليمن، باب الضورين، باب المناخ، هذا عدا الآثار الموجودة في جبل عمامة وكذا في مدينة ظفار القريبة من يريم والتي لا تبعد عنها سوى خمسة كيلو مترات، وتضم مديرية يريم التابعة في أعمالها لمحافظة إب، عدداً من المراكز الإدارية هي: خاو، رعين، عبيده، عراس، بني عمر، بني سبأ، بني مسلم، خودان، بني منبه، إرياب. وجميعها مناطق غنية بالشواهد الأثرية القديمة، فقد كانت من مواطن الدولة الحميرية، كما انها جزء من أرض يحصب الشهيرة بخصوبة تربتها. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٩٠٧/٢.

٣ خاو: بطن من ذو رعين تنسب إليه قرية خاو الواقعة شرقي مدينة يريم بنحو ست كيلو متر، على خط الطريق إلى دمت، وهي من مساكن قبيلة التُراخم الحميريين، وإلى خاو ينتمي الصوفي الشهير أحمد بن علوان الخاوي الرعيني، صاحب يفرس. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٥٧/١.

٤ ريام: مركز إداري من مديرية الشرية قيفة آل غنيم، من أعمال رداع، فيها بنو الريامي من آل باعلوي أهل حضرموت. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٧١٧/١.

٥ حاشية روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، تحقيق العلامة مُحَمَّد بن علي الأكوع.

ثم عاد الملك الظافر وسلم له العمّاري البكرة[1]، ودخل في طاعته بعد أن طرد الذين تولوا قتل أخيه داود بن طاهر من جماعته، فراحوا إلى جبل حب ببعدان وخلوا ما كان منه من البيوت والأموال، وتسلم القاهرة[2] بعد أن كان حاصرها مدة من الزمن، وهي من الحصون المانعة الشامخة الأركان[3].

ويقول العلامة المؤرخ مُحَمَّد بن علي الأكوع في نهاية هذا المشهد التاريخي للسلطنة العمّارية في المناطق الوسطى: "ولك أن تعلم مدى ما بذل الطاهريين من قوة وسنوات لإخضاعهم بالقوة التي لم تجدي في تسليم الحصون التي سيطروا عليها إلا صلحاً وأهمها حصن البكرة والقاهرة وحصن حب، رغم الحقد المرير الذي أورثه مقتل الأخوين عبد الباقي وداود ابني طاهر على أهل عمار وبنو الورد بصفة خاصة والذي نجده مستمر وملاحظ في حركة التهجير القسرية إذا علمنا أن من ورثة الحكم وأشهر ملوكها الملك عبد الوهاب بن داود، ومن ثم ابنه عامر ابن عبدالوهاب هم أبناء أحد القتيلين".

ويذكر المؤرخ ابن الأنف أن العمّاري بعد ذلك أوفى بعهده مع الدولة الطاهرية ولم ينقضه، عندما استعاد الإمام الناصر ذمار، فحفظ العمّاري الحصون لبني طاهر حتى رجع الملك الظافر من الشحر.

ولكن بقيت هناك بعض الحصون والقلاع بيد القاضي علي بن أبي الحسين اليحيري الحاكم المعين من قِبل الإمام الناصر في المناطق الوسطى، فلما أسر الإمام الناصر وسقطت ذمار بيد الدولة الطاهرية في شهر رجب سنة ٨٦٦هـ، "جاء القاضي علي بن أبي الحسين اليحيري إلى الملك الظافر عامر بن طاهر فسلم إليه مصنعة بني قيس، وحصن أنسب في وادي خُبان، وحيد الجرادي، وعفى عن القاضي المذكور وترك له أكمة يحير التي هي له ولأهله، فولى الملك الظافر في الحصون، وأسكن ابن أبي الحسين في قرية جبن ووجه له ما يقوم بقوته وأنعم عليه وأحسن بقدر الذي أمكن[4]".

---

١ حصن البكرة: البكرة زنة البكرة من الإبل عزلة من مخلاف عمار. أنظر: حاشية القاضي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٩.

٢ حصن القاهرة: القاهرة اسم لكثير من الحصون تسمت بهذا الإسم في اليمن، والمقصود هنا "حصن في قرية عراس من مديرية يريم وأعمال محافظة إب". أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٢٤٢/٢.

٣ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٨.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٠.

الباب الرابع
تمرد الأمير أبادجانة في الشحر
وتولي آل كثير الشحر

علمنا قبل هذا أن الأمير بادجانة قد حاول الإستيلاء على مدينة عدن عام ٨٦١هـ، وأن محاولته هذه قد باءت بالفشل الذريع وكان من نتائجها وقوعه في الأسر، ثم إن والدته والتي كانت تنوب عنه في إدارة أمور الملك قد سعت بفكاك أسره وقد وافق الملكين المجاهد والظافر على إطلاقه من السجن مقابل تنازله عن إمارة الشحر وخروجه منها.

وفي سنة ٨٦٣هـ أطلق سراح الأمير أبادجانه وغادرت والدته الشحر، فاستولى الأمير جياش السنبلي على بقية أجزاء مدينة الشحر.

وفي جميع الأحوال فإن مدينة الشحر دخلت على هذا النحو في ملك الدولة الطاهرية، ثم أسند بني طاهر ولايتها إلى الأمير جياش السنبلي ٨٦٣هـ، الذي دخلها نيابة عن بني طاهر في ذي القعدة سنة ٨٦٣هـ.

ومع ذلك فإن الأمير الذي خلف أبا دجانة، كانت له أطماع باسترداد الشحر مما شجعه على التحرك والتمرد على بني طاهر، ونقض العهد الذي بينهما، وكل ذلك أدى إلى قيام الصراع مرة أخرى بينهما وإستيلاء أبي دجانة على مدينة الشحر مركز أقليم ظفار، وفي هذا الفصل سنبين استيلاء أبي دجانة على الشحر، ثم استعادة الملك الظافر لها وتوليته لبني كثير على الشحر، في ثلاث فصول كالآتي:

الفصل الأول: تمرد الأمير أبادجانة وإستيلائه على الشحر

الفصل الثاني: إستعادة الملك الظافر للشحر

الفصل الثالث: تولي آل كثير للشحر من قبل الطاهريين

الفصل الأول

تمرد الأمير أبادجانة وإستيلائه على الشحر

بعد خروج الأمير با دجانة من السجن وتسليم والدته مدينة الشحر لبني طاهر توجه مباشرة إلى بلاد أخواله في المهرة وسكن ضاحية تسمى حيريج[١]، وبلدة حيريج قرية تقع في بلاد المهرة بين الشحر والمسيلة[٢].

ولكنه سرعان ما توفي ولم يمهله الموت من تحقيق مراده باسترجاع الشحر، فقد كان وفاة مُحَّد بن سعيد بادجانة بعد رجوعه إلى حيريج[٣] في نفس عام ٨٦٣هـ[٤].

ولقد أبدت أمه من الرزانة ورباطة الجأش، فقد نادت في الناس بوفاة ابنها والدموع تنحدر من عينيها بهدوء وهدأت روعهم وواستهم في فقده[٥].

ويقول المؤرخ بامخرمة: "وتوفي أبو دجانة عقب وصوله إلى بلده، ويقال أنه لم يخرج من عدن إلا مسموماً، والله أعلم بحقيقة الأمر[٦]".

وقد تولى بعده ولاية حيريج وبقية إمارتهم ابن أخيه مبارك بادجانة[٧].

ولمعرفة حال الأمير الذي تولى بعد أبي دجانة مُحَّد بن سعيد، والأوضاع التي أدت إلى نقض العهد، نورد ما ذكره عن شخصيته أحد مؤرخي حضرموت، حيث يقول: "بعد أن توفي الأمير مُحَّد بن سعيد الكندي، لم تجري الأمور كما كانت في عهده بالرغم من الجهود التي بذلتها أمه لإعادة الطمأنينة والسلام في أرجاء البلاد، وذلك لأن الذي تولى الحكم أخوه وكان هذا ضعيف الرأي قصير النظر سريع الغضب كثير البطش، ولقد حاولت أمه أن تهديه بآرائها الصائبة وأفكارها الحكيمة، ولكنه كان

---

١ الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، ص ٣٧.

٢ معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٤٥/١.

٣ حِيريج: بندر في وادي المسيلة في جانبه الغربي ما بين الشحر وسيحوت من بلاد المهرة، كان فيه بلدة قديمة تردد ذكرها في الحوادث الجارية بين سلاطين آل كثير وخصومهم حينما يتبادلون الأسرى عليها، وقد إندثرت القرية ولم يبقى منها إلا القليل، وفيها مسجد الشيخ عبدالله القديم عبّاد، وقد أشار الطيب بامخرمة إلى أن من ساكني حيريج الأشعريون من ذرية الأشعث بن قيس الكندي، وأن بندرها يقصده التجار ويستخدمونه لنقل الكندر والصبغة إلى عدن وبربرة وغيرها. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٤٥/١.

٤ تاريخ حضرموت، ابن شنبل، ص١٨٨.

٥ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، ص١٢٠.

٦ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥١/٦.

٧ تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ ابن شنبل، أحمد بن عبدالله شنبل، ص ١٨٩.

متعصباً لرأيه لدرجة الجمود، وقد قطع ما كان يمنحه أخوه لرؤساء قبائل البادية من الهدايا الكريمة، فانقطعت بذلك الصلات بينه وبين قبائل البادية، كما قطع صلاته بآل محفوظ وآل مساعد وآل مرتع، حيث لم يسع لإزالة ما حصل بينهم من خلاف وشقاق ولعله عاجز عن ذلك كل العجز[١]".

إستيلاء بادجانة على الشحر: وكان أول عمل قام به الأمير الذي تولى السلطة مؤخراً هو نقض العهود التي أبرمت مع الدولة الطاهرية، ويذكر المؤرخ بامخرمة أن أبا دجانة قد أخذ الشحر من نواب بني طاهر، واستولى عليها في سنة ٨٦٦هـ[٢].

وقد كان مبارك بادجانة أعد وجمع أنصاره من القبائل من كل مكان وعلى رأسهم أخواله من المهرة، ونقض العهود التي بين آل بادجانة وبين الملكين المجاهد والظافر وغدر بمن كان في الشحر وفي عام ٨٦٥هـ، واستطاع مبارك بادجانة أن يستولي على مدينة الشحر.

قطع بادجانة طرق الملاحة البحرية: لم يلبث بادجانة أن استخدم نفس الأسلوب السابق الذي استخدمه سلفه الأمير مُحَّمدبن سعيد بادجانة، وهو قطع طريق الملاحة البحرية ومنع السفن التجارية القادمة من الهند وشرق آسيا والموصل إلى ميناء ومدينة عدن، عند استيلائه على مدينة الشحر أن تحكم في طرق الملاحة البحرية وأخذ يعترض المراكب المتجهة إلى عدن، وكان قد هدد هذا العمل الملاحة البحرية المتجهة إلى عدن مما يتطلب تحركاً سريعاً[٣].

ومن المعلوم كما ذكرنا سابقاً أن قطع طريق الملاحة البحرية على السفن التجارية القادمة من الهند وشرق آسيا إلى ميناء عدن، يعتبر تهديداً حقيقياً وخطيراً لإقتصاد الدولة الطاهرية، لإن أكبر اعتمادها على الموارد المالية القادمة من ميناء عدن، باعتبارها الرافد الرئيس لدخل الخزانة العامة التي تعد أهم مقومات الحكم ورأس دعائم وأركان الدولة القوية، حتى وإن تأثر دخل عدن أواخر عصر الرسوليين لتضاؤل نشاط الميناء إلى حد الركود، إلا أن أهميتها تظل قائمة في كل العصور ولكل الأجيال[٤].

وينقل المؤرخ ابن الأنف القرمطي هذه الأحداث فيقول: "ثم أنها تواترت الأخبار إلى الملك المجاهد والملك الظافر علي وعامر إن أبا دجانة قد أتاه الحُمام، وأن أهل شحر عُمان أقاموا رجلاً من بني

---

١ تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، ص١٢١.
٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٤/٦.
٣ الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص١٢٦.
٤ عدن في عهد الطاهريين، د. عباس علوي، ص٤٦.

عمه وخالفوا على عامر وأجمع كافتهم عليه، وأنهم جردوا مراكبهم لقطع السفن والمسافرين في البحر إلى تعز وعدن فعملوا على مقام علي بن طاهر الملك المجاهد في تهامة التي يجمع فيها الأموال[1]".
وقد أِشارت المصادر التاريخية إلى أن مشايخ بني طاهر قد اشتغلوا بالتجارة وتعلقوا بها[2]، كما كانوا في وقت سابق وكلاء سلاطين بني رسول لتجارتهم في عدن، وبناءً على ذلك تصدرت عدن أولويات الحراك السياسي والحربي الذي قام به الطاهريون وذلك لحماية مصالحهم التجارية في ميناء الثغر[3].

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٣٩.
٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٣٨/٦، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٣، حوادث الدهور، ابن تغرى بردى، ص٣٧٠.
٣ عدن في عهد الطاهريين، د. عباس علوي، ص٤٦.

الفصل الثاني
إستعادة الملك الظافر للشحر

تجهز الملك الظافر لإستعادة الشحر ووفاة العلامة شمس الدين الجرداني: عندما علم الملكين المجاهد والظافر بهذا الأمر أستاءا جداً وأثارت تلك التصرفات ثائرة الملك الظافر وأخيه المجاهد، وخاصة أنهما كانا مشغولين في حربهم ضد الإمام الناصر.

فأعدا العدة لقتال بادجانة وجهزا جيشهما واستدعى الملك الظافر قادة جيوشه والمشايخ من بني طاهر وكان ممن استدعاهم الشيخ عبدالملك بن داود بن طاهر والشيخ جياش السنبلي وغيرهم، وقد كان محل إقامة الملك الظافر في المقرانة.

ثم إن الملك الظافر في أوائل عام ٨٦٦هـ استدعى العلامة شمس الدين علي بن عيسى الجرداني من ببلده، وكان الملك الظافر عامر بن طاهر قد كتب إليه بتوجهه إلى الشحر، فتجهز وتوجه اليها، فمرض في الطريق فقال ردوني فردوه، فمرض سبعة أيام وتوفي إلى رحمة الله وكان من أهل الدين والصلاح رحمه الله[١].

يقول عنه المؤرخ العلامة كمال الدين الذؤالي: "توفي الفقيه الأجل العالم شمس الدين علي بن عيسى الجرداني، وكان من أهل العلم والصلاح ... واشتهرت نجابته، ثم استدعاه الملك الظافر إلى المقرانة وقرره بها للإفادة ...، وكان غالب إقامته في المقرانة، فلما عزم الملك الظافر على التوجه إلى الشحر، وكان الفقيه ببلده فأرسل إليه وطلب المواجهة إلى الشحر، فخرج إليه فصار أياماً، ثم عرض له المرض واشتد به فمرض أياماً يسيرة"[٢].

وقال عنه المؤرخ العلامة بامخرمة: "شمس الدين علي بن عيسى الجرداني الفقيه الإمام العالم الصالح، كان محترماً مقبول الكلمة عند الملكين علي وعامر ابنا طاهر، ولهما فيه حسن اعتقاد وهو حقيقٌ بذلك[٣]".

وقد كلفت هذه الحملة العسكرية الدولة الطاهرية الكثير من الأموال، فقد "تجهز الملك الظافر إلى الشحر في عسكر كبير من الخيل والرجالة، وأخبر الثقة من الكُتاب أن كراء الجمل التي تحمل الخيام

---

١ الفضل المزيد على بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٩.
٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي ص٢٤٧.
٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٣٢/٦.

والآلات والزَّاد خارجاً عن ما حمل في البحر بلغ اثني عشر ألف دينار[1]"، وهذه ما ذكره أيضاً المؤرخ ابن الديبع في تاريخه[2].

تحرك الملك الظافر إلى الشحر: ثم وفي خلال سنة ٨٦٦هـ أنطلق الملك الظافر عامر بن طاهر على رأس قوةٍ عسكريه عظيمة إلى الشحر لإستعادة المدينة والإستيلاء على أقليم ظفار، وكانت الخطة التي وضعها الملك عامر بن طاهر تقتضي أن تتحرك هذه القوة على قسمين.

القسم الأول: القوة العسكرية البرية المتحركة عن طريق البر وقد سلكت الطريق الساحلي حتى وصلت إلى مدينة الشحر وكان في مقدمتها الشيخ عبدالملك بن داوود بن طاهر والشيخ جياش السنبلي، وكانت مهمة هذه القوة العسكرية إمداد القوة البحرية بالمؤن الغذائية من الماء والطعام، ومحاصرة مدينة الشحر براً عند وصولها إليها، ومنع الإمدادات العسكرية البرية من القبائل المجاورة.

القسم الثاني: القوة العسكرية البحرية وكان على رأسها الملك الظافر عامر بن طاهر، وتتحرك إلى مدينة الشحر عن طريق البحر بواسطة السفن والمراكب بمحاذاة ساحل أبين وشبوة وحضرموت، وقد انطلقت من موانيء عدن، وكانت إمداداتها الغذئية تأتي من تجاه القوة البرية والتي تسير على الساحل بمحاذاتها، ومهمتها محاصرة مدينة الشحر وميناءها عن طريق البحر، وقطع أي إمدادات قد تحاول الوصول للشحر عن طريق البحر.

وكان الهدف الرئيسي للملك عامر بن طاهر، أن يحاصر مدينة الشحر من جميع الجهات البرية والبحرية ويُحكم السيطرة عليها، وقطع الإمدادات العسكرية، وأي إمدادات أخرى حتى يستسلم بادجانة دون أية خسائر بشرية.

وممن ذكر هذه القوة العسكرية التي تقدم بها الملك الظافر على الشحر أحد المؤرخين المعاصرين للملك الظافر وهو ابن الأنف القرمطي، فيقول: "ونهض الملك عامر بن طاهر إلى ثغر عدن، فشحن المراكب من الماء والزاد وسير فيها عساكر أمرهم أن يعارضوه في البحر ويوافوه وعسكره إلى البر بما يحتاجون من الطعام والماء في المراد فكانوا يعارضوه في البحر ويأتوه إلى البر[3]".

فقد قال واصفاً هذه القوة التي أرسلها الظافر والمجاهد عن طريق البر والبحر:

فإنكما أعليتما كل مفخر * ودوختما بالصارم القاطع الشحرا

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ٢٤٧.
٢ الفضل المزيد على بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٩.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٠.

وسقتما الجيش العرمـرم للـربا * وافعتما بالعسكـر البر والبحـرا
ودوخها الملك الممجد عامـر * وطبقها الجيش الكبير الذي جـرا
وسار إليها فاستطاعت لأسره * ولقي بها الباغين حين عبت أمـرا[1]

ورغم أن الملك الظافر عامر قد إتخذ جميع الإحتياطات العسكرية لهذه الحملة ورسم الخطة جيداً، إلا أنه وأثناء سير هذه الحملة العسكرية انقطعت الحملة البحرية عن الحملة العسكرية في البر، "فكاد عسكر الملك الظافر أن يهلكوا لشدة الظمأ، ومات بعض الناس والخيل والجمال وأيقنوا بالهلاك، ووقفوا عن السير فهم كذلك إذ جاءهم الآتي من السيل، فمرّ بهم وهم على تلك الحال فشربوا وما معهم من الأنعام، واستقوا من الماء الزلال، ولا يعلمون بالمطر أين وقع ولا بذلك السيل من أي جهة اندفع، وساروا حتى انتهوا إلى الشحر، وقصدوا المدينة والمصر[2]".

حصار مدينة الشحر: فوصل الملك عامر بن طاهر إلى مدينة الشحر وحاصرها، وحصل من الطائفتين مناوشات[3]، فقاتلوا عليها، وعليها الدروب المنيعة، فلم يمكن عسكره الإقتحام لتلك الدروب، ولا كانت له مستطيعة، فأمر ببناء برزخ يطل ويرتفع على الدروب، ورماهم من أعلى منهم وأرشق إليهم عسكره النبل والحجارة، ووقف على ذلك أياماً حتى أطاعه كبراءهم ورتب في مدنهم وبلادهم وولى فيها الولاة[4].

وكان مبارك بادجانة في مدينة الشحر، فلما شاهد إمارات القهر والغلبة، خرج منها هارباً ليلة الجمعة السابع عشر من صفر"[5].

وافتتحها الأمير زين الدين جياش السنبلي، وأرسل ولده علم الدين بشيراً بالفتح، ثم دخلها الشيخ عبدالملك بن داود بعده ونهبها العساكر نهباً ذريعاً، ثم دخلها الملك الظافر وأمر بالكف عن النهب[6]، ونادى بالأمان وأسر جماعة من عسكرها الذين قاتلوه وأسر جماعة وأرسل بهم إلى عدن[7].

---

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن الأنف القرمطي ص ١٦٣.
٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٠.
٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٤٧.
٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٠.
٥ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، ص٢٤٧.
٦ الفضل المزيد، ابن الديبع، ١٣٠.
٧ تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٤٧.

ثم قرر أمور البلد، وجعل الأمير أحمد بن إسماعيل بن شقراء النمي١ أميراً فيها، وألزم الكثيري صاحب ظفار[2] إعانته، ثم خرج إلى عدن في البر يوم الجمعة، أول يوم من ربيع الأول"[3].

ضم أقليم ظفار إلى الدولة الطاهرية: أهل تلك البلاد من مهرة بن حيدان قبيلة من العرب، ينسب إليها المهرية من الإبل الحسان الشأن[4]، وقد مرّ معنا أن صاحب ظفار كان السلطان الكثيري[5]، وقد ألزمه الملك عامر بن طاهر بإعانة أمير الشحر المعين من قبل الدولة الطاهرية شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن شقراء النمي.

وقد ذكر المؤرخ بامخرمة أن السلطان بدر الكثيري كان صاحب ظفار وحضرموت وأن كان خصماً للمهرة أخوال أبي دجانة وجنده[6].

ثم إن الملك عامر بن طاهر رتب في تلك الجهات من الخيل والرجال وشحن فيها ما يحتاجون من الطعام وأعطاهم حوائجهم من المال، وصالح صاحب ظفار على أن يحمل إليه صاحب ظفار من الأموال جملة، وأنه مناصر على من أراد من الفساد في تلك البلاد له، ورجع إلى اليمن مظفراً منصوراً وقد ترك عدوه ذليلاً مقهوراً، ووافاه إلى ثغر عدن على السرعة، وأرجع معه حشده وجمعه سوى من رتب وعاد من الشحر وولى[7].

وبهذا أصبحت الشحر وأقليم ظفار وصاحبها تابعاً للدولة الطاهرية، واتسع نفوذ بني طاهر، واستقر لهم الحكم بعد هذه التعيينات الأخيرة في مدن وأقليم ظفار.

---

١ في نسخة التميمي، وفي قرة العيون: اليمني، ١٥٢/٢.

٢ ظفار: ظفار المشهورة اليوم فليست إلا مدينة على ساحل بحر الهند بينها وبين مرباط خمسة فراسخ وهي من أعمال الشحر وقريبة من صحار بينها وبين مرباط وحدث رجل من أهل مرباط، أن مرباط فيها المرسى وظفار لا مرسى بها، وقال لي إن اللبان لا يوجد في الدنيا إلا في جبال ظفار وهو غلة لسلطانها وإنه شجر ينبت في تلك المواضع مسيرة ثلاثة أيام في مثلها وعنده بادية كبيرة نازلة ويجتنيه أهل تلك البادية. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٦٠/٤، وقال القاضي مُحَمّد بن علي الأكوع: ظفار يحتفظ باسمه إلى اليوم، وفيه ينبت اللبان الشحري وتسمى ظفار الحبوض، ودعوة ظفار في مهرة وقد تمت المصالحة بين السلطان قابوس ورئيس الجمهورية الموحدة على إلحاقها بعُمان سلامة من سفك الدماء وخراب الديار وكلها يمانية. أنظر: حاشية روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، تعليق القاضي الأكوع، ص١٤٠.

٣ الفضل المزيد على بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، تحقيق د. يوسف شلحد، ص ١٢٩.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٠.

٥ تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٤٧، الفضل المزيد، ابن الديبع، ص١٣٠.

٦ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٥/٦.

٧ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٠.

الفصل الثالث

تولي آل كثير للشحر وظفار من قبل الطاهريين

استقرت أحوال الشحر بعد هذه الحملة العسكرية لسنين طويلة، ثم إن الكثيري وهو السلطان بدر بن مُحَّد بن عبدالله الكثيري تطلع أن يحكم الشحر، وقد كان الملك الظافر عامر بن طاهر ألزمه إعانة والي الشحر الأمير أحمد بن إسماعيل بن شقراء النمي ومعاضدته، والذي عينه الظافر والياً من قبله على الشحر[1].

وكان السلطان بدر بن مُحَّد الكثيري يحكم في ذلك الوقت منطقة ظفار بأكملها وحضرموت، وتمتد هذه المنطقة التي كانت تحت سيطرته من عُمان شرقاً إلى شبوة وأبين غرباً، وكانت عاصمته وقاعدة حكمه مدينة شبام في وادي حضرموت.

ولما أن وصلت إلى حضرموت أخبار استيلاء الطاهريين على الشحر، تنفس السلطان الكثيري الصعداء وطفق يتصل بالملك عامر ويكاتبه ويواده.

ومن هنا تطلع السلطان بدر بن مُحَّد الكثيري أن يحكم الشحر فلاطف الملك الظافر على أن يكون نائباً لبني طاهر في الشحر وحضرموت، ونفع التودد فكتب له عهداً عل الشحر عام ٨٦٧هـ، فدخل السلطان بدر بن مُحَّد الكثيري الشحر حاكماً لها، وكان ذلك بداية لظهور أمراء آل كثير[2].

وتشير مصادر تاريخية أخرى أن السلطان بدر بن مُحَّد لما عزم على التوجه إلى الشحر من حضرموت ليباشر عمله، إذا بعمه بدر بن عبدالله سادس سلاطين هذه الدولة يسبقه إليها ويستولي عليها باسم الدولة الكثيرية بدون تعب ولا نصب، ولم يشأ السلطان بدر بن مُحَّد أن يحدث خصومة بينه وبين عمه، ولا يزال نصب عينيه ما فعله بأخيه علي بن مُحَّد سنة ٨٥٨هـ، فمكث هادئاً حتى عاد عمه وأمره بالشخوص إلى الشحر والياً عليها من قبله فسافر إليها واستقر بها والياً[3]".

١ تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٤٧، الفضل المزيد، ابن الديبع، ص١٣٠، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٥/٦.

٢ الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، ص٣٧.

٣ تاريخ الدولة الكثيرية، مُحَّد هاشم، تريم للدراسات والنشر حضرموت اليمن الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص٥١.

وهذا ما أشار إليه المؤرخ الحضرمي في ذلك الوقت أحمد بن عبدالله بن شنبل وهو من المعاصرين للدولة الطاهرية ومن المعاصرين كذلك لهذه الأحداث كونه من مؤرخي وأبناء حضرموت، يقول عن ولاية السلطان بدر الكثيري في سنة ٨٦٧هـ: "سار بدر بن مُحَّد بن كثير استخلفوه في الشحر[١].
ثم يقول في أحداث سنة ٨٦٨هـ: "وفيها أخذ السلطان بدر بن عبدالله الشحر من غير قتال ولا تعب وذلك أول دولتهم في الشحر"[٢].
وفي كلا الحالتين فإن السلطان بدر بن مُحَّد الكثيري كان أول حاكماً للشحر من بني كثير، وكان ذلك بداية سلطنتهم على الشحر، وذلك بكتابة عهد الولاية له من الملك الظافر عامر بن طاهر في سنة ٨٦٧هـ.



قصر السلطان الكثيري في سيئون

وقد استمرت ولاية بدر بن مُحَّد الكثيري إلى عام ٨٨٧هـ.
وكان أبو دجانة مقيماً في بلاده حيريج يتحين الفرصة لإسترداد الشحر من الكثيريين، وفي سنة ٨٨٣هـ جهز عليها براً وبحراً وامتلكها بعد أن نزل منها بدر بن مُحَّد الكثيري إلى حضرموت ولم يمكث

١ أي أن بني طاهر استخلفوه في الشحر بعد أن كانت هناك مكاتبات منه بطلب ذلك وقد كان لهم أميراً معين من قبلهم وقد ذكرنا ذلك.
٢ تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ ابن شنبل، أحمد بن عبدالله بن شنبل، ص١٩١.

غير قليل ريثما استجمع قواه واستغل خصمه ثم أعاد الكرة على الشحر فطرد منها أبا دجانة وأستردها.

وفي سنة ٨٨٧هـ جهز أبا دجانة فارس بن مبارك على الشحر فدخلها وفيها بدر بن مُحَمَّد فخرج عليه السلطان بدر في ثلة من العساكر، وألتقى الفريقان في الشوارع وتقاتلوا بالسلاح الأبيض واستحر القتل في الطرفين، فقتل فارس بن مبارك وقتل أيضاً السلطان بدر بن مُحَمَّد، وأنهزم قوم با دجانة واستمر بها مُحَمَّد بن بدر حتى وافاه من حضرموت نعي عمه بدر بن عبدالله فاضطرته الظروف إلى العودة إلى حضرموت والجلوس على عرش آبائه سلاطين القطر بشبام، وترك سلطنة الشحر لابن عمه عبدالله بن جعفر السلطان الثامن من سلاطين هذه الدولة وتفرغ هو لإدارة الشؤون الحضرمية الداخلية[١].

وبهذا كان آل كثير هم ولاة الدولة الطاهرية في الشحر وحضرموت وظفار، ومقابل ذلك كان سلاطين آل كثير يدفعون إتاوات سنوية لحاكم عدن نظير إقرارهم على الشحر، والتي تقدر بعشرين ألف ذهب أشرفي، وكميات من القمح والتمر والأقمشة والمواشي، وشيئاً من العنبر الأصلي[٢].

ويُشير بعض الباحثين إلى أن بني طاهر قد أوكلوا شئون حضرموت لآل الكثيري الذين قاموا بدورهم بشن الكثير من الحروب بالوكالة، والظاهر أنه حصل تفاهم بين الجانبين ضمن آل كثير للطاهريين خراج حضرموت، والذي يقدر بأربعة آلاف دينار أشرفي ذهباً، وعشرين رطلاً من العنبر الأصلي وكميات من السلع الغذائية[٣]، وبذلك نال بنو طاهر نصيباً وافراً من خيرات حضرموت[٤].

غير أن أهم ضمان قدمه آل كثير للدولة الطاهرية في تصوري، هو تعهدهم بحماية طريق الملاحة البحرية وتأمين وصول السفن التجارية عبر الطرق التجارية المعهودة من الهند وشرق آسيا إلى عدن، ومقاتلة كل من تسول له نفسه أو يسعى لذلك، فقد كان ذلك هو السبب الرئيسي لقتال الدولة الطاهرية في الشحر ولتوليتهم آل كثير، حتى يوفروا على أنفسهم بتوليتهم مشقة ومؤنة وتكاليف إدارة الشحر من بلادهم.

---

١ تاريخ الدولة الكثيرية، مُحَمَّد هاشم، ص٥٢.

٢ الشهداء السبعة، مُحَمَّد عبدالقادر بامطرف، دار الهمداني للطباعة والنشر عدن، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، ص٩٨، عدن في عهد الطاهريين، د. عباس علوي، ص٧٢.

٣ المختصر في تاريخ حضرموت العام، مُحَمَّد عبدالقادر بامطرف، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المكلا حضرموت، طبعة ١٩٧٣م، ص٨٢.

٤ صراع الطاهريين مع أئمة الزيدية، علي هادي الطياري، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ كلية الآداب جامعة عدن، نوقشت ٢٠١٣م، ص٤٤.

ومما لا شك فيه أن الشحر وحدها قد أرهقت الطاهريين مادياً وعسكرياً لمشقتها وبعدها عن مركز الحكم، لذا صار لزاماً عليهم صرف النظر عنها وتركها بأيدي من يثقون به من أهل حضرموت، بعد أن أضحى أمر الإحتفاظ بها صعباً للغاية، وبهذا وفروا طاقتهم ومجهوداتهم العسكرية لضرب الأئمة والقبائل المتمردة[١].

١ عدن في عهد الطاهريين، د. عباس علوي، ص٥٦.

الباب الخامس

الصراع بين الدولة الطاهرية والإمام الناصر بن مُحَّمد

بعد سيطرة بني طاهر على ذمار لم يستقر الإمام الناصر سياسياً، فسعى لإسترداد ذمار بكافة الوسائل، فتطورت الأحداث السياسية سريعاً بين بني طاهر والإمام الناصر باسترداد الناصر لذمار مرة أخرى، ثم سقوطها مرة أخرى بيد الطاهريين، لذا فإننا سنبين في هذا الباب تطور الأحداث السياسية بين بني طاهر والإمام الناصر وكيفية انتهاء وزوال ملكه، واتساع نفوذ بني طاهر على حساب نفوذ الناصر وسيطرتهم على صنعاء أهم مراكز الزيدية في اليمن، وعلى ذلك فإننا سنقسم هذا الفصل إلى الفصول التالية:

الفصل الأول: إستيلاء الإمام الناصر على ذمار

الفصل الثاني: نهاية حكم الإمام الناصر وأسره ووفاته

الفصل الثالث: إستيلاء الدولة الطاهرية على صنعاء

الفصل الأول
إستيلاء الإمام الناصر على ذمار

رأى الإمام الناصر بن مُحَمَّد في سفر الملك الظافر عامر بن طاهر إلى الشحر، فرصة ثمينة ليستغلها في استعادة نفوذه في ذمار، خاصة وأن الحملة العسكرية التي ذهب بها الملك الظافر إلى حضرموت ستطول وأنها عبيدة، ومما زاد من أطماعه أن الأخبار والشائعات وصلت بمقتل الملك الظافر وهلاكه عطشاً وجوعاً، فكانت هذه الأمور سبباً لنشوب الصراع من جديد بين الناصر والدولة الطاهرية، مما جعل الملك الظافر بعد عودته من الشحر يُعد العدة ويراسل حلفائه للقضاء على هذا التمرد، وفي هذا الفصل سنبين هذه الأحداث في ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: استيلاء الإمام الناصر على ذمار

المبحث الثاني: إعداد الملك الظافر ومراسلته لحلفائه

المبحث الثالث: إسترداد الملك عامر لذمار

المبحث الأول

استيلاء الإمام الناصر على ذمار

بعد خروج الإمام الناصر بن مُحَّد من مدينة ذمار إلى حصن هران، وذلك بعد إستيلاء الملك الظافر عليها عام ٨٦٥هـ، توجه الناصر إلى مدينة صنعاء، وكان أول ما قام به الناصر عند وصوله صنعاء أن اجتمع بأهل صنعاء وطلب، منهم المعونة للجهاد، وقال لهم: هذا مذهب يريد أن يبطل مذهبنا ويسعى في أرضنا بالفساد.

وأخرج الهادي بن الأمير الحسين الذي كان رهيناً، والمهدي بن عز الدين الذي أسره في صعدة وجاء به إليه فسجنه، وقال لهما يذهبا إلى الأمير الحسين وبنو الإمام أخوته الأشراف، ويقولا لهم باننا سوف نعطيهم ما يرونه من الصدقة والإحسان والأنصاف من المال، هو ومن كان إليه ينضاف، ويعطيه من المال ويركبه من الخيل ما أراد ويكون له جملة من الأولاد، وأعطاه الكسا وأركبهما من خيله الجياد[1].

ولما سار عامر بن طاهر إلى الشحر وكثرت الشوائع عليه وعلى الذين معه بالمرض والموت وقل النصر، وأرجف بذلك المرجفون وقوى شوائعه المخالفون، فازداد الناصر بذلك جذلاً، ورجا أن يعود له ما فات على الولاء، وقد وردت الأخبار بهلاك الملك عامر ومن معه من العطش[2].

واغتنم سفر الملك الظافر عامر بن طاهر إلى الشحر، وكثرة الشائعات عليه، واستعجل أهل السراة والجوف أن يلُمُوا (يحضروا)، وكتب إليهم أن بادروا إلينا بالخيل والرجال، وهلموا وعندنا لكم فوق ما تطلبون، وتأخذون من عدونا ما تسلبون وتنهبون كما فعلتم يوم الوقعة في رضم[3]، ولكم منا أن نطلق أيديكم فيما أخذتموه من المال والنعم[4].

فأجابه منهم من أجاب، وأعتذر بعضهم أنه لم يوفهم المرة الأولى ما شرط لهم وألحوا في الطلاب، وجمع إليه عساكر كثيرة وجنود موفورة، وأرسل إلى الحسن بن إبراهيم المقحمي، وقال: أنت شريكنا في

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٠.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩١.

٣ رضم: مرّ معنا أنها موضع في نواحي رداع على الصحيح وكما صوب ذلك العلامة مُحَّد بن علي الأكوع في حاشية روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، تحقيق العلامة مُحَّد بن علي الأكوع، ص١٢٦.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٠.

البلاد، ولك منا ما تراه من الأطوال، فلا أعز عندنا من حصن الأسلاف[1] وهو إليك بلا منٍ ولا اختلاف، ووضع لبني الأسد حصن هَران، وقال هو ملجأ لكم إذا احتجتموه في الزمان، فأنتم لجدي علي بن صلاح أخوال، وهو علينا أن تكونوا أسوة في جميع الأحوال، وما بسطتم إليه في ذمار فهو لكم دائماً على الإستمرار، ونحن نخرج لكم بما كان لك من عتب ونضع لكم ما ترون بلا اختلاف ولا كذب[2].

وقال لبني المنتصر أنتم شركاء في الأمر، ولا أخالف قولكم في السر والجهر، أيديكم فيما ملكت يداي مبسوطة، وليست مما لكي عنكم محوطة، فالبدار البدار، وتعالوا ندفع أمر هذا الجبار، فاجتمع الناس إليه واحتفلوا وجاؤا إليه من حدب وصوب.

وأما الأمير الحسين فإنه غالطه في القول، وقالوا لولا عامر لم يطلق ولدي، ولقيت منك الهول، ولا مذهب لي إلا إلى الإمام المطهر وحلفائنا من همدان، ولا نخالفهم بقدر الجهد والإمكان[3].

إستيلاء الناصر على ذمار: وكان الإمام الناصر قد سار إلى ذمار فاستولى عليه وعلى أكثر جهاته، بعد أن أخرج منه علي بن تاج الدين بن طاهر عامل الظافر[4].

وقد أخرج الإمام الناصر واليها الطاهري علي بن تاج الدين إلى رخمة، واسترجع الناصر مدينة ذمار عام ٨٦٦هـ بمساعدة من سكانها من آل المقحمي والجراشين وغيرهم من المتعاونين معهم، واحتفل به أهلها والقبائل الذين حولها من الأحلاف والأنصار، وجاء إليه بنو المنتصر من دروان، ورجا وإياهم أن يعود أمرهم كما كان، وطلع عبدالوهاب إلى جبل وحصن بني سعيد صباح، واستعد للملاقاة بالعدة والسلاح، وجمع من أمكنه من العساكر وتهيأ للكفاح[5].

استيلاء الناصر على قرن الأسد: وخرج الناصر فاستولى على قرن الآساد وما يليه من البلاد وقد أرعب إليه كثير من الناس في الأجماع والأحشاد، وقد أوقفه قاضي أهل يحير في ما أمكنه من الرجال، واتسع لهم في غفلة عامر المجال.

---

١ الأسلاف: قرية شمال مدينة يريم بمسافة نحو كيلوين، تقع على المحجة إلى مدينة ذمار، وهي مبنية على أكمة يصعب الصعود إليها كثيراً، وهي في الحقيقة تشبه القلاع أكثر مما تشبه القرى، وأسفلها يقع نجد الأسلاف في جبال وعره ومسالك صعبة وفيه سد قديم، كما ينسب إليها باب الأسلاف الذي ذكره الهمداني ضمن أبواب مدينة ظفار حمير. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٤/١.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤١.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٤١.

٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩١.

٥ روضة الأخبار، ابن الأنف، ١٤٢.

وزادت أطماع الإمام الناصر فقرر التوسع إلى ما خلف رداع وتوجه إلى بلاد ردمان في البيضاء، "فغزا الناصر ردمان الطاهري بخيله ورجاله، فتأخروا عنه حتى أوغل في الدخول ثم خرجوا عليهم فهزموا عسكره ومن معه من الرجال والخيول فرجع منهزماً، وسقط ذلك عنده ما كان معتبراً، وقتل من عسكر الناصر أربعة ضربوا بالسيوف والخناجر[1]".

استيلا الناصر على يريم: وهرب والي يريم الذي كان فيه من قبل الدولة الطاهرية على يريم، وخاف من الناصر أن يبيت ويقيم، ودخل أهل يريم إليه وطلبوا من الناصر والياً فأصدره وولاه عليهم وأمره[2].

وأما بنو العمّاري فقد حفظوا العهد الذي تم بينهم وبين بني طاهر، فلم ينكثوا أو يستغلوا غياب الملك الظافر عامر بن طاهر والإشاعات التي انتشرت عن مقتله.

فقد أورد المؤرخ ابن الأنف موقف آل العمّاري فقال: "وأغار العمّاري في من معه إلى جبل بني قيس فحفظوا ما فيه من الحصون، وتقربوا بذلك إلى بني طاهر ليحسن فيهم الظنون[3].

وبهذا المخطط والإعداد الذي أعده الناصر، واستغلاله لغياب عامر بن طاهر في الشحر بحضرموت، وبث الإشاعات حول مقتله، استطاع الإمام الناصر من الإستيلاء على مدينة ذمار وما حولها، وكذلك على مدينة يريم وقرن الأسد وما حولها حتى تقدم بعساكره إلى منطقة ردمان من بلاد السوادية.

وقد اعتمد الإمام الناصر كما لاحظنا على عدة عوامل ساعدته في تحركه بقواته التي جمعها نحو ذمار، ومن أهم هذه العوامل:

أولاً: ترويج الإمام الناصر أن حربه ضد الطاهريين حرب مذهبية وطائفية، وقد تجلى هذا واضحاً عندما اجتمع بأهل صنعاء لطلب المعونة والمساعدة فكان أول ما "قال لهم: هذا مذهب يريد أن يبطل مذهبنا ويسعى في أرضنا بالفساد"، والناصر بهذه المقولة يكون قد حول هذه الحرب والصراع على السلطة إلى صراع طائفي ومذهبي، وهو بهذا أراد أن يوهم أهل صنعاء وغيرهم أن هذه الحرب دينية ومذهبية ليكسب تعاطفهم ويستمد العون منهم.

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٤٢.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٤٢.

٣ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٤٢.

ثانياً: اجتماع الإمام الناصر مباشرة بأهل صنعاء وطلب منهم المعونة للجهاد، لأنه لم يكن يستطيع أن يقوم بالحرب ضد الطاهريين لوحده فاحتاج إلى مساعدة أهل صنعاء من الأعيان والسادة والتجار ليعاونوه في حربه ضد الطاهريين واسترداد مدينة ذمار.

ثالثاً: حشد الإمام الناصر للقبائل من كل مكان وإرسال الرسل إليهم، وإطماعهم بما يقع في أيديهم جراء النهب والسلب وكان ممن استدعاهم أهل السراة والجوف فجاء منهم من أجاب وجمع إليه عساكر كثيرة وجنود موفورة، وأرسل إلى الحسين بن إبراهيم المقحمي من أعيان ذمار، وكذلك بني الأسد وبني المنتصر وأطمعهم جميعاً ومناهم ووعدهم بوعود كثيرة سبق ذكرها.

رابعاً: أطلق الإمام الناصر الأسرى والرهائن، والذي سبق وأن نازعوه في الإمامة وعارضوه، وكان غرضه الإستفادة منهم في تأليب أتباعهم ومن وراءهم من القبائل، بدعوى أن هذه الحرب حربٌ طائفية سيعمُ خطرها الجميع، ومن هؤلاء الذين أطلقهم الهادي بن الأمير الحسين الذي كان رهينة عنده والمهدي بن عز الدين الذي أسره في صعدة وسجنه وطلب منهما أن يذهبا إلى الأمير الحسين وبنو الإمام إخوته الأشراف ويقولا لهم بأننا سوف نعطيهم ما يرونه من الصدقة والإحسان والأنصاف من المال، وهو بهذا أراد أن يأمن لنفسه من الأمير الحسين من أن يستغل حربه ضد الطاهريين وانشغاله بها فيغزو صنعاء، فأراد بإطلاق ابنه أن يجعل له يداً عنده ويأمنه.

خامساً: اغتنم الإمام الناصر سفر الملك الظافر عامر بن طاهر إلى الشحر، وحربه ضد بادجانة وكثرة الشائعات عليه وعلى الذين معه بالمرض والموت في الشحر، وكل هذه الشائعات عن مرض وموت الملك الظافر كانت عبارة عن شائعات وأكاذيب بثها رجال الناصر لرفع معنويات من معه، فقد كانوا يهابون لقاء الملك الظافر.

المبحث الثاني

إعداد الملك الظافر ومراسلته لحلفائه

بينما الناصر يتقدم إلى ذمار وما وراءها، ويعين رجاله في المناطق التي حولها، ويبث الشائعات بأن الملك الظافر وأصحابه قد هلكوا في حضرموت، إذ جاءت البشائر بوصول عامر وجنوده إلى عدن وأنهم وصلوا سالمين غانمين، لم يلقوا ضراً بعد أن شاعت الشوايع ممن يكرهه والشمات، فحين وصل ساءت من أعاديه الظنون، وأيقنوا بوقوع الحرب الزبون[١].

وبعد عودة الملك الظافر من الشحر توجه مباشرة إلى عدن وكان خروجه إلى عدن في البر يوم الجمعة، أول يوم من ربيع الأول[٢]، وقد رجع إلى عدن على طريق الساحل[٣]، فلما دخلها وصل إليه العلم أن صاحب صنعاء أخذ ذمار، وكان عبدالوهاب بن داوود إذ ذالك قريباً منه، فجمع الجموع وقاومهم إلى أن جاء عمه الملك الظافر[٤].

فلما عاد السلطان عامر بن طاهر إلى بلاده سكن الأطراف، وأعرض عمن اضمر إليه الخلاف، وتمكن في أموره وتمهل ولم يأخذه فيما رامه العجل[٥]، واستقر الظافر في عدن ثم بدأ بمكاتبة حلفائه الإمام المطهر بن مُحَمَّد بن سليمان والأمير علي بن الحسن قائد همدان[٦]، وغيرهم من حلفائه.

وكان من أبرز حلفاء بني طاهر، أهل همدان والإمام المطهر بن سليمان والحمزات ومشائخ الحقْل في المناطق الوسطى، ولابد لنا هنا من استعراض هؤلاء الحلفاء ليتضح لنا دورهم في مساعدة الدولة الطاهرية في حربهم ضد الأئمة الزيدية والإستيلاء على صنعاء.

وهذا التحالف بين بني طاهر ومشايخ المناطق الوسطى وغيرهم كان منذ عهد الدولة الرسولية، وقد حالف بينهم السلطان الناصر الرسولي، يقول ابن الأنف القرمطي: "وكانت المحالفة بيننا والملوك بين

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٢.
٢ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٨.
٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩١.
٤ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٢.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٣.
٦ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص١٩١.

طاهر من عهد أبيهم وكان السلطان الناصر قد حالف بين أخي الحسين بن الحسن والشيخ طاهر بن معوضة بن تاج الدين، ووافقه أيضاً الصنو علي بن الحسن مع الأمير ابن المنتصر ومشايخ الحقل[١]".

وقد تجدد هذا الحلف مرة أخرى بين بني طاهر وهمدان في زمن الملك عامر بن طاهر عندما اشتدت هجمات الإمام الناصر عليهم، كما ذكر المؤرخ ابن الأنف القرمطي، فقال: "فأرسل هاشم بن مُحَّد بن إدريس إلى عامر بن طاهر ليعاقده على تجديد الصداقة وأن يكون صلحهما معاً، وإن حارب الناصر تعاونا على حربه واجتمعا، فوافق ذلك ما في نفس عامر، وسار بذلك منه الخاطر، ثم رافق الملك عامر بن طاهر من بني الأنف عبدالله بن علي بن الحسن، فألتقاه عامر بالإيناس وقربه إليه وكذلك كان إدريس بن مُحَّد بن إدريس ممن له تواصل وثيق بالملك عامر[٢]".

وكان عماد الدين أدريس ابن الأنف قد "ووطد حياته بالدولة الفتية الطاهرية السنية، وربط عجلة سياسته بسياستهم لدرء شراسة أعدائه في زعمه أئمة الزيدية، واستطاع بالقاسم المشترك أن ينتظم مع الأمراء الحمزيين، وكان إدريس هو الذي يدير كفة الحرب بين الإسماعيلية والحمزات من جهة، وبين الإمام الناصر بن مُحَّد من جهة أخرى[٣]".

حروب حلفاء بني طاهر حول صنعاء: بعد استيلاء الإمام الناصر بن مُحَّد على ذمار راسل الملك عامر بن طاهر حلفائه يحرضهم على حرب الناصر[٤]، "فأرسل إلى أمير همدان علي بن الحسين أن يوافق الإمام المطهر[٥]، ويضم الأشراف إليك، وتحاور صنعاء، ونحن معك قائمون على الباغين عليك.

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٦٠.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٧٥.

٣ مقدمة القاضي مُحَّد بن علي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢١.

٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص١٩٢.

٥ المطهر بن مُحَّد بن سليمان بن يحيى بن الحسين بن حمزة بن علي بن مُحَّد بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني القاسمي الحمزي، مولده في العشر بعد ثمانمائة تقريباً، نشأ على ما نشأ عليه سلفه الصالح، لازم الإمام المهدي أحمد بن يحي فقرأ عليه في جميع الفنون من أصول وفروع وحديث وغير ذلك، لما مات الإمام علي بن صلاح في محرم سنة ٨٤٠هـ، دعا عقيب موته وتعارض هو وصلاح بن علي، وعارضهما الناصر وهو أصغر منهما سناً، لكنه أقبلت له الأيام فلزم الإمام المطهر في فرس موضع بجهران، وأمر به إلى حصن اسمه الرفعة فأنشأ هنالك قصيدة مستهلها:

ماذا أقول وما أتي وما أذر .... في مدح من ضمنت مدحا له السور

فلما أتمها بلغت إلى وزير الحابس له فقال انظروا فإذنكم تجدون الرجل قد خرج من السجن ببركة هذا الشعر فكان الأمر كما قال وبعد خروجه من السجن، وما زالت الأحوال تقوى به مرة وتضعف اخرى، ودخل صعدة وفي خلال ذلك تزوج الشريفة بدرة بنت مُحَّد بن علي بن صلاح، وكان قد تزوجها الناصر وجاءت له ببنت بعد أن فسخ نكاح الناصر للغيبة، وجاءت للمطهر بولده عبد الله بن المطهر، وملك كوكبان والعروش وغيرهما، وكان للأشراف بني حمزة إليه ميل، وملك كحلان والمغارب، ثم ملك مدينة ذمار وبقيت ذمار بيده حتى توفي، وكان

وأرسل كذلك إلى المطهر وقام في حرب الناصر وشمر وكتب إلى مطهر بما أمر عليه، وقد كان رأى فيه ابن المطهر بعد أخذه ذمار المرة الأولى، فأحسن إليه وجلى بالقول كره، فوصل الهادي بن الأمير الحسين من عيال الإمام إلى بلاد همدان بجماعة من الفرسان وأمر الأمير علي بن الحسين أن يواجههم إلى حيث أراد من البلدان، فأرسل إليهم أن يوافقوه إلى وادي ضلع[1]، وأمراء هبرة بعمارة المصنعة وحصن الحرث، وأرسل إلى همدان وجمع.

وكان ليوسف ابن القاضي مُحَمَّد بن يوسف الصليحي بعمارة الصليحي في هذه العمارة عناية، وأبلغ من جهده واجتهاده في ذلك الغاية، وقد كان الناصر إلى صنعاء رجع فأرسل إلى أهل ضلاع يلومهم في العمارة، ثم أمنهم لئلا يفتح على نفسه الحرب وقال لا يرون منا إلا الأمور السارة[2].

ثم جاء مطهر الإمام من كوكبان[3] حتى وصل المُنقب وأرسل إلى أمير همدان علي بن الحسن أن يوافيه، ووعد بصدق المصادقة ورغب، وقال الصداقة بيننا وبني حمزة وبينكم قديمة، ولم نزل نظهر لمن عاندكم الخصومة، فلقيه علي بن الحسن إلى الدموم في من وصل من الأشراف ومن همدان وساروا مع الإمام إلى القلاط في الرجل والفرسان، فطلبوا من أهله الزكوات وقالوا من وافقه من بني شهاب[4] فنحن حيث يظنون، وأرسلوا بذلك إلى من وافاهم من أهل الجهات، وكان الناصر أخرب على بني شهاب بيت بوس، بعد أن أخذه عُبية بالمكر، ولقاهم فيه كل النكر، فخالط مطهر من خالط ورجو لبيت بوس العمارة، وقالوا لا نخالفكم في قول ولا إشارة.

المطهر من أعيان أئمة الزيدية علماً وفصاحة، وكثرة أتباع شيعته نحارير وسادة أكابر، وفضائله وعلومه جمة غزيرة، وكان وفاته بذمار في صفر سنة ٨٧٩هـ، وقبره بجنب مسجده الذي بناه، وعليه قبة معروفة. أنظر: البدر الطالع، الشوكاني،٣١١/٣، طبقات الزيدية الكبرى، المؤيد، ١٩/٣، الأعلام، خير الدين الزركلي،٢٥٤/٧.

١ وادي ضلاع: بلدو ووادي في الشمال الغربي من مدينة صنعاء بمسافة نحو١٠ كيلو متر، وهو من الوديان الخصبة المشهورة بزراعة القات الضلاعي، وتنزل إله سيول الأمطار القادمة من سد ريعان. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٩٤٦/١.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٣.

٣ كوكبان: تثنية كوكب حصن ومعق شهير يطل من الشمال الشرقي على مدينة شبام يعفر وكذا على قاع المنقب الذي تمر منه طريق صنعاء إلى ثلا وحبابة وبني بشير، ويطل من جهة الغرب الشمالي على وادي النعيم ويليه وادي الأهجر المشهور الذي تسيل منه مياه كوكبان، وقيل سمي كوكبان لأنه كان به قصران مطرزان بالأحجار الكريمة الثمينة والنقوش الجميلة، وكان لها بريق يلمع بالليل كما يلمع الكوكب فسمي بذلك، ويرتفه حصن كوكبان عن سطح البحر بنحو ثلاثة آلاف متر في أعلى الجبل وفي طرفه الشرقي تقف مدينة كوكبان التي يحيط بها سور من أغلب جوانبها. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٣٥٧/٢.

٤ بني شهاب: مركز إداري من مديرية بني مطر في غربي صنعاء، سمي نسبة إلى شهاب بن العاقل بن الأزمع بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، إليه ينسب العلامة مطرف بن شهاب بن عمرو بن عباد الشهابي من أعلام المائة الرابعة للهجر وهو مؤسس مذهب المُطرفية الذي عرف باسمه. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٨٧٩/١.

ثم نزل مطهر إلى عرض المصنعة في ضلع ومعه عيال الإمام فرسان الحروب وليوث يوم الصدام، وعلي بن الحسن لا يفارق مطهراً وكل منهم للصداقة قد أظهر، وحلف مطهر الإمام الأيمان أنه لا غدر ولا خان، وأن لهم ما حازوا من بلد همدان كالعروس وذهبان، ثم أنها وقعت الغواير بينهم.

وقد جاء ابن مخارش إلى صنعاء يناصر وأعان الأشراف عيال الإمام في جماعة همدان، فخرج من صنعاء عُبية وسالم بن مسعود مقدم صنعاء في من معه من الرجالة والفرسان ومعهم ابن مخارش وهم في عدة وقوة وشدة فالتقا القوم واقتتلوا وما خابوا ولا نكلوا، فلما اشتد القتال ولى مُحَمَّد بن مطهر الإمام وكان معه، فقال الهادي ابن الحسين، أين تريد وسبّه وعابه وثلبه.

وحمل الأشراف عيال الإمام وقد سقط عبد للأمير الحسين يدعى جبران وكان فارساً شجاعاً فصال عليه أهل صنعاء، وحمل عليهم الهادي بن الحسين وعيال الإمام فانجوا عبدهم ووقع مع أهل صنعاء الإنهزام واستقام ابن مخارش ومن معه من الجوف فاقتتلوا وانهزم الأشراف، وقتل مقدم صنعاء سالم بن مسعود ضرباً بالسيف وقتل جماعة من أهل صنعاء، قيل تسعة وقيل أثنى عشر وانكسر أهل صنعاء، وكان الناصر خارجاً من القصر في مسجد فوقعت الصيحة، ودخل القصر وقد دخل أول هزيم أصحابه[1].

وفي هذه الحروب التي جرت بين حلفاء الدولة الطاهرية والإمام الناصر يقول المؤرخ يحي بن الحسين: "فخرج الإمام المطهر من كوكبان إلى القلاظ، ولقاه الأمير علي بن الحسن بجموع همدان، ووقعت بينهم وبين عسكر الناصر بن مُحَمَّد مصاولة شديدة على صنعاء وذي مرمر، وفيه عامل الناصر فتولى محاربته عبدالله بن علي بن حاتم، واستولى على حصن السّر، ثم أخربه وما حوله من الدروب وقطع الأعناب، ولم يزل الحرب بين همدان وعسكر الناصر سجالاً، ودخل الإمام المطهر قلعة ضهر، فأكرمه الأمير علي بن الحسن غاية الإكرام[2]".

وجرت مناوشات كثيرة بين حلفاء بني طاهر من همدان والحمزات والمطهر والهادي بن الحسين من جهة، وبين الإمام الناصر واتباعه من أهل صنعاء وابن مخارش الجوفي، وكل ذلك كان خلال جمع الملك الظافر لقواته للإستيلاء على ذمار.

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٢.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص١٩٢.

ووقف الملك عامر يحشد الحشود ويجمع الجنود، ومطهر الإمام في ناحية القلعة الخارجة، والأشراف عيال الإمام وهمدان يخربون في دواير صنعاء ويقتلون من داخل المدينة[1].

حروب حلفاء بني طاهر ضد الناصر في المناطق الوسطى: مرّ معنا أن من رجال الدولة الطاهرية في المناطق الوسطى بنو المعمري مشايخ حصن كحلان وبنو اللميسي مشايخ حصن حيد الجرادي، وقد وقعوا في الأسر أثناء استيلاء القاضي اليحيري والإمام الناصر على حصن كحلان.

فاسترد الملك الظافر حصن كحلان ورداع وذمار، ثم جرت هذه الفتنة فكان إعداد الملك الظافر للقضاء على تمرد الناصر في ذمار عندما استردها،"كان عرض هذه الأمور خروج بني المعمري من السجن الذي كانوا به في مصنعة بني قيس، وهم الشيخ مُحَّد بن جسار المعمري وأولاد يحي بن عباس المعمري وإدريس بن أحمد بن عمران اللميسي[2]، فخرجوا من السجن فتلقاهم رتبة من أهل حماك[3] تابعين للملك عامر بن طاهر كانوا يخرجون في الليل ويدورون حول المصنعة فلما سمعوا صلصلة القيود أسرعو إليهم فعرفوا المعامرة وساروا بهم إلى بلد عامر ثم إلى منصورة مزيج، فأزيلت عنهم القيود في المنصورة وطلعوا حصن كحلان، وبعد أن وصل مُحَّد بن جسار وابن يحي بن عباس إلى عامر فأذن لهم في دخول حصنهم كحلان وأحسن إليهم[4]، وكان الملك عامر بن طاهر قد استرده قبل ذلك من القاضي اليحيري والإمام الناصر.

وقد توجه الناصر إلى ذمار ودعاه بنو المنتصر للمحطة على خاو، فقصد إليهم عُبية الطاهري وابن مداعس الصعدي فيما أمكنه من القوة، وتقدموا مع عطيفة بن المنتصر ونهشل بن مُحَّد بن المنتصر، فدخلوا قرية خاو وقاتلوا على الحصن أشد القتال واجتمعت العساكر إلى عراس بأمر عامر، وأصدر عامر خيلاً فجاؤا إلى مزيج واجتمع معه أهل مزيج وأهل كحلان[5].

ونزل العسكر الذين في عراس ناحية خُبان فهرب بنو المنتصر ومقادمة الناصر إلى يريم ودخل الناس قرية خاو، فقتلوا جماعة وانتهبوا بعض ما كان في المحطة، ووصل عبدالوهاب بن داود في عسكر إلى مزيج فوجد المحطة من خاو وقد مرت والأمور قد قرت، فعاد إلى عمه بالعسكر.

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٧.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٥.

٣ حماك: من قرى عرش رداع تقع بجوار بلدة ماور. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٤٩٩/١.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٦.

٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٧.

ووثب الأشراف وعيال الإمام وهمدان مع عبدالله بن علي وحاتم بن إبراهيم فاستولوا على قصر البشر وأخربوه وأخربوا ما حوله من الأعناب والدروب، وكذلك دار السيد بن عبدالله في شعوب وأخربوا على أهل ما حولها من البيوت، وذلك بأمر من المطهر، واتفق استيلاء مُحَّد بن الإمام المطهر على العروس[1].

[1] روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٧.

المبحث الثالث

إسترداد الملك عامر لذمار

"طلب الملك عامر بن طاهر الأمير الهادي بن الحسين أن يوافيه إلى ذمار، وتلقاه الذين معه من عيال الإمام ومعهم عبدالله بن علي بن الأنف فسايرهم وكانت طريقهم الكميم بعد كنن، وقد كانوا خالفوا على الناصر، لما أخذ عليه ذمار المرة الأولى وهي مواضعهم، ووصلوا إلى الملك عامر وقد قرب ذمار بالعساكر ففرح عامر بوصولهم وألتقاهم بالرحب والسعة، وباتوا في محطته قرب ذمار في العساكر الذين معه، وقد وصلت عامر النذر أن قبائل كثيرة من الزيدية آتين عليه وقاصدين بالشر إليه فجمع من لديه من أهل حجاج وأهل عراس وأهل مزيج وكحلان وجعلهم حوله.

ثم قام عبدالله بن علي وفرسان عيال الإمام بتحريض الملك عامر على ذمار، وقالوا ليس فيه من يواجه عسكرك الجرار ونحن الكفلاء بعون الله إن اقدمت عليهم بالظفر، ونحن نقدم إقدام من لا يفر عن المكر، وتهيأوا للقتال من الصباح، وقالوا تجمع لنا أهل الدعوة من مذحج، وأمسى عامر بن طاهر محترزاً بمن حوله غير آمن من قبائل الزيدية الصولة، وبات الناصر لوثبة من أنسل إليه من القبائل الذين مع عامر بن طاهر، ينتظر ليلته مستعداً لا يهجع ولا يقر، فلما أمسى عامر محترساً في محطته، لم يجد أولئك فيما أضمروا حيلة ولا وجدوا سبيلاً، فلما لم يسمع الناصر لهم صيحة، وقد هالته عسكر عامر المهيلة، ركب جملاً وسار في آخر الليل بمن خف معه محتملاً، وترك قصر ذمار وخلا إلى قصر هران، ولم يحفل بما معه بل سار غير متوان، ووافى إلى الملك الظافر صيحة الخبر أن الناصر قد فر منه وخلا وترك ذمار وما فيها وأجلى[1]".

محاولة الإمام الناصر التصالح مع بني طاهر: ثم وصل كتاب من الناصر إلى الملك الظافر عامر بن طاهر يطلب أن يسلم للملك الظافر حصن هِران، ويكون ما خلف النقيل مما يلي صنعاء للناصر، وأن يكون للظافر ما وراء نقيل يسلح إلى ذمار[2]، ويغلق باب الحروب والإفتتان، فأجابه الملك الظافر أن لا نجيبك إلى الصلح حتى تسلم هِران وترد ذي مرمر لأهله، وتعطي الأشراف حيث ما طلبوا من الحصون وتزيل عنها رتبتك وتظهر منها وتكون إلى غيرك، فكبر ذلك على الناصر وترك الجواب، وظن

---

١ روضة الأخبار ابن الأنف القرمطي، ص١٤٩.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين،٥٩٢.

أنه سينجو بمسيره إلى صنعاء، ويكون من هناك الخطاب، فترك امرأته بنت السيري وولده منها وهو طفل في هِران وجعل أمره إلى بني الأسد ووعدهم بذمار أن عاد له في الأزمان وخرج من هِران بأكثر من بقي معه من الخيل والرجال ومال عن السبيل المعهود[1]، وأراد أن يؤسس الصداقة عندهم ثم يختلف إلى هران ويعود بعد أن يجمع العساكر ويكثر من الجنود، وسلك جماعة من عبيده الطريق القريب المألوف كابن ريحان بن سعيد وجماعة معه من العبيد فوصلوا إلى صنعاء، واعلموا بوصوله مبشرين وضربت الطبلخانة، وخرج الناس للقائه ثم رجعوا من الطريق ولم يجدوا لوصوله علم تحقيق[2].

دخول الملك عامر بن طاهر ذمار: ثم نهض السلطان عامر بجيش كموج البحر الزاخر، فلما وصل ذمار علم الناصر بن مُحَمَّد أنه لا طاقة له بقتال عامر، فانتقل إلى حصن هران، وخرج أهل ذمار إلى السلطان عامر يصطرخون[3].

فأمر الملك الظافر بأمان الناس وأمنهم من كل شر وبأس، وسارت إلى كل البلاد البشائر، وملك الملك الظافر ذمار في شهر رجب سنة ٨٦٦هـ[4].

وحاز ما في قصر ذمار من الطبل خانات والتجافيف والدروع والخيام وأنواع الهرلي والطعام، واستولى كذلك على خزانة ذمار[5].

وكان الإمام مطهر وعلي بن الحسن قد جمعا همدان ليديروا أخذ الثارات من أهل صنعا مرة أخرى، إذ جاءتهم بفتح الملك الظافر لمدينة ذمار البشرى[6].

وأمر الملك عامر بن طاهر بخراب قصر ذمار، فأخرب والناصر ينظر من هران وفي قلبه لواعج الأحزان، وكذلك أمر بخراب دور المقمحي ودار الأمير مُحَمَّد بن المنتصر ودور الغز بني الأسد فأخرب مبانيها بعد أن انتهب مما فيها وعطلت مغانيها، وكذلك الجراجيش أمر بخرابها بعد أخذ ما فيها وانتهابها، والجراجيش خلف قصر ذمار، وذلك لأن هؤلاء ممن قام بالخلاف مع الناصر، أثناء ما كان الملك الظافر في الشحر وعادوا في الفساد.

---

١ الطريق المعهود المعروف هو طريق نقيل يسلح والطريق البعيد هي التي مشاها الناصر، نقلاً عن حاشية الأكوع على روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٥٢.

٢ روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٥٠.

٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٢.

٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٨، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٥٠.

٥ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٢.

٦ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٤٩.

ثم وصل إلى مخيم الملك الظافر، الحسن بن إبراهيم المقمحي تائباً بزعمه فأمنه الملك عامر على أن يسلم إليه حصن الأسلاف[1]، فاستنظر منه أياماً وقال ما لأمرك خلاف[2].

وكتب عماد الدين إدريس بن الأنف القرمطي بيوتاً من الشعر تهنئة منه للملك الظافر بمناسبة استيلائه على ذمار وحصن هران، جاء في بعضها:

لقد جاء نصر الله نحوك والفتح * وحان بملك الأرض طرا لك النجح

أمن بعد أسر الناصـــر بن مُحَمَّد * عـــلو وربــح كلمــا ذكــر الربــح

تمادى به سكر الغواية قائمـــاً * لحربك فهو الآن من سكره يصحـو

أسيراً ذليلاً في القيود مكبـــلاً * ففي رجله قيــد وفي قلبـــه جـــرح

أيا ويله لو جاء نحوك باخعـــاً * بما ملكت كفـــاه كـان لـه الصلـح

وكان له من قبل يبطل كيـــده * يرجى له من غفوك العفو والصفـــح[3]

---

١ حصن الأسلاف: قرية شمال مدينة يريم بمسافة نحو كيلوين، تقع على المحجة إلى مدينة ذمار، وهي مبنية على أكمة يصعب الصعود إليها كثيراً وهي في الحقيقة تشبه القلاع أكثر مما تشبه القرى، وأسفلها يقع نجد الأسلاف في جبال وعرة ومسالك صعبة وفيه سد قديم، كما ينسب إليها باب الأسلاف الذي يذكر الهمداني أنه ضمن أبواب مدينة ظفار حمير. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٤/١.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٥١.

٣ روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار، عماد الدين بن الأنف القرمطي ص١٥٢.

الفصل الثاني

نهاية حكم الإمام الناصر وأسره ووفاته

عندما سقطت ذمار، أدرك الناصر بأنه لا بقاء له فيها فآثر أن ينجو بنفسه، ويهرب من ذمار إلى صنعاء ليرتب أموره فيعاود الكرة مرة أخرى، ولكن لم يسعفه حظه بأن يصل إلى صنعاء، فقد تم أسره والإيقاع به، وقد كانت هناك مساعي للملك عامر بن طاهر لتخليص الإمام الناصر من الأسر إلا أنها فشلت، وفي هذا الفصل سنبين فرار الإمام الناصر من ذمار ووقوعه في الأسر، ثم نبين مساعي الملك الظافر لتخليصه من الأسر ووفاة الإمام الناصر في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: فرار الإمام الناصر من ذمار

المبحث الثاني: سعي الملك عامر بن طاهر لفك أسر الإمام الناصر

المبحث الأول

فرار الإمام الناصر من ذمار

علم الإمام الناصر من سير الأحداث أن عهده انتهى في ذمار، وأنه مهزوم لا محالة، وأن دولة الملك الظافر أقبلت، وأن السنة الكونية جارية في تقلب الملك وتلك الأيام نداولها بين الناس، لذا فقد آثر أن ينجو بنفسه ويمضي إلى صنعاء حيث رجال دولته وعسكره وحلفائه من القبائل، ليعيد ترتيب صفوفه من جديد، ويعاود الكرة مرة أخرى لإستعادة ذمار من الدولة الطاهرية والملك الظافر عامر بن طاهر.

وكان الإمام الناصر عندما خرج من حصن هران مال عن الطريق المعهود وغير مسيره ليمرّ على القبائل في هذه الطريق الأخرى ليعقد معهم الصداقات والتحالفات للإعداد لحربه القادمة على ما يبدو، وكانت الطريق المعهودة هي الطريق المعروفة حالياً وهي طريق نقيل يسلح[1].

يقول العلامة الكبسي في تاريخه اللطائف السنية: "ففرّ من ذمار خوفاً من بني طاهر إلى هِرّان، ثم خرج من هران قاصداً صنعاء، وخالف الطريق المعتادة، ومال عنها إلى طريق عُرقُب[2] من بلاد الحدا، من أرض أصالة، فغدر به أهل عُرقُب بعد أن أضافوه[3]".

فأستقبله أهل عرقب مبدين له الترحيب، "فتبادروا أهل تلك القرية للقائه وأظهروا الجذل بوصوله، وأنهم من حزبه وأنصاره فأستحلف كبرائهم على ذلك وكساهم وطلبوه الوصول للضيافة فأجابهم إلى ذلك، فأطعموا من معه الزبيب وذبحوا لهم الأغنام ولقوهم بالترحيب كما يلقى به الأضياف الكرام وفرقوا في قراهم عسكر الناصر وأدخلوه معهم حصنهم هداد فيمن معه من الأكابر، فلما فرغوا من العَشاء وصلوا المغرب والعِشاء، اصطحب كل منهم من عسكر الناصر من آووا إليه وكان في الضيافة لديه[4].

---

١ حاشية القاضي الأكوع على روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٥٢.

٢ عُرقب: وادي زراعي في منطقة آهلة إلى الشمال الشرقي من ذمار، ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب أنظر: حاشية خالد الأذرعي على اللطائف السنية، العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي، ص١٧٥.

٣ اللطائف السنية، العلامة الكبسي، ص١٧٧.

٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٢، روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٥٢.

ودخل كبراؤهم على الناصر فلزموه وسبوه وشتموه وسلبوه ومن معه ما كان من اللباس والسلاح والمال معهم ولقوهم بما هالهم وأفزعهم وسلبوه خيله وخيل من معه من العبيد والخدم، وما معهم من الدروع والسلاح، وأوردوا عبيد الناصر ليسنوا على البقر بعد أن ألبسوهم الصوف وصيروهم عبرة من العبر[1].

وسار منهم من سار إلى الملك الظافر عامر بأموال كثيرة وألزمهم أن يجيئوا بالناصر ووعدهم بالعطاء الكثير، وسار إليهم مُحَّد بن قاسم عندل بالقيود وأمره أن يحتاط على الناصر ومن معه ويأتيه به.

وكان مع الإمام الناصر، نهشل بن مُحَّد بن المنتصر فأطلقوه وقالوا إن والده شفع لنا في مطالب للدولة وأعطوه عدته وجواده، وابقوا الناصر عندهم ومن اختاروه وسلبوا أجناده ولم يبقى مع الناصر في الأسر إلا عُبية الطاهري وعبدالله بن مُحَّد بن مداعس الصعدي[2].

وجاءهم الفقهاء من الزيدية فقالوا لا تخرموا المذهب وتسلموا الناصر إلى عامر بن طاهر بل سلموه إلى الإمام المطهر ولكم بذلك الأجر الوافر.

وأتى عندل بالقيود والتي كان أرسله بها الملك الظافر لتقييد الناصر والمجيء به إليه، وكان الناصر قد قيد عندل قبل ذلك في ذمار وفر وراح من حبسه، فقال للناصر: هذا جزاء ما صنعت معي.

ثم قال لأهل عرقب: إن كنتم تريدون الأموال فسلموه إلى الملك الظافر، وإن كنتم تريدون الآخرة والثواب فسلموه إلى المطهر، وكان قد خرج إليهم السيد عبدالله بن يحي وهو عندهم أكبر من يكون وخرج معه من صنعاء فقهاء وسادة لخلاص الناصر فلم يصلوا إلى هناك ورجعوا هاربين، وعادوا إلى صنعاء خائفين[3].

---

١ يُعد هذا من الغدر المعيب وما كان ينبغي لأهل عرقب أن يغدروا بالإمام الناصر ويأسروه وقد أمنوه وحلفوا له الأيمان بذلك وأضافوه، وليس ذلك من أخلاق أهل الدين ولا من أخلاق العرب والقبائل أن يغدروا بضيفهم بعد إعطاءه الأمان والحلف له على عدم الغدر وضيافته ولنا في ذلك أسوة حسنة ما فعله النبي ﷺ فقد أقر أم هانيء بنت أبي طالب رضي الله عنها عندما أجارت أحد المشركين وكان النبي ﷺ قد أهدر دمه وأراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقتله، ولكن النبي عليه السلام أقر فعل أم هانيء وأجار من أجارته وأمنته، هذا حكم من يُجير مشركاً فما بالك إن كان مسلماً، وقد نهى النبي ﷺ عن الغدر فقد روى الحاكم في المستدرك عن عامر بن شداد قال: كنت أبطن شيء بالكذاب أدخل عليه بسيفي، فدخلت عليه ذات يوم فقال: جئتني والله ولقد قام جبريل عن هذا الكرسي، فأهويت إلى قائم سيفي فقلت: ما أنتظر أن أمشي بين رأسه وجسده حتى ذكرت حديثا، حدثناه عمرو بن الحمق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إذا اطمأن الرجل إلى الرجل ثم قتله بعدما اطمأن إليه، نصب له يوم القيامة لواء غدر. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي برقم (٣٩٣/٤). وسيأتي معنا انتقام مُحَّد ابن الإمام الناصر من أهل عرقب جزاء ما صنعوه بأبيه.

٢ روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٥٢.

٣ روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٥٢.

وكتب الفقيه الذي في عرقب إلى الإمام المطهر أن يحضر ولا يتأخر لأخذ الناصر إليه، فإني قد حدثت من تولى أسره ووعظتهم وبفضلك ذكرتهم ليسلموه إليك ويصيروه في يديك، فجمع المطهر كثيراً من الزيدية واجتمع به الأشراف من أولاد يحي وأولاد الإمام، وسار مع المطهر من عيال سريح وأهل الظاهر وأهل البون وغيرهم.

فسلموا إليه الناصر وابن مداعس التاجر وعُبية من بني طاهر، وهم مقيدين مكبلين، ورجع مطهر من فوره ومضى عبر صنعاء، وقد أزمع ابن مخارش ومن معه على أن يتقطعوا للمطهر ومن معه لكي يطلقوا الناصر، إلا أنه لم يحدث ذلك حيث مضى المطهر بالناصر ومن معه من أمام صنعاء، وأهل الناصر في صنعاء ينظرون، ونساؤه تولول بأصواتها وجواريه يبكون عليه[1].

ولما وصل خارج صنعاء، أراد من فيها من عسكره الخروج لإستنقاذه، ولو كان فيه هلاكهم، وكانت الشريفة فاطمة بنت الحسن ساكنة في دار مُحَّد بن الناصر المعروفة الآن بدار الكيخيا، وقد ضاعفت الخدم على كره من مُحَّد بن الناصر ويحي الكراز المتولي لكثير من أعمال مُحَّد بن الناصر، فانتهزت الفرصة وظنت أنه يتأتى للإمام المطهر دخول صنعاء في ذلك الآوان، فأمرت خدمها أن يصيحوا باسم الإمام المطهر من سطح الدار، فانتقض على جند الناصر ما أبرموه من الخروج لتخليصه، ومرّ به الإمام المطهر من خارج صنعاء وأهله يبكون، فقصد مُحَّد بن الناصر والكراز دار الشريفة فاطمة بنت الحسن، وأرادوا الدخول عليها، فمنعهم خدمها ورموهم بالنبل والحجارة، فأحرق عليهم أصحاب الناصر باب الدار، ودخلوا عليهم وانتهبوا ما في الدار، وقام مُحَّد بن الناصر على باب المنزل الذي فيه الشريفة لمنع من يريد الدخول عليها[2].

ثم سار به المطهر إلى كوكبان، وبعد ذلك نقل الناصر من حصن كوكبان إلى حصن العروس[3] وهناك أودع أضيق الحبوس، وقيد بقيد الحديد الثقيل ولوقي بالتضييق والتنكيل وقيل إنه دخل عليه مُحَّد بن الإمام المطهر فقال: عندي لك بشارة وهدية أنبئك بها لتأسف على أيامك الهنية.

فقال الناصر: هات ما لديك من البشارة وبين لي فيها العبارة، فقال: أبشرك أن الأمير الحسين بن علي بن قاسم قد استولى على صعدة ومعه الأشراف الحمزيون.

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٥٣.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٣.

٣ العروس: جبل من بين مطر في غربي صنعاء، يحاذي جبل كوكبان من جهة الجنوب ويضم مجموعة قرى تحيطها المدرجات الزراعية الخضراء. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠٥٥/٢.

فقال الناصر: ثوب الشرف واحد وأنا لذلك غير آسف وواجد فنبئني بالهدية التي لديك وهاتها ولا لوم عليك.

فأراه قيداً من الحديد ثقيلاً قد عمل في صعدة وقال له: هذا قد عمل لتدخل فيه رجليك ثم قيده بذلك القيد الحديد[١].

أما الملك الظافر عامر بن طاهر لما علم بمصير الناصر بعد أن سار أسيراً إلى المطهر قوى المحطة على حصن هِران ورحل بعساكره عائداً إلى جبن[٢].

١ روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٨٤.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٥٥.

المبحث الثاني

سعي الملك عامر بن طاهر لفك أسر الإمام الناصر

كان الملك الظافر عامر بن طاهر قد طلب من الإمام المطهر أن يمُن على الناصر بالإطلاق ويفك عنه الوثاق أو يسلمه إليه ليكون إطلاقه على يديه وبذل له في ذلك البذايل وما يرضيه من المال الحاضر العاجل فامتنع عن ذلك الإمام المطهر[1]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مكانة الملك الظافر وعلو نفسه وسمو أخلاقه وكرم طبعه، وهذه الأخلاق هي المعهودة دوماً من الملك الظافر في كل مواقفه مع أعدائه ومن يخالفوه وإن نقضوا العهود وأصروا على حربه، ومع أن الإمام الناصر قد سعى في حربه وقاتله وحشد له العساكر والقبائل فإنه مع ذلك كله قد سعى في خلاصه وفك أسره، بل أنه استعد لبذل الأموال لأجل ذلك وطالب الإمام المطهر أن يمُن عليه ويطلقه من الأسر وهو أقرب إليه منه قرابة ونسباً.

ومما يدل على ذلك أنه كانت بينهما مكاتبات ومراسلات، فمن ذلك ما ذكره ووقف عليه المؤرخ المعاصر لهما عماد الدين إدريس ابن الأنف القرمطي من جواب الملك الظافر للإمام المطهر وقد أورده ابن الأنف القرمطي حسب قوله وسرده على التمام وهو قوله بعد البسملة والعلامة باسمه إذ كتبه الكاتب باسمه:

أدام الله علو المقام الشريف الإمامي المتوكلي ومجده وحدد سعده وجده ولا فتيء في مركز الفخار وطيب المجد والنجار، وأهديه أطيب التسليم يعم ناديه كما أعلن به مناديه، وبعد ورود كريم كتابه ورسم خطابه ونحن في جبل بعدان، بعد أن أطاع منهم كل قاص ودان، بحمدلله الملك الديان يكمنوا في الأيمان والعهود، فأمكن الله منهم الواحد المعبود وصارت أموالهم هدراً وتقطعوا شذرا مذرا ففروا ناكصين على أعقابهم ووقعوا في اليم اعجابهم فالحمدلله على ما أولى فنعم ما أولى ونعم المولى ...

ولما تصفحنا مشرفكم الكريم واسررتم فيه واعلنتم من أجل الناصر ووقوعه في شرك المهالك، فلا راد لمقدور الله سبحانه في المضايق والمسالك.

أما ما رأيتموه عليه من القيام فرضاً فلولا نحن هدمنا قواعد ملكه طولاً وعرضاً لما أمكنكم النهوض إليه ولا الإرجاف بالقدوم عليه كيف وأنتم التجأتم إلى معقل مرصد فانياً منيع وطود للعز والمنعة رفيع، وإلا

---

[1] روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٨٢.

هيهات كيف كنتم تقدمون على عرين الأسد أو ترمون بقوس العز والرأي الأسد ولولا أمر قاسر فإن عزنا بين البيع والغرب لما قضيتم من مرادكم التبع الغرب، وإن في المثل كما قيل عنقاء مغرب ولم يكن بأسره لسان يعرب، وحديث ما ترجمون من الظنون وتفرعونه من السجون فبعض الظن إثم وقصدنا الوفاء بما عاهدنا عليه أهله وعفونا عنه فعله وجهله، وقولكم أبقاكم الله تعالى لسنا ممن يبيع دينه بالدراهم والدنانير، أنسيتم اقتناص عقيلته بحيلة جمع القناطير طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ولم يعارضه الوسواس الخناس فتمثلنا بقول بعضهم:

جاء شقيق عارض رمحه * أن بني عمك فيهم رماح

أعرض فإنا أن سطونا على * طود تركنا كذرى الرياح

سل عن معالينا القنى والضبا * إن حمانا أبداً لا يباح

ذاك بحمد الله لا بحولنا * بل لمجيء ليلة بالصباح

فمن تعدى طوره جاهلاً * فعندنا سمر القنا والصفاح

وأنت يا سبط بني غالب * الحول القلب لا يستباح

فإن تعُد للفضل عدنا إلى * الإحسان جداً غير أمر المزاح

وما إنا نقترح عليكم إلزامه ما تحت فلا حاجة لنا إلى اطلاقه إلى أيدينا إلا ليبقى لآله بما يجب، فإن رأيتم إبقاء الصحب سارعتم إلى ما عولنا عليكم وفي مقابلة ذلك سوق ما وضعنا لكم وفوق ذلك إليكم، وأما خزائن الله تعالى فنعم هي مملوؤة من رحمته، وأعراض الدنيا فعلها كالنقير في جنب قدرته.

ومثلك حرسك الله تعالى من لا ينبه بالحصى ولا يقرع باب حلمه بالعصا، والسلام وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وسلم"[1].

ومن خلال هذه الرسالة التي بعثها الملك الظافر إلى الإمام المطهر، يتضح لنا أن الملك الظافر قد حرص أشد الحرص على إطلاق الإمام الناصر وقد بذل لذلك أموالاً طائلة بل إنه في هذه الرسالة التي كانت رداً على المطهر، استعد الملك الظافر أن يبذل زيادة على ما وعد، وكل ذلك لأنه كان قد قطع على نفسه عهداً ووعد ولأهل الناصر ببذل جهده لفك أسره وعودته إلى أهله كما هو واضح من الرسالة، بل إن الملك الظافر قد ربط الصحب والسلام مع المطهر بمسألة إطلاق المطهر للناصر من

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٨٤.

الأسر فقال له: "فإن رأيتم إبقاء الصحب سارعتم إلى ما عولنا عليكم وفي مقابلة ذلك سوق ما وضعنا لكم وفوق ذلك إليكم"، فلله درك أيها الظافر من ملك كريم شجاع جواد.

وكان كذلك الإمام الناصر يكتب وهو في الحبس إلى الإمام المطهر ويتلطف ويبذل له ما في ملكه وطاقته لعله يرحمه ويطلقه من السجن، ويبدو من كتاب الناصر إلى المطهر أن الناصر قد قنع من الدنيا والملك ولم يكن يريد شيئاً من الدنيا غير إطلاق سراحه وفك أسره والعيش مع عائلته وأولاده بقية العمر والعودة إلى الله وعبادته فقد رق قلبه في السجن ومال إلى اعتزال الدنيا وقد كانت رسالته مؤثرة جداً ولكن ذلك كله لم يجدي في إطلاق سراحه، وهذا نص الكتاب الذي بعثه الناصر إلى الإمام المطهر:

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وسلم أفضل التحيات وأيمن البركات، إلى وجه مولانا ووالدنا أمير المؤمنين وخليفة الرسول الأمين، وقف العبد على المسطور الكريم والمقام المقابل بالتعظيم، وما ذكره عليه السلام من وقوفي وبجنودي مدة سنين بعد التسليم لما في وسعي من الحصون والمال والأولاد والفقيه المعافى، وحاشا حسبه الشريف واصله المنيف أن يريد يعنفني ويسومني خطه الخسف بعد بذلي لوسعي ومقدرتي حاشاه ثم حاشاه ثم حاشاه، بل يختار مولانا عليه السلام لنفسه رجلاً جيداً ثقة في بعض حصونه هذه ويعدلني معه، فما بكرت تلك الليلة إن شاء الله إلا وقد وصلوا أولادي بالمال وبالفقيه المعافا إلى بين يديه إن شاء الله وأنا أبقى تحت يد العديل، حتى يصلوا الولاة ويسلموا جميع الحصون إلى يده الكريمة إن شاء الله من الحصون الشامية والظاهرية والصنعانية فإذا صارت كلها بكمالها في يده أطلقني العديل، أتوجه إلى الله لإرتاد لنفسي موضعاً من هجر المسلمين، اجمع عائلتي المتشتته وأقف بينهم بقية العمر حتى يحصل الموت إن شاء الله وأولادي رهائن معه، كما أحب في طاعات الله وطاعته، وإن خالفت وتعرضت لشيء مما كنت فيه ذبحوني كما تذبح الشاة، فحاشا لله ما عاد في نفسي شيء ولو تحرم علي الشمس بحرمتها، وأولادي أظن علي من نفسي ومن روحي وما عاد في يدي وما عاد أفعل، فأسألك بالله وبرسوله لتراجع فيّ دينك وحسبك ولا سمعت في كلام واحد، فقد استغفرت الله وتبت إليه من جميع ما كنت فيه وأنت اشفق بي وأرفق من نفسي فأرحمني واعتق رقبتي واجمع شملي بعائلتي لوجه الله، واقصد وجه الله في جمع شمل المسلمين، وحفظ هذه المعاقل وحفظ هذا المال ولا تساعد فيّ أحد فأنت أهل الفضل والمعروف وما عاد معي وما عاد في يدي اعتقل لأجله وقد هلكت وراح روحي من السجن والحبس والقيد والبرد، والحصون لا توافقني وفي

جسمي نحول وضعف وقد ذهبت قوتي وطعنت في السن كما قال الله تعالى: "قد وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً"...

فأسألك بالله العظيم ثم أسألك بالله العظيم وبكتابه الكريم وبنبيه الرؤوف الرحيم، وبما بيني وبينك من الرحم الماسة، لترق لضعفي وعجزي وتقبل مني ما في وسعي ومقدرتي ولا تسومني ما لا أقدر عليه:

إلى ها هنا أنهي حديثي وانتهى * فما شئت من أمري من الخير فاصنع

والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم قال في آخر الكتاب: والرحم الذي بيني وبينه التي توسلت بها إليه هي أن والدته صفية بنت داوود من ذرية إبراهيم بن المطهر بن يحي عليه السلام[1].

ولكن هذا الكتاب لم يؤثر على الإمام المطهر أبداً ولم يخرج الناصر من السجن، وسبب سجن المطهر للناصر أنه كان عارضه وسجن المطهر في حصن الربعة غربي ذمار[2]، ويبدو أن المطهر كان ما زال في نفسه من الحقد على الناصر منذ أن كان أسيراً لديه قبل ذلك، فقد أسر الإمام الناصر المطهر في قريش من ناحية جهران في بداية حكمه، وحبس في حصن الربعة غربي مدينة ذمار، فأنشاء الإمام المطهر القصيدة الغراء المشهورة في مدح خير الخلق سيد البرية مُحَمَّد رسول الله ﷺ، وهي طويلة قدر مائة واثنين وثلاثين بيتاً.

ماذا أقول ومـــا آتي ومـــا أذرُ* في مدح من ضُمِنت مدحاً له السورُ

عن الثنـــاءِ لمن جـــاء الثناءُ له* في معـــجزات المثاني يعجزُ البشـــرُ

من كان مادحـــهُ الديـــانُ في* سور القرآنِ فالمـدحُ إلا ذاك يُحتقـــرُ

هذا أبو القاسمِ الماحي الضلالة* ذا محمدُ المجتبـــا العاقـــبُ الطهِـــرُ[3]

وقد كان الإمام المطهر في خلال حبسه علَّم ولد والي الحصن القرآن العظيم، فاحتال الولد في فك أسر المطهر حتى خرج معه وأوصله إلى بلاده، ولم تزل الأحوال تتقلب به تارة يقوى أمره، وتارة يضعف، وتارة يجيش على صنعاء وحيناً يفتر، وقد عارضه كما مرّ معنا المهدي والناصر، فأما المهدي فقد وقع في الأسر بيد الناصر وبقي مسجوناً إلى أن توفي في سجون الناصر في سنة ٨٤٩ هـ[4]، وأما

١ روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٥٥.
٢ فرجة الهموم، العلامة عبدالواسع بن يحي الواسعي، ص٣١٣.
٣ اللطائف السنية، العلامة الكبسي، ص١٧١.
٤ اللطائف السنية، العلامة الكبسي، ص١٧٤.

الناصر فغدر به أهل عرقب ووقع كما ذكرنا في الأسر على أيديهم، ومن ثم سلموه إلى المطهر فكان في الأسر كما كان قبله من الأئمة في سجونه.

ثالثاً: موت الإمام الناصر: فكان عاقبة الناصر كمن مضى من الأئمة ممن مات في الأسر، فقد مكث في الأسر حتى عام ٨٦٩هـ وفي التاسع من صفر من هذا التاريخ توفي الناصر بن مُحَمَّد في حصن العروس في أسر الإمام المطهر بن سليمان الحمزي مكبلاً بالحديد مصفداً بالقيود لا حبيب لديه ولا وديد فسبحان الله.

"وقد طلبت والدته مريم بنت علي بن صلاح الدين بن مطهر أن يقبر في صنعاء فمن عليهم بذلك ولم يضيق به ذرعاً وما علم أن الثعالب تقتنص الأسود، ولا أن البغاث للصقور تصيد، ولا أن الهجارس تعدوا على الصيد.

فقبل الطلب وانزلت جثته إلى صنعاء، وقد شد على ظهر جمل، ومضى كأنه مما لا يكون وأوصلوه إلى صنعاء، ولما أرادوا أن يقبروه فتحوا أكفانه ووجدوه مقتولاً، وفيه طعن وضرب كان به هلاكه وما كان عليلاً.

وحضروا السادة والفقهاء وممن حضر من القبائل الرؤساء بعد أن أروا السيد عبدالله بن يحي الذي هو قدوة أهل مذهبه فشهد على ما به من الطعان والضربات وقع به وقيل أنهم أوردوه إلى بركة في العروس فيها الماء حتى ابتل دمه وغسله مُحَمَّد بن الإمام المطهر وخدمه وجعلوا في مواضع الطعنات الشمع والكافور وراموا اخفاء ما فيه وقد أذن الله له بالظهور، قالوا وتبعه مُحَمَّد بن المطهر ليرده إلى ظُلمان فوجد الجمل قد رحل به وصار في أرض همدان[١]".

وبهذا انتهى أمر الإمام الناصر وقد تولى بعده الإمامة ابنه المؤيد مُحَمَّد بن الناصر، وسيأتي معنا ذكره.

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٤، روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٥٥.

الفصل الثالث

إستيلاء الملك الظافر على صنعاء

بعد استيلاء بني طاهر على ذمار ووقوع الإمام الناصر في الأسر بيد الإمام المطهر، بدأ الملك الظافر عامر بن طاهر بالتخطيط للإستيلاء على صنعاء، وفي نفس الوقت طمع المطهر بالإستيلاء على صنعاء وبدأ العمل بذلك، إلا أن الإمام مُحَّد بن الناصر والذي تولى بعد والده، فضل التواصل مع الملك الظافر لأسباب سنبينها في هذا الفصل والذي سنقوم بتقسيمه إلى مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: **تولي مُحَّد بن الناصر الإمامة بعد أبيه**

المبحث الثاني: **استيلاء الملك عامر بن طاهر على صنعاء**

المبحث الأول
تولي مُحَّد بن الناصر الإمامة بعد أبيه

استخلف الإمام الناصر بن مُحَّد قبل أن يؤسر في عرقب ولده الشريف مُحَّد بن الناصر على صنعاء[1]، وبعد أن أسر الإمام الناصر كما مرّ معنا تولى الإمامة والحكم في صنعاء وتلقب بالمؤيد مُحَّد بن الناصر، وقد كان صغير السن لكنه كامل العقل حسن التدبير محبباً إلى الناس حسن السيرة في رعيته، وكان سيداً جليلاً وقوراً نبيلاً[2].

وعلى الرغم من صغر سنه إلا أن رجال أبيه التفوا حوله وساندوه، واستطاع الإمام مُحَّد بن الناصر إحكام قبضته على صنعاء، على الرغم من وجود الكثير من المؤيدين والمناصرين لإمامة المطهر داخل مدينة صنعاء، ومنهم الشريفة فاطمة بنت الحسن التي أفشلت محاولة إطلاق الناصر من الأسر[3].

وذلك أن الناصر لما وصل به المطهر خارج صنعاء، أراد من فيها من عسكره الخروج لإستنقاذه، ولو كان فيه هلاكهم، ولكن الشريفة فاطمة بنت الحسن أمرت خدمها أن يصيحوا باسم الإمام المطهر من سطح الدار، فانتقض على جند الناصر ما أبرموه من الخروج لتخليصه، ومرّ به الإمام المطهر من خارج صنعاء وأهله يبكون، فقصد مُحَّد بن الناصر والكراز دار الشريفة فاطمة بنت الحسن، وأرادوا الدخول عليها، فمنعهم خدمها وجرى بينهم مناوشة انتهت، بدخولهم دار الشريفة ونهبها، ومنع مُحَّد بن الناصر من يريد الدخول عليها[4]، فكان أول أعمال المؤيد مُحَّد بن الناصر بعد أسر والده قمع التمرد الذي كان من الشريفة فاطمة بنت الحسن، وضبط أمور صنعاء الداخلية فقد انحصرت دولته داخل حدودها فقط.

ثم إن مُحَّد بن الناصر لم ينسى ما صنع أهل عرقب في والده من خيانته والغدر به وتسليمه للمطهر، فقام بالثأر لأبيه ممن غدر به من أهل عرقب، فقد غزا أهل عُرقُب، فقتل منهم قتلاً ذريعاً كاد يستأصل جمعهم، فقال في ذلك السيد العلامة مُحَّد بن عبدالله الهادي بن إبراهيم الوزير، القصيدة المشهورة في ذلك أولها:

---

١ صراع الطاهريين مع أئمة الزيدية، علي هادي الطياري، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ كلية الآداب جامعة عدن، ٢٠١٣م، ص٨١.
٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٣.
٣ صراع الطاهريين مع أئمة الزيدية، علي الطياري، ص٨٢.
٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٣.

نقمتَ بثأرِ الديــن أهل عرقــب * وأشبعتَ منهم كل طير بموقــبِ
وصبحتهــم بالمرهفـات وبالقنـــا * وقُدت إليهم موكباً بعد موكـــبِ
يدينـون أن الغـــدر عـــارٌ وسبـــةٌ * ويستنكرون العيب من كل أعيب
فلا عيب إلا دون عيب ابن راشدٍ * وأعوانه الأشرار من أهل عُرقــب
توالوا على فعــلِ القبيح وأجمعــوا * على الغدر بالملك الأغر المحجب
حميد السجايا الناصر بن محمـــدٍ * وغوث البرايا في الزمان المقطــبَ
هُمُوا نقضوا الأيمان من بعد عقدها * وحلوا عن الأيمان من غير موجبِ
وهم ساعدوا عمران فيما يريـــده * وعمـــران صرفٌ في ضلالتـه غب
فقلنا لهم في منطق الغيـــب ثائـرٌ * ولكـن لا تدرون مـــا في المغيـب
مؤيـد دين الله جـــاء من ذمـاره * وواسطة النقصان من خير منصب[1]

ويُذكر أن الإمام محمد بن الناصر بن محمد قد تملك غالب جبال اليمن، وعارضه في بلاد صعدة فقط عز الدين بن الحسن بن الهادي، وأما صنعاء وأكثر الجبال فالنفوذ لابن الناصر[2].

١ اللطائف السنية، محمد بن إسماعيل الكبسي، ص١٧٦.

٢ خلاصة من تاريخ اليمن، محمد بن أحمد الحجري، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، ص٢٥.

المبحث الثاني

استيلاء الملك عامر بن طاهر على صنعاء

بعد أن استولى الملك الظافر عامر بن طاهر على مدينة ذمار وحصن هران الذي فرّ منهما الإمام الناصر بن مُحَّد، بدأ الظافر بتجهيز جيشاً كبيراً وإعداد العدة للإستيلاء على صنعاء، خاصة وأن الطريق قد مهد له ولم يبقى أمامه من مدن أو محطات أي شيء في سبيل الإستيلاء على صنعاء فقد سقطت مدينة ذمار وحصن هران بيد الظافر، وأسر الإمام الناصر وهو حاكم صنعاء وتحطم جيشه تماماً بعد الهزيمة التي مُني بها في ذمار ووقوعه في الأسر في عرقب.

وتُشير بعض الروايات إلى أن الملك الظافر إنطلق نحو صنعاء في شهر شوال من عام ٨٦٦هـ، وعند وصوله إلى صنعاء ضرب عليهم طوقاً شديداً بجيشه الجرار مما أضعف أهلها عن الصمود وأعجز الإمام المؤيد مُحَّد بن الإمام الناصر بن مُحَّد عن المقاومة، واضطر إلى مصالحة الملك الظافر عامر بن طاهر على تسليم صنعاء مقابل خمسين ألف دينار، ودفعها إليه الملك الظافر وعلى أن يبقى الأمير المؤيد في قصره بصنعاء، ليس له من الأمر شيء[١]، وكذا يبقى لأصحابه وفي مقدمتهم مُحَّد بن عيسى شارب حصن ذي مَرْمرْ[٢] وحصنان آخران في المنطقة، ووافق الملك الظافر عامر الأول، وعقد الإتفاق بينهما على ذلك، وكان الإمام المؤيد قد تولى بعد أبيه، وكان صغير السن لكنه كامل العقل حسنُ التدبير محبباً إلى الناس حسنَ السيرة في رعيته[٣].

وهناك رواية أخرى تقول بأن الإمام مُحَّد بن الناصر هو من طلب الملك الظافر بأن يأخذ صنعاء، خشية من الإمام المطهر وخوفاً منه من أن يهجم من كوكبان على صنعاء[٤]، خاصة وأنه لم تبقى له القوة الكافية للتصدي للمطهر بعد أن فقد الإمام الناصر قواته أمام الملك الظافر في ذمار، وممن قال بهذا القول العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي وكذلك المؤرخ عماد الدين ابن الأنف القرمطي[٥]

١ التاريخ العامر لليمن، مُحَّد يحي الحداد، ٢٢٣/٣.

٢ ذي مَرْمر: حصن تاريخي شهير في وادي السّر من مديرية بني حشيش وأعمال محافظة صنعاء، يبعد عن صنعاء بمسافة ١٥ كيلو متر بالشمال الشرقي، وقد ورد اسم الحصن في عدد من النقوش القديمة، ويطلق اسمه اليوم على مركز إداري يضم قرى الحتارش والمَحجل وشبامسُخيم والشعاب والأسداد والعويراء وهي مناطق كثيرة الزروع خاصة الأعناب. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٤٩٤/٢.

٣ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٨٤.

٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٤.

٥ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي، ص٢٤٨، روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٦٠.

وهذان المؤرخين ممن عاصر حكم الملكين الظافر والمجاهد، فقد ذكر العلامة المؤرخ كمال الدين الذؤالي هذه الرواية فقال: "فلما رأى الإمام مُحَّد بن الناصر إقبال دولة المطهر .. فكان من الحال راسل الملك الظافر وحصل الإتفاق على تسليم صنعاء فوافقه الملك الظافر على ذلك، وسلم إليه صنعاء في شهر شوال من سنة ٨٦٦هـ، فأرسل من يقبضها فدخلها وقرر حالها، وقرر ابن الناصر فيها ورتبوا له من خراج البلد ما يكفيه، وتولاها الشيخ عفيف الدين عبدالوهاب مدة، ثم استدعاه الملك الظافر، ولم يزل الملك الظافر يولي فيها بعد أمير وابن الناصر بها"[١].

وهذا ما ذكره العلامة مُحَّد بن إسماعيل الكبسي في تاريخه اللطائف السنية فقال: "وفي شوال استولى الظافر على صنعاء طوعاً ودخلها في سنة ٨٦٧هـ، ثم دخلها الشيخ عبدالوهاب بن داود من جهة عمه، وكان فيها من قبل السيد المؤيد مُحَّد بن الناصر، تولى بعد أبيه، فلما حط عليها عامر بن طاهر، وضعُف أهلها من الحصار، ترجح له بيعها من عامر بمال كثير وشرط عليه أن يبقى في صنعاء، ويبقي حصونه في ذي مرمر، والفُصين[٢] بيد أصحابه، ويبقى في المدينة من جملة أهلها[٣]".

وأما رواية المؤرخ ابن الأنف وهو من المعاصرين لتلك الأحداث فقد ذكر أن ابن الناصر والكراز قد خافا من الإمام المطهر أن يستولي على صنعاء، وأن يكون له فيها الظفر وقد أساءا إلى ابنة الحسن ولا يأمناها أن ظهر المطهر، فجرت المكاتبة بينهما وبين عامر بن طاهر في تسليم صنعاء إليه، وأن يسلم بهما من الدراهم خمسين ألف دينار، ولمن لديهما من السادة وأهل الدولة الكبار.

فأجابهما إلى ذلك عامر ولم يتوانى عن ذلك وما تأخر، وكانت تلك المساعي بواسطة يحي الكراز، وقالوا يكون ابن عدلان صاحب جنات البون[٤] العديل، وأصدر إليه الكراز أن يبادر بالوصول فوصل

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٥/٦، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي، ص٢٤٨.

٢ الفُصين: حصنان يقال لأحدهما الفُص الكبير والآخر الفُص الصغير، ويعتقد أنهما بالقرب من جبل ذي مرمر بني حشيش وأعمال صنعاء، بينما يرى البعض أنهما بجوار جبل كوكبان، ولم يعد الإسم معروفاً اليوم وقد كان لهما ذكر في القرن السادس الهجري حيث تحصن بهما السلطانين علوان وعمر ابني السلطان حاتم الحاتمي في مواجهة قوات طغتكين الأيوبي. أنظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، الحجري، ٦٣٥، معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٢١٦/٢.

٣ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٨٤.

٤ جنات البون: مدينة أثرية هامة في قاع البون، تقع بالشمال الشرقي من مدينة عمران بمسافة نحو ثلاثة كيلو متر، تشتهر بمعالمها الأثرية وقصورها وقلاعها ومعالمها التاريخية، ويقال انها سميت بهذا الأسم لأنها كانت مشهورة بالزراعة وبكثرة اخضرار أرضها نتيجة تدفق المياه والغيول، ويوجد في مدينة الجنات الكثير من المعالم الأثرية ومنها القصور المبنية من الطين والمزخرفة بمادة الجبس والنورة البيضاء، كما توجد العديد من مدافن الحبوب، ويحيط بالمدينة القديمة سور أثري عبارة عن مباني من القصور والمنازل المتراصة حول بعضها بشكل دائري، ويحكم هذا السور بوابتان كبيرتان محكمتا البناء ومحصنتان بأبواب خشبية، وتوجد في رأس جبل الجنات مآثر قصور قديمة وعدد من البرك والأحجار المنقوشة بالكتابات الحميرية والسبئية. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٣٥٦/١.

القلعة ثم إلى صنعاء، فقام مفتاح العديل في القصر، وقال إنا حافظون له بالغلبة والقهر، ومنع الكراز وقد دخل إليه الخروج وقال إنك لا تخرج عن القصر.

وقال إنا نحفظ هذا القصر حتى نأخذ من الناصر الأمر وإلا فمطهر أولى به أو لا نصده عن دخول بابه، فخرج ابن الناصر ووالدته وصاحوا بابن مخارش ومن معه بالمعونة، وقالوا لا يمنعنا مانع دونه وقام من بقي من الدولة مع ابن الناصر، وقالوا لا نخالف قوله ولا نغادر.

فخرج الحويلي عن صنعاء شارداً، ورجع الكراز إلى ما كان عليه من الحديث معاوداً فوصل علي بن الحسين صاحب رَخَمة[1] إلى يحي الكراز وحده، وقال قد أرسلني عامر إليك فإن كنت صادقاً سلمت إلي قصر صنعاء وإلا رجعت وحدي ولم يشعر أحد بورودي.

وقد وصل بكتاب الملك الظافر إلى يحي الكراز وطلب منه التمام والإنجاز، فأخرج ابن الإمام ووالدته وما كان معهما من القصر وأوفى بتمام الأمر، وكان النوح والعويل في قصر صنعاء، وصاروا إلى بيت مُحَمَّد بن الناصر وسكن فيه ابن الناصر ووالدته مريم بنت علي بن صلاح، وتسلم قصر غمدان[2] علي بن الحسن الرخمي للملك الظافر، فاستخدم من قد عرفه خدم مع عامر ممن وجده من رتبة القصر من أهل الظاهر، وأرسل إلى علي بن الحسن أمير همدان أن بادروا إلي بهمدان، فإني على غير أمان لتحفظ القصر حتى يصل العلم من الملك الظافر بلا توان، فأمر علي بن الحسن بمائتي فارس من همدان[3]، فدخلوا قصر صنعاء آزال[4] وضربت الطبلخانة ودعوا بالنصر للملك الظافر ذلك الآوان، وصاحوا لمن في صنعاء ومن ورد إليها عن عامر بن طاهر بالأمان.

---

١ رَخَمة: قرية كبيرة في منطقة منقذه من مديرية عنس في الشرق الشمالي من مدينة ذمار بمسافة خمسة كيلو متر، وهي قرية غنية بالآثار الحميرية، وكانت تعرضت للخراب في سنة ٩١٠هـ، على يد الأمير مُحَمَّد بن علي القملي من رجال الدولة الطاهرية، وذلك لعدم إلتزام أهلها بدفع الواجبات، ثم عادت إليها الحياة. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٨٠/١.

٢ قصر غمدان: قصر قديم البناء في مدينة صنعاء ما زالت آثاره قائمة إلى اليوم، شرقي الجامع الكبير في سفح جبل نقم، يقال أن بانيه هو إيل شرح يحضب بن فرع ينهب الملك الخامس من ملوك سبأ وذي ريدان ١٥ ق.م، كان قصراً شامخاً متسعاً ذكر الهمداني أنه كان عشرين سقفاً أي عشرين طابقاً كل سقف عشرة على أذرع، وكانت غرفة الرأس العليا مجلس الملك أثني عشر ذراعاً، عليها حجر من رخام شفاف، وكان في زوايا القصر أربعة أسود من النحاس خارجة صدورها، فإذا هبت الريح في أجوافها زأرت كما يزأر الأسد، ويرجع تاريخ تهدم قصر غمدان إلى أوائل القرن السادس الميلادي، وذكر الحجري أنه خرب في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد نقلت أحجاره واسطواناته وبعض النقوش لبناء الجامع الكبير في أيام الدولة اليعفرية الحميرية، وبقايا القصر اليوم هي مخازن للدولة، وداخله مخبز للجيش ومسجدان، ويعرف باسم قصر السلاح. أنظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، الحجري، ص٦٢٦، معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١١٨٤/٢.

٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٤، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٠.

٤ قصر صنعاء آزال: هو قصر غمدان ويسمى قصر أزال نسبة إلى الأسم القديم لمدينة صنعاء، وقيل سميت نسبة إلى بانيها أزال بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٥/١.

وقامت لعلي وعامر ابني طاهر الخطبة في الجامع وملكا صنعاء، وكان تسلم والي الملك الناصر في آخر يوم من شهر رمضان سنة ٨٦٦هـ، والخطيب هو خطيب الناصر وهو عبدالرحمن بن مُحَمَّد الشاوري، وصار وقت أخوهما الأصغر ومذهبهما مذهب الشافعي، وكان أبوهما وجدهما يداريان[١].

وبالجمع بين هذه الروايات يكون الأقرب إلى الصواب إلى أن قد تم إلى تسليم صنعاء طوعاً وصلحاً، ومع ذلك لا يمنع ذلك من أن الملك الظافر قد صعد إلى صنعاء عند استلامه لها بجيش، وأعدة العدة تحيطاً لما قد يحصل من مكيدة أو هجوم سواءً من قبل المؤيد بن الناصر أو من قبل الإمام المطهر، ثم إنه قد ضرب كذلك الحصار على صنعاء حتى يتم الأمر له، ثم أخذها صلحاً مع الإمام مُحَمَّد بن الناصر حقناً للدماء.

ويبدو من خلال الجمع بين المصادر التاريخية التي ذكرت هذه الواقعة، أن الإمام مُحَمَّد بن الناصر خشي على نفسه من الإمام المطهر، فراسل هو وابن الكراز الملك الظافر، فأرسل الملك عامر من قبله في آخر شهر رمضان وبداية شوال سنة ٨٦٦هـ من يتأكد من ذلك يقبض صنعاء، وقد اشترط لنفسه عدة أمور ويبدو أن الملك الظافر قد اختصه بأمور كثيرة كذلك وقد خرج الإمام مُحَمَّد بن الناصر من خلال تسليمه صنعاء للملك الظافر بالنقاط أو النتائج الآتية:

١. يكون للإمام مُحَمَّد بن الناصر الحصون والقرى والمعاقل التي تم الإتفاق عليها بين الطرفين، وكذا يبقى لأصحابه وفي مقدمتهم مُحَمَّد بن عيسى شارب حصن ذي مرمر وحصنا الفُصين وهما في نفس المنطقة.
٢. يحق للإمام مُحَمَّد بن الناصر أن يبقى في صنعاء بقصره، غير أنه لا يكون من أمر صنعاء أي شيء، فلا يتدخل في شؤون الحكم والتي يختص الأمير المعين من قبل الملك الظافر.
٣. يدفع الملك الظافر للإمام مُحَمَّد بن الناصر مبلغ وقدره خمسين ألف دينار مقابل تسليم صنعاء.
٤. بعد دخول الملك الظافر إلى صنعاء والإتفاق مع الإمام مُحَمَّد بن الناصر رتب له من خراج البلد ما يكفيه واتباعه.
٥. يبدو كذلك أن الإمام مُحَمَّد بن الناصر قد طلب من الملك الظافر أن يسعى في إطلاق والده من سجن الإمام المطهر، وقد وعده الملك الظافر بذلك وفعلاً سعى في إطلاق الإمام الناصر وقد حاول بذل الأموال للإمام المطهر لإطلاقه إلا أنه رفض إطلاقه كما مرّ معنا.

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٠.



قصر غمدان في شعوب صنعاء القديمة والمسمى حاليا دار السلاح



سور صنعاء القديمة وباب اليمن



لوحة بالخط المسند في بوابة قصر غمدان بصنعاء

دخول عبدالوهاب بن داود صنعاء: بعد أن تسلم علي بن الحسن الرخمي صنعاء من الإمام مُحَمَّد بن الناصر في شهر شوال سنة ٨٦٦هـ، كان يعتبر أول والي يتولى صنعاء من قبل الدولة الطاهرية، وبعد أن استتب الأمر للملكان المجاهد والظافر على مدينة صنعاء، ثم دخلها عبدالوهاب بن داود بن طاهر متولياً أمرها من قبل عمه الملك الظافر[1].

فأرسل الملك الظافر ابن أخيه الشيخ عبدالوهاب بن داود والياً على صنعاء، "وأقام همدان مع والي قصر غمدان حتى وصل عبدالوهاب بن داود بن طاهر، ثم جاء معه من الجنود والعساكر فدخل صنعاء على حين غفلة، وجاء علي بن الحسين في عسكر وافر من همدان، فألتقاهم عبدالوهاب إلى الميدان فآنس بهم وكان كالهايب، ووردت إليه بعد ذلك من جميع الجهات المراكب، وباتوا جميعاً في قصر صنعاء وخضع جميع من حولها كرهاً وطوعاً، وأقام عبدالوهاب في عبدالوهاب في صنعاء أياماً ثم رجع إلى عند عامر بن طاهر إلى المقرانة[2].

دخول الملك الظافر عامر بن طاهر إلى صنعاء: ومكث الملك الظافر إلى شهر شوال سنة ٨٦٧هـ، وطلع صنعاء في عساكر جمة قيل أن الخيل تزيد على ألف فارس، وأما الرجالة فلم يستطع أحد حصر عددهم لكثرتهم، ولقيه الأمير علي بن الحسن إلى حزيز في ألف راجل من همدان أو يزيدون في سبعين فارساً، فأعجب عامر ومن معه بعسكر همدان وما لهم من الزهو الذي لا يوجد مع غيرهم[3].

وقد وقف عامر عن الركوب، فلما سلموا عليه وعرضوا بين يديه، قرّب علي بن الحسن إليه وركب عامر وسار الناس، وأراد همدان أن يكونوا حول عامر، فمنعهم من حوله من العساكر وكاد أن يكون بينهم التحاجز والتنافر، فأمر عامر جنده أن يخلوا عسكر همدان عنده، فسار الناس وبعدوا عنه وقرب إليه همدان وهو على الحمل في المحمل فرفع الستاير وجعل يحدث من قرب إليه من همدان ويؤنسهم.

ودخل مُحَمَّد بن داود بن طاهر بجنده في أول العساكر وتلاه أخوه عبدالملك بن داود بن طاهر، ومع كل واحد جملة من الجنود ومضافاً إليه من الجند الوافر، وتأتي الناس كل بمن ينضاف إليه، ثم دخل عامر وهمدان بين يديه، فكان ذلك كما يقال يومٌ عظيم البهاء والهيبة والإقبال والزهاء، وعبر أهل الخيل بالموكب في الميدان.

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٩.
٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٤، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٤.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٧٢، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٤.

وكان مُحَمَّد بن داود القادم للفرسان وأخوه عبدالملك خاتمهم في ذلك الآوان فعجب الناس لفروسيتهما وحسن هيئتهما، ثم تقدمت القبائل بالخيل أولاً بأول ودخلوا الميدان جملاً، ودخل الملك الظافر قصر آزال وأدخل معه علي بن الحسن، فحين انتهيا إلى المنظرة العليا التي كان الإمام يقف فيها وملوك صنعاء، قال عامر بن طاهر لعلي بن الحسن: نصلي ركعتين شكراً لله إذ وصلنا هذا المكان، وأزال عنا أعدائنا أهل الجور والعدوان، فصلى كل واحد منهما ركعتين وحمد الله تعالى إذ أزال أهل العدوان في الجانبين[1].

وكتب عماد الدين أدريس بن الأنف القرمطي تهنئة للملك الظافر بأبيات شعرية بمناسبة استيلائه على صنعاء وقصر آزال[2]، قال فيها:

هنيئاً لقد أولاك خالقك النصــــرا * واعطاك صنعاء المدينة والقصرا

مدينة سام ملك أبنـــاء تبـــع * وتلك التي كانت تفوق على مصرا

إذا افتخرت أملاك كسرى وقيصر * فليس يداني من يفاخرك الفخرا

ومن في الملوك الأولين إذا علوا *كمثلك يا من فاق كل الورى قدرا

رفعت العلا يا عامـــــر وعمرتها * فمد إلـه العالميــن لك العمــرا

فمالك إلا صنوك الملك حسبه * إذا ذكرت الأملاك وافتخروا واطرا

لقد زينتما الدنيا وشيدتما العلا * واسستها التقوى واعليتـما الذكـرا

ملكتم زبيداً ملك غسان عنوة * وقد حزتما صنعاء وانتم بها أحرى

فجاءت بلا كره إليكم مطيعـة * ولو صعبت حزتم ممالكهـا قهــرا

وأنت الذي شردت مالك ملكها * وطردت حتى صار من جملة الأسرى

تطاول حتى طلت قدراً وفقتـــه * علــوا ولمــا طال اكسيته قصرا

لك اليمن الأعلى مع الأسفل الذي * ملكت فما ملك الشام ولا بصرى

غدا كل من عاداك في شر حاله * وصارت يداه من ممالكـــه صفــرا

وهل لبغات الطير في الجو منقذ * إذا هي لاقت حين فارقت الصقرا

فأنك ليث من مخالبك القنا * وبيض الظبا صارت لك الناب والظفرا

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٧٣.

٢ هو ما يعرف الآن بقصر غمدان.

فلا عار أن ذللت كل معانـد * عليـه ولا ينجيه منـك إذا فـرا
هناء كما ابني طاهر بن معوضة * لقد حزتما ما لم يحز ملك قهـرا
ملكتم زبيد ثم صنعاء وبعدهـا * مع عدن تلك التي عظمـت قدرا
وفاقت ذمار حين قام خطيبها * لذكركما يا حبذا تلكما الذكـرا
كما بكما عزت تعـز وجبلـة * وهل كتعـز العـز في المدن الكبرى
فإنكما اعليتما كل مفخـر * ودوختما بالصارم القاطع الشحرا
وسقتما الجيش العرمرم للربـا * وافعمتما بالعسكر البر والبحـرا
ودوخهما الملك الممجد عامـر * وطبقها الجيش الكبير الذي جرا
وسار إليها فاستطاعت لأسره * ولقي بها الباغين حين عبت أمرا
وتلك خيار الأرض لا شيء مثلها * ومن حولها الأنهار والروضة الخضرا
وطيب هواها لا يقاس بغيرها * إذا هبت الأرواح وانتشرت بشـرا
فحمداً لرب العالمين فإننـا * سجدنا له إذ جاءنا علم ذا شكرا [1]

ثم أناب الملك الظافر عامر بن طاهر فيها الأمير مُحَمَّد بن عيسى البعداني وغادرها إلى بلاده في جبن ثم عاد على عدن[2].

وكان الإمام المؤيد مُحَمَّد بن الناصر بعد هذا الإتفاق الرجل المقدم للدولة الطاهرية في الجهات التي تلي صنعاء من جهة صعدة واليمن الأعلى، وقد "أقطع بنو طاهر ابن الإمام الناصر قرى ومعاقل كثيرة وجعلوه مقدماً فيها"، أما بالنسبة لمدينة صنعاء فقد شرط عليه الملك الظافر أن يبقى في داره في صنعاء، ويبقى في حصونه ذي مرمر والفُصين بيد أصحابه ويبقى في المدينة من جملة أهلها[3].

تعيين يحي بن الكراز نائباً لحاكم صنعاء: مرّ معنا أن الذي سعى للصلح بين الإمام مُحَمَّد بن الناصر والملك الظافر وتسليم صنعاء إليه الشيخ يحي الكراز، ومن هنا تجذرت العلاقة بين الكراز والدولة الطاهرية وقويت الصداقة بينهما مما جعل الملك الظافر عامر بن طاهر يستعين به في أمور صنعاء

١روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص١٦٢.
٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٦.
٣ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٨٤.

وشؤون الحكم، ففي سنة ٨٦٨هـ، "سار يحي الكراز إلى بني طاهر بهدايا عظيمة من الخيل والسروج والعدد، فأكرموه غاية الإكرام، وجعلوه مشاركاً لنائبهم في صنعاء، وهو مُحَّد بن عيسى البعداني[1]".

وبالنسبة للإمام المؤيد فإنه لم يكن له من الأمر شيء في صنعاء بل أنه كان ماكثاً في قصره في صنعاء، وقد اشتغل الإمام المؤيد بعد استيلاء الطاهريين على صنعاء بالدروس والعلوم الشرعية في جامعها وهو الجامع الكبير بصنعاء[2].

العوامل التي ساعدت الدولة الطاهرية للإستيلاء على صنعاء:

لا شك أن هناك عوامل ساعدت الملك الظافر عامر بن طاهر للإستيلاء على صنعاء، فلا يتحقق أي نصر وتمكين إلا بأسباب وعوامل أدت إليه، ومن أهم العوامل التي ساعدت الدولة الطاهرية للإستيلاء على صنعاء:

١. سقوط مدينة ذمار بيد الدولة الطاهرية وكانت تعتبر بمثابة خط الدفاع الأول للإمام الناصر، وانهيار الناصر وقواته وعدم تماسكها لمواجهة قوات الدولة الطاهرية، ويتضح ذلك من انسحابه غير المرتب من ذمار.

٢. في المقابل استطاع الملك عامر بن طاهر بقوة شخصيته وسيطرته على الموقف وهدوء أعصابه أن يجمع قوات عسكرية كبيرة جداً من رجاله وقبائله وحلفائه في كل مكان، فلم يستعجل بالإنتقام مباشرة باسترجاع ذمار بل تريث حتى يُعد نفسه جيداً ويجهز القوات اللازمة لذلك.

٣. وقوع الإمام الناصر في الأسر والغدر به من قبل أهل عُرقب، أربك الموقف كثيراً فلم يتوقع ابنه المؤيد ورجال دولته أن يؤسر خاصة وأنه وقع في يدي ألد أعدائه وهو الإمام المطهر، والذي كان سجيناً سابقاً لدى الناصر.

٤. خوف المؤيد ابن الناصر ورجال دولته من بطش المطهر بهم خاصة بعد وقوع الناصر في الأسر، وظهور تمرد الشريفة بنت الحسن والذي يدل على وجود معارضة قوية داخل صنعاء، قد تساعد على وقوع صنعاء بيد المطهر في أي لحظة.

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٦، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٩٧.

٢ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٨٤.

٥. بعد استيلاء الدولة الطاهرية على ذمار وانهيار قوات الإمام الناصر ووقوعه في الأسر، فقد ابنه المؤيد الذي خلفه في حكم صنعاء كل المقومات العسكرية التي تساعده على المقاومة، خاصة وأنه لم يتبقى أمامه للدفاع عن صنعاء سوى أسوارها.

٦. الإنقسامات بين أئمة الزيدية، والتي ظهرت واضحة من تحالف جميع الأئمة مع الدولة الطاهرية للقضاء على الإمام الناصر، فقد استغل الملك عامر بن طاهر ذلك جيداً، خاصة وأن جميع حلفائه من الزيدية لديهم خصومة وعداوة سابقة مع الناصر بسبب بطشه بخصومة ومناوئيه.

٧. أيضاً من العوامل المهمة التي أدت إلى استيلاء الدولة الطاهرية على صنعاء، أن الملك عامر قد سهل عملية المفاوضات مع ابن الناصر، وعبر وسطاء من رجال دولة الناصر كابن الكراز وغيره، فقد وافق على جميع شروطه بما فيها استقراره في صنعاء والسعي لفك أسر والده، وإبقاء بعض الحصون لأنصاره.

ولا شك أن هذا الإنتصار كان من العوامل المهمة لإستقرار الدولة الطاهرية ودافعاً لها لزيادة رقعتها ومساحتها على حساب الآخرين، والتقليل من أهمية القوى الأخرى المنافسة لسلطانها، وهذا ما دفعهم للسيطرة على الحصون المحيطة بصنعاء كما سيأتي معنا.

الباب السادس

الأوضاع السياسية بعد استيلاء بني طاهر على صنعاء

بعد أن استولى الملكين المجاهد والظافر على مدينة صنعاء وترتيب شؤون الولاية فيها، بدأت الدولة الطاهرية في التوسع بإتجاه المناطق التي حول صنعاء لتأمين مدينة صنعاء، وكان المفترض أن تستقر أحوال اليمن ويبدأ الملكين في إجراءات الإصلاحات الإقتصادية الداخلية للبلاد، والإلتفات لأمور الحكم الأخرى، إلا أنهما قد واجها تمرد الإمام الناصر في صنعاء لإستعادة ملك أبيه، لذا فإننا في هذا الباب سنتكلم أولاً عن توسعات الملك الظافر ومد نفوذ الدولة الطاهرية إلى المناطق والحصون المحيطة بصنعاء، ثم نتكلم فيه عن تمرد الإمام الناصر وإستعادته لمدينة صنعاء ومقتل الملك الظافر خلال محاولاته العديدة لإسترداد صنعاء، ثم نبين في فصل ثالث التمردات القبلية التي قامت بعد مقتل الملك الظافر، وتصدي الملك المجاهد لها، ثم نبين في فصل رابع وفاة الملك المجاهد ونبرز فيه أهم الآثار التي تركها بعد وفاته، ثم نختم هذا الباب بذكر العلاقات الخارجية مع الدول المجاورة للدولة الطاهري، وعلى ذلك سنقسم هذا الباب إلى خمسة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: التحركات السياسية والعسكرية بعد الإستيلاء على صنعاء

الفصل الثاني: إستعادة الإمام الناصر صنعاء ومقتل الملك الظافر

الفصل الثالث: الأوضاع السياسية بعد مقتل الملك عامر بن طاهر

الفصل الرابع: وفاة الملك المجاهد علي بن طاهر

الفصل الخامس: العلاقات الخارجية في عهد الدولة الطاهرية

الفصل الأول
التحركات السياسية والعسكرية
بعد الإستيلاء على صنعاء

كانت هناك عدة تحركات سياسية وعسكرية من قبل نواب الدولة الطاهرية في صنعاء والمناطق المحيطة بها وذمار وكذلك صعدة، وكان الهدف من تلك الأعمال التي سعت الدولة الطاهرية لتحقيقها هو تأمين مدينة صنعاء، وذلك بالسيطرة على الحصون والقلاع والمناطق المحيطة بصنعاء، ومن ثم التوسع بإتجاه مناطق شمال اليمن كالمحويت والجوف وصعدة، وذلك لإكتمال توحيد اليمن بأكمله تحت مظلة الدولة الطاهرية، إلا أن التمردات القبلية المستمرة في المناطق الوسطى وتهامة لم تساعد الدولة الطاهرية لتحقيق ذلك الهدف، وفي هذا الفصل سنبين فتح الملك الظافر للحصون التي حول صنعاء، ومساعيه للتوسع في مناطق أخرى في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: الإستيلاء على الحصون العسكرية حول صنعاء

المبحث الثاني: محاولة الإستيلاء على حصن ذي مرْمر والجوف

المبحث الأول

الإستيلاء على الحصون العسكرية حول صنعاء

في هذا المبحث سنبين إستيلاء الدولة الطاهرية على أهم الحصون العسكرية حول صنعاء، وهي حصون حدة وذهبان وبَراش والأسلاف وخربة جهران وتلمص.

فبعد إستيلاء الملك الظافر على صنعاء ودخوله إياها في شهر شوال سنة ٨٦٧هـ، أقام في صنعاء أياماً وأمر بحصار ذهبان[١]، وفيه قوم خالفوا على الناصر إلى مطهر رئيسهم رجل يدعى ابن حدب، ثم أنهم انتهبوا الطرقات وفعلوا في إخافة السبيل الأفعال المنكرات، فأمر بخراب وادي ذهبان وما فيه من مزارع وبستان ولزم جماعة وسيرهم مصفدين[٢]، ويبدو أن الملك الظافر قد أرسل بهؤلاء الأسرى إلى مقر حكمه المقرانة، لأنه أطلقهم من هناك عندما نزل أمير همدان إلى الملك الظافر بالمقرانة للسعي في إتمام الصلح بين زعيم همدان والدولة الطاهرية، كما سيأتي معنا.

الإستيلاء على حصن حدة: وأما قرية حدة[٣] فإن الملك الظافر عندما انتهى من تأديب قاطعي الطريق الذين من ذهبان، توجه نحو حدة "وأمر أمرائه فحطوا على معمر حدة، وقاتلوا عليها وأرادوا قطع أشجارها وما فيها فنادى أهلها بجملة من المال، ودخلوا في الطاعة تحت من أقيم عليهم من العمال[٤]، وسير القبائل من عسكره مُحَمَّد بن عيسى واليه فطلعوا حضور وانتهوا إلى البون وعادوا إلى صنعاء، وهو قد أزمع على السير إذ كان أصحاب الحبيشي وأهل بعدان قاموا للخلاف وأخذوا حصوناً[٥]".

---

١ ذهبان: قرية من مديرية بني الحارث في شمال صنعاء ما بين ثُقْبان والجراف، وقد طغى عليها العمران واتصل بصنعاء، نسبت إلى ذهبان بن نوف بن ثعلبان بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن حمير بن سبأ الأصغر. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٦٥٣/١.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٤، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٢.

٣ حدة: قرية في سفح جبل عيبان، بالطرف الغربي من مدينة صنعاء، كان بها غيل مشهور يعرف بغيل حُميس، منبعه من العين في رأس حده، وبجواره طاحون قديم يشتغل على قوة الماء الخارج من أسفل البركة المعمورة تحت العين، إلا أن العين قد جف، وكانت حدة مسكن العديد من العلماء في القرن السادس الهجري. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٤٣٣/١.

٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٤، روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٧٢.

٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٧٢.

الإستيلاء على حصن ذهبان: في آخر سنة ٨٦٧هـ، خرج ابن حدب من ذهبان ليلاً فاتجه إلى الإمام مطهر وإلى الأمير الحسين بطلب النصرة فلم يجد من أحد منهما مسرة، فأيس مما رجاه[1]، وهو يحاول أن يكسب دعمهم لقتال الدولة الطاهرية.

ولماّ لم يجد فائدة منهما، علم أنه لن يستطيع مواجهة الدولة الطاهرية بقوتها وجيوشها وحلفائها، "فعاد إلى قلعة همدان وأستأذن على الأمير علي بن الحسن، وقال أني أردت أن أسلم ذهبان، وأخذ ما فيه ما أمكن من الدراهم وأطلب الأمان، فسار علي بن الحسن إلى صنعاء ووافق أمراء الملك الظافر.

وقال ابن حدب قد عزم على تسليم ذهبان وهو يطلب شيئاً من الدراهم والأمان، فقالوا: صاحب أمرنا غائب عنا، ونحن نراجع إلى حجْر ونستشيره في هذا الأمر.

فقال علي بن الحسن: ليس هذا وقت مؤذانه تحسبوها والفرص مغتنمة فاغتنموها، فقال مُحَّد بن عيسى أنت فينا مكان صاحب أمرنا، نحن لا نخالف قولك فيما طلبتنا، فافترقوا بينهم ثمانية آلاف درهم وقبضها علي بن الحسن فأعطاها ابن حدب، وأصدر ابنيه عبدالله وأحمد فتسلما حصن ذهبان، وصار ذهبان للملك الظافر بعد أن أعلن الصايح في صنعاء لمن كان فيه الأمان، وأدخل والي قصر صنعاء أخاه فتولاه، ونزل علي بن الحسن إلى الملك الظافر إلى المقرانة فأطلق أصحاب ابن حدب وأكرم منهم من أهانه، وسكنوا في بيوتهم من قرية ذهبان وقد فازوا بالإحسان والأمان.

وكان تسليم ذهبان إلى والي الملك الظافر عامر بن طاهر في شهر ذي الحجة آخر سنة ٨٦٧هـ[2]".

استلام حصن بَراش في الطويلة المحويت: بعد استلام حصن ذهبان بدأ توسع نواب الدولة الطاهرية بإتجاه المحويت، وذلك بالتوجه نحو حصن بَراش والذي يقع في منطقة الطويلة من أعمال المحويت، ففي سنة ٨٦٨هـ، "خرج مُحَّد بن عيسى البعداني نائب الملك الظافر على صنعاء لمحاصرة حصن براش[3]، وهو في يد القاسم بن مظفر، أحد نواب الناصر بن مُحَّد، فاستعان بمحمد بن الناصر، فلم يقدر على إعانته، فتسلم الحصن إلى يد الأمير علي بن الحسن الهمداني[4]".

١ روضة الأخبار، ابن الأنف، ١٧٣.
٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٧٥.
٣ حصن براش: يطلق اسم براش على عدد من الحصون، والمقصود هنا حصن وقرية في منطقة الضُلاع الأسفل من مديرية الطويلة وأعمال المحويت، يبعد عن الطويلة جنوباً بمسافة ٣٤ كيلو متر، ويقع على مقربة من قرية بيت منعين، ويوجد بداخله مخازن وأبراج دفاعية ظاهره وهو المعروف بحصن براش الباقر. معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٤٩/١.
٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٥.

وقد كان جاء إلى مُحَمَّد بن عيسى البعداني رجال إلى صنعاء، وقالوا له إن حصن براش قد خلا من الشحنة وذهب واليه قاسم بن مظفر إلى ذي مرمر ومشارفه يطلب القوت، فقام والي صنعاء مُحَمَّد بن عيسى البعداني وشمر وجمع إليه من وجد وما تواني ولا تأخر، فكان قد خرج إلى مشارف صنعاء فداس أهل الخلاف وسكن الأطراف، ثم خرج للمحطة على حصن براش فجمع بني بهلول وسنحان ومن حولهم من أهل البلدان، ففرقهم للمحطة حول حصن براش، وجاء والي الحصن قاسم بن مظفر بالرجال من نهم وغيرهم من المشارق، وأراد أن يهجم المحطة فتفرق الذين معه وتركوه، ثم أنه ذهب إلى صنعاء فدخل ليلاً متخفياً إلى ابن الناصر ولم يعلم به أحد، وقال إن أمددتني بالمال جمعت الرجال وأحسنت القتال، فرده عليه ابن الناصر أن لا شيء معه ليعينه، فرجه قاسم بن مظفر خائباً ودخل براش ليلاً متخفياُ، فلما أصبح أرسل إلى البعداني أني رجل غير آمن فأرسل إلى علي بن الحسن لأسلم له براش، فأرسل علي بن الحسن ابنه عبدالله فجرت بينهما المفاوضات على تسليم حصن براش، فوافق وأعطوا والي الحصن ومن معه الأمان، وتسلم البعداني والي صنعاء الحصن وولى عليه عبدالله بن علي بن الحسن وابن عمه هاشم بن مُحَمَّد بن إدريس وكان ذلك في شهر ربيع الأول من سنة ٨٦٨هـ[١].

استيلاء الظافر على حصن الأسلاف في ذمار: مرّ معنا أن المقمحي قد سلم نفسه للملك الظافر عند سقوط ذمار بيد الدولة الطاهرية، وطلب الأمان من عامر بن طاهر مقابل تسليمه لحصن الأسلاف، ولكن المقمحي لم يفي بوعده وظل يراوغ الملك الظافر، مما أضطره إلى أن يضرب الحصار على حصن الأسلاف، "وفي أواخر شهر ربيع الأول سنة ٨٦٨هـ، استولى الملك الظافر عامر بن طاهر على حصن الأسلاف وتسلمه من الحسن بن إبراهيم المقمحي وكان هذا الأسلاف قد جعله الناصر إلى المقمحي، فأقام فيه يغالطالملك الظافر في تسليمه ويختلف وشحنه، وظن أن يمنعه ويصد عنه جيش عامر ويدفعه فأمر الملك الظافر عليه بإقامة المعامر من حواليه، وملأها من العساكر فحصروه أن يخرج عنه أحد أو يدخل إليه فآل أمره إلى تسليمه إلى عامر لما طال عليه الحصار وأحاطت به المعامر، وهو من المعاقل العالية والحصون السامية، وكان ذخر أهل صنعاء وذمار في الجهات الحقلية وعدتهم على من عصاهم وأدركته الحمية فصار إلى الملك الظافر وخرج منه المقمحي وهو داحر[٢]".

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٨٨.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٩٢.

استيلاء الظافر على خرابة جهران في ذمار: وتسلم الملك الظافر خربة جهران وتعرف باسم حصن عندل، حصن مُحَمَّد بن قاسم عندل وأصحابه الأشراف بني سليمان، وكان الملك الظافر قد أقام بركات بن عثمان في بلاد جهران فحط على الخربة حتى تسلمها الملك الظافر في العشر الأولى من ربيع الآخر سنة ٨٦٨هـ، وخرج منها أهلها في هذا الآوان[1].

الإستيلاء على حصن تُلُمُص في صعدة: في شهر ربيع الآخر من سنة ٨٦٨هـ، تسلم الأمير الحسين بن علي بن قاسم الهادي الحمزي حصن تُلُمُّص[2] بعد أن حاصر ابنة الهادي بن الحسين أياماً، وانتظر الوالي الغارة من الملوك بني طاهر، وقد كانوا في جميع العساكر، فعجل والي تلمص تسليمه، وقيل أنه أفرغه من الشحنة، وكان عامر قد شراه من ابن الناصر وخلف فيه هذا الذي كان متوليه، وفرق الهادي بن الحسين على أهل صعدة خمسة وعشرين ألف درهم صعدية، وأعطاها والي تلمص حين سلم إليه، وقد اشترط تسليمها عليه[3].

إلا أن الأمير الحسين بن علي قد خالف على الملك عامر بن طاهر واستولى على الحصن لنفسه، بعد أن ولاه الملك الظافر الحصن وأستأمنه أن يستلمه من عمال ابن الناصر، مما استدعى تفكير الملك الظافر بإرسال حملة عسكرية إلى الأمير الحسين بن علي في الجوف كما سيأتي معنا.

وباستيلاء الملكين الظافر والمجاهد على مدينة صنعاء، وما حولها من المناطق والحصون كحصن ذهبان وحدة وحصن بَراش في ضُلاع، وحصن الأسلاف وخربة جهران بذمار وحصن تلمص في صعدة، استطاعت الدولة الطاهرية أن توحد اليمن بأكمله تقريباً تحت حكم وسلطة الدولة الطاهرية ولم يبقى سوى بعض المناطق الخارجة عن سيطرة الطاهريين كصعدة وبعض مناطق حجة وما حولها والتي كانت خاضعة للإمام المطهر وغيره من الأئمة الزيديين، وبالإستيلاء على صنعاء هدأت الأوضاع في اليمن لسنوات قليلة، وبدأ الملكين الظافر والمجاهد يلتفتان للبلاد والعباد رغم عدم انشغالهما عن ذلك، إلا أنهما قد أكثرا من الإصلاحات الإقتصادية والسياسية، وأقاما العدل ورفعا الظلم عن الناس، كما يتضح من خلال الأحداث التاريخية التي ستأتي.

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٩٢.

٢ تُلُمُّص: حصن قديم بالجنوب الغربي من مدينة صعدة بنحو ميل، كانت تقوم في سفحه الشمالي المدينة القديمة، وقال القاضي مُحَمَّد بن علي الأكوع: كانت الملوك من حمير وأمرائها الذين يتولون مخلاف صعدة والجهة الشمالية ينزلون فيه، وممن سكنه في الجاهلية نوال بن عتيك والي الملك سيف بن ذي يزن الحميري وكان يلقب بنازع الأكتاف. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٢٣٨/١.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٩٣.

المبحث الثاني

محاولة الإستيلاء على حصن ذي مرْمر والجوف

محاولة الإستيلاء على حصن ذي مَرْمرْ: كان من ضمن شروط الإتفاق بين الإمام مُحَّد بن الناصر والملك عامر بن طاهر أن يبقى حصن ذي مرمر بيد الإمام مُحَّد بن الناصر وكان المتولي على الحصن من قبل ابن الناصر مُحَّد بن عيسى شارب، ولكن يبدو أن ابن شارب قد خالف ونقض من قبله الإتفاقية، مما جعل الدولة الطاهرية تكلف الأمير علي بن الحسن بمحاربته والإستيلاء على الحصن، "ففي سنة ٨٦٧هـ، سار الأمير علي بن الحسن الهمداني إلى الظافر، فأكرمه وأمره بمحاربة ذي مرمر، وفيه مُحَّد بن عيسى شارب الأسدي، من أيام الناصر بن مُحَّد، فاستناب الأمير علي بن الحسن ابن عمه هاشم بن مُحَّد لمحاربة الحصن المذكور، فلم يزل الحرب بينه وبين مُحَّد بن عيسى سجالاً[1]".

ثم أن علي بن الحسن رفع محطته عن ذي مرمر في شهر ربيع الآخر سنة ٨٦٨هـ، حتى يتشاور مع عامر بن طاهر بشأن ابن الناصر والكراز لأنهما كان يدعمان مُحَّد بن عيسى شارب والي حصن ذي مَرْمر والفُصين بالمال الذي بذله لهما الملك عامر في صنعاء، واستطاع به ابن شارب أن يجمع بهذا المال قبائل نهم وذيبان[2].

محاولة الإستيلاء على الجوف: ثم أراد الملك الظافر أن يوسع نفوذه بإتجاه مناطق الشمال، وهي المناطق التي يسيطر عليها الأئمة، إلا أن هذه المحاولة لم تنجح، فقد وصل الشيخ عبدالوهاب بن داود إلى صنعاء في سنة ٨٦٨هـ، قاصداً للمسير إلى الجوف[3].

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٥، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٧٦.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٩٣.

٣ الجوف: واد ومنطقة شمال شرق صنعاء بمسافة ١٤٥ كيلو متر، على أطراف الربع الخالي وفي الحدود الغربية والشمالية من محافظة مأرب، وهي منطقة تمتد في سهل منبسط تحيط به المرتفعات الجبلية، وربما أن تسمية الجوف جاءت كتعبير تقريبي لطبيعتها الحاضنة للسيول القادمة من جبال صنعاء الشمالية والشرقية وجبال خولان العالية وجبال نهم وهمدان، وكذا السيول القادمة من جبال نجران ومن جبال صعدة، ومنطقة الجوف من أخصب المناطق الزراعية في اليمن وهي تزرع الكثير من المنتجات مثل الحمضيات والتمور والحبوب والفواكه، وتشمل محافظة الجوف مديريات خب والشعف والزاهر والغيل والمصلوب والحزم والحميدات والمطمة والخلق والمتون وبرط العنان وخراب المراشي ورجوزة، وتعتبر خب والشعف أكبر المديريات حيث تشكل أكثر من نصف مساحة المحافظة، وقد قامت فيها أقدم الحضاراتت التاريخية فهو موطن دولة معين وبراقش، ومن أهم المناطق التاريخية فيها خرائب نشق ومعين وبراقش والسوداء وقرنا وروثان والبيضاء وهرم وكمنة وغيرها، كما أن وادي الجوف هو الموطن الأصلي لقبيلة مراد المشهورة ثم أجلتها عنه همدان في حرب رُزم ملاحا في السنة الثانية من الهجرة، وتسكن الوادي اليوم أخلاط من قبائل ذو حسين بن غيلان وقبائل همدان الجوف، ثم قبائل بني نوف من بطون دهمة من دهم بن شاكر من بكيل،

وقد وصل عبدالوهاب بن داود بن طاهر إلى صنعاء في جماعة من العساكر، وكان قصدهم إلى الحسين بن علي بن قاسم الجوفي، وأن يرسلوا إليه المقمحي وإبراهيم بن قاسم سنقر في جملة من العساكر، فأوقفه الأمير علي بن الحسن الهمداني وراجع عامر بن طاهر، وقال إن الخروج إلى الجوف يحتاج إلى القوة وبقاء الشريف الحسين على الصداقة أولى من فتح باب الحرب عليه وخروج العساكر إليه، فأجاب الملك الظافر أن الحسين قد استولى على تلمص وكان والياً ولا بد من مناجزته[1].

فمكث عبدالوهاب بن داود في صنعاء أياماً ثم كتب إلى الظافر يعلمه أن دخول الجوف في تلك المدة غير ممكن، فجنح الظافر إلى قوله وأسره باستخدام العساكر لقصد بلاد دثينة والتوالف، فجمع عسكراً من صنعاء والظاهر، وتوجه بهم إلى عمه ثم ساروا جميعاً إلى تلك الجهات، فاستولوا عليها، وتحرك بعد مسيرهم إليها أهل بعدان للخلاف، فحاربهم المجاهد علي بن طاهر، وأخرب كثيراً من قراهم، وشدد محاصرة حصن حب[2].

وأما مناطق حراز وما إليها من المناطق والحصون والقلاع، فإنها كانت بيد بني إدريس القرمطي، وقد كانوا حلفاء للدولة الطاهرية ومسيطرين على تلك المناطق تحت مظلة الدولة الطاهرية، وقد توسع عماد الدين ابن الأنف القرمطي في ذكر أخبار حراز والصراع الذي دار فيها في تاريخه روضة الأخبار ونزهة الأسمار[3].

وقبائل المحابيب وقبائل آل مسلم من الأعروش الخولانية، كما أن في الجوف طائفة من ذرية المنصور عبدالله بن حمزة الحسني المتوفى سنة ٦١٤هـ، وهم آل الضمين وآل جوادة، وهم من كانوا يسمون الحمزات. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٣٧٣/١.

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٩٣.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٥.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٧٧.

الفصل الثاني

إستعادة الإمام الناصر صنعاء ومقتل الملك الظافر

كانت مدينة صنعاء تعتبر من أهم المدن اليمنية، وكانت تُعد في ذلك العصر عاصمة اليمن الأعلى، والعاصمة السياسية للأئمة الزيدية، لذلك كان يسعى كل إمام يظهر من الأئمة الزيدية في تلك العصور للإستيلاء عليها، وبعد صراع الأئمة الزيدية على مدينة صنعاء وظهور الملك الظافر واستيلائه عليها، لم تطب نفس الإمام الناصر بسقوط مدينة صنعاء بيد الملك الظافر، فنقض العهد الذي كان بينه وبين الملك الظافر، وبدأ يُعد العدة للإستيلاء على صنعاء، ويجمع الرجال والقبائل ليرسم خطته ضد الملك الظافر، ثم أن الملك الظافر أراد إستعادة صنعاء فجرت بين الطرفين مواقع انتهت بمقتل الملك الظافر، واستيلاء الإمام الناصر على صنعاء، وهذا ما سنبينه في هذا الفصل في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: إستيلاء الإمام مُحَمَّد بن الناصر على صنعاء

المبحث الثاني: محاولات الملك الظافر الإستيلاء على صنعاء

المبحث الثالث: مقتل الملك الظافر

المبحث الأول

استيلاء الإمام مُحَّد بن الناصر على صنعاء

نقض الإمام مُحَّد بن الناصر بالعهد: بعد أن استولى الملك الظافر عامر بن طاهر على صنعاء في شهر شوال من عام ٨٦٦هـ رتب أمورها وأوضاعها، "وتولاها الشيخ عفيف الدين عبدالوهاب بن داوود مدة، ثم استدعاه الملك الظافر[١]، وعين عوضاً عنه الأمير مُحَّد بن عيسى البعداني، ويحي الكراز نائباً له[٢]، وقد استمر والياً من قبل الملك الظافر حتى سقوط صنعاء بيد الإمام مُحَّد بن الناصر.

واختلفت المصادر التاريخية في السبب الذي دفع الإمام مُحَّد بن الناصر لنقض العهد الذي بينه وبين الملك الظافر عامر بن طاهر، فبينما تُشير المصادر التاريخية الموالية للإمام ابن الناصر إلى أن الذي دفعه لذلك هو خشيته من غدر الملك الظافر بعد طلبه إياه للنزول إليه إلى تعز، أشارت المصادر التاريخية للمؤرخين الموالين للدولة الطاهرية إلى أن سبب نقضه للعهد هو عزمه على استرجاع صنعاء بتحريض من الأمير مُحَّد بن عيسى شارب.

وإذا نظرنا إلى الرواية المنقولة عن مؤرخي الزيدية نجد أنهم يذكرون أن الذي كانت له نية الغدر هو الملك الظافر، لأنه طلب ابن الناصر للنزول إلى تعز وملاقاته، فبادر ابن الناصر للفرار من صنعاء بمساعدة ابن شارب إلى حصن ذي مرمر، ولكن الظروف اتيحت لهما للسيطرة على قصر غمدان ومدينة صنعاء[٣]، ففي رواية الكبسي أنه لم يكن قصد شارب عند وصوله صنعاء إلا الفرار بسيده[٤]

ولكن الحقيقة كما هو واضح من روايات المؤرخين المعاصرين للدولة الطاهرية، أن مؤامرة الإستيلاء على صنعاء قد أعد لها مسبقاً من قبل ابن الناصر وابن شارب، وأن دور كل واحد من هؤلاء مخطط له ومرسوم.

والحقيقة أننا لابد ان نعلم أن من أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط صنعاء، هو تساهل الملك الظافر واصغائه لابن الكراز وثقته المفرطة به، والذي عينه نائباً لوالي صنعاء وعدم اصغائه لحلفائه من الزيدية والذين كانوا مطلعين على أوضاع صنعاء.

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٤٩.
٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٦.
٣ فرجة الهموم، الواسعي، ص٢١٤، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٦، اللطائف السنية، الكبسي، ص١٨٥.
٤ اللطائف السنية، الكبسي، ص١٨٥.

فيذكر المؤرخ ابن الأنف أن الملك الظافر قد جعل ولاية صنعاء ليحي بن الكراز وعزل عنها المقدمين، ولم يترك معه من أهل الخيل إلا قليلاً والمستخدمين، وذلك بعد أن هون يحي بن الكراز أمر ابن الناصر والأشراف وقال لا تحذر منهم ولا تخاف، وأنا أحمل إليك ما في صنعاء من الأموال وأوفرها لك في جميع الأحوال، فكتب الأمير علي بن الحسن يعرف الملك الظافر أن مُحَّد بن عيسى البعداني من الناصحين، وأنه خير من في مدينة صنعاء من المقدمين، فأبقاه الملك الظافر مع الكراز، وجعل مصالح صنعاء إلى يحي الكراز وله فيها الإنفاذ والإنجاز [1].

ثم أن ابن الناصر عين مُحَّد بن عيسى شارب على حصون ذي مرمر والفُصين، وجعل أمرها إليه رأساً، فعند ذلك سعى شارب على الخلاف على الملوك بني طاهر، وما زال في ذلك يراود مُحَّد بن الناصر ويلقيه سراً في الليل وله يشاور[2].

ويذكر المؤرخ كمال الدين الذؤالي الزبيدي أن الملك عامر بن طاهر قد وصلت إليه تحذيرات عن عزم ابن الناصر على الخيانة والغدر، فيقول: "ولم يزل الملك الظافر يولي فيها اميراً بعد أميراً وابن الناصر بها، فقال بعض أشراف صنعاء للملك الظافر: لا ينبغي إقامة ابن الناصر.

فقال الملك الظافر: قد حلفت له على ذلك ولا أحنث يميني أبداً، فقال له: سوف تسمع[3].

وهذا ما أيده المؤرخ أحمد شرف الدين أن نقض العهد والمخالفة كانت من قبل مُحَّد بن الناصر، فيقول: "ولم يمضي على مُحَّد بن الناصر عام واحد حتى قام بتحركات سرية بصنعاء ضد حكم آل طاهر، وفطن لذلك الظافر وكان بالمقرانة فأبلغ نائبه على صنعاء مُحَّد بن عيسى البعداني أن يشخصه إليه عند أن يظفر به، وما أن أُبلغ مُحَّد بن الناصر بذلك حتى أوعز إلى صديقه ونائب أبيه على حصن ذي مرْمر مُحَّد بن عيسى شارب الأسدي أن يبادر لإنقاذه[4]".

وهذا ما ذكره أيضاً المؤرخ عماد الدين بن إدريس ابن الأنف وكلاهما مؤرخين معاصرين لتلك الأحداث، فيقول ابن الأنف: "وما زال الملك عامر بن طاهر يطلب الأمير علي بن الحسن يوليه به ويكرر طلبه ليواجهه في كتبه، وعلي بن الحسن يذكر له إهمال صنعاء من الرتب ويصف له ما تكرر له

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٩٧.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٩٧.

٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص ٢٤٩.

٤ اليمن عبر التاريخ، أحمد شرف الدين، ص٢٢٩.

من الإنذار في ذلك واليه في قوتها يرغب، ويحي الكراز يكرر الأمر ويقول أنا ضمينك على ابن الناصر أن لا يخالف لك في الأمر وأعاره سره والجهر[1]".

ولم يكتفي الأمير علي بن الحسن بتحذير الملك عامر بن طاهر بل أنه حذر الأمير مُحَمَّد بن عيسى البعداني ويحي الكاراز أيضاً، ففي عشرين ذي الحجة سنة ٨٦٨هـ، دخل إلى صنعاء وقابل البعداني وقال له قووا رتبة القصر، فقال البعداني: لا أستطيع ذلك الأمر فيحي الكراز قد زين له أنه يكفيه ما فيها من الرتبة، وانا عازم على صحبتك إلى الملك الظافر فإذا وصلنا أنهينا إليه الأمر وانتظرنا ما به يشير، فكان خروجهما في ٢٣ من شهر ذي الحجة[2].

ويذكر المؤرخ كمال الدين الذؤالي أنه لما كان في أول المحرم سنة ٨٦٩هـ أعمل الأمير مُحَمَّد بن عيسى بن شارب الحيلة في استرجاع صنعاء، وغدر الإمام مُحَمَّد بن الناصر في استعادة صنعاء من أمراء الملك الظافر، ويقال أن الحامل له على الغدر مُحَمَّد بن عيسى بن شارب، وكان واليها من قبل الملك الظافر الأمير مُحَمَّد بن عيسى البعداني، فخرج منها متنزهاً أو لحاجة[3].

وفي رواية ابن الأنف، أن مُحَمَّد بن الناصر أظهر في مدينة صنعاء الخلاف وقد ضم إليه جماعة من بني الهادي الأشراف واستخدم من مذحج خمسين رجلاً، وقد واتاه أكثر أهل صنعاء على أمره.

وأرسل إلى مُحَمَّد بن عيسى شارب ليلاً أن يلم به على عجل، فإن المكان من علي بن الحسن ومُحَمَّد بن عيسى شارب قد تعطل، فوافاه بن شارب وقد هيأ ثلاثمائة رجل وانتقاهم من كل جانب ومعهم عشرة من أهل الجبل قد دججوا في الحديد وسار بهم وهم سامعون لما يريد، فكّر في آخر ليلته من باب شعوب[4].

ويقال إن مُحَمَّد بن عيسى بن شارب لما وصل باب صنعاء في جماعة من الجند، صاحوا بالنقيب بفتح الباب، فقال من؟ فقالوا الأمير مُحَمَّد بن عيسى، فظن أنه الأمير مُحَمَّد بن عيسى البعداني، ففتح الباب فدخل شارب ومن معه فقتلوا النقيب وغيره، وأخرجوا بقية الرتبة، واستولوا على القصر بعد أن أغلقوا أبواب المدينة[5].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٩٨.
٢ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٩٨.
٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص ٢٥٢.
٤ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٩٩.
٥ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٨/٦.

ودخل بن شارب المدينة وكل أهلها له مجيب، فكان قصده إلى يحي الكراز في غيلته ودخل داره وانتهب ما فيها بجملته وأخذ الكراز أسيراً، وسار إلى قصر صنعاء مغيراً وكان في القصر الرضي من أهل حُبج والياً وأميراً، وقيل أن ابن الناصر قد مالأه على أن يدخله القصر وأعطاه مالاً[1].

وفي رواية الكبسي: "وكان من التيسير أن عامل عامر خرج من صنعاء يستخلص الحقوق، وفرغت المدينة من أكثر الجنود، ولم يكن قصد شارب عند وصوله صنعاء إلا الفرار بسيده، فلما استخرجه وأركبه متوجهاً إلى ذي مرمر، انتشر الخبر في المدينة، فجاءهما أهل صنعاء يُهرعون، وقالوا لشارب: لا يخرج المؤيد ونحن معكما على جند بني طاهر، ثم انثالوا على بيت ابن الكراز أحد خواص عامر والذي سعى في تسليم صنعاء إليه، وكان عنده أثيراً لأنه الذي ملكه صنعاء، فاجتمعوا على دار الكراز وكسروا بابها وانتهبوا ما فيها، وكان فيها لعامر وللكراز أموالاً عظيمة، فما تم نهب بيت الكراز إلا وقد اجتمع أهل صنعاء بأسرهم، وقصدوا القصر فطلبت الرتبة الذي فيه الرفاقة من أهل صنعاء"[2].

وكان في القصر خمسون رجلاً فقط خمسة وعشرون من همدان ومثلهم من أصحاب الرضي وغيرهم مجتمعين، فحين نظروا كثرة من اقبل عليهم راموا الدخول إلى ذروة القصر وأن يفتح لهم الأبواب ليقاتلوا فيه ويحرزوا حريمهم وأولادهم في أمنع جانب، فقال الرضي الوالي إن مفاتيح القصر ليست معي وهي مع ثقة في المدينة، فخرجوا إلى الداير الخارجي ليقاتلوا وبسهامهم يناضلوا فأجلب عليهم اهل صنعاء مع ابن الناصر يرمونهم بالحجارة والنبل ويتوعدونهم بالقتل، وأخرجوا السلالم من بيوت أهل صنعاء ونصبوها على الدواير فكثرت عليهم الأصوات والقتال من الجهات، ففشلوا وذلوا وولوا على أعقابهم وفروا[3].

فوثب أهل صنعاء على المرتبين بالقصر وحصروهم وكثروهم، فصالحوا على أنفسهم وسلموا القصر بما فيه وخرجوا سالمين[4]، بسلاحهم وثيابهم وعوجلوا في بيوتهم، ومنهممن انتهب ووقع به ما يسوء ولقيتهم أوائل الغواير في المنجل شمال غرب صنعاء على طريق وادي ضهر وقد ظهروا وحملوا عاراً منه أوقروا،

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٩٩.

٢ اللطائف السنية، العلامة محمد بن اسماعيل الكبسي، ص١٨٥، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٧.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٩٩.

٤ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٥٢، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٧.

فسبهم الذين وافوهم وقالوا كان القتل لكم أشرف وحملوا من العار ما لا يوصف، وقال لهم همدان لقد حملتم عاراً وشناراً[1] .

فلما وصل الخبر بذلك إلى الملك الظافر علم أنه قد فرط وترك الحزم، وكان أمر الله قدراً مقدوراً [2] .

وهكذا نجحت خطة الإمام مُحَمَّد بن الناصر على نحو تجاوز كل التوقعات، فاستولى على مدينة صنعاء في شهر محرم سنة٨٦٩هـ، مما اضطر عاملها من قبل الطاهريين الأمير مُحَمَّد بن عيسى البعداني إلى الإنسحاب إلى ذمار ومنها إلى المقرانة[3] .

١ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٠٠.
٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص ٢٥٢.
٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٨/٦.

المبحث الثاني

محاولات الملك الظافر الإستيلاء على صنعاء

استشعر الملك عامر بن طاهر أن نهضة الإمام مُحَّد بن الناصر ضده لن تتوقف عند استعادة صنعاء فقد، بل إنه سيحاول استرجاع جميع الحصون التي وقعت بيد الدولة الطاهرية وسيستمر في الزحف جنوباً نحو ذمار، لذا فقد أعلن التعبئة العامة للدفاع عن ذمار، لأن سقوطها يعني مزيداً من التوغل نحو الحدود الشمالية لدولته، لذلك كان رأي الملك الظافر هو الهجوم على الإمام ابن الناصر ومحاول استعادة صنعاء منه.

أما الأمير مُحَّد بن عيسى البعداني فقد رجع إلى حصن براش وكان الوالي عليه علي بن يحي المعمري من أهل كحلان ومعه أربعون رجلاً من حماته هم رتبة براش ذلك الأوان[1]، وأما الأمير علي بن الحسن الهمداني فقد سار إلى الملك عامر بن طاهر فوصل إلى ذمار ثم وصل إلى المقرانة وعلي وعامر ابني طاهر وأبناء داود بن طاهر مجتمعين لأجل العيد، ومعهم القبائل من قريب وبعيد، فتلقوه بالإنصاف والإكرام وقالوا ما عليك فيما كان من ملام، فقد كنت ذكرت لنا الإحتياط وظننا أن ابن الناصر لا ينكر إحساننا وفعلنا الجميل الذي به أحاط.

وطلبوا وجوه القبائل علي وعامر وقالا لم نطلب تسليم صنعاء من ابن الناصر بل هو الذي طلبنا شراءها، فسلمنا له من الأموال ما أقترح وزدنا على ما طلبه[2]، وشرحوا لزعماء القبائل ما جرى منهم لابن الناصر من إحسان وما قابله لهم من غدر وخيانة.

الحملة الأولى للملك الظافر على صنعاء: لما بلغ الملك الظافر استيلاء الإمام مُحَّد بن الناصر على صنعاء، ثارت حفيظته فتجهز وسار إلى صنعاء بجمع عظيم، أزيد من ألف وثلثمائة فارس، وما لا يحصى من الرجال[3]، وأمر إلى مشايخ القبائل أن يصلوا التعبئة إلى مدينة ذمار وأن يكونوا على أهبة الإستعداد بالسير إلى مدينة صنعاء، وكان مجتمعاً هو أخوه الملك المجاهد في المقرانة، وتشاورا على

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٠٢.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٠١.

٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص ١٣٣.

الإعتزام فسار الملك المجاهد إلى جبلة لكونها بين اليمن والجبل لينقطع ممن يروم الخلاف الأمل[١]، وتوجه الملك الظافر إلى صنعاء فنزل عليها وأذاقهم المر وأحرق بساتينهم وتحصن أهل صنعاء بها[٢].

ومن جهة أخرى فإن الإمام ابن الناصر كان يرصد تحركات الدولة الطاهرية، فلما علم بحشودهم في ذمار استنهض قبائل نهم وبني جبر، واستعد للدفاع عن صنعاء، وعلى الرغم من ذلك دب الخوف في قلوب أهالي صنعاء، فتعمد الإمام إبلاغ مناصريه باضطراب قبائل تهامة على الدولة الطاهرية لرفع معنويات أهل صنعاء، وقد هرب كثير من أهل صنعاء من خوف الحصار وتفرقوا إلى مدينة ثلا وغيرها من الديار، وبقي الأكثر[٣].

وتواصل الملك الظافر مع حلفائه من أهل همدان بزعامة الأمير علي بن الحسن، ومع الإمام المطهر بن مُحَمَّد وأولاد الأشراف الحمزات، ووعد عيال الإمام بالأموال الجزيلة وأن يجعل لهم البون والظاهر وما في أيديهم من صعدة وحصونها وظفار وما إليهم، وأن يوليهم من حصون صعدة النعمان واللجام إذا صارا في يديه[٤].

يقول ابن الأنف القرمطي في حصار الملك الظافر لمدينة صنعاء عام ٦٦٩هـ: "فلم يشعر أهل صنعاء إلا وعامر قد وصل إلى حزيز في أول شهر ذي القعدة، وقد جمع العساكر الكثيرة، فوافى أهل حزيز وفروا عن مساكنهم، فأمر بانتهابها ثم أصبح ثاني ذي القعدة وقصد صنعاء وقصدت عساكره المحطة على صنعاء، ووصول الملك الظافر بالجيوش والعساكر فخيم مقابل لباب اليمن، وبث عساكره إلى حول صنعاء وأحاطوا بصنعاء من جميع الجهات، وأخذ في محاصرة صنعاء أكثر من شهر، وأراد أن يقيم في محطته ويكون فيه العيد وأن لا يبرح حتى ينال من صنعاء ما يريد[٥]".

ونصبوا على صنعاء العرادات، وهدموا ما حولها من الدور والبساتين الجامعة لأنواع الأشجار والزهور، وطموا الآبار وغوروا الأنهار، واتصل ضررهم بناحية ذي مرمر، وأخربوا فيها شبام بني السحيمي، وفي خلال محطته على صنعاء أقبل عيد الأضحى، فسأله كبير من قومه أن يأذن لهم بالعود إلى بلادهم للإجتماع فيه بأهلهم وأولادهم[٦].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٠٤.
٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٥٣.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٠٤.
٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٠٦.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٠٦.
٦ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٨.

"فجاءته الفقهاء والصوفية يعاملونه بالقرآن العظيم أن يفسح لأهل المحطة أيام العيد ليعيدوا مع أهلهم ويرجع بعد ذلك إلى ما يريد، فأستجار بهم[1].

وقيل أنه تصالح مع الإمام مُحَّد بن الناصر على مال يؤديه إليه مقابل فك الحصار على صنعاء، ورفع الملك الظافر محطته من حصار صنعاء في الثالث عشر من شهر ذي القعدة، وسير معه عساكره وجنوده، ورجع سالماً إلى بلده المقرانة فكان عيده فيها، وقال إلى أن أرجع إليكم في شهر المحرم سنة ٨٧٠هـ"[2].

وبهذا الصلح ارتفع الملك الظافر عن حصار مدينة صنعاء وكان الصلح مؤقتاً فقط، وذلك لفك الحصار عن صنعاء والإرتفاع عنها وليس بالتخلي عنها أو ترك الحكم فيها لمحمد الناصر، ورجع الملك الظافر إلى بلده ليعد العدة ويمكن جنوده من الراحة والإعداد النفسي لهم بالراحة فترة العيد مع أهاليهم، ومن ثم يعاور الكرة في قتال مُحَّد بن الناصر ومُحَّد بن عيسى بن شارب واستعادة صنعاء منهما، وهكذا أخفق الملك عامر بن طاهر في استعادة مدينة صنعاء في الحملة الأولى، وقد كان الملك الظافر اجتمع بمشايخ وزعماء القبائل وشرح لهم نقض الإمام الناصر للعهد الذي بينهما[3].

وولى عامر مدينة ذمار مقدمه مُحَّد بن عيسى البعداني، فكان يغير على جهات جهران ومغارب ذمار[4].

وأما بالنسبة للإمام مُحَّد بن الناصر ومُحَّد بن عيسى شارب فقد علما أن الملك الظافر لن يترك صنعاء لهما خاصة وقد غدرا به ونكثا بالعهود والإتفاقيات التي بينهما، وأنه سيعاود إلى صنعاء لحصارها قريباً.

لذا فكان لا بد لهما من إعداد العدة وتحصيل الأموال وتخزين المؤنة استعداداً لذلك، وكان أول ما قاما به بعد رجوع الملك الظافر "أن عادا على أهل صنعاء فأخذوا منهم أربعة آلاف أوقية من الذهب، وأعطوها من جمعوه إلى صنعاء للقتال فيها والحمية، ثم لما انقضى العيد سار شارب إلى الشرفة فقاتل على موضع فيها يدعى العرقة[5]، فأخربه وأنتهبه وسار في المشارق وما قرب من صنعاء من بلاد بني

---

١ روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص٢١٠.

٢ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٤، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣٣، روضة الأخبار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص٢١٠.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٠٨.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٠٩.

٥ العرقة: قرية في جبل اللوز من مديرية خولان العالية بمشارق صنعاء. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠٤٨/٢.

بهلول وبلاد سنحان يعمهم نهباً ويأخذ أموالهم غصباً، وملأ قصر صنعاء من الحب والزبيب خوفاً من رجوع الملك الظافر[1]".

وبالغوا في الإستعداد والتأهب للحرب والجلاد، وقد كان بعث مُحَّمد بن الناصر صلاح بن عيسى شارب أخا مُحَّمد بن عيسى إلى بني جبر ليحشد القبائل، فقتله هناك داود الجبري وكان من المائلين والموالين للدولة الطاهرية، فقتله ومعه سبعة فرسان من أصحابه[2].

الحملة العسكرية الثانية للملك الظافر على صنعاء: بعد ذلك بشهرين فقط عاد الملك الظافر لما توعد به الإمام مُحَّمد بن الناصر، فخرج الملك الظافر عامر بن طاهر قاصداً المحطة على صنعاء بالعساكر فكان خروجه من المقرانة آخر يوم من شهر المحرم بعد أن صاحت صوايحه في جميع البلدان بالإحتشاد وبحرب صنعاء، فجاء رداع ثم إلى ذمار، ووقف في ذمار يحشد الحشود ويجمع الجنود إلى العشر الآخر من شهر صفر، ثم خرج إلى جهران في جنود ملأت القيعان من الرجال والفرسان[3]، وقد جمع من البقر ألف رأس، لتغوير ما بقي من الآبار والأنهار حول صنعاء، ولما انتهى إلى سفج بيت بوس، أمر بتغوير غيل آلاف وغيل البرمكي وكان غيلا مباركاً كثير العطوف على أوطان صنعاء، دائم الجري فعفى آثاره، وأمر أيضاً بقطع أشجار حدة وتغوير أنهارها، واجتهد في ذلك حتى كان يمر بنفسه على المأمورين لمعرفة ما يفعلونه،[4]، ثم تقدم إلى خارج صنعاء فحط بموضع يسمى المحاريق بقرب باب اليمن وعفى أثر الغيل الكبير وكان يسقي ما حول صنعاء من وطن، وهو أكبر ما حول صنعاء من الأنهار[5].

ويذكر المؤرخ ابن الأنف القرمطي أنه أثناء هذه المحطة خرج أهل صنعاء بخيل ورجال إلى قرب المحطة وهي في آكام الزبيب يتعرضون للقتال فمنع عامر أهل محطته أن يخرج إليهم أحد، ثم خرج عامر من محطته يتفقد القتال حول صنعاء، وهجم فرسان من صنعاء على محطة عامر فجرى بينهم قتال وماوشات كثيرة، انتهى بمواجهة عنس لفرسان صنعاء وملاحقتهم إلى أسوار صنعاء، ثم لحقهم عبدالوهاب بن داود ليساندهم وجرى قتال شديد قتل فيه من الطرفين الكثير[6].

---

١ روضة الأخبار ونزهة الأسمار، عماد الدين بن الأنف القرمطي، ص ٢١٠.
٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٨، روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٠٤.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢١١.
٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٩.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢١١.
٦ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢١١.



حصن ثلا في مدينة ثلا بالمحويت



حصن كوكبان ومدينة كوكبان الأثرية بالمحويت

ووصل إلى الملك عامر مُحَمَّد بن الإمام المطهر بمن عنده من عسكر كوكبان، فلما عرف مُحَمَّد بن صلاح الظربوه صاحب ثلا بخلو كوكبان عن العسكر، أطمعته نفسه بأخذ كوكبان والإستيلاء على الإمام المطهر فكتب إلى ابن الناصر يمده بعسكر لقصد كوكبان، وقبض الإمام المطهر، فأرسل إليه جماعة ممن عنده وكان الظربوه يوالي المطهر في ظاهر الأمر، وفي نفسه ما فيها من عداوته، فقصده يوما إلى كوكبان في خمسين رجلاً، وصمد نحو الدار التي فيها الإمام فخرج رجل من أصحاب بفرسه فقاتل حتى قتل، فأشرف الإمام على الظربوه وقال له: الرأي رجوعك قبل وصول القبائل، فأغلظ للإمام في الكلام فقال الإمام لمن حوله: لا مقام لنا بعد هذا ولا عذر لنا عن الخروج إليهم حتى نُقتل ولا يأخذونا أسارى، ثم تقلد سيفه وخرج إليهم فقاتلهم حتى وصل أهل الهجر وهمدان، وفتح لهم باب كوكبان فدخلوا، وقتلوا أهل ثلا عن آخرهم، ومنهم من ترى من الشواهق، وأخذ الظربوه أسيراً، وأودع في السجن ملوماً مدحوراً، وكان الطيش قد استخفه فبعث بشيراً إلى مُحَمَّد بن الناصر يخبره بدخول كوكبان، فضربت البشارة في صنعاء، وتغير حال مُحَمَّد بن المطهر من ذلك خوفاً على والده، فطلب من السلطان عامر الإعانة له، فبعث معه جماعة من عسكره، قائدهم حسن بن إبراهيم المقمحي، فانتهبوا ثلا وأخربوا جانباً منها، وساروا إلى المطهر بن مُحَمَّد، ثم رجعوا إلى محطة السلطان عامر ومعهم رؤوس القتلى من أهل ثلا، فطافوا بها في العسكر، ولم يلبث السلطان عامر أن فوض أطنابه ورحل عن صنعاء بعد أن دامت محطته ثلاثة وعشرين يوماً في حصار صنعاء[1].

وقبل مغادرة الملك عامر بن طاهر أمر بعمارة الخطفة[2] من بلاد سنحان ليكون لهما ردءاً من أهل صنعاء لكي لا يلقوا منهم الهوان، وأمر بتحصين غيمان[3]، ورتب رتبة في غيمان[4] بعد أن حصنه

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٩، روضة الأخبار، ابن الألف، ص٢١٤.

٢ الخَطَفَة: جبل مشهور في سنحان جنوبي صنعا، يطل على قرية حزيز وقرية التخراف. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٥٧٤/١.

٣ روضة الأخبار، ابن الألف، ص٢١٤.

٤ حصن غيمان: بلدة تاريخية قديمة في مديرية بني بهلول بالشرق الجنوبي من مدينة صنعاء بنحو ١٦كيلو متر، ما زالت آثارها ماثلة للعيان وأعلاها حصن له سور شامخ مبني من الأحجار السوداء المقصوصة بطريقة جميلة، ويقال أنه كان قائماً عليه قصر المقلاب المشهور قديماً، وعلى سفح الجبل يقع وادي غيمان وفيه سد أثري يسمى سد أسعد نسبة إلى ذي غيمان أحد فروع قبيلة ذي جُرت أي ما يعرف اليوم ببلاد سنحان، كما أن فيها من الآثار الخزانات العديدة التي حفرت وقُضضت في منحدر القلعة وفي جميع الجهات، وفيها أيضاً تلة يعوق التي اختارها أهل هذه البلدة لدفن موتاهم، وكانت بعثة أثرية قد قامت في العام ١٩٤٨م بالحفر والتنقيب عن الآثار الهامة ومنها الرأس الذهبي الذي أهداه الإمام يحي إلى الملك جورج السادس بمناسبة اعتلاء الأخير عرش الإمبراطورية البريطانية، وكان الهمداني قد أفاض الحديث عن غيمان في كتابه الإكليل ووصف معالمها وقصورها وقال أنها كثيرة الكروم والزروع وأورد قول الشاعر:

وغيمان محفوفة بالكروم * لها بهجة ولها منظر

ووقف فيه خيلاً ورجلاً في عدة وهيأة حسنة، وجعل عليهم الحسن بن إبراهيمم المقمحي، وأمر مُحَمَّد بن عيسى البعداني أن يستخدم رتبة في قلعة همدان[1].

ثم أنه رحل من صنعاء متوجهاً نحو المشارق حتى بلغ قريب من مأرب، ثم رجع إلى بلاده[2].

الحملة الثالثة للملك الظافر على صنعاء: بعد رجوع عامر إلى بلاده المقرانة، بدأ الإعداد والتجهيز للحملة العسكرية الثالثة على صنعاء، وكان ابن الناصر متابعاً وراصداً لأخبار وإستعدادات الملك عامر فقد جاءت العيون والجواسيس إليه يخبروه عن الملك عامر بن طاهر أنه قد أقبل بما لا قبل له به من الجيوش والعساكر، فعاد مُحَمَّد بن عيسى شارب إلى صنعاء عودة المبادر واستشعروا الخوف والحذر من عامر[3].

وكان عامر قد قدم ابن أخيه عبدالوهاب بن داود بن طاهر إلى عبيدة الملح، وقد عاثوا وأفسدوا فأخرب بلادهم وعاقبهم من أموالهم الذي وجدوا، وخرج الملك الظافر عامر بن طاهر بالجموع الوافرة والعساكر المتكاثرة فمر رداع وانتهى إلى ذمار، وهناك جاءت البشرى أن الملك المجاهد افتتح المعقل الشامخ والطود الباذخ حصن حب مقر الملوك بني السيري[4].

ويذكر المؤرخ ابن الديبع أن هذه الحملة الثالثة كانت "في شهر رجب من سنة ٨٧٠هـ غزا الملك الظافر صنعاء فعقر زرعها، وأخرب معاقلها، ثم رجع إلى بلده سالماً وأخوه المجاهد بها ثم نزلا إلى زبيد"[5].

وفي هذه الحملة للملك عامر جاءت طريقه وادي عرقب وتسلم ما فيه من الحصون مع هداد، بعد أن طفق يرهب ويرغب وكان المخالفون في مصنعة عَصُفان[6] قد رجعوا إلى قوله فأتوه وهو في المقرانة، فسألوه أن يعفي عنهم وسلموا له تلك المصنعة فعفى عنهم[1].

بهاكان يقبر من قد مضى * من آبائنا وبها نقبر
إذا ما مقابرنا بعثرت * فحشو مقابرنا الجوهر، أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١١٩٦/٢.

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢١٩.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٠، روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٢٠.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٣.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٣.

٥ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص ١٣٥، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥٠٤.

٦ عَصُفان: موضع في جبل مناخة من بلاد حراز بالقرب من هوزان، وعصُفان أيضاً قرية ومزارع جوار بلد أسناف من خولان العالية بالشرق من صنعاء، ويظهر أن المقصود هنا هي عصُفان من بلاد خولان من خلال سير المعارك حول صنعاء، ولأن عصُفان من بلاد حراز كانت موالية ومتحالفة مع الدولة الطاهرية. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠٧٧/٢.

وتقدم عامر إلى صنعاء فوصل إلى ما حولها، وحط في حدة في اليوم السادس من شهر شعبان سنة ٨٧٠هـ، فقصد حصن عَضُدان[٢]، فأخرب ما حوله من بستان وأمر بانتقال ما أحاط به من الأشجار فأخربها[٣]، ولم يشعر أهل صنعاء إلا بوصول السلطان عامر بجنده المتكاثر، فحط في حدة ثم تقدم إلى آكام الزبيب في سفح نقم، وأهلك ما حول صنعاء من المزارع، ولم يبقى منها بقية[٤].

ثم إن عامر رتب رتبة في مصنعة ضلاع مائة فارس مع هبرة، وقوى الرتبة مع حسن المقمحي في غيمان ورتب خيلاً ورجالاً في ذهبان وكذلك في خطفة سنحان، وعاد من المحطة سابع عشر من شهر شعبان سنة ٨٧٠هـ إلى بلاده، ووعد أن يعود إلى صنعاء في شهر شوال بأجناده[٥].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف اقرمطي، ص٢٢٣.

٢ حصن عَضُدان: قرية وحصن غربي مدينةصنعاء، ما بين لج عطان ومنتزه حدة، وهما أعلا جبل مربع ممشوق الجوانب. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٠٧٩/٢.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٢٥.

٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٠.

٥ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٢٥.

المبحث الثالث
مقتل الملك الظافر

أولاً: إرسال أهل صنعاء للملك عامر بن طاهر: وفي ذي القعدة من سنة ٨٧٠هـ اجتمع الملكان المجاهد والظافر بعدن[١]، فبعد أن استولى الملك المجاهد على حصن حب نزل إلى ثغر عدن، وتبعه أخوه مبادراً فوصل إليه وأجالا الرأي وتشاورا، وقيل أن علي بن طاهر أشار على أخيه عامر أن لا يعجل، وأن يتمكن فيما رجاه وأمل فلم يقف عامر في ثغر عدن أكثر من ثلاثة أيام[٢].

ويذكر المؤرخين كمال الدين الذؤالي الزبيدي وابن الديبع أن السبب الذي دعى الملك عامر بن طاهر لمغادرة عدن، هو أنه جاءته كتب المنافقين من أهل صنعاء تخبر أن البيعة له قد اتفقت وأنه يصل ليستلم البلد، وأن أهل صنعاء محبون له كارهون لغيره وأنه بمجرد وصوله إليهم مسلمون البلد له طاعة فاستبشر من ذلك[٣]، فخرج من عدن مبادراً بغير رضا من أخيه فوصل بلده وبات بها ليلة، ثم خرج إلى ناحية صنعاء فوصل إليها سابع خروجه من عدن وأراد النزول بظاهرها وكان أميرها مُحَمَّد بن عيسى شارب غائباً في مشارق صنعاء[٤].

وقد أمر ابن أخيه مُحَمَّد بن داود بن طاهر أن يأمر من أمكنه من العسكر بالإحتشاد والإلتئام، فسار مُحَمَّد بن داود إلى ذمار واجتمع إليه ممن قصد إليه وأغار فلما خرج من ذمار إلى جهران وافاهم عامر بن طاهر فيمن معه من الرجال والفرسان، وقد سار من ثغر عدن حكم المبادرة وهو معجل، فباتوا في سيان ومن في صنعاء لا يشعرون بهم في ذلك الأوان[٥].

وكان الإمام مُحَمَّد بن الناصر في صنعاء بذلك الوقت وعندما وصل الملك الظافر إلى مدينة ذمار متوجهاً إلى صنعاء، سبقه إلى صنعاء من بلغ المؤيد ابن الناصر بمجيء الملك الظافر، فكان منه أن أمر من فوره إلى مُحَمَّد بن عيسى شارب يقول له الغارة الغارة فإنا لوصول عامر بن طاهر نتراقب[٦].

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣٥، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٥، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٥٥.
٢ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٨.
٣ تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٥٥، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣٥، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٠.
٤ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥٠٥، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣٥، تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٥٥.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٢٨.
٦ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٩.

فلما كان الصباح وصل الملك الظافر عامر بن طاهر إلى علب ومعه قدر ثلاثة آلاف رجل وزهاء ثلاثمائة فارس بالخيول والناس من أثره قد صاروا في الطرقات مجيبون، فلما وصل إلى علب، أخرج المقراني[1] وهو أحد فرسانه المشهورين والرجال المذكورين في خمسين فارساً وخرجت عين صنعاء، فوقع بينهم الطراد فطعن المقراني وسقط الجواد فعاد، فلما أتى إلى الملك الظافر عامر، وضعه في المحمل على ظهر الجمل.

ثم قال نغتنم الفرصة على من في صنعاء بالقتال ونناورهم قبل أن يصل خيلهم والرجال.

فقال علي بن المنتصر صاحب قلعة سحمر[2]، تأنى واصبر واملك أمرك حتى تجتمع عساكرك، فأبى ذلك.

فقال: أأْمر الناس ليستريحوا ويصطبحوا فلم يجبه إلى ذلك، وفرق الناس وقسم من معه أثلاثاً، إبراهيم بن حسن المقمحي في ثلث العسكر إلى باب اليمن وباب النصر، وفرقة إلى باب شعوب، وتوجه إلى باب السبحة ووجه الثقل والجمال والخيام نحو الجنوب إلى آكام الزبيب.

وقد صار ابن الناصر يطوف بين أهل صنعاء في الشوارع ويحثهم ويحرضهم على القتال، وهو لهم للقتال جامع ووجههم إلى جانب المدينة وقد اعتادوا للقتال وأخذوا السلاح خلاف عادتهم التي نشأووا عليها من الجبن الغالب عليهم في الأحوال.

بل لقد تشجعوا وصاروا إلى القتال يسرعوا، فرماهم جيش عامر بالحجارة من الأوضاف إلى داخل الدوائر وقاتلوهم حتى اتعبوهم، وأخرجوهم عن الأطلال في الدرب والمناظر[3].

ثانياً: الغدر والإستيلاء على محطة الملك عامر: وتقدم فارس من جهة إبراهيم المقمحي وعنس، فقال لأهل صنعاء إن الأثقال والخيام في آكم الزبيب فاخرجوا إليها وما أحد يقاتل عليها.

فقالوا: لهم نخاف منكم الغدر وأن نلقى منكم البأس والشر.

فقالوا: لا بأس عليكم ولا أحد منا يوجه شراً إليكم.

---

١ المقراني فارس مشهور نسبة إلى قرية المقرانة من بلاد حجاج.

٢ سَحَمَر: قرية في عرض جبل بني مسلم، غرب مدينة يريم بمسافة ٢٠ كيلو متر، سكنها في أوائل القرن السابع الهجري مرغم الصوفي الحميري، كان من كبار الصوفية في عصره، وكان يلقب بالعبد الصالح، ناهياً عن الظلم والعسف والجبروت إلى أن قتل بعد سنة ٦٢٣هـ. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٧٧٤/١.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٩.

ففتحوا باب اليمن وباب النصر وخرجوا للأثقال، وما عندها من الظهر، فلما خرجوا انزاح المقمحي ومن معه عن الطريق وانفرجوا غدراً ومكراً بالتحقيق.

وكان الملك الظافر راكناً عليهم أن اثقاله قد صارت من خلفهم وأنهم لا يميلون عن صفهم.

فخرج أهل صنعاء فاستولوا على الجمال واغتنموا ما فيها من الأثقال من خيام وعدة وسلاح وأثقال من الحرير المذهب والملبوس الذي أعدها ابن طاهر لمن يأتيه، وكسوته وذويه الرفيعة الغالية التي يلبسها الملوك الخاصة والمحامل التي ترك وأخويه فيها على الجمال والزينة الحسنة الملوكية والجمال.

وهرب أحد عبيد عامر وآخر لعبدالصمد الموكلين بالنقد من الذهب والفضة إلى براش وببعض شيء من الزينة وجاؤوا إلى الملك الظافر عامر وهو في القتال وقالوا قد انتهت ما في محطتك من الجمال وأخذت الخيام وجميع المال[1].

وأما بالنسبة لمحمد بن عيسى شارب فإنه لما استدعاه الإمام مُحَّد بن الناصر، "وسمع بوصول الظافر أقبل ليدخل صنعاء فلما تراءى العسكران أقبل كل فريق على الآخر فثار العجاج واشتغل العسكر على حفظ الأثقال والأموال وهي على البغال والجمال لأن القصة اتفقت حال وصولهم البلد ولم يحطوا أثقالهم وكان أهل صنعاء يشاهدون الحال فخرج جماعة من صنعاء فساقوا البغال والجمال[2].

"وقد اقبل مُحَّد بن عيسى شارب مغيراً من نقيل عصر بمن معه وقصد باب السبحة بمن أطاعه واتبعه فظنهم الملك عامر ومن في صنعاء غارة من همدان الموالين للملك الظافر عامر، فلما تحقق للملك الظافر أنهم مادة إلى أهل صنعاء، حمل عليهم حملة الليث الغضوب الذي يحوط من لديه ويرعى فقاتل أشد القتال وقتل أربعين ممن مع شارب من الرجال وقال لمن معه من الفرسان يغير منكم خمسون فارساً ليستدركوا ما نهب من المال والجمال والخيام وما عليها من الأثقال.

فخرج ابن الناصر بأهل صنعاء نحو الملك الظافر عامر حين أقبل ابن شارب وقد أيأس الملك الظافر من نفسه وقال ما لنا عن الناصر وابن شارب وقوف ونقتل مقدمين خير لنا من المقام بين النساء ننظر من خلف الدواير ونشوف.

ثالثاً: مقتل الملك عامر بن طاهر: فلما انهزم الناس قال داوود بن إبراهيم بن عبدالله الأنف: يا عامر إن الناس قد ركنوا إلى الفرار فانجُ بنفسك قبل الهلاك والبوار، فلم يلتفت إلى قول من قال وحمل حملة

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٩.

٢ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٥.

الرجال وقتل جماعة من الرجال وعثر به الجواد وقد أصيب بسهم واركبه بعض عبيده على حصان آخر فكبا الحصان الثاني ووقع عامر على الأرض يائساً بعد شدة العزم وأمعن عسكره في الفرار[1].

وفي هذه الخاتمة البطولية يحكي العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي واصفاً حال المعركة وشجاعة الملك الظافر عامر النادرة واستبساله للقتال وعدم فراره أو استسلامه، رغم أنه كان في وسعه الفرار ومعاودة القتال مرة أخرى فالقتال كرٌّ وفرّ، إلا أن نفسه الأبية أبت الفرار والإنسحاب.

فيقول كمال الدين الذؤالي: "واضطرب العسكر الظافري وجالوا جولة وانهزموا ولم يغلبوا عن قلة، وكان الملك الظافر صاحب حمية ونفس أبية، وقال لنفسه: مكانك تحمدي أو تستريحي، وقاتل حتى قتل في جماعة من خاصته وأهل بلده، وقال لسان الحال: ليس الكريم على القنا بمحرم، وله أسوة بجماعة الخلفاء والملوك والأمراء"[2].

وتُرك ليس معه إلا قليل من الحماة ودار به الأعداء فصرع واحتز رأسه بعد أن انتزع عنه لباسه وجاء أحد العبيد إلى مُحَمَّد بن داوود بن طاهر وهو يقاتل في ناحية فقال له: إن عمك قد قتل فانج بنفسك لا تكن بالقتل ثانية، فقال: أين أفر عن عمي.

قالوا: واحد ولا اثنان فأنج، فساروا واجتمع إليه جماعة من الرجال والخيل، وجاءوا بيت علب منهزمين يدعون بالثبور والويل وهرب كثير من الرجالة إلى براش ومن أهل الخيل وتركوا خيلهم ينتهبها الأوباش وكانت همتهم النجاة.

وقد قتل كثير من الناس عند عامر من الحماة قيل مائة وخمسون قتيلاً وقيل مائة، والله أعلم[3].

ويقول العلامة ابن الديبع رحمه الله في ذكر هذه الحادثة ومقتل الملك الظافر: "ثم خرج الظافر منها قاصداً صنعاء باستدعاء من أهلها، كما قيل، فعملوا عليه المكيدة حتى وصلها في جموع عظيمه، غير حازم ولا متهيء للقتال، فحمل عليه أميرها مُحَمَّد بن عيسى شارب في جموعه، فانهزم العسكر السلطاني وثبت الملك الظافر فيمن معه، وقاتلوا قتالاً شديدا حتى قتل الملك الظافر بظاهرها، في طائفة من أصحابه، يوم الاثنين السابع من شهر ذي القعدة ٨٧٠هـ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، فعظم بذلك مصاب المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله "[4].

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠١، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٢٩.
٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٥٦.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٣١.
٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣٥.

وذكر ابن الأنف أن مقتل عامر كان يوم الرابع عشر من ذي القعدة وخروجه من ثغر عدن يوم السابع من ذي القعدة سنة ٨٧٠هـ[١]، وهذا يوافق ما ذكره المؤرخ كمال الدين الذؤالي أن عامر وصل سابع يوم عن خروجه من عدن وقتل في يوم وصوله[٢].

وجيء برأس عامر إلى مُحَّد بن الناصر لم يعرف الرأس حتى غسل ما فيه من الدم وعرفه كثير من الناس، فأمر بجمع رأسه وبدنه وتصدق عليه بعض الحاضرين بكفنه ولم يحصل له كفن مما كنز، وجمع ووضع في حفرة في موضع يقال له قبة خواجه، وحزن عليه ابن الناصر إذ لم يكن في مقدوره أسره فيستولي على ممالكه وما كان يدخر حتى كأنه المهزوم لما إعتراه من الندم[٣].

وقد أرسل الملك المجاهد علي بن طاهر إلى الإمام مُحَّد بن الناصر كما ذكر ذلك المؤرخ السخاوي، يسأله في نقله إلى المقرانة فما أذعنوا لذلك محتجين بأنا نتبرك بقبره وكأنه للاستهزاء، ويقال إنه نقل[٤].

وسار مُحَّد بن داود بمن اجتمع معه الليل والنهار حتى وصل إلى ذمار ثم إلى بلاده، وقد أصدر إلى عمه علي بن طاهر يعلمه بالحادث الذي خر له المجد من عالي أطواده[٥].

قال عنه العلامة المؤرخ السخاوي في ترجمته:" ولد فِي سنة إ٨١١هـ وَقتل على بَاب صنعاء فِي سنة ٨٧٠هـ، وَكَانَ عفيفاً صَادِقاً جوادا مقداماً شجاعاً، لَكِن لم يكن أَخُوهُ عَليّ رَاضِياً بِمَا كَانَ يَفْعَله من شن الغارات، وإتلاف الزروع وطم الانهار وتحريك الاشجار على أهل صنعاء مِمَّا يلجئه إِلَيْهِ الْحَرْب، وَقد رثاه جمَاعَة من شعراء زبيد وَغَيرهَا، وَخلف سَبْعَة ذُكُور قَامَ أَخُوهُ الْمَذْكُور بكفالتهم ومصالحهم حَتَّى مَاتَ[٦]".

رابعاً: أسباب سقوط صنعاء وهزيمة الملك الظافر عامر بن طاهر ومقتله:

أولاً: إبقاء الملك الظافر عامر للإمام مُحَّد بن الناصر في صنعاء وسكنه بها، مما جعله يطمع في الإستيلاء عليها ويخطط لإستردادها، وقد جعله ذلك على دراية وبينة بكل ما يدور في صنعاء في ظل حكم ولاة بني طاهر، ومعرفة نقاط ضعف الولاة الطاهريين، ونقاط القوة في مفاصل الحكم وهذا ما سهل مهمة مُحَّد بن الناصر في الإعداد والتهيئة وإعادة استيلائه على صنعاء.

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٣١.
٢ تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٥٥.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٣٠.
٤ الضوء اللامع، السخاوي، ١٦٥/٢.
٥ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٣٢.
٦ الضوء اللامع، السخاوي، ١٦/٤.

ثانياً: ترك صنعاء من غير حماية تكفي لقمع أي تمرد وكان هذا الإهمال الأمني السبب الرئيسي لسقوط صنعاء، فقد خرج أغلب الجنود الذين كانوا مرتبين فيها ففرغت صنعاء منهم بسبب النائب يحي الكراز الذي عينه نائبا للبعداني فكان يوهمه بأن ابن الناصر محل ثقة، وزيادة على ذلك خروج البعداني عامل صنعاء من قبل الملك عامر لإستخلاص الحقوق من المناطق التي حول صنعاء، ولم يبقى إلا القليل من الحراسة والذين استسلموا مباشرة دون أي مقاومة تذكر، والغريب أن يُقال أن شارب لم يكن هدفه إلا تخليص مُحَّد بن الناصر وتهريبه من صنعاء إلى حصن ذي مرمر، ولم يكن للإستيلاء على صنعاء بل شجعه على ذلك أهل صنعاء عندما علموا بقدومه لإخراج المؤيد.

ثالثاً: خيانة بعض قادة جيش الملك الظافر في أيام الحرب وخاصة ممن كانت بينه وبينهم عداوة سابقة، وكانوا يتظاهرون له بالولاء والإخلاص في الظاهر، وهم يبطنون خلاف ما يظهرون، ومنهم حسن المقمحي، الذين أفسحوا لأهل صنعاء بنهب محطة الملك عامر بن طاهر كما مرّ معنا ذكره، فقد كانت هناك مؤامرة اتضحت بين المقمحي وأكراد ذمار من جهة وشارب وابن الناصر من جهة أخرى، كما يذكر ذلك القاضي المؤرخ مُحَّد بن علي الأكوع في التعليق على مقتل الملك عامر بن طاهر فيقول: فلم ينسى المقمحي وأكراد ذمار ما حل بهم من عامر من خراب قصورهم وسلب معنوياتهم وانتزاع حصون أسلاف من أيديهم وهو قفل اليمن الأعلى والأسفل لذلك الأوان وإن أظهروا الصداقة والإخلاص والتذلل، فذلك من خداع السياسة، وما بقاء ابن شارب خارج صنعاء إلا خيط من خيوط المؤامرة، يصل إلى صنعاء فيفشل المعركة ويهزم عامر ويدخل عليه الخوف[1].

رابعاً: إنفراد الملك عامر بن طاهر بالقرار في الحرب وعدم إشراك الآخرين أو الأخذ برأيهم، فقد نصحه علي بن المنتصر صاحب قلعة سحمر عند وصولهم مباشرة إلى صنعاء، أن يتأنى ويصبر حتى تجتمع جميع العساكر فيستطيع أن يحاصرها ويطبق عليها بكل قواته، فأبى ذلك فقال أأمر الناس ليستريحوا ويصطبحوا فلم يجبه إلى ذلك أيضاً[2]، وهذا ما شتت قوات الملك عامر وفرق جمعهم وكان سبباً رئيسياً للهزيمة، وكل ذلك لعدم أخذه بالمشورة، وتفرده بالرأي ويُعد هذا الخطأ من أخطر الأخطاء في إدارة الملك وقيادة المعارك، فكان لا بد له من إعمال الشورى واستشارة أهل الحل والعقد من قادته وأعوانه الذين يثق بهم وألا ينفرد برأيه.

---

١ حاشية القاضي مُحَّد بن علي الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٢٣٥.

٢ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٢٩.

خامساً: الإعتداءات التي كان يقوم بها جيش الملك عامر بن طاهر على الزراعات والآبار وينابيع المياه التي حول مدينة صنعاء كلما حاصرها، مما كان يلحق أشد الضرر بالمواطنين، مما جعلهم يقفون في صف مُحَمَّد بن الناصر[1]، رغم عدم إعتيادهم على القتال من قبل ذلك وهو خلاف عادتهم.

سادساً: ثقة الملك الظافر المفرطة بابن الناصر وذلك حسب المعلومات التي كانت تصله من نائب حاكم صنعاء ابن الكراز، مما جعله يطمئن لمكوثه في صنعاء واستقراره بها، وقد مكن هذا ابن الناصر من توطيد علاقته بأهل صنعاء والتواصل معهم وبالتالي جعلهم يثقون به ويقاتلون بجانبه عند حصار صنعاء.

سابعاً: من الأسباب الرئيسية كذلك التي أدت إلى هزيمة الملك الظافر تركه أمر ولاية بعض الحصون التي استولى عليها في صنعاء وما حولها، لمن كانوا قائمين عليها في عهد مُحَمَّد بن الناصر، الذين تظاهروا له بالولاء والطاعة في الظاهر، وهم يخططون ويعدون للإستيلاء على صنعاء وعلى رأسهم مُحَمَّد بن شارب، فكانت تُعد هذه الحصون بمثابة خط الإسناد والتموين لمحمد بن الناصر.

ثامناً: تعجل الملك الظافر في بدأ القتال قبل استراحة قواته وتكامل وصول جيشه وتجمعه، مما أدى إلى خوض رأس جيشه ومقدمته للمعركة دون بقية الجيش وهم منهكين من السفر دون استراحتهم، وكان ذلك بسبب ثقة الملك الظافر الزائدة عن اللزوم بالنصر، وربما اغتراره بالنصر وبسهولة خوض المعركة وكذلك شجاعته المفرطة هي التي أدت إلى خوض المعركة دون وصول بقية قواته وقد مرّ معنا نصح علي بن المنتصر له بالتأني والصبر حتى وصول بقية القوات وعدم استجابته لذلك[2].

تاسعاً: خروج الملك الظافر عامر من عدن متوجهاً إلى صنعاء، بعد أن وصلت إليه مراسلات أهل صنعاء له بتسليم صنعاء له، فلم يكن مستعداً الإستعداد الكافي للقتال، اعتماداً على ما وعده به أهل صنعاء، فلم يحشد الأعداد الكافية من الجيش كما حشد سابقاً عند تقدمه من ذمار إلى صنعاء، بل أنه لم يستمع إلى أخيه الملك المجاهد وتحذيراته بألا يركن على أهل صنعاء ووعودهم له، ونصحه بأن يأخذ الحيطة، وتخويفه من الوقوع في المكيدة ولكنه لم يستمع له[3].

---

١ حاشية القاضي الأكوع على روضة الخبار، ص٢٣٤.
٢ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٢٩.
٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣٥، تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٥٥.

عاشراً: يضاف إلى ذلك أن جيش عامر قد سئم الحرب والتكرار لحصار صنعاء، واستا من أعمال عامر التعسفية فولى الأدبار، لا يلون على شي[1].

وكان الملك الظافر عفيفاً صادقاً جواداً مقداماً شجاعاً، لكن لم يكن أخوه الملك المجاهد علي بن طاهر راضياً بما كان يفعله من شن الغارات واتلاف الزروع وطم الانهار وتحريك الاشجار على أهل صنعاء مما يلجئه إليه الحرب، وقد رثاه جماعة من شعراء زبيد وغيرها، وخلف سبعة ذكور قام أخوه المذكور بكفالتهم ومصالحهم حتى مات[2].

١ حاشية الأكوع على روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٣٥.

٢ الضوء اللامع، السخاوي، ١٩٦/٢.

الفصل الثالث
الأوضاع السياسية بعد مقتل
الملك عامر بن طاهر

لما استشهد الملك الظافر بصنعاء كما ذكرنا، اتصل العلم بأخيه الملك المجاهد، وهو إذ ذاك بعدن[١]، وقد اشتد عليه ذلك، وعظم عنده فقد الحميم، فاستخدم عسكراً وخرج إلى مقره فوصل حبيل بدر فتحقق الأخبار وتقدم إلى دار السلام بجبلة ومتوسط بين الحدود فأقام به مدة يصدر ويورد ويولي ويعزل وعَرَف الموالي والمعادي وعامل كلاً بما يستحق[٢].

وأكثر خوفه وغارته إلى حصن حب وجبل بعدان خشي من فيه الخلاف، ووصل وأمر لأحمد الليث الذي كان في حب فأدخلهما السجن خوفاً على بعدان وما إليه من البلدان، ووجل من إدريس ابن الجلال الحبيشي[٣].

وأما أهل زبيد فإنه لما وصل الخبر إليهم بذلك، وكان الشيخ علي بن سفيان بزبيد، وقد أذل المعازبة وشردهم وطردهم فتراجعوا واجتمعوا ولم يبلغوا مبلغاً، فسكن الإضطراب في البلاد وحفظها، وأمر بالصلاة على الملك الظافر يوم الجمعة، ونادى بالقراءة عليه سبعة أيام لم تنقطع بزبيد، وكان غالب الناس يصلون الصبح بالجامع ويصلي بهم كل يوم القاضي عفيف الدين عبدالله بن الطيب الناشري ثم يشرع الشعراء في التراثي من يوم الثالث، فرثاه الفقيه عبدالرحمن الشويهر، والبدر الصياحي، والفقيه حمزة الناشري وغيرهم، إلى انقضاء السبعة الأيام[٤].

١ يحكي العلامة المؤرخ الطيب بن عبدالله بامخرمة في تاريخه أن الملك علي بن طاهر كان في ذلك الوقت في عدن، وأنه أراد الطلوع إلى جبل صيرة، لمعاينة البئر التي فيه، بعد أن سمع أن القاضي ابن كبن طلع رأس هذا الجبل، ومعه جمعٌ من أعيان البلد فأدلوا في البئر المذكورة حبلاً ثم رفعوه وقد أحترق طرفه، فلما حكيت هذه القصة للشيخ علي بن طاهر، وهو إذ ذاك بعدن أراد الطلوع إلى جبل صيرة، ويشاهد ذلك الشيء، فعينوا يوماً معلوماً للطلوع، فاتفق وصول خبر قتل أخيه الشيخ عامر تحت صنعاء إلى عدن في أول ذلك اليوم الذي عينوه للطلوع فيه، فخرج الشيخ علي بن طاهر مبادراً إلى الجبل خوف توقع فتنة فيه، وبطلوا ما همّوا به من طلوع الجبل. أنظر: تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها، الإمام الطيب بن عبدالله بامخرمة، تحقيق علي حسن الحلبي، دار الجيل بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٧م، ص٢٦.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٣، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي الزبيدي، ص٢٥٦.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٣٢.

٤ قرة العيون، ابن الديبع، ٥٠٦.

وكان لابد للملك المجاهد من إخماد هذه التمردات وتسكين القبائل وإخضاعهم للدولة الطاهرية واستعادة السيطرة على البلاد، وغالباً ما كانت القبائل تثور في تلك الأيام أو في ذلك العصر، ومن الصعب إقناعها.

وربما أن أبرز ما واجهه الملك المجاهد بعد مقتل أخيه الظافر عامر الأول، هو التمردات القبلية فقد كل اهتمام الدولة منصباً على اخضاع القبائل وخاصة في تهامة وما حولها وإحكام السيطرة على اليمن، لذا فإن الفترة التاريخية من حكم الملك المجاهد إلى حين وفاته لم تكن زاخرة بالأحداث المتنوعة والصراعات مع سلطنات أو ممالك أخرى لأنها كانت كما ذكرنا في الغالب ردع للتمردات القبلية.

ولم يتجدد الصراع في عهد الملك المجاهد مع الأئمة الزيدية، فقد شغل الملك المجاهد كما ذكرنا بردع التمردات القبلية فترك قتال الأئمة الزيدية إلى حين وفاته، وكان لا يستحسن قتالهم حتى في أثناء قتال أخيه عامر الأول لهم.

يقول العلامة المؤرخ مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي: "وبعد قتل السلطان عامر بن طاهر تفرد بالملك المجاهد علي بن طاهر، فأعرض عن الفتن واقتصر على بلاده وبلاد أخيه عامر، وترك بلاد الزيدية وقتالهم، وأحسن السياسة وتدبير المملكة وبناء المساجد والربط، وعود العوائد وأعطى العطايا المستكثرة"[١].

ولكن أهم ما واجهه الملك المجاهد بعد مقتل الملك الظافر هو اضطراب أحوال اليمن، فقد واجه الملك المجاهد علي بن طاهر بعد مقتل أخيه الظافر الكثير من المتاعب بسبب التمردات التي اعتادتها قبائل تهامة، وقبائل مخلاف جعفر كلما كانت الفرصة سانحة لها للتخلص من الحكم القائم، كما كان حالها في عهد بني رسول قبل ذلك، وكان من أبرز هذه التمردات القبلية على الملك المجاهد هو تمرد القبائل في تهامة وعلى رأسهم المعازبة، وبني حفيص من الزيدية في تهامة وكذلك تمرد الشيخ إدريس الحبيشي في مخلاف جعفر، وفي هذا الفصل سنبين هذه التمردات على النحو التالي:

المبحث الأول: تمرد الحبيشي بمخلاف جعفر

المبحث الثاني: تمرد المعازبة في تهامة

المبحث الثالث: تمرد قبيلة بني حفيص الزيديين بتهامة

المبحث الرابع: تمرد قبائل أخرى

المبحث الأول

١ اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مُحَمَّد بن إسماعيل الكبسي، ص١٨٦.

تمرد الحبيشي بمخلاف جعفر

أولاً: تمرد إدريس الحبيشي صاحب مخلاف جعفر:

مرّ معنا أن بلاد الحبيشي تقع في حبيش من مناطق إب، وقد كانت من أبرز المدن مدينة جبلة التي بنيت في عصر الدولة الصليحية، وقد كان آل الحبيشي من المتمردين في أواخر عهد الدولة الرسولية واستمر تمردهم وطموحهم للإستيلاء على السلطة إلى عصر الدولة الطاهرية، وكان معقلهم وحصنهم المنيع هو حصن التعكر الشهير القريب من مدينة جبلة.

وفي أواخر الدولة الرسولية اضطربت أحوال مخلاف جعفر من إب وساءت أحواله الأمنية، وعندما استقل بني طاهر بالملك بعد الرسوليين، إستطاعوا أن يبسطوا نفوذهم على مخلاف جعفر وغيره من المناطق.

واستمر التمرد والإعتداءات من قبل العباس بن الجلال الحبيشي، إلا أن محاولاته كلها باءت بالفشل ولم يستطع الحبيشي أن ينال شيئاً، حتى تم الصلح بينه وبين بني طاهر في في أواخر عام ٨٦٦هـ، واصطلح الملكان المجاهد والظافر مع الحبيشي الشيخ عباس بن الجلال بن عبدالباقي صاحب خدد، وواجههما وأنعما عليه ورضيا عنه[1]، وهكذا سكنت الأوضاع في مخلاف جعفر واستقر الأمر لبني طاهر.

"ولما جرى على الملك الظافر ما جرى وصل الخبر إلى الملك المجاهد بعدن فخرج منها مبادراً، وتوجه إلى بلده ولم يدخل جبن ولا إلى المقرانة، بل أقام بجبيل بدر أياماً، ثم توجه إلى دار السلام خارج جبلة لاحتياط المخاليف خصوصاً مخلاف إدريس الحبيشي، فإنه كان مع الملك الظافر ليخرج صنعاء، فلما رجع غدر قبل الوصول إلى بيته وأظهر الخلاف، وأخذ حصون مما كانت قد أحصرت منه، فأقام الملك المجاهد هناك إلى أن سكّنها"[2].

وكان طلوع الملك المجاهد إلى جبلة مباشرة، أنه وجل وخاف من غدر من إدريس ابن الجلال الحبيشي[3].

---

١ سبق وأن ذكرنا ذلك كله بالتفصيل في ذكر التمردات في إب والإستيلاء عليها، يراجع للأستزادة في مكانه.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٣، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٥٧.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢٣٢.

فبعد وفاة الملك الظافر عامر بن طاهر، وغدر الشيخ أدريس الحبيشي، حاول الملك المجاهد استعادة ما استولى عليه أدريس الحبيشي من حصون إلا أنه لم يطل المكوث في بلاد الحبيشي، ففي سنة ٨٧٧هـ، حطّ الملك المجاهد علي بن طاهر على الشيخ أدريس بن الجلال الحبيشي، بخدد وما والاه، ثم ارتفع عنه، ودخل مدينة زبيد ليلة الخميس ٢٩ شعبان ٨٧٧هـ، وفي صحبته ابن أخيه الشيخ يوسف بن عامر[1].

وفي الثالث من شوال سنة ٨٧٧هـ، طلع الملك المجاهد إلى تعز ثم إلى جبلة، ووقعت بينه وبين الحبيشي وقائع عظيمة، نصر المجاهد فيها عليه، وأخذ له عدة حصون ومنها المصينعة حصن الخضراء[2] ثم رجع إلى تعز[3].

وعلى أثر هذه الهزائم المتوالية التي لحقت بالشيخ أدريس الحبيشي، وخروج الحصون والقلاع من تحت سيطرته، أضطر أدريس بن الجلال الحبيشي إلى عقد الصلح مع الملك المجاهد، ففي ربيع أول عام ٨٧٩هـ حصل صلح تام، ودخل الحبيشي في صحبة الملك المجاهد إلى تعز[4].

ويبدو أن هذا الصلح لم يدم طويلاً فالظاهر أن الحبيشي قد نقض الصلح واستطاع أن يستعيد الحصون التي وقعت بأيدي الطاهريين، أو أن الملك المجاهد ربما يكون قد سلمها له خلال الصلح الذي جرى فطمع الحبيشي في نقض الصلح بعد ذلك، وكان من ضمن الحصون التي استولى عليها أدريس الحبيشي حصن الخضراء وهو من أمنع الحصون في مخلاف جعفر، فاتجه إليه الملك المجاهد بعد استقرت أمور الملك في ذي القعدة من عام ٨٨٢هـ، واحتل حصن خدد الذي يُعد معقلاً منيعاً ويتحكم في المناطق التي حوله، ثم توجه إلى حصن الخضراء ونصب الملك المجاهد المنجنيقات على حصن الشيخ أدريس الحبيشي المعروف بالخضراء، بقرب خدد، وأخرب أكثرها، ثم نزل إليه الحبيشي

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٥.

٢ حصن الخضراء: حصن في قمة جبل حبيش، شمال غرب مدينة إب، بقرب خدد يشكل مركزاً إدارياً يضم عدداً من القرى منها قرية السر والشوافي وبيت هلال والثوماني وغيرها. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ٧٧٢/١.

٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٥.

٤ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦٦/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٧، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١١، الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص١٢٦.

باذلاً الطاعة، وسلم الحصن، ومضى تحت ركابه وخدمته[١]، فاستسلم أدريس الحبيشي وأخذه السلطان معه إلى عدن[٢] .

ثانياً: مقتل الشيخ إدريس الحبيشي:

وبعد نزول الشيخ أدريس الحبيشي إلى عدن بشهر تقريباً وبالتحديد في يوم الجمعة ٢٨ من المحرم سنة ٨٨٣هـ، قُتِل الشيخ إدريس بن مُحَمَّد بن الجلال الحبيشي صاحب خدد.

وكان قتله بمدينة عدن، والقاتل له الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي، زعم أنه قتل أباه، فاستأذن الملك المجاهد في قتله فأذن له.

فدخل عليه بيته بعد أن احتال وفرق أصحابه عنه، ثم هجم عليه بغتة في ثلاثة من العبيد فقتلوه رحمه الله"[٣].

وبمقتل الشيخ أدريس الحبيشي انتهت صفحة من صفحات التاريخ، سطر فيها الحبيشي محاولة تملكه على بلاد حبيش ومخلاف جعفر، والذي دامت لعقود طويلة وعاصرت فيها هذه السلطنة أواخر عهد الدولة الرسولية ودامت إلى أواخر حكم الملك المجاهد فانتهت عام ٨٨٣ هـ، وهو نفس العام الذي توفي فيه الملك المجاهد، فاستمرت معاصرة للدولة الطاهرية ما يقرب من ربع القرن.

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٣.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٢/٦، الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص١٢٦.

٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٩، بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٣، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٢/٦.

المبحث الثاني
تمرد المعازبة في تهامة

أولاً: تمرد المعازبة في تهامة:

سبق وأن مرّ معنا التمرد الدائم لقبيلة المعازبة والذي كانوا يتحينون الفرص لإنشغال الطاهريين بأي أمر أو تمرد فيثورون، ويتمردون ويبدأوون بالسلب والنهب وقطع الطريق والتعدي على القبائل الأخرى.

وكان الفرصة المواتية لهم في تصورهم هو مقتل الملك عامر، فعندما مقتل الملك الظافر في صنعاء كان الشيخ علي بن سفيان بتهامة، وهاجت عرب تهامة للخلاف، وعلم النفاق وكل من في قلبه مرض، فخرج ابن سفيان إلى مدينة فشال وأقام بها مرابطاً ومدافعاً للمعازبة، وهو يكاتب الملك المجاهد ويستميله ويستنجده[١].

وكان الملك المجاهد في مدينة عدن، فإنه لما استشهد الملك الظافر بصنعاء كما ذكرنا، اتصل العلم بأخيه الملك المجاهد، وهو إذ ذاك بعدن فخرج منها مبادراً إلى جهة بلده، فأقام بجبيل بدر أياماً، ثم نزل إلى ذي جبلة، وأقام بدار السلام منها أياماً حتى سكن الحال[٢].

"فقدم الملك إلى تهامة في شهر ربيع الأول سنة ٧٧١هـ، ثم خرج منها إلى المعازبة وهم بموضع يعرف بملقى الواديين فصفوا له وقابلهم العسكر فهزموه، ثم أرسل الملك طائفة من العسكر فردوهم، فصلى الظهر وركب، فحمل عليهم فهبت ريح النصر فهزمهم وبدد شملهم ومزقهم[٣]".

فقتل منهم نحو تسعة جماعة وأثخن آخرين، وانهزموا فرجعوا إلى بيت الفقيه[٤]، "وخلفوا النساء والعيال واستباح العسكر آلتهم وماعونهم، وتفرقوا شذر مذر، ورجع إلى بيت الفقيه ابن عجيل فبات بهم ثم أغار عليهم اليوم الثاني فهزمهم وحصل عليهم ما لم يكن في الحسبان حتى قتل كثير من ضعفتهم ومشايخهم ولحقهم من مخلاف إلى مخلاف، ودخلوا بلاد العامريين وأقام هو بقرية شجينة، ثم إنهم أذعنوا للصلح وبذلوا نحو ستين فرساً وارتفع عنهم وقفل إلى مدينة زبيد يوم الأربعاء ١٨ ربيع الثاني"[٥].

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، ص ٢٥٧.
٢ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٥.
٣ تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٥٧.
٤ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٦، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٠/٦.
٥ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦٠/٦، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي الزبيدي، ص٢٥٧.

ويقول ابن الديبع في غزوة الملك المجاهد للمعازبة لليوم الثاني جزاء تمردهم وخيانتهم حتى أدوا الطاعة: "وأغار عليهم في اليوم الثاني، فهزهم حتى بلغ بهم موضعاً يقال له نقب ميلوخ، وقتل منهم خمسة عشر نفراً وأسر نسائهم ونهب مواشيهم، وحاصرهم فضاقوا ثم هربوا إلى موضع آخر، فتبعهم ولم يزل يتابعهم حتى دخلوا هيجة العامريين.

وأقام الملك المجاهد بقرية شجينة، وحصرهم نحو ثمانية عشر يوماً، ثم أدوا الطاعة وسلموا اثنين وخمسين فرساً، فارتفع عنهم ودخل زبيد يوم الأربعاء ١٨ من ربيع الآخر.

والملقى موضع بين خبت ذؤال ووادي رمان"[١].

وبهذا قضى الملك المجاهد على تمرد المعازبة إلى فترة لا بأس بها وأمن كيدهم وقطعهم للطريق، ولكنهم لم يهدأوا نهائياً وإنما كان ذلك إخضاع لهم لفترة مؤقتة حتى يترسخ الملك للملك المجاهد، فقد كان المعازبة معتادين على التمرد والإسترزاق عن طريق السلب والنهب وقطع الطريق.

ولم يكف الملك المجاهد وأمرائه وولاته عن ملاحقة للمعازبة وغيرهم في زبيد وتهامة بل إنهم استمروا في ذلك في السنوات التي تلت سنة مقتل الملك الظافر، وخلال سنوات حكم الملك المجاهد كانت له عدة غارات على المعازبة لكف أذاهم واخضاعهم للدولة.

ففي يوم الثلاثاء ثاني المحرم من سنة ٨٧٢هـ، غزا الملك المجاهد المعازبة بني يعقوب وقتل منهم ستة نفر[٢].

وفي أول يوم من المحرم سنة ٨٧٥هـ، دخل مولانا عبدالوهاب بن داود مدينة زبيد وابن سفيان في صحبته، في عساكر عظيمة، والملك المجاهد إذ ذاك بها، وخرجا في صحبة المجاهد إلى نخل المعازبة على طريق بيت الفقيه ابن عجيل، فقتلوا منهم جماعة، ونهبوهم نهباً ذريعاً، ووقعوا على تمر عظيم لهم فانتهبوه، ثم رجع الملك المجاهد إلى زبيد[٣].

وفي يوم الإثنين ٧ من ربيع الأول من عام ٨٧٥هـ، خرج الملك المجاهد غازياً المعازبة، فقتل منهم نحو ثمانين رجلاً ونهب إبلاً وبقراً وغنماً، ثم غزا الرماة وقتل منهم جماعة، ودخل زبيد يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول[٤].

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٣، بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٦.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣٧.

٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٤، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤١.

٤ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٩، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤١.

ثانياً: مقتل شيخ المعازبة والصلح مع الدولة الطاهرية:

وفي سنة ٨٧٥هـ كانت نهاية رأس الفتنة في قبيلة المعازبة وهو شيخهم عبدالله بن حسن العنيزي، فيذكر المؤرخ ابن الديبع أنه في ليلة السبت ٢٥ من ربيع الآخر، غزا الملك المجاهد المعازبة، فقتل شيخهم عبدالله بن حسن العنيزي، ثم اصطلحوا على تسليم خمسة وثلاثين فرساً[١].

يقول العلامة كمال الدين الذؤالي شيخ المعازبة عبدالله بن حسن: "غزا الملك المجاهد إلى وادي رمع وكان فيه زرع وكانوا يترددون إليه للنهب فظفر بعبدالله بن حسن العنبري، كان من كماتهم وأبطالهم، وأول من يقابل الفرسان منهم فقتله، فكان فتحاً عظيماً وانهد بذلك طوداً من الجهال"[٢].

إلا أن المعازبة ورغم ذلك كله لم يكفوا أذاهم عن الآخرين، وهذه المرة أدرك المعازبة أنهم أضعف من أن يواجهوا الدولة الطاهرية لوحدهم، فتحالفوا مع قبائل أخرى لغزو أهل الفرس والسطو عليهم، كما ذكر ذلك المؤرخ ابن الديبع رحمه الله، بأن المعازبة قاموا بغزو أهل الفرس هم والقرشيون والرماة، في ١٦ من شوال من عام ٧٧٦هـ، وقاموا بقتل علي بن معوضة من عسكر الملك المجاهد، ثم خربت المرة، وغشي أهل البوادي مدينة زبيد، وجرت أمور عظيمة تعبت الناس منها[٣].

"فقدم الملك المجاهد على إثر ذلك من عدن إلى زبيد في ذي القعدة، وفي صحبته ابنا أخيه أحمد ويوسف أبناء عامر، والأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي فدخل زبيد ليلة الثلاثاء ١٧ من ذي القعدة ثم دارك غزو المعازبة ومن انضم إليهم من القرشيين مدة قُتل في أثناءها زعيم القرشيين البيذق، في جماعة كثيرين من المعازبة والقرشيين، يوم الجمعة ٢٠ من ذي القعدة[٤]".

ثالثاً: تولية الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي البلاد الشامية:

"ففي محرم سنة ٨٧٦هـ، أقطع الملك المجاهد الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي البلاد الشامية، فخرج إليها في عساكر وخيل كثيرة سادس الشهر المذكور، ووقف في المراوعة أياماً، ثم دخل عليه في أثنائها علي بن أبي الغيث بن حفيص، والفقيه مُحَمَّد بن أبي بن حسين، والفقيه علي بن حشيبر فأسرهم، وأرسل بهم إلى مدينة زبيد، ثم غزا البجليين فقتل منهم نحو العشرين، وسبى نساءهم ونهب مواشيهم، ثم صالحوه على ثمانية عشر فرساً يؤدونها إليه.

---

١ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٢.

٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، ص٢٦٣.

٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٣.

٤ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٣.

ثم غزا الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي المعازبة وأهل الجحبة، بعد أن غدروا بإسماعيل بن محفوظ المصري، وجماعة من الفرسان والعبيد كانوا هنالك يستخلصون من الجحبة مالاً، فانكسر المعازبة والجحبة، فقتل منهم ذلك اليوم نيفاً على المائتين، واحتز من رؤوسهم قريب المائة، ودخل بهم بيت الفقيه ابن عجيل دخولاً معظماً، ثم اصطلحوا بعد ذلك، وسلم المعازبة عشرة أفراس، والجحبة تسعة آلاف دينار، ثم دخل زبيد عقب ذلك.

ثم خرج الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي من زبيد غازياً أهل شمير، فأغار على بني حسين الأهمول، وقتل منهم ثلاثين نفراً وأسر آخرين، ونهب مواشيهم، ودخل بهم زبيد يوم الخميس من ربيع الأول[1]".

إلا أن الأعمال والتصرفات التي قام بها الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي باسم الدولة، والتي أسرف فيها بالقتل والنهب والسلب وسبي النساء، أثارت استياء وحنق الملك المجاهد علي بن طاهر، فرغم أن الملك المجاهد قد ولى الأمير عمر بن العزيز الحبيشي ووثق به، إلا أنه لم يجعله في معزل من الرقابة والمحاسبة على أعماله وتجاوزاته، والإفراط في الإساءة للناس والتعدي على حقوقهم، وإن كانوا قد أجرموا وسفكوا الدماء.

فبعد هذه الحوادث والأعمال التي صدرت من الأمير الحبيشي أرسل الملك المجاهد علي بن طاهر الشيخ عبدالوهاب بن داود بن طاهر في يوم الأحد شهر ربيع سنة ٨٧٧هـ إلى زبيد، فقدِم مدينة زبيد بغتة وقت الظهر، فقرر أمور الرعية، ولم يعلم أحد بمقصوده، حتى قبض على الأمير عمر بن عبدالعزيز، وعزم به في صحبته في أعيان الكتاب يوم السبت ١٨ الشهر المذكور، فواجهوا الملك المجاهد بتعز، وأنكر الملك المجاهد على الأمير عمر بن عبدالعزيز أموراً أحدثها، وأفعالاً ارتكبها ووبخه توبيخاً عظيماً، وحاسب الكتاب في عدن، ثم قيد الأمير عمر بن عبدالعزيز، وخرج به صحبته من عدن إلى تعز، ثم أطلقه بعد مدة على مال سلمه[2]، ثم أعاده إلى الولاية فجعله مقدماً على زبيد في أول سنة ٨٧٨هـ[3].

وكان الأمير عمر بن العزيز الحبيشي قائداً فذاً وشجاعاً، وفارساً من فرسان العرب، فقد أخضع القبائل المتمردة رغم قصر فترة توليه، وكسر شوكتهم وحد من خطرهم وتعديهم وسلبهم وقطعهم للطريق، حتى

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦٤/٦، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ٦٠٥، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٣.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٤.

٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١١، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٦.

أن المؤرخ كمال الدين الذؤالي الزبيدي لم يكن يسميه ويدعوه في تاريخه إلا بالأمير الشجاع، فقد كان الشيخ كمال الدين ممن عاصر الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي وعلم بأخباره لأنه من أبناء زبيد وعلمائها[1].

إلا أنه وسرعان ما تم عزل الأمير عمر بن عبدالعزيز من قبل الملك المجاهد، ففي يوم الأحد ثاني شهر ربيع الآخر من ٨٧٧هـ، قدم الشيخ عبدالوهاب بن داود مدينة زبيد بغتة وقت الظهر، فقرر أمور الرعية ولم يعلم أحد بمقصوده حتى قبض على الأمير عمر بن عبدالعزيز، وعزم به صحبته في أعيان الكتاب، يوم السبت ثامن الشهر المذكور فواجهوا الملك المجاهد بتعز، وأنكر الملك المجاهد على الأمير عمر بن عبدالعزيز أموراً أحدثها وأفعالاً ارتكبها، ووبخه توبيخاً عظيماً، وحاسب الكتاب في عدن، ثم قيد عمر بن عبدالعزيز، وخرج به صحبته من عدن إلى تعز، ثم أطلقه بعد مدة على مال سلمه[2].

ويذكر العلامة المؤرخ كمال الدين الذؤالي الزبيدي بأن الذي حصل للأمير عمر بن العزيز هو مكيدة أُكيد بها ومؤامرة دبرت له لإفساد العلاقة بينه وبين الملك المجاهد، فيقول الشيخ كمال الدين: "قدم الشيخ عفيف الدين عبدالوهاب إلى زبيد على حين غفلة من أهلها لمكيدة أكيد بها الأمير عبدالعزيز ...، فأعلمه بطرف من المكيدة فقال: ها أنا ذا بين يديك، وبدا المحقق للشيخ عفيف الدين أنها مكيدة، ولكنه لم يسعه إلا امتثال أمر عمه الملك المجاهد فرسم على الأمير المذكور وعزم به صحبته إلى الملك المجاهد بثغر عدن، وصحبتهم من وجوه الكتاب، فلما وصل ذكر له المكيدة، فأنكر وصمم على ذلك وظهر صدقه، فأمر الملك المجاهد بتقييده، وخرج به بمعيته إلى تعز فمكث مدة ثم أفرج عنه بمال[3]".

وبعد إقالة الأمير عمر بن عبدالعزيز من منصبه، استمر تمرد المعازبة على الدولة الطاهرية، وفي المقابل استمر الطاهريون في ردع المسيئين من قبيلة المعازبة والمعتدين وقطاع الطرق، ففي يوم الأربعاء ٢٣ من شهر شعبان من عام ٨٧٩هـ، غزا الشيخ يوسف ابن عامر المعازبة بيت الأكيد إلى قرية المدارية، فكسرهم كسرة شنيعة، وقتل منهم أزيد من عشرين نفساً، وانتهب بيوتهم ومواشيهم، ودخل برؤوسهم زبيد يوم الخميس ثاني الغزوة[4].

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، ص٢٦٥.
٢ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٤.
٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، ص٢٦٦.
٤ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٨.

وكانت هذه تقريباً هي آخر وقعة مهمة بين الدولة الطاهرية والمعازبة، خضع بعدها المعازبة لفترة من الزمن إلى حين وفاة الملك المجاهد، ولم يكن لهم نشاط حربي أو تعديات أو أعمال سلب أو نهب تذكر أو بالخطيرة على الدولة الطاهرية خلال بقية حكم الملك المجاهد.

المبحث الثالث

تمرد قبيلة بني حفيص الزيديين بتهامة

ربطت قبائل الزيدية[1] بالدولة الطاهرية علاقة طيبة خلال الستة عشر عاماً الأولى من قيامها، وهي الفترة التي كان السلطان عامر الأول شريكاً في معظمها مع أخيه المجاهد في السلطة والحكم، فقد كان بني حفيص ممتثلين لبني طاهر بالسمع والطاعة، وكانوا مقرين بملكهم على اليمن وغير طامعين بالخروج عليهم أو إثارة الفتنة والنزاع في البلاد التهامية.

وقد يكون مرد ذلك إلى السلطان عامر الأول، إذ أنه يأتي في المقام الأول من بين بني طاهر، من حيث الجهد العسكري الذي بذل في سبيل قيام الدولة الطاهرية[2].

أولاً: قدوم جماعة من بني حفيص على المجاهد: وقد كان أول قدوم مشايخ بني حفيص الزيديين إلى الملك المجاهد إلى مدينة زبيد في عام ٨٦٧هـ، وذلك لبذل السمع والطاعة والإعتراف بملك وسلطان بني طاهر، وكان من بينهم الشيخ أحمد بن أبي الغيث زعيم قبائل الزيدية ومُحَمَّد بن أبي القاسم وآخرون، وأكرمهم السلطان المجاهد علي.

يقول العلامة ابن الديبع رحمه الله: "وفي جمادى الآخر سنة ٨٦٧هـ، قدم مشايخ بني حفيص ومنهم أحمد بن أبي الغيث ومُحَمَّد بن أبي القاسم على الملك المجاهد بزبيد، فوصلهما بجوائز سنية[3]".

ثم إنه كان القدوم الثاني لجماعة من بني حفيص في شهر شعبان من عام ٨٦٨هـ، فيهم الشيخ فيهم أحمد بن أبي الغيث،

فوصل العلم بعد قدومهم أن بني حفيص قتل منهم الزيديون نحو خمسة وعشرين رجلاً، فعزم بنو حفيص مسارعين إلى بلدهم[4].

وكان بداية الصراع بين الدولة الطاهرية وبين بني حفيص الزيديين في عام ٨٧٤هـ، وذلك بعد مقتل السلطان عامر الأول بنحو أربع سنوات.

---

١ سكنت قبائل الزيدية في تهامة، حيث تقع مدينة الزيدية المسماة باسمهم والواقعة على شط وادي سردود تجاه جزيرة كمران، وزعامة قبائل الزيدية في بنو حفيص، وقبائل الزيدية سنية المذهب ولا يمتون للمذهب الزيدي بأي صلة. أنظر: تاريخ بنو رسول وبنو طاهر، عبدالعال، ص٣٠٠، حاشية قرة العيون، مُحَمَّد بن علي الأكوع، ص٣٩٧.

٢ الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص١١٦.

٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٩.

٤ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٢٩.

يقول ابن الديبع رحمه الله: "وفي يوم الثلاثاء ١٣ شهر رجب من عام ٨٧٤هـ، خرج ابن سفيان إلى بلاد الزيدية، وكانت بينه وبين بني حفيص وقعة يوم الأحد ١٨ من الشهر المذكور، قتل فيها أبو الغيث بن مُحَّد بن حفيص، في جماعة من أهله، وجماعة من العرب يزيدون على الثلاثمائة، واستجار أحمد بن أبي الغيث ببيت الفقه ابن حشيبر، وأخذ ابن سفيان قرية الشريج، بعد أن كان أحمد بن حفيص قد عمرها ليتحصن فيها فانعكس أمله.

فلما أخذ ابن سفيان قرية الشريج، عمرها وحصنها ورتب فيها عسكراً، وأمر عليهم الأمير علم الدين سليمان بن جياش السنبلي، ثم رجع إلى زبيد[1]".

ويحكي العلامة المؤرخ كمال الدين الذؤالي الزبيدي عن هذه الوقعة والسبب الذي أدى إلى قتال ابن سفيان لبني حفيص، وهو إغارتهم على أبيات حسين وقتلهم أهلها وهتك عوراتهم ونهبهم وعملهم من المنكرات ما لم يسمع بمثله، فاستحقوا تلك الغارة من قبل الدولة الطاهرية عليهم لفسادهم في الأرض وقتل الأنفس وهتك العورات، يقول كمال الدين الذؤالي رحمه الله: "فالتقى الطائفتان يوم الأحد من عشر الشهر المذكور والتحم القتال واشتدت الحرب وقامت على ساقها، فنصر الله العسكر المنصور وانهزم بنو حفيص في خلق نحو الثلاثين، واستجار أحمد بن أبي الغيث بقرية الفقهاء بني حشيبر، فأخرب العسكر قرية بيت غراب، وكانت أكبر قراهم ولسكنى مشايخهم، فصارت خراباً يباباً خاوية على عروشها، وأحرقت القرى وتفرق الجمع، وكانوا قد طلعوا وغاروا وأخربوا أبيات حسين وكان فيها خمس جمع فأخربوها، وقتلوا أهلها وعملوا يوم نهب أبيات حسين من المنكرات وقتل الأنفس وهتك العورات ما لم يسمع بمثله، فاختربت ديارهم وهتكت محارمهم، وذلك بعض ما يستحقون، ثم إن أحمد بن أبي الغيث هرب إلى جازان ثم رجع[2]".

عاد أحمد بن أبي الغيث إلى بلاده عقب رجوع ابن سفيان إلى زبيد، وكانت تلك الهزيمة ما زالت مؤثرة في نفسه فأراد أن ينتقم من من الطاهريين ورجال دولتهم، فجمع قومه وأغراهم بمهاجمة القوة الطاهرية التي تركها ابن سفيان ترابط مع السنبلي بقرية الشريج.

فيقول ابن الديبع رحمه الله: "وفي يوم الجمعة ٢٦ من رمضان عام٨٧٤هـ، غدر الزيديون بمن عندهم من الدولة بقرية الشيخ التي كانت الدولة قد أخذتها على أحمد بن أبي الغيث بن حفيص قهراً، وكان

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦٢/٦، غاية الأماني، يحيى بن الحسين، ص٦٠٤، بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٩.
٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، ص٢٥٩.

فيها من الدولة حينئذ الأمير سليمان بن جياش وعيسى بن حاتم وجملة من العسكر غير متهيئين للقتال ولا حازمين، فقتلوا منهم جمعاً كثيراً، ونجا الأمير سليمان وابن حاتم وكان يوماً عظيماً[١]".

وبسبب هذا الغدر كان لابد للدولة الطاهرية أن تنتقم من بني حفيص وزعيمهم الشيخ أحمد بن أبي الحفيص، وردع المعتدين وقمعهم واستعادة ما فقدت من مكانتها في تلك المناطق، فأعد الطاهريون لذلك العدة، "ففي أول يوم من المحرم سنة ٧٧٥هـ، وصل الشيخ عفيف الدين عبدالوهاب بن داود إلى زبيد معيناً لابن سفيان على حرب بني حفيص والزيديين والملك المجاهد بزبيد، ثم انفصل الجميع من زبيد إلى بيت الفقيه وعزم ابن سفيان والشيخ عبدالوهاب إلى جهة الزيديين ورجع الملك المجاهد إلى زبيد[٢]".

وبالمثل بدأ الحفصيين يعدون جيشهم بقيادة زعيمهم الشيح أحمد بن أبي الحفيص بعد أن سمعوا بقدوم الشيخ عبدالوهاب وابن سفيان وجيشهم، للثأر مما قام به الحفيصيين من غدر للقوة الطاهرية.

"وتقدم الشيخ عبدالوهاب وابن سفيان إلى بيت حسين وبلد الزيديين، ليأخذوا بثأر من قتل في قرية الشريج من الدولة[٣]".

يقول العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي في وصف هذه المعركة والوقعة بتفاصيلها: "فسار العسكر صحبة المذكورين إلى تلك الجهة فالتقوا وصف كل فريق للآخر، فكان في ميمنة العساكر السلطانية الأمير علم الدين سليمان بن جياش السنبلي في وجوه الفرسان، وفي مقابلته أبي الغيث في معظم فرسان الزيديين، فحمل الأمير علم الدين سليمان على من في الميمنة فهزمهم، وفي ميسرة العسكر ابن سفيان وفي مقابلته من اليمين مُحَمَّد بن الأقزل وجماعة.

والشيخ عبدالوهاب في القلب فأبعد الأمير علم الدين ومن معه خلف المنهزمين إلى مكان بعيد، وحمل الأقزل على من في مقابلته فهزمهم، ولم يعلم كل طائفة بحال الأخرى إلا بعد شوط طويل، فتحقق سليمان وأصحابه صوت الموكب إليه فرجعوا إلى مكان الوقعة فوجدوا القتلى، وتحققوا هزيمة الميسرة ومن فيها وقتل ابن سفيان، واحتمى الشيخ عبدالوهاب هو ومن معه، وكان ذلك يوم الأحد ٢٢ من المحرم وجاء الخبر بما جرى إلى الملك المجاهد فعظم ذلك، وكان عمل الشريج على غير رضا الملك

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦٢/٦، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٩.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٤، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٦٢.

٣ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤١.

المجاهد إلا أنه وافق ابن سفيان ولم يغير ما صنعه[1]"، أي أن الملك المجاهد لم يكن راضياً على بناء قرية الشريج التي بناها ابن سفيان، وجعلها معقلاً للجيوش الطاهرية في بلاد الزيديين لأنها كانت السبب في جرّ هذه المعارك.

إلا أنه ورغم مقتل ابن سفيان فإن الطاهريين قد انتصروا في هذه الوقعة، فرغم شراسة القتال بين الدولة الطاهرية وبني حفيص، وانكسار ميسرة كل فريق من المتقاتلين إلا أن ابن سفيان كان ثبت وقاتل في مكانه وأذاق الحفصيين مرارة القتال قبل أن يقتل، وكذلك فقد نال الشيخ عبدالوهاب والأمير علم الدين السنبلي من الحفصيين، وانتصر الطاهريون على الزيديين وهزم أحمد بن أبي الحفيص هزيمة ساحقة، يقول ابن الديبع رحمه الله: "ونصر عليهم مولانا عبدالوهاب نصراً عظيماً، وقتل منهم نيفاً على المائتين، ثم قدم زبيد ليلة الجمعة الرابع من صفر وطلع إلى الجبل يوم السبت ١٦الشهر المذكور، وبقي المجاهد بزبيد[2]".

ثانياً: استسلام بني حفيص وطلب الصلح مع الدولة الطاهرية:

وبعد هذه الضربات المؤلمة والهزائم الساحقة للحفصيين، وغيرهم من قبائل تهامة الخارجين على الدولة الطاهرية، أذعن الحفصيين للصلح وخضعوا للسلطة الطاهرية.

ففي ليلة السبت ٢٥ من ربيع الآخر من عام ٨٧٥هـ، وهو نفس العام الذي لحقت به الهزيمة الحفصيين، غزا الملك المجاهد المعازبة فقتل شيخهم، ثم صالحوه على تسليم خمسة وثلاثين فرساً.

ويبدو أن بني حفيص وزعيمهم أحمد بن أبي الحفيص قد شعر بقوة الدولة الطاهرية وعدم إمكانية المقاومة وأنه لا سبيل للتمرد في ظل هذه الدولة القوية، التي توالت ضرباتها عليه وعلى قبائل تهامة الخارجين دوماً على الدولة الطاهرية، وخاصة بعد استسلام المعازبة وطلبهم الصلح وهي أقوى القبائل التهامية.

فبعد أن دخل الملك المجاهد بيت الفقيه ابن عجيل صبح الغزوة التي غزا بها المعازبة واستسلموا على إثرها، أقام بها خمسة أيام، ثم توجه إلى بلاد بني حفيص، فصالحوه على ما أحب، ثم رجع المدينة فدخلها ليلة الإثنين الثالث من جمادى الآخرة، ثم دخل بعده القاضي جمال الدين مُحَمَّد البريهي وباقي العسكر يوم السبت السادس من رجب[3].

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٦٢.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦٢/٦، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤١.

٣ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٢.

ولكن وبعد خمس سنوات من هذا الصلح يبدو أن الحفصيين قد بدر منهم ما ينقض الصلح الذي جرى بينهم وبين الطاهريين، مما استدعى تأديب الدولة الطاهرية لهم رغم أن الصلح كان قائماً بينهم، ولم تجري بين الفريقين أية معارك طوال مدة خمس سنين.

ففي يوم الإثنين الثاني من جمادى الآخرة من عام ٨٨٠هـ، دخل الشيخ عبدالوهاب بن داود والشيخ أحمد بن عامر زبيد، في عساكر عظيمة، ثم خرج الملك المجاهد وبنو أخيه مولانا عبدالوهاب الشيخان أحمد ويوسف أبناء عامر، إلى بلاد بني حفيص، فلما بلغوها طلب أحمد بن أبي الغيث الأمان، واستشفع بالعلماء والصالحين، وحمل القرآن العظيم على رأسه، ودخل على الملك المجاهد فقبله وعفا عنه، وقدم ابن أبي الغيث للملك المجاهد خيولاً معظمة، وبذل له أموالاً كثيرة، واستنابه الملك المجاهد في الزيدية، وعضده بعز الدين بن حفيص، وترك لقبض الخراج هنالك الشرف الأحمر، والجمال المحالبي والشيخ بحير بن مُحَّد بن وهبان، ثم رجع إلى زبيد منصوراً، فدخلها ليلة الرابع من رجب وبنو أخيه صحبته[1].

ولكن الطاهريين لم يأمنوا رغم ذلك أن يلتزم بني حفيص بالصلح فكان ينزلون بقواتهم إلى الزيدية في كل فترة، وفي المقابل كان بني حفيص يأتون إليهم ويبدون إلتزامهم بالصلح وعدم نقضه، ويعلنون في الوقت نفسه ولائهم للدولة الطاهرية والتزامهم بالسمع والطاعة.

ففي شعبان سنة ٨٨١هـ، جهز الملك المجاهد ابن أخيه الشيخ يوسف بن عامر من زبيد إلى بني حفيص واستقر بالمراوعة محل السادة بني الأهدل، فأرسل إليه ابن حفيص بالسمع والطاعة، وبذلوا له الخراج، فأرسل لقبضه الشيخ مكرد بن عمر العلجمي والجمال المحالبي، فقبضوا أموالاً جليلة، ووفد إلى الشيخ يوسف قبائل العرب فأحسن جوارهم، ثم رجع إلى زبيد، فدخلها على النصف من شهر رمضان[2].

وفي شعبان أيضاً من العام الآخر ٨٨٢هـ، "خرج الشيخ يوسف بن عامر من زبيد إلى البلاد الشامية، واستقر بالقرار، ووفدت إليه قبائل العرب، فأجازهم بجوائز سنية، ثم قبض خراجي البلد من الزيدية إلى قريب حرض، وحصل مالاً جزيلاً وخيلاً تنيف على الأربعين، ورجع إلى زبيد منصوراً فدخلها يوم الجمعة منتصف شوال[3].

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦٧/٦، تاريخ زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٧١، بغية المستفيد، العلامة ابن الديبع، ص ١٤٩.
٢ تاريخ زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٧٢، قلادة االنحر، بامخرمة، ٤٩٠/٦.
٣ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٢.

المبحث الرابع

تمرد قبائل أخرى

أولاً: تمرد قبائل الرماة في تهامة: كانت من ضمن القبائل التي خرجت على الدولة الطاهرية بعد مقتل الملك عامر الأول قبيلة الرماة، وهي من قبائل تهامة وكان هذا تقريباً أول خروج لقبيلة الرماة على الدولة الطاهرية.

يقول العلامة المؤرخ ابن الديبع رحمه الله: "في يوم الإثنين ثالث شهر ربيع الآخر من عام ٨٧٣هـ، توجه أيضاً إلى الرماة لخروجهم عن الطاعة وتغلبهم عن الحقوق فوقع المصاف بينهم وبين العسكر فنصر الله الإسلام وأهله وهزم البغاة المفسدين، فقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد على مائة نفس وأسر من رجالهم فوق الخمسين، ونهبت أموالهم وأخذت خيولهم، وكان نصراً عظيماً وفتحاً جليلاً نظمت فيع الشعراء القصائد للتهنئة منهم البدر الصياحي وغيره"[١].

وفي يوم الإثنين ثالث ربيع الآخر من عام ٨٧٤هـ، غزا ابن سفيان الرماة وقتل منهم فوق المائة، ولزم منهم فوق الخمسين من رؤسائهم، ونهب ما لا يحصى من المواشي واستقلع خمس رؤوس من الخيل، وكان يوماً عظيماً[٢].

وقد حاول الملك المجاهد استمالت عرب تهامة وكف أذاهم وكسبهم للدولة الطاهرية، وعدم الخوض في القتال معهم، ففي عام ٨٧٥هـ قدم الملك المجاهد إلى مدينة زبيد، وعين لهذه المهمة الشيخ عزالدين بن حفيص، وهي محاولة استمالت عرب تهامة وكسبهم وإنهاء الصراع، يقول ابن الديبع رحمه الله: "وكان الملك المجاهد قبل وصوله، قد خلع على عز الدين بن حفيص وعلى قرابته خلعاً عظيمة وأعطاهم ذهب، ثم أرسل صحبتهم باثني عشر ألف دينار، ليستميلوا بها جماعة من العرب.

ثم توجهوا إلى بلادهم، فلما بلغوا بلاد الرماة خرجوا عليهم، ونهبوا جميع ما معهم، وأخذوا خيلهم وعدتها ثلاثة عشر فرساً، ودخل عز الدين وقرابته القارا، فلما بلغ الملك المجاهد الخبر، خرج غازياً المعازبة ليلة الثلاثاء من ربيع الأول، فقتل منهم نحو ثمانين رجلاً، ونهب إبلاً وبقراً وغنماً، ثم غزا الرماة وقتل منهم جماعة، ودخل زبيد يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول سنة٨٧٥هـ[٣]".

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي الزبيدي، ص٢٥٨.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦٢/٦، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٣.

٣ بغية المستفيد، عبدالرحمن بن الديبع، ص١٥٠، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٤.

ثانياً: تمرد قبيلة القرشيين: مرّ معنا أن قبيلة القرشيين من القبائل التي سبق وأن خرجت على الدولة الطاهرية في أيام الملك عامر الأول، إلا أن قبيلة القرشية هي أقل خروجاً وتمرداً قياساً بالقبائل الأخرى كالمعازبة، ورغم ذلك فقد أخضع الطاهريون قبيلة القرشيين للسلطة الطاهرية، وسكنت قبائل القرشية ولم يكن لهم إلا نشاطات بسيطة تجاه الدولة الطاهرية.

ويحكي العلامة ابن الديبع عن ردع الدولة الطاهرية للقرشيين وقتالهم لهم، وعن الدافع لقتال بني طاهر للقرشيين وهو اعتداءاتهم على القبائل الأخرى وسلبهم وقتلهم الآمنين، وكذلك قتلهم أحد رجال الدولة الطاهرية.

فيقول العلامة ابن الديبع: "وفي يوم ١٦ من شوال من عام ٨٧٥هـ، غزا القرشيون والمعازبة والرماة أهل الفرس، بنخل الوادي زبيد، فقتلوا علي بن معوضة من عسكر الملك المجاهد ثم خرجت المرة، وغشي أهلها البوادي مدينة زبيد، وجرت أمور عظيمة تعب الناس منها، وفي ذي القعدة من نفس العام، قدم الملك المجاهد من عدن وفي صحبته ابنا اخيه أحمد ويوسف، ابنا عامر، والأمير عمر بن عبدالعزيز فدخل زبيد ليلة الثلاثاء ١٧ من ذي القعدة، ثم دارك غزو المعازبة ومن انضم إليهم من القرشيين مدة قتل في أثنائها زعيم القرشيين البيذق، في جماعة كثيرين من المعازبة والقرشيين، يوم الجمعة ٢٠ من شهر ذي القعدة[١].

وفي عشية ليلة السبت ٢١ من صفر عام ٨٧٨هـ، قيد الأمير عمر بن عبدالعزيز جماعة من القرشيين، بين البابين من باب سهام، منهم عبدالله بن غراب وولداه وولد أحمد بن عيسى الهبل ويوسف بن عقد وحسين بن أبي بكر المعزبي وأحمد بن يوسف الحيقي المعزبي، واحتفظ بهم إلى أن طلع بهم إلى تعز في ٦ من ربيع الأول، وخرج الأمير إلى الجهات الشامية، ولم يزل بها حتى رجع منها إلى زبيد في رمضان[٢]".

وفي يوم السبت ١٠ من ربيع الأول عام ٨٨٢هـ، قُتِل رجل من القرشيين يقال له عبدالله الرحباني من كبار المفسدين، والآمر بقتله الشيخ يوسف بن عامر، وكان قتله بقرية الروية على باب بيته[٣]، وأهله وقرابته ينظرون إليه، وذلك أن الشيخ يوسف أفتاه الفقهاء بإباحة وإراقة دمه فأمر بقتله[٤]".

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٣.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٦.

٣بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٢.

٤ تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي الزبيدي، ص٢٧٤.

ثالثاً: تمرد بني سليمان بين زبيد وتعز: كانت قبيلة بني سلمان[1] أو كما ذكر ابن الديبع بني سليمان تقطن بين تعز وزبيد، وتقطع الطريق وتفسد في الأرض وذلك في الطريق الموصلة من زبيد إلى تعز، فكان لابد من تأديبهم وقمعهم وكف أذاهم عن الناس.

وكان سبب تعجيل الملك المجاهد العقوبة لهم كما يذكر المؤرخ الذؤالي قطعهم للطريق وقتلهم لحسين بن علي الشرعبي في عام ٨٧٣هـ، والذي كان من اتباع الملك المجاهد ورجال دولته، فيقول العلامة الذؤالي: "ففي يوم السبت ثامن ذي الحجة توفي الحاج حسين بن علي الشرعبي مقتولاً بأيدي الشياطين قطاع الطريق بني سلمان، وذلك أنهم كانوا يقطعوا السبيل، أعني الطريق من زبيد إلى تعز وكان للمذكور سفارة تحضر وله مصالح في أمن الطريق فقضى إلى الملك المجاهد، وكان المجاهد في تجهيز عسكر لغزو المذكورين فتجهزوا إليهم، فلما رأوا أوائل العسكر طلعوا إلى الجبال وتحصنوا بها وسلكوا الشعاب الضيقة إلى العسكر في بلادهم ثم خرجوا فلحقوهم، ثم خرج العسكر مخيمين فوصل الحاج حسين المذكور ميضاف حجر فحمل مجروحاً ودخل زبيد ميتاً، فجهزوه منها ودفنوه إلى جنب مشهد الشيخ أحمد الصياد، ولم يصب من الناس غيره رحمه الله[2]".

ثم إن بني سليمان سكنوا لفترة طويلة في أماكنهم، وشغلت الدولة الطاهرية بمشاغل أخرى عن ملاحقتهم ولم تتفرغ لهم حتى العام ٨٨١هـ، ففي شوال عام ٨٨١هـ، غزا الشيخ يوسف بني سليمان بطريق تعز، وتسلم حصونهم وقتل منهم جماعة، وأخرب معاقلهم ثم طلع مع الملك المجاهد والشيخ عبدالباقي إلى تعز في آخر الشهر المذكور[3].

رابعاً: تمرد قبيلة البجليين: قبيلة البجليين[4] لم يسبق لها الخروج على الدولة الطاهرية، إلا أنهم ولفسادهم في الأرض وقطعهم للطريق كان لابد للدولة الطاهرية من تأديبهم وقمعهم وكف أذاهم ودفع شرهم.

وفي شهر محرم من عام ٨٧٦هـ، غزا الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي البلاد الشامية، فخرج إليها في عساكر وخيل كثيرة سادس الشهر المذكور، ثم إنه غزا البجليين فقتل منهم نحو العشرين وسبى نساءهم ونهب مواشيهم، ثم صالحوه على ثمانية عشر فرساً يؤدونها إليه[1].

١ بنو سليمان: من الأشاعر وهم ما بين شمير ومقبنة وشرعب وحيس. أنظر: حاشية محمد علي الأكوع على قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٨.
٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٦١.
٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٦/٤٩٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥١.
٤ البجليون: قبيلة من عك، ولهم بقية حوالى وادي سهام وفي برع. حاشية الأكوع على قرة العيون، ابن الديبع، ص٣٩٥.

يقول العلامة المؤرخ كمال الدين الذؤالي: "وهم عرب وعبيد مفسدون يسكنون في مكان وعر كثير الشجر، وله طريق ضيقة لا يمكن المشي فيها إلا الواحد بعد الواحد، فدخل عليهم ونصره الله عليهم، وقتل منهم عشرين، وأسر نسائهم ونهب مواشيهم، ثم صالحوه على ثماني عشر فرساً وسلموها له، ورجع إلى زبيد مظفراً منصوراً يوم الإثنين ثالث صفر[٢]".

خامساً: تمرد الكعبيين: تعرض الكعبيون[٣] لغزو الدولة الطاهرية عام ٨٧٣هـ لأفعال حصلت منهم، ففي المحرم سنة ٨٧٣هـ، قدم ابن سفيان مدينة زبيد من البلاد الشامية، بعد ايقاعه بالكعبيين لذنب تقدم منهم، وقبض خيولهم وأسر منهم جماعة[٤].

سادساً: تمرد آل أيوب الجحافل في لحج: بعد أن قضى الملك المجاهد على تمرد المعازبة كما ذكرنا كان دخوله زبيد يوم الأربعاء ١٨ من ربيع الآخر سنة ٨٧١هـ، ثم طلع الجبل أي تعز في ٢٢ من الشهر المذكور مبادراً، لما بلغه أن آل أيوب الجحافل هجموا قرية بنا أبه من وادي لحج، ونهبوا وقتلوا وسبوا النساء وفعلوا كل منكر وفعلوا فعل الجاهلية [٥].

فتوجه إليهم الملك المجاهد ومهد خللها وأقام أودها[٦]، وقضى الملك المجاهد على هذه التمرد القبيح من قبل بني أيوب، والملاحظ أن كل هذه التمردات هي عبارة عن سلب ونهب ومطامع على حساب الآخرين من الآمنين والمسالمين من الناس البسطاء، والذي يعيشون في ظل الدولة الطاهرية، فكان لا بد للملك المجاهد أن يسارع للقضاء على أمثال هؤلاء المجرمين من قطاع الطرق والقتلة، حتى لا يتشجع بأفعالهم من في قلبه مرض وخبث على صنع صنيعهم، ولكي يأمن الرعية على أنفسهم وأعراضهم وألادهم وأموالهم في ظل دولة قوية تحمي مصالح الأمة، ولا يترك المجال أمام المفسدين في الأرض ليفسدوا أحوال البلاد والعباد، فجزى الله خيراً الملك المجاهد على هذا الحزم والقوة في قمع أمثال هؤلاء وتأديبهم.

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٥، بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٤.

٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٦٦.

٣ الكعبيون: قبيلة معروفة في بطن تهامة، من عك شمال زبيد. حاشية الأكوع على قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٥٠٧.

٤ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦١/٦، بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٨.

٥ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص ٥٠٧، بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٧.

٦ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٥٨.

سابعاً: قمع بعض التمردات في يافع: كانت هناك بعض القبائل الأخرى الخارجة على الدولة الطاهرية ولكنها لا تذكر بالنسبة للقبائل التي ذكرنا من ناحية التمرد والإعتداء على الآخرين.

فمما جرى للملك المجاهد خلال فترة حكمه مع القبائل الأخرى، ما جرى له مع بعض أبناء يافع في عام ٨٧٥هـ، عندما كان في مدينة عدن وعيد بها عيد الفطر، فقد جرت له مع يافع وهو خارج إلى صلاة العيد، قضية اقتضت إلى تقييد من قيد منهم ونفي من نفى[١]، " وذلك أنه عربد جماعة من قبيلة يافع على العسكر وتراموا بالحجارة، فأمر الملك المجاهد بالقبض على يافع بسبب ذلك وقيد بعضهم ونفى بعضهم[٢]".

ثامناً: تمرد قبيلة الأهنوم في شمير: وكذلك من القبائل التي كانت لها اعتداءات خلال فترة حكم المجاهد قبيلة الأهمول من شمير، ففي عام ٨٧٦هـ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر صفر، خرج الأمير عمر بن عبدالعزيز الحبيشي من زبيد غازياً أهل شمير المفسدين القاطعين للطريق إلى تعز، فمرّ على بني حسين الأهمول مفسدون أيضاً، فقتل منهم نحو ثلاثين وأسر جماعة ونهب مواشيهم، ودخل برؤوس القتلى إلى زبيد يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول[٣].

تاسعاً: تمر قبيلة العامريين في تهامة: ومن القبائل التي كانت لها وقائع مع الدولة الطاهرية بسبب تمردها على الطاهريين قبيلة العامريين، ففي يوم الإثنين الثاني من جمادى الآخرة من عام ٨٨٠ هـ، وفي أثناء إقامة الشيخ يوسف بن عامر في الزيدية، غزا الشيخ يوسف العبيد العامريين، ونهب بيوتهم وقتل منهم جماعة[٤].

وهكذا استمرت فترة حكم الملك المجاهد علي بن طاهر السياسية والعسكرية بعد مقتل أخيه الملك الظافر، في قمع التمردات القبلية والتي كان معظمها في مناطق تهامة.

---

١ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٢.

٢ تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي الزبيدي، ص٢٦٤.

٣ تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي الزبيدي، ص٢٦٦.

٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٠.

الفصل الرابع
وفاة الملك المجاهد علي بن طاهر

قبل أن نختم سيرة الملك المجاهد علي بن طاهر، وننتقل إلى سيرة إلى من بعده من ملوك الدولة الطاهرية، كان لابد أن نبين أهم أعماله العظيمة، ونجلي حقائق تاريخية من أجمل صفحات التاريخ الإسلامي في اليمن لهذا الملك العظيم، والذي لم يأخذ حقه في الكتابة عنه، وسنلاحظ من خلال ما وصل إلينا من ندرة تاريخية حول سيرة الملك المجاهد رحمه الله عظمة هذا الملك، فهو ملكاً عادلاً وإماماً عابداً، وعالماً زاهداً، ومجاهداً ناصراً للمستضعفين، وفي هذا الفصل سنيبن وفاته وآخر سيرته في ثلاث مباحث هي:

المبحث الأول: بداية مرض الملك المجاهد علي بن طاهر رحمه الله ووفاته

المبحث الثاني: أهم أعماله العظيمة في سبيل نصرة الإسلام

المبحث الثالث: مآثره وأعماله الإدارية في الدولة الطاهرية

المبحث الرابع: تقريبه للعلماء وحبه للعلم وجهوده العلمية

المبحث الأول

بداية مرض الملك المجاهد علي بن طاهر رحمه الله ووفاته

في شهر المحرم من سنة ٨٨٣هـ، طلع الملك المجاهد من عدن إلى بلده مريضاً ووقف في لحج أياماً، وفي حبيل بدر أياماً، ثم دخل جبن واستدعى الفقيه جمال الدين مُحَمَّد بن حسين القماط من مدينة زبيد، فطلع إليه ولقيه ببلده جبن، فولاه قضاء مدينة عدن في آخر شهر ربيع الأول ولم يزل الملك المجاهد ببلده حتى توفى بها ليلة السبت العاشر من شهر ربيع الآخر ودفن بها، قابله الله برضوانه وملكة أعلا مرتبه في جنانه[1].

وقد كانت مدة ملكه تقريباً خمسة وعشرين عاماً، بدأت منذ عام ٨٥٨هـ وتوفي في المحرم من سنة ٨٨٣هـ.

وذكر المؤرخ عبدالحي ابن العماد العكري الحنبلي أن وفاته كانت في ربيع الثاني عن عن عمر يناهز بضع وسبعين سنة[2].

صفة عبادته وقيامه الليل وصومه النهار وحفظه لكتاب الله:

كان الملك المجاهد رحمه الله حافظاً لكتاب الله، وملازماً لتلاوته دوماً، بل إنه كان له ختمة يقرؤها وملازماً لذلك عن ظهر قلب، كما يقول العلامة كمال الدين الذؤالي رحمه الله في كتابه تاريخ مدينة زبيد: "وكان الملك المجاهد رحمه الله ناسكاً كثير العبادة ملازماً على تلاوة القرآن بالليل والنهار، له ختمة يقرؤها عن ظهر قلب، وله أخرى يقرؤها بالمصحف، وله أوراد ودعوات لا يتركها سفراً ولا حضراً، ويصحب الفقهاء والصلحاء والقراء لكتاب الله تعالى، حج إلى مكة المشرفة وجاور بها وزار المدينة الشريفة وأقام بها، وكان حجه في سنة ٨٤٩هـ، ومجاورته في سنة ٨٥٠هـ"[3].

ويذكر المؤرخ عماد الدين ابن الأنف أنه أقام سنين مجاوراً للبيت الحرام[4]، وأشار العلامة البريهي في تاريخه طبقات الصلحاء أنه جاور في المدينة ثلاث سنين[1].

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٤، قرة العيون، ابن الديبع، ٥١٣، تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٧٦، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٢/٦، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٠.

٢ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، تحقيق محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، الناشر دار ابن كثير دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ٥٠٦/٩.

٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي الزبيدي، ص٢٧٧.

٤ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص٤٧.

وكان الملك المجاهد معظماً لكتاب الله، وكان من عادته أن يختم القرآن الكريم في صلاة التراويح كل عام في ليلة السابع والعشرين من رمضان، فإذا ختمه ولا سيما في رمضان يصنع لذلك الولائم العظيمة، ويجمع لذلك الناس.

فيقول العلامة المؤرخ عبدالرحمن الديبع رحمه الله في ختم الملك المجاهد للقرآن في صلاة التراويح في سنة ٨٧٧هـ: "وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان، ختم الملك المجاهد القرآن العظيم في صلاة التروايح بمدينة زبيد، وعمل سماطاً عظيماً جمع له الناس على اختلاف طبقاتهم[٢].

وقد كانت هذه عادة للملك المجاهد في كل عام فقد أورد ابن الديبع أنه ختم القرآن في سنة ٨٧٩هـ: "وعمل السلطان لختم القرآن العظيم في صلاة التراويح ليلة السابع والعشرين من رمضان سماطاً معظماً، وطلب الناس إليه على اختلاف طبقاتهم[٣]".

ويقول العلامة الذؤالي في ذلك: "وصام الملك المجاهد بزبيد، وصلى في جماعة صلاة التراويح، ثم ختموا القرآن ليلة السابع والعشرين من رمضان ومدّ سماطاً عظيماً حشر إليه الناس على طبقاتهم، وكانت ليلة مشهودة من الليالي المعظمة معدودة[٤].

وقد تأثر بصنيعه هذا الأمراء والملوك والأعيان خاصة من الأسرة الطاهرية، وأحبوا صنع الخير وفعله محبة وتأثراً بالملك المجاهد فالناس على دين ملوكهم، فقد عمل ابن أخيه الشيخ يوسف بن عامر بن طاهر ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان سماطاً آخر لختم القرآن العظيم أيضاً عنده بالدار الكبير الناصري، وكان أعظم من سماط عمه، وعمل طلعة على باب الدار زينها بأنواع الثمار والأشجار وضرب النفوطات المختلفة، وأحيا للناس ما دثر من مآثر الملوك، وأحبه الناس كافة.

ثم قرره الملك المجاهد نائباً عنه بزبيد، فضبط الأمور أحسن ضبط، وأحب أهل العلم وحصل جملة من الكتب النفيسة، وجمع النساخ عنده والمقابلين لذلك وسار بالناس سيرة حسنة[٥].

وقد أكثر العلامة محمد بن عبدالرحمن السخاوي المصري في ترجمته والثناء عليه في عدة كتب من تواريخه، وكان من المؤرخين والعلماء المعاصرين للملك علي بن طاهر، فقال في تاريخه الضوء اللامع:

---

١ طبقات الصحاء اليمن، عبدالوهاب البريهي السكسكي، ٢٣٩/١.
٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٥.
٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٧.
٤ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي الزبيدي، ص٢٦٧.
٥ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٧.

"ضبط اليمن وأمنت الطرقات وأحيا البلاد بعد خرابها وأحبه الكافة، وكان ملكاً عادلاً شجاعاً عاقلاً، وللمعروف باذلاً وعلى الفقراء ونحوهم غيثاً هاملاً، صدقاته ومبراته ومعروفه فوق الوصف، ومن مآثره إحياء المجرى الذي بزبيد بعد خرابها، وتجديد جامع بيت الفقيه ابن عجيل مع الوقف عليه، ومسجد الدرسة بعدن بعد تزلزله بل زاد فيه، وعمل عليها من البساتين والنخيل داخل زبيد وخارجها ما عم الانتفاع به، وأنشأ مدرسة بتعز وأخرى ببلده، ويقال أنه وقف جميع ما في ملكه من عقار على المسلمين، وجعل النظر في ذلك للمتولي من أولاد أخيه. وكان يرسل بألف دينار لفقراء مكة على يد ابن عطيف[1]".

وقال أيضاً عنه في تاريخه التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: "علي بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين، الشيخ شمس الدين أبو الحسن ملك اليمن في عصرنا، ويعرف بابن طاهر جاور قبل تملكه بالمدينة وتزوج ابنة أبي الفتح بن علبك وعائشة القطانية واحدة بعد الأخرى، وكان مديماً للتلاوة والإستغاثة بحيث كان لما تحرك لليمن صار يتوسل بذلك، إلى أن استولى على مملكة اليمن "مملكة بني رسول" بالسيف، وكان تملكه عدن في سنة ٨٥٨هـ، وزبيد في التي تليها وتعز فيما بينهما وملك حصن حب، وهو حصن الملك ذو رُعين من ملوك حمير المعقل الذي ليس في اليمن مثله حصانة ومنعة بعد محاصرته إياه سبع سنين، ويقال إنه وقف جميع ما في ملكه من عقار المسلمين وجعل النظر في ذلك للمتولي من أولاد أخيه مات في ربيع الثاني سنة ٨٨هـ عن أربع وسبعين فإنه ولد في سنة ٨٠٩هـ[2]".

وممن ترجم له وأثنى عليه العلامة المؤرخ محمد بن أبي بكر الشلي الحضرمي في كتابه السنا الباهر بتكميل النور السافر، فقال: "وكان يحب الخير والفقراء والعلماء، محسناً إليهم على الدوام حتى أنه تصدق سنة ٨٦١هـ بزبيد بألف مد ومن النقدين بمال جسيم، وكان كثير التلاوة، وكان يحفظ القرآن عن ظهر قلب، ومع ذلك لا يقرأ إلا بالمصحف، وكان يحضر مجلس الحديث بالجامع، وسمع جماعة كثيرين، وكان غالب أوقاته في قراءة التفسير والحديث، وفرح الناس بولايته، فإن العبيد والعربان أفسدوا في البلدان فجاهدهم حتى أبادهم، وكان ينفق على الأرامل والمنقطعين بما يكفيهم، وبنى مدرسة وجامعاً

---

١ الضوء اللامع، السخاوي، ٧٠/٣،وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ٨٩٦/٣.

٢ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الناشر الكتب العلميه، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ٢٧٩/٢.

بمدينة جبن وبمدينة تعز وجدد مدارس عدن، وأنشأ سبيلاً للمسلمين وهو الذي غرس النخل وقصب السكر في وادي زبيد وغيرها وكذا الأرز[١]".

وقال عنه العلامة المؤرخ خير الدين الزركلي: "وكان أحب إلى أهل زمانه من أخيه وأكبر سناً، فاضلاً قوي الشكيمة على المفسدين، كريماً له آثار في تعز وعدن وزبيد، وهو الذي غرس النخل وقصب السكر والارز في وادي زبيد[٢]".

---

١ السنا الباهر بتكميل النور السافر، العلامة محمد بن أبي بكر الشلي، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص١٦٢.

٢ الأعلام، خير الدين الزركلي، ٢٩٦/٤.

المبحث الثاني

أهم أعماله العظيمة في سبيل نصرة الإسلام

كان الملك المجاهد عالماً وفقيهاً وحافظاً لكتاب الله، ولكن الملك شغله عن العلم والتأليف، وله كتاب من تأليفه اسماه كتاب الجهاد، وله كتاب أسماه كتاب الجهاد ذكره المؤرخ خير الدين الزركلي[1].

وذكره أيضاً الأستاذ المحقق عبدالله مُحَّد الحبشي في تحقيقه لكتاب تاريخ زبيد لكمال الدين الذؤالي الزبيدي، فقال تعليقاً على قول العلامة الذؤالي عن الملك المجاهد "وكان يتأسف على حضور الجهاد"، ويقصد هنا الجهاد ضد النصارى المعتدين على المسلمين في الحبشة، يقول الأستاذ عبدالله الحبشي تعليقاً على ذلك: "لعل هذا التأسف والحسرة دفعا الملك المجاهد إلى أن يؤلف كتابه المسمى بالجهاد منه نسخة مخطوطة بالظاهرية (٤٥١١)، أنظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص٦٧٧ الطبعة الثالثة"[2].

حبه للجهاد وإعانته للمسلمين ضد النصارى المعتدين:

ومن ذلك إعانته للمجاهدين في الحبشة ضد النصارى المعتدين على إمارة عدل الإسلامية، وإستعانة السلطان شمس الدين مُحَّد بن بزلاي سلطان المسلمين بالحبشة به لمده بالمال والعتاد والسلاح لمقاومة النصارى المعتدين، وقد لبى له ذلك الملك المجاهد علي بن طاهر وأمده بالكثير من المال والسلاح والخيول العربية، ولم يكتفي الملك المجاهد بهذا الدعم المادي فقط بل إنه كان يتمنى الذهاب بنفسه للجهاد في سبيل الله ضد العدو الصائل من النصارى المعتدين على إخوانه في الحبشة، وكان على وشك الذهاب لولا انشغاله بدفع المتمردين من القبائل وخصوصاً في تلك الفترة من بعد وفاة أخيه الملك الظافر، ورغم ذلك كله فقد كان الملك المجاهد يتأسف على عدم ذهابه للجهاد في الحبشة لنيل الثواب والأجر.

فيذكر العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي رحمه الله تلك الواقعة في أحداث سنة ٨٧٩هـ فيقول: "وفي أول ليلة من شهر رمضان جهز الملك المجاهد علي بن طاهر الملك السلطان المجاهد في سبيل الله شمس الدين مُحَّد بن بزلاي بن سعد الدين بمائة فرس وخمسة أفراس من الخيل العربية الجيدة، وجملة من

---

١ الأعلام، خير الدين الزركلي، ٢٩٦/٤.

٢ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي الزبيدي، ص٢٦٩.

السلاح والدروع إعانة على جهاد الكفار، وكان يتأسف على حضور الجهاد، ويود أن يذهب بنفسه ويجاهد المشركين رغبة في ثواب المجاهدين بلّغه الله ذلك بمنه وكرمه فوقعت تلك الهدية من الملك المذكور موقعاً عظيماً[1]".

١ حاشية الأستاذ عبدالله الحبشي على تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي الزبيدي، ص٢٦٩.

المبحث الثالث
مآثره وأعماله الإدارية في الدولة الطاهرية

أولاً: إقامته للعدل ورفع الظلم عن الرعية:

ومما يدل على عدله عزله لبعض الولاة الظالمين، الذين شكى منهم الرعية وثبت لديه ظلمهم للرعية، واستبدالهم بمن كان عادلاً، وقد رد المجاهد إلى الناس كثير من المظالم التي ثبتت.

ورفع الظلم عن الناس ومن ذلك ما أورده العلامة ابن الديبع عندما أفحش أبو القاسم الحوالي في الظلم وأمعن، فتظلم به فعزله الملك المجاهد وأمر بأحضاره إلى مجلس الشرع الشريف، ومن أقام عليه بينة غرمه، ثم تصدق الملك المجاهد على المظلومين بأربعمائة أشرفي ذهباً[١].

كرمه: مما يبين كرمه فعله للخير والصدقات، وكذلك مما يبين كرمه إعطائه الهدايا وإجزاله العطايا للقبائل والمشايخ، ومن ذلك دخول القبائل عليه عام ٨٨١هـ فأجازهم الجوائز السنية[٢].

ثانياً: إهتمامه بالأوقاف والإشراف عليها ومراقبة من يقوم بها من عماله:

ومما يدل على ذلك ما ذكره العلامة ابن الديبع من تفقد الملك المجاهد للأوقاف، وتعيينه الفقهاء والعلماء بتولي الأوقاف: "وفي شهر صفر من سنة ٨٨٠هـ، طلع الملك المجاهد إلى تعز، وفي صحبته الفقيه تقي الدين عمر بن مُحَمَّد الفتا، والفقيه جمال الدين مُحَمَّد بن حسين القماط، والفقيه عبدالله الهبي، وأمرهم بافتقاد أمر الوقف في مدينة تعز، كما فعل بزبيد وعزل من لم يكن أهلاً للولاية في ذلك فلم يتفق شيء من ذلك[٣]".

وولى الفقيه عمر بن مُحَمَّد السراج أبوحفص اليمانى الزبيدى الشافعى ويعرف بالفتى، ولد سنة ٨٠١هـ بزبيد ونشأ بها وقرأ على الفقيه مُحَمَّد بن صالح والشرف بن المقرى ولازمه، ثم انتقل الى بلاد أصاب فمكث ببعض قراها وارتحل اليه الطلبة واشتغل بالتدريس والتصنيف، وقصده الطلبة من الاماكن البعيدة كل ذلك في حياة شيخه ولما استولى على بن طاهر على اليمن أكرم صاحب الفقيه السراج ورتب له من الوقف ما يكفيه، ثم قلده أمر الأوقاف وصرفها لمستحقها[٤].

---

١ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٠.
٢ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥١.
٣ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٠.
٤ البدر الطالع، الشوكاني، ٥١٣/١، الضوء اللامع، السخاوي، ٢٢٠/٣.

ثالثاً: توزيعه للصدقات للفقراء والمساكين والإكثار من ذلك:

كان الملك المجاهد رحمه الله محباً لفعل الخير ومكثراً من التصدق والمبرة للفقراء والمساكين ويتفقد لرعيته دوماً، ولا ينساهم من الأعطيات والصدقات، يقول العلامة عبدالرحمن الديبع رحمه الله في وصفه فيقول: "وكان الملك المجاهد رحمه الله تعالى شديد الرغبة في الصدقة محباً للفقراء محسناً إليهم مداوماً على ذلك لا يفترق عنه ولا يغفل حتى أنه تصدق في سنة ٨٨١هـ بزبيد بألف مد من الطعام ومن الذهب بمبلغ عظيم[١]".

ومما يدل كذلك على إكثاره من التصدق وفعله الخير للفقراء والمساكين تصدقه في عام ٨٧٨هـ، بصدقة عظيمة من الذهب والطعام والتمر والثياب[٢].

وتصدقه كذلك عام ٨٨٠هـ في آخر رمضان، بصدقة جليلة تنيف على أربعة آلاف ذهباً أشرفي، من البز والنقد والطعام والأرز والسكر وغير ذلك، تقبل الله منه[٣].

ويقول العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي رحمه الله في سيرة الملك المجاهد وإكثاره من الصدقات: "وكان كثير الصدقة يتصدق في كل سنة بجملة من الذهب وبجملة من الطعام، في زبيد وتعز وعدن والمقرانة وجبن ما يقوم بكفاية جماعة من الفقهاء والطلبة مرتباً لهم طعاماً يحمل إلى بيوتهم ويكسوهم ويتفضل عليهم، وهذا دأبه وعادته في البلاد كلها"، والتاريخ مليء بذكر سيرته وقصصه وحكاياته في التصدق وفعله للخير للفقراء والمساكين[٤]".

"وحبب الله إليه الصدقة وفعل المعروف فكان لا يمل منها ولا يضجر فتصدق في سنة ٨٨١هـ بستمائة من الطعام في مدة لطيفة ثم كمل بقية العام الألف وتصدق من الذهب بنحو أربعة آلاف ديناراً ذهباً ومن الثياب السواد والأبيض بجملة مستكثرة، وكان إذا غلا الطعام تصدق به وإذا رخص تصدق بالذهب، ولم يزل على طريقته المرضية من الإحسان مع الفقراء، والعدل في الأثرياء، حتى أنه قنع من رعية وادي زبيد ووادي رمع بعشر ما يحصل منه من الطعام وغيره، وهذا شيء لم يفعله سواه وكان قد نزل هذا لرعية الجاح الشامي وذؤال، وكتب لهم بذلك كما كتب لأهل زبيد[٥]".

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص٥١٤.

٢ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٦.

٣ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٠.

٤ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٧٧.

٥ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٧٧.

رابعاً: اهتمامه بالأيتام والأرامل وكفالتهم شهرياً بنفقة تجري عليهم:

"وكان رحمه الله يؤثر فعل الخيرات وكثرة المبرات، وكانت نفقات اليتامى والأرامل والمنقطعين بمدينة زبيد جارية من بيت المال مدة حياته، في عين كل شهر بما يكفيهم، فانقطع ذلك بموته، أكرم الله مثواه وجعل جنة الفردوس مأواه وصلي عليه في سائر مدائن ملكه، وعظمت المصيبة بموته وهلاكه أدخله الله في رحمته الواسعة وغفر له مغفرة لخير الدارين جامعة[١].

وقال عنه العلامة المؤرخ مُحَمَّد بن أبي بكر الشلي الحضرمي في ذكر عطفه على الفقراء والأيتام والأرامل: "وكان ينفق على الأرامل والمنقطعين بما يكفيهم[٢]".

خامساً: اهتمامه بالزراعة والري وحفظ المياه:

من أروع ما يمكن أن يُذكر من سيرة الملك المجاهد علي بن طاهر رحمه الله هو اهتمامه بالزراعة والري وكل ما يتعلق بهما، وكان اهتمامه هذا هو اللبنة الأولى التي أسسها الملك المجاهد لمن بعده من الملوك من الأسرة الطاهرية، والذين اهتموا كثيراً بما يساعد على النهضة الزراعية وتنمية الثروة الزراعية والحفاظ على المياه، فزرعوا واهتموا بالمحاصيل الزراعية وساعدوا كذلك المزارعين في غرس الأشجار والفواكه والمنتجات الزراعية، وقاموا بإسقاط ووضع المكوس التي كانت قائمة وهي ما يعرف اليوم بالضرائب، وذلك لتشجيع المزارعين على الزراعة والإنتاج.

ومما اهتم به الملك المجاهد كذلك إقامة وبناء السدود والصهاريج لحفظ المياه والإستفادة منها في الري، وكذلك شق القنوات المائية، ومن جهوده في حفظ المياه حتى يستفاد منها في الشرب والري والزراعة ولا تذهب هدراً في عدن أنه عمّر بها صهريجاً بجوار المسجد[٣]".

ويكفي أن نعرف جهود الملك المجاهد في أحياء الأرض وزراعتها وغرسها في كل أنحاء اليمن من خلال ما ذكره العلامة المؤرخ كمال الدين الذؤالي الزبيدي من بعض أعماله مثل إصلاح قنوات الري في زبيد واهتمامه بغرس النخل الأشجار في كل أنحاء اليمن، يقول المؤرخ كمال الدين الذؤالي في ذلك: "ولما استقر ملكه على مدينة زبيد، وكان المجرى الذي يدخلها من الناحية الشرقية قد انقطع واندرست آثاره من مدة قديمة، فشرع في عمارته وإصلاحه، وعاد كما كان فغرس فيه النخل وغيره، ثم

١ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٤.

٢ السنا الباهر بتكميل النور السافر، العلامة مُحَمَّد بن أبي بكر الشلي، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص١٦٢.

٣ المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، ص٣٢٨.

غرس سائر النخل الموجود بداخل زبيد وخارجها، ثم غرس النخل بوادي زبيد، ثم بالصحاري وبالأوشج، ثم بواحجة، فعمل من ذلك ما يتحصل منه أموالاً جمة ثم غرس بوادي لحج وحائط عدن، وغرس من قصب السكر وحضائر العنب شيئاً كثيراً وأحيا بتعز وحواليها جملة بساتين، والحاصل انه أحيا البلاد بعد موتها[١].

وذكر العلامة الشلي الحضرمي جهود الملك المجاهد في مجال الزراعة فقال: "وأنشأ سبيلاً للمسلمين وهو الذي غرس النخل وقصب السكر في وادي زبيد وغيرها وكذا الأرز[٢]".

ولك أن تتخيل أي عبقرية وتنظيم وفكر إقتصادي واسع جعل الملك المجاهد ينظر ويفكر ويخطط لتحقيق الإكتفاء الذاتي من الغذاء، حتى يزرع ويغرس ويستصلح جميع هذه الأراضي الزراعية في كل مكان، فاستصلح وغرس الوديان والأراضي الشاسعة في تهامة وأبين ولحج وعدن وتعز، ولم يكتفي بذلك بل وصل إلى استصلاح وغرس الصحراء، ويحقق أيضاً إنجازاً بتنويع هذه المزروعات لتتنوع المنتوجات الزراعية من التمر والعنب والسكر والأرز.

سادساً: مآثر وأعمال كثيرة في شؤون الحكم والإدارة:

وأهمها دفعه وقتاله للمفسدين، وعفوه عن الخارجين عليه، وقبوله شفاعة العلماء عن المطلوبين ومن ذلك قبول شفاعة العلامة شمس المقريء في إطلاق سراح الشيخ مُحَّد بن يوسف شيخ المعازبة من القيد[٣]، وقبوله شفاعة العلماء عندما طلب أحمد بن الغيث الأمان، واستشفع بالعلماء والصالحين فقبله وعفا عنه[٤].

سابعاً: تعيين الإكفاء والأمناء للوظائف العامة: ومن اهتمامه بشؤون الحكم تعيينه الولاة الصالحين من العلماء والقضاة والفقهاء، ومن ذلك توليته القاضي شرف الدين إسماعيل بن مُحَّد الأحمر أمور الرعية بزبيد[٥]، وجعله مستوفياً للأموال الديوانية في زبيد[٦]، ومن القضاة الذين تولوا الولايات في عهد الملك المجاهد القاضي عفيف الدين عبدالصمد بن إسماعيل بن عمر الخلّي المسلي، فقد عينه الملك المجاهد على عدن ناظراً عليها ووكيلاً له فيها وباشر القاضي عفيف الدين ولاية عدن مدة طويلة

١ الضوء اللامع، السخاوي، ٧٠/٣، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي، ص٢٧٧.
٢ السنا الباهر بتكميل النور السافر، العلامة مُحَّد بن أبي بكر الشلي، ص١٦٢.
٣ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٣٤.
٤ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٩.
٥ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٤٢.
٦ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٦٣.

فحسنت سيرته وشكرت طريقته، ... وأول ولايته لعدن في سنة ٨٧٣هـ، ولم يزل على الولاية إلى أن توفي[١].

وكذلك تعيينه الفقيه عبدالله بن إسماعيل المحالبي استيفاء الأموال الديوانية للملك المجاهد في الدولة، وكان على يده كذلك تسفير المراكب وحساب الفوة[٢]، وغير ذلك كما ذكر العلامة الذؤالي[٣].

ومن تعيينه للولاة الصالحين تعيينه الفقيه سعد بن علي الناشري نائباً للأحكام الشرعية[٤].

ومن توليته للفقهاء والموظفين الصالحين تعيينه الفقيه عفيف الدين عبد اللطيف بن أحمد الجبني، ولاية القضاء بدمت وصباح ورداع وما والى ذلك، ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي سنة ٨٨٣هـ[٥].

ومن توليته للقضاة تولية القاضي جمال الدين مُحَمَّد بن أحمد الشويهي النظر في أمر بعدان بعد الاستيلاء عليها وانقضاء مملكة بعدان والتي كانت بيد السيري[٦].

وتوليته القاضي العلامة وجيه الدين عبدالرحمن بن عبدالعليم المخادري قضاء عدن، ثم ولى بعد وفاته قضاء عدن القاضي الفقيه جمال الدين مُحَمَّد بن حسين القماط[٧].

وتوليته للقاضي تاج الدين عبدالوهاب بن عبدالرحمن البريهي صاحب كتاب طبقات صلحاء اليمن قضاء إب، وكان هذا القاضي رجلاً فاضلاً مباركاً[٨].

ويكفي ما ذكرنا وبينا هنا من التعيينات للأمراء والموظفين والقضاة الإكفاء، وقد فصلنا ذلك وبيناه في كتابنا النهضة الحضارية في عهد الدولة الطاهرية[٩].

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٧٤.

٢ الفوة: عروق دقاق طوال حمر يصبغ بها ويداوى، حاشية عبدالله الحبشي على بغية المستفيد، ابن الديبع.

٣ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٥٧.

٤ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٠.

٥ طبقات الصلحاء، البريهي، ١٧٣/١.

٦ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٧٥.

٧ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٣.

٨ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي الزبيدي، ص٢٥٩.

٩ سيتم إن شاءالله تعالى طباعة هذا الكتاب النهضة الحضارية في عهد الدولة الطاهرية، وأبين فيه مجالات النهضة الحضارية في عهد الدولة الطاهرية في مجال نظام الحكم والإدارة والنهضة الإقتصادية والمتمثلة بصك النقود وتبادلهاو حركة التجارة الدولية وميناء عدن، والنهضة العلمية والجهود العلمية لبني طاهر العلمية وبناء المدارس، والنهضة العمرانية، وغيرها من مجالات النهضة الحضارية في ذلك العصر المشرق.

المبحث الرابع
تقريبه للعلماء وحبه للعلم وجهوده العلمية

كان للملك المجاهد علي بن طاهر كثير من الجهود العلمية ساهمت في مجال النهضة العلمية في عصر الدولة الطاهرية، ومن أهمها الإنفاق المنتظم سنوياً وشهرياً على العلماء وطلبة العلم، وبناء المدارس العلمية الإسلامية، وترتيب ما يلزم لها من الأوقاف، واهتمامه وتقريبه للعلماء.

أولاً: إنفاقه سنوياً على العلماء والفقهاء وطلبة العلم:

كان الملك المجاهد ينفق على العلماء وطلبة العلم، ويساعدهم على طلب العلم بتيسير الأموال حتى يتمكنوا من طلب العلم ويغدق عليهم الأموال، بل إنه جعل ميزانية سنوية مخصصة للعلماء والفقهاء وطلبة العلم، تغطي احتياجاتهم وكفايتهم في كل عام من مسكن وطعام وملبس وغيرها من احتياجات العلماء والفقهاء وطلبة العلم.

فيذكر المؤرخ المعاصر للملك المجاهد العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي رحمه الله، في سيرة الملك المجاهد وعنايته بالعلم والعلماء فيقول: "وكان كثير الصدقة يتصدق في كل سنة بجملة من الذهب وبجملة من الطعام، في زبيد وتعز وعدن والمقرانة وجبن ما يقوم بكفاية جماعة من الفقهاء والطلبة مرتباً لهم طعاماً يحمل إلى بيوتهم ويكسوهم ويتفضل عليهم، وهذا دأبه وعادته في البلاد كلها"، والتاريخ مليء بذكر سيرته وقصصه وحكاياته في التصدق وفعله للخير للفقراء والمساكين[1]".

ولم تقتصر صدقات الملك المجاهد على الميزانية السنوية التي تغطي احتياجات العلماء والفقهاء وطلبة العلم من جميع احتياجاتهم، بل كان ينفق على العلماء وطلبة العلم حتى في خارج حدود سلطنته ودولته، فكان يرسل النفقات كل عام إلى مكة المشرفة لتوزع على المحتاجين من طلبة العلم والعلماء هناك، فكان يرسل ألف دينار ذهب أشرفي إلى يد الفقيه ابن عفيف لينفقها في مكة، وكان عالماً مقيماً في مكة للتدريس[2].

ممن كان يواسيهم وينفق عليهم الملك المجاهد من العلماء الفقيه شمس الدين علي بن مُحَمَّد بن مهدي بن سبا المرشى بلداً وهي قرية بجبل بعدان قرأ بالقراءات على المقرىء شمس الدين الشرعي وشارك

---

١ تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، ص٢٧٧.

٢ الضوء اللامع، السخاوي، ٧٠/٣، ١٣٥/٣.

بسائر علم الفقه والحديث وأضيف إليه من الأسباب بمدينة تعز إمامة الظاهرية والشمسية وكان معه كتب نفيسة حصلها وضبطها أحسن ضبط، ثم إن المقرىء شمس الدين سافر إلى مكة المشرفة فحج وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوافق المقام الملك شمس الدين علي بن طاهر بالمدينة المشرفة فقام بكفايته وجعله من أصحابه، فرجعا إلى اليمن بعد إقامتهما جميعا بالمدينة الشريفة قدر ثلاث سنين، فكان المقام شمس الدين علي بن طاهر يحسن إليه ويواسيه بما يحتاجه في مدينة تعز، إلى أن توفي بها بشهر رجب سنة ٨٦٩هـ ودفن بالأجيناد[١].

ولما استلم الملك المجاهد الحكم واستلم زبيد، قرر الفقهاء في الأوقاف وقرر للفقيه عمر بن مُحَمَّد بن معيبد السراج أبو حفص الأشعري الزبيدي اليماني الشافعي، بعد أن قدم عليه فأكرمه ورتب له في الوقف ما يكفيه وعياله[٢].

وكان يقضي عن العلماء ديونهم ومنهم الإمام الشيخ العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن نظام بن منصور الشيرازي، فقد سئل عن سبب دخوله اليمن فذكر أنه لزمه دين نحو ثلاثمئة أشرفي ذهب وعجز عن قضائه وهو يطلب قضاء دينه فحصل له من سلطان الوقت أمير المؤمنين علي بن طاهر ومن أهل الأماكن التي دخلها ما يقوم بقضائها سنة٨٧٣هـ[٣].

ثانياً: اهتمامه بالعلم والعلماء ومواساتهم وزيارتهم وتشييعهم:

كان الملك المجاهد رحمه الله محباً للعلم والعلماء كما هو واضح من سيرته، فكان مقرباً للعلماء والفقهاء ومصاحباً لهم، ويأسف على من مات منهم لأنه يدرك أهمية أهل العلم، ويذكر المؤرخين أنه شهد تشييع كثير من العلماء، فيذكر العلامة السخاوي والعلامة البريهي أنه شهد تشييع جنازة الشيخ الولي الصالح شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أفلح كانت له عبادة وزهادة ودأبه الإعتكاف في المساجد والصلاة والتلاوة لكتاب الله تعالى والذكر، وتوفي سنة ٨٦٠هـ، فشيعه معظم أهل زبيد وتزاحموا على حمل جنازته وكان ممن حملها خليفة الوقت المقام شمس الدين علي بن طاهر[٤].

---

١ طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي، عبد الله مُحَمَّد الحبشي، مكتبة الارشاد طبعة ١٩٩٤م، ٢٣٩/١.

٢ البدر الطالع، الشوكاني، ٥١٣/١، ضوء اللامع، السخاوي، ٢٢٠/٣.

٣ طبقات الصلحاء المسمى تاريخ البريهي، البريهي، ٣٥٢/١، الضوء اللامع، السخاوي، ٢١٣/٥.

٤ طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي، عبد الله مُحَمَّد الحبشي، مكتبة الارشاد طبعة ١٩٩٤م، ٣١٤/١، الضوء اللامع، السخاوي، ٣٥٣/١.

كما شهد تشييع جنازة الإمام العلامة جمال الدين مُحَّد الطيب بن أحمد الناشري رحمه في سنة ٨٨١هـ، فحضر القراءة عليه وعزّى المجاهد أهله[١].

وكان يتفقد العلماء والفقهاء عند مرضهم، فقد زار الفقيه العلامة مُحَّد الجمال أبو عبد الله الشافعي في مرضه، وكان له عند علي بن طاهر حرمة عظيمة، بحيث عاده في مرضه ومعه القاضي الشمس يوسف ابن يونس الجبائي التعزي[٢].

ثالثاً: حضوره مجالس العلم والعلماء:

كما أن الملك المجاهد كان محباً للعلم فكان يحضر مجالس العلم، فكان استماعه للحديث طول مكثه في زبيد، وفي بلده المقرانة وكذلك استماعه للقرآن وحفظه له، ولا عجب في ذلك إذ قد مرّ معنا أن الملك المجاهد كان حافظاً لكتاب الله وعالماً محباً للعلم، ولكن شغله عن ذلك شؤون الحكم.

ويذكر العلامة المؤرخ مُحَّد بن أبي الشلي حضور الملك المجاهد مجالس العلم واهتمامه بسماع العلوم المختلفة فيقول: "وكان كثير التلاوة، وكان يحفظ القرآن عن ظهر قلب، ومع ذلك لا يقرأ إلا بالمصحف، وكان يحضر مجلس الحديث بالجامع، وسمع جماعة كثيرين، وكان غالب أوقاته في قراءة التفسير والحديث[٣]".

فقد ذكر العلامة السخاوي أن الفقيه شرف بن عبد الله بن محمود الشيرازي القاضي الشيفكي الشافعي، ممن قدم زبيد للإقراء والتعليم، وحصلوا له كتباً جليلة فأقبل عليه الملك علي بن طاهر ثم رجع إلى بلاده[٤].

رابعاً: بناءه للمدارس العلمية وترتيب ما يلزم من الأوقاف للنفقات التعليمية:

مما يدل على اهتمام الملك المجاهد بالعلم والعلماء انشائه عدة مدارس علمية إسلامية في اليمن، فقد أورد العلامة المؤرخ ابن الديبع أنه بنى مدارس عظيمة، يقول ابن الديبع رحمه الله: "ومن مآثرة الدينية مدرسة عظيمة بمدينة تعز حرسها الله تعالى، والمدرسة المجاهدية في مدينة جبن، التي بناها وأنشأها الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر بن معوضة، وقد ذكرها العلامة ابن الديبع في تاريخه[٥].

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٠.
٢ الضوء اللامع، السخاوي، ٣/٣٢٧.
٣ السنا الباهر بتكميل النور السافر، العلامة مُحَّد بن أبي بكر الشلي، ص١٦٢.
٤ الضوء اللامع، السخاوي، ٢/١٧١.
٥ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٤.

وممن ذكر هذه المدارس العلمية العلامة المؤرخ السخاوي في كتابه الضوء اللامع، فقال: "أنشأ مدرسة بتعز وأخرى ببلده، ويُقال إنه وقف جميع ما في ملكه من عقار على المسلمين وجعل النظر في ذلك للمتولي من أولاد أخيه[١]".

ويذكر المؤرخ البريهي أنه ممن قام بالتدريس بالمدرسة المجاهدية في جبن العلامة إبراهيم بن علي بن مُحَمَّد الحرازي، عالم محقق في القراءات السبع والنحو وفد إلى جبن، فدرس بها علم النحو والقراءات، ثم رتب مدرساً بمدرسة جبن[٢].

وممن ذكر هذه المنجزات العلمية العظيمة للملك المجاهد، العلامة المؤرخ الشلي فيقول: "وبنى مدرسة وجامعاً بمدينة جبن وبمدينة تعز وجدد مدارس عدن[٣]".

وأيضاً ذكر تلك المدارس العلمية المؤرخ يحي بن الحسين فذكر أن من مآثر الملك المجاهد مدرسة في تعز وأخرى في حَيْس[٤].

وذكر هذه المنجزات أيضاً القاضي إسماعيل بن علي الأكوع فقال: "من مآثره جامع جبن ما يزال عامراً ومدرسة بمدينة تعز، وقام بتجديد جامع بيت الفقيه ابن عجيل، ووقف عليه مالاً، وتجديد مسجد الدرسة بعدن، وعمّر بها صهريجاً بجوار المسجد[٥]".

وبذلك نستطيع من خلال المصادر التاريخية أن نرصد أربعة مدارس علمية بناها الملك المجاهد علي بن طاهر، وهي مدرسة بجبن وتعز وحيس وعدن، وأوقف مع بناء هذه المدارس ما يلزم من الأوقاف، لتكون رافداً ومصدراً مالياً يعتمد عليه للنفقات اللازمة لتسيير هذه المدارس العلمية واستمرار حركة التعليم من نفقات للعلماء والمعلمين وطلبة العلم وما يحتاجونه من الغذاء والملبس وغيرها من المصاريف، وكذلك كان يتبع تلك المدارس العلمية مسجداً وقاعات التدريس ومساكن للطلبة[٦].

---

١ الضوء اللامع، السخاوي، ٧٠/٣.
٢ طبقات صلحاء اليمن، عبدالوهاب البريهي، ١٧٤/١، المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، ص٣٢٨.
٣ السنا الباهر بتكميل النور السافر، العلامة مُحَمَّد بن أبي بكر الشلي، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص١٦٢.
٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٠.
٥ المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، ص٣٢٦.
٦ المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، ص٣٢٨.

ويكفي أن نعلم من عظيم نفس هذا الملك المجاهد، وكرم طبعه ورقي تفكيره، أنه أوقف جميع ما يملك من عقار[1] وغيره لهذه المدارس العلمية والعلماء وطلبة العلم، ليكون مؤسس النهضة الحضارية في عهد الدولة الطاهرية وفي القرن التاسع الهجري[2]، وبالجملة فإن مآثره كثيرة لا تحصى رحمه الله تعالى[3].

١ الضوء اللامع، السخاوي، ٧٠/٣، تاريخ مدينة زبيد، الذؤالي، ص٢٧٧، المدارس الإسلامية، الأكوع، ٣٢٧.
٢ للإستزادة راجع كتابي النهضة الحضارية في عهد الدولة الطاهرية، والذي سيتم طباعته إن شاءالله تعالى في أقرب وقت، وأبين فيه مجالات النهضة الحضارية في عهد الدولة الطاهرية في مجال نظام الحكم والإدارة والنهضة الإقتصادية والمتمثلة بصك النقود وتبادلها وحركة التجارة الدولية وميناء عدن، والنهضة العلمية والجهود العلمية لبني طاهر وبناء المدارس، والنهضة العمرانية، كبناء السدود والأحواض المائية والصهاريج والقصور ودور الضيافة، وغيرها من مجالات النهضة الحضارية في ذلك العصر المشرق.
٣ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٤.

الفصل الخامس
العلاقات الخارجية في عهد الدولة الطاهرية

إهتم ملوك بني طاهر بتوطيد العلاقات مع الدول والإمارت التي حولهم، ولأن الدولة الطاهرية كانت في بداية تأسيسها، فقد أخذت الإصلاحات الداخلية والقضاء على التمردات السياسية والقبلية وتنظيم إدارة الدولة أكثر وقت ملوك بني طاهر، مما شغلهم عن الإلتفات الكلي للسياسات الخارجية مع الدول المجاورة وبناء علاقات مع الدول الأخرى، إلا أن ذلك لم يمنع الدولة الطاهرية من الإتصال بالدول المجاورة حسب الحاجة، وخاصة دول الجزيرة العربية في ذلك الوقت، ومملكة عدل الإسلامية في الحبشة، لذلك سنبين طبيعة العلاقات للدولة الطاهرية مع هذه الدول، في ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: العلاقات بين الدولة الطاهرية ومملكة عدل الإسلامية في الحبشة

المبحث الثاني: علاقة الدولة الطاهرية مع الشريف بركات أمير مكة

المبحث الثالث: علاقة الدولة الطاهرية مع صاحب جازان

المبحث الأول

العلاقات بين الدولة الطاهرية ومملكة عدل الإسلامية في الحبشة

أولاً: بداية الإسلام في الحبشة: كان القائمين على الحكم في الحبشة من النصارى المتعصبين، والذين كانوا يحقدون على الإسلام والمسلمين، فكان المسلمين في الحبشة مضطهدين وفي حالة إستضعاف وقمع من قبل النصارى المتعصبين.

كانت الحبشة أو أثيوبيا[1] تمثل تجسيدًا حقيقيًّا وتاريخًا كبيرًا ومتجذرًا في عداوة العالم الإسلامي، على الرغم من كونها المركز الثاني في الأرض الذي وصلت إليه دعوة الإسلام، عندما هاجر إليها عدد من الصحابة الهجرتين الأولى والثانية، في شهر رجب من العام الخامس للنبوة، حيث هبطوا في مدينة مصوع، وأحسن النجاشي استقبالهم وصدقهم، ثم آمن النجاشي بالإسلام واختلف مع بطارقته وقساوسته الذين أضمروا الحقد والحسد على المسلمين والإسلام، وأصبح هذا الحقد والبغضاء ميراث الكنيسة الحبشية التي يحرص القساوسة والرهبان الأحباش على نقله وتوريثه من جيل إلى آخر، ويتضخم عبر العصور ويزداد مع الزمان، وتشحنه الأحداث، فكلما حقق المسلمون انتصارًا وفتحوا بلدًا، إزدادت عداوة الأحباش وتأججت نار أحقادهم ضد المسلمين[2].[3]

---

[1] الحبشة: هي ما يعرف اليوم بجمهورية إثيوبيا الاتحادية الديموقراطية، وعاصمتها أديس أبابا ويحدها من الجنوب والشرق الصومال، ومن الشرق جيبوتي، ومن الشرق والشمال إريتريا، ومن الشمال والغرب السودان، ومن الجنوب كينيا، وعدد السكان ٧٤ مليون نسمة.
الجماعات الإثنية: الأورومو (٤٠%)، الأمهر والتيجراي (٣٢%)، السيدامو (٩%)، الصوماليون (٦%)، الشانكيلا (٦%)، العفر (٤%)، آخرون (٣%).
الأديان: المسلمون (٥٥% - ٦٥%)، الأرثوذكس (٢٠% - ٣٠%)، معتقدات تقليدية (١٢%)، آخرون (٣% - ٨%). أنظر: دليل الدول الإفريقية. د. مُحَمَّد عاشور مهدي، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، طبعة ٢٠٠٧م.

[2] لم ينته القرن الهجري الأول حتى بنى المسلمون مدينة هرر، والتي غدت مركزًا إسلاميًّا مستقلاً تمامًا عن الحبشة، وظلت هرر مستقلة عن سلطان الأمهرية الحبشية حتى سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، وقامت هرر بدور بارز في نشر الإسلام في القرن الإفريقي خاصة في إريتريا التي أصبحت إسلامية بالكامل في بداية الخلافة العباسية، وخضعت إريتريا للخلافة العباسية وعُرفت باسم إقليم "باضع"، وهاجر إليها الكثير من المسلمين العرب.
وتأسست مملكة إسلامية صغيرة في شرق إقليم "شوا" عرفت باسم السلطنة المخزومية، وذلك سنة ٢٨٣هـ؛ فانتشر الإسلام في أقاليم الحبشة، ورد الأحباش على هذا المد الإسلامي الجارف في بلادهم بالاضطهاد والتنكيل والتقتيل لمسلمي الحبشة، ومن شدة الإضطهاد استنجد مسلمو الحبشة بالسلطان أحمد بن طولون في القرن الثالث الهجري، ومن بعده بملوك المسلمين في كل زمان. أنظر: الحبشة والعالم الإسلامي.. عداوة قديمة، شريف عبد العزيز، مقالة في موقع قصة الإسلام.

[3] الحبشة والعالم الإسلامي.. عداوة قديمة، شريف عبد العزيز، موقع إلكتروني قصة الإسلام.

وقد هاجرت عدد من القبائل العربية واستقرت في السهول الساحلية المحيطة بأرض الحبشة، وبمضي الوقت تحولت المراكز الإسلامية إلى إمارات أو ممالك إسلامية، أطلق عليها بعض المؤرخين اسم إمارات أو سلطنات الزيلع الإسلامية، وأطلق عليها المؤرخ المقريزي ممالك الطراز الإسلامي[1].

وقد تحدث تقي الدين المقريزي في كتابه "الإلمام بمن في الحبشة من ملوك الإسلام"، عن الدويلات الإسلامية التي كانت تجاور الحبشة والتي أطلق عليها في تلك الأزمان الدول أو السلطنات الحبشية المسلمة، فأرخ لقيام دولة سعد الدين في هرر وتحرشات الحبشة بها[2].

ثم أن النصارى قاموا بمحاربة المسلمين فيذكر المؤرخ ابن تغرى بردى في أخبار سنة ٨٢٧ هـ، أنه ورد على السلطان المملوكي بمصر أن متملك الحبشة وهو أبرم، ويقال إسحاق بن داود بن سيف أرعد، قد غضب بسبب غلق كنيسة القيامة بالقدس، وقتل عامة من كان في بلاده من رجال المسلمين، واسترق نساءهم وأولادهم وعذبهم عذابا شديدا، وهدم ما في مملكته من المساجد، وركب إلى بلاد جبرت فقاتلهم حتى هزمهم، وقتل عامة من كان بها وسبى نساءهم، وهدم مساجدهم، فكانت في المسلمين ملحمة عظيمة في هذه السنة لا يحصى فيها من قتل من المسلمين، فاشتاط السلطان غضبا وأراد قتل بطرك النصارى وجميع من في مملكته من النصارى، ورجع عن ذلك[3].

لم يكتفي ملك الحبشة إسحاق بن داود باضطهاد المسلمين في بلاده والتنكيل بهم، بل قام بمراسلة ملوك الفرنج للتحالف معهم ضد المسلمين، وإعداد حملة صليبية مشتركة ضد مصر، بحيث تقوم جيوش الفرنج بمهاجمتها من الشمال، وتتولى جيوشه الإطباق عليها من الجنوب، ولما كان هذا الإتفاق مجرد مشروع لم يدخل حيز التنفيذ، فقد تبنى الملك زرع يعقوب هذه السياسة وتوسع في تنفيذها وعاود مراسلة ملوك الفرنج، وخاصة ألفونسو الخامس ملك أرغونة المشهور بتعصبه وعدائه للمسلمين.

---

[1] السلوك في معرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تهذيب الدكتور رجب محمود بخيت، مكتبة جزيرة الورد القاهرة مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق عبدالنعيم ضيفي، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة مصر، طبعة ٢٠٠٦م.

[2] فترة مشرقة للجهاد الإسلامي في الحبشة، فهيم مُحمَّد شلتوت، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض المملكة العربية السعودية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ٢٥٤/١٣.

[3] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، تهذيب رجب محمود بخيت، الناشر مكتبة جزيرة الورد ومكتبة الإيمان القاهرة مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ٢٦٠/١٤.

وتمادى زرع يعقوب في تعصبه وعدائه للمسلمين، ووصلت الخبار إلى مصر أنه قام عام ٨٥٣هـ بإعداد أسطول ضخم للإغارة به على بلاد الحجاز وانتهاك حرمة المقدسات الإسلامية[١].

تلك الصورة البشعة كانت تمثل السمات المميزة لموقف الحبشة العدائي للإسلام، فالحقائق التاريخية أن موجات الجهاد المتصلة لسلاطين المسلمين في هذه المنطقة إنما كانت بقصد الدفاع عن أرضهم وقيمهم الإسلامية وعقيدتهم التي كان يغار عليها في الفينة بعد الفينة، ولم يكن هناك مفر من مواصلة الجهاد[٢].

ثانياً: مملكة عَدَل الإسلامية والجهاد ضد النصارى في الحبشة:

كان مجيء الإسلام لهذه المناطق عن طريق الدعوة من الجزيرة العربية منذ عهد الرسول ﷺ، ومن المناطق التي انتشر فيها الإسلام مبكراً زيلع التي هاجر إليها مسلمون من الجزيرة العربية، وتكونت بها سلطنة إسلامية، وأخذت تتوسع وتكونت عدة ممالك إسلامية أخرى، وكانت من ضمنها أوفات وهرر، إلا أن هرر كانت تحت سيطرة الأحباش، ولما قوي أمر أوفات وضعف أمر الأحباش استطاعت أوفات أن تنتزع هرر من الأحباش، وأصبحت هرر قاعدة الحرب بين المسلمين والنصارى الأحباش، ثم تكونت مملكة عدل التي ضمت أكثر الصومال الشمالي، ودارت رحى الحرب بينها وبين الأحباش، وتمكن المسلمون من إحراز انتصارات كبيرة فيها٣.

ويقول المؤرخ تقي الدين المقريزي: "أن هذه الدولة قام بها قوم من قريش، وهي من أراضي الزيلع واستوطنوها وأقاموا بمدينة أوفات، وعرف جماعة منهم بالخير واشتهروا بالصلاح إلى أن كان منهم عمر يُقال له لشمع، ولاه الحطي ملك الحبشة مدينة أوفات وأعمالها، ثم كان من أحفاده حق الدين بن أحمد بن علي بن صبر الدين بن مُحَمَّد بن عمر لشمع، وكان حق الدين أول من خالف من أهل بيته على الحطى ملك أمحرة من الحبشة الكفرة وخرج عن طاعته، وهو أول من استبد منهم بالأمر، وما زالت الحروب بينهم واتسعت مملكة حق الدين وكانت له انتصارات كثيرة، إلى أن قتل سنة ٧٧٦هـ في إحدى المعارك.

---

[١] بنو رسول وبنو طاهر، د. مُحَمَّد عبدالعال، ص٤٦٨، فترة مشرقة للجهاد الإسلامي في الحبشة، فهيم مُحَمَّد شلتوت.

[٢] فترة مشرقة للجهاد الإسلامي في الحبشة، فهيم مُحَمَّد شلتوت.

[٣] الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، تقديم د. راغب السرجاني، إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، مؤسسة إقرأ القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، ٣٥٥/٢.

ثم قام بعده أخوه سعد الدين فمضى على سيرة أخوه في جهاد أمحرة لكن بتؤدة وسياسة حسنة، فكثرت عساكره وتعددت غاراته واتسعت مملكته، وانتصر في كثير من المعارك حتى حاصره ملك الحبشة في جزيرة زيلع في وسط البحر، فقتل هناك بعد أن خانه أحدهم فدلهم على دخول الجزيرة سنة ٨٠٥هـ[١].

سلطنة عدَل الإسلامية ٨١٧–٩٨٥هـ:

كانت عَدَل إقليمًا من الأقاليم التى خضعت لسلاطين أوفات، وليس ببعيد أن تكون قد تأسست فيها إمارة محلية تدين بالولاء لبنى ولشمع، ويبدو أن موقعها المتطرف قد ساعد على نجاتها من التوسع الحبشي الذى أطاح بالإمارات السابقة، وكان طبيعياً أن يأوي بنو سعد الدين إلى إقليم قريب من البحر يتيح لهم الإتصال ببلاد اليمن بعيدًا عن مناطق النفوذ الحبشى، وكانت تلك السلطنة تضم البلاد الواقعة بين ميناء زيلع وهرر وتشمل ما يعرف بالصومال الشمالي والغربى وإقليم أوجادين، وسميت هذه البلاد بر سعد الدين تخليدًا لسعد الدين الذى مات بزيلع ودفن بها[٢].

وكان أولاد سعد الدين قد فروا بعد مقتل أبيهم إلى بر العرب اليمن، وهم عشرة أكبرهم صبر الدين علي، فأكرمهم الملك الناصر أحمد بن الأشرف الرسولي ملك اليمن، فقد ذكر المؤرخ اليمني ابن الديبع أنه في سنة ٨١١هـ، وصل إلى الملك الناصر أبناء سعد الدين صاحب الحبشة، مستنجدين به على الحطي الكافر، وواجهه بمدينة تعز فأكرمهما ووعدهما النصر[٣].

واستأنف سلاطين عدل الجهاد مرة أخرى في عهد السلطان صبر الدين بن سعدالدين، والذي أسس مملكته وكان بداية حكمه في عام ٨١٧هـ، فقد أكرمهم الملك الناصر الرسولي وأنزلهم ثم جهزهم إلى الحبشة، حتى فتح الله عليهم ولحق بهم عساكر أبيهم، فقام بأمرهم صبر الدين بن سعد الدين واستعاد مملكة آبائه، وما زال يلي أمر المسلمين إلى أن مات على فراشه بعد ثماني سنوات من الجهاد في سنة ٨٢٥هـ[٤]".

وقد إستطاع سعد الدين الإستيلاء على عدة بلاد حبشية، وبعد وفاته عام ٨٢٥هـ خلفه أخوه السلطان منصور الذي بدأ حملة هاجم بها ملك الحبشة وقتل صهره، وحاصر منهم نحو ثلاثين ألفاً

[١] الإلمام، المقريزي، ص٨٧.
[٢] الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلام، ٩٣/٩.
[٣] بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩، قرة العيون، ابن الديبع، ٤٧٢.
[٤] الإلمام، المقريزي، ص٩١.

مدة تزيد على شهرين، ولما طلبوا الأمان خيرهم بين الدخول في الإسلام أو العودة إلى قومهم سالمين، فأسلم منهم نحو عشرة آلاف وعاد الباقون إلى بلادهم، فلم يقتلهم منصور ولم يستعبدهم، كما كان يفعل ملوك الحبشة بجنود المسلمين الذين كانوا يقعون في أسرهم[1].

ثم قبض على المنصور بن سعد الدين سنة ٨٢٨هـ، فقام بعده أخوه جمال الدين[2] محمَّد بن سعد الدين، فوجه البرابر في عهده وانتصر عليهم، ثم جمع له الحطي ملك أمحرة الجيوش فانتصر عليه وطارده حتى أوصله إلى رأس نهر النيل، فعاد جمال الدين بغنائم لا تعد ولا تحد.

ثم سار على جمال الدين بنو عمه وحسدوه وقتلوه في جماد الآخرة سنة ٨٣٥هـ، ولما استشهد جمال الدين، واستقر بعده في مملكة المسلمين أخوه شهاب الدين أحمد ويلقب بدلاي، فأول ما صنع جد حتى وجد قاتل أخيه فاقتص منه[3]، فجرى على سنة أخيه في غزو امحرة، وفتح من بلادهم عدة أعمال وقتل طائفة من أمراءهم، ثم هدأت بينهم الحروب في عام ٨٣٩هـ وهي سنة الطاعون الذي أصابت الحبشة[4]، وكان مقيماً في بلاد دكر، وأخوه خير الدين في بلاد ركلة[5].

وحارب أحمد بن بدلاي الأحباش واسترد إمارة بالى الإسلامية من أيديهم، ولكنه وقع صريعًا أمام الأحباش فى سنة ٨٤٨هـ، نتيجة لخيانة أحد الأمراء الذي أظهر التحالف معه، ومن ثم تمكن الأحباش من اجتياح سلطنة عَدَل وبقية الممالك الزيلعية الأخرى، وأصبحت الحبشة إمبراطورية كبيرة امتدت شمالاً حتى مصوع وسهول السودان وضمت أوفات وفطجار ودوارو وبالى وهدية، ومنحت هذه الإمارات استقلالها الذاتى، وولت عليها عاملاً يسمى الجراد ينحدر من البيت المالك القديم.

ويبدو أن الرغبة الصادقة فى الجهاد التى عرف بها الجيل الأول من سلاطين أوفات قد فترت عند أحفادهم سلاطين عدل، فقد سئموا القتال وجنحوا إلى المسالمة ولكن الشعب المسلم لم يتخل عن

---

[1] الصراع مابين الإسلام والصليب في الحبشة، برهان زينو احمد.

[2] جمال الدين بن سعد الدين: كان خير ملوك زمانه ديناً ومعرفة وقوة وشجاعة ومهابة، وجهادا في أعداء الله بحيث أنه ملك كثيراً من بلاد الحطي وأعماله، ودخل جماعات من عمال الحطي وولاة أعماله في طاعته، وقتل وأسر من أمحرة الكفرة ما لا يدخل تحت حصر حتى إمتلأت بلاد الهند واليمن وهرمز والحجاز ومصر والشام والروم والعراق وفارس من رقيق الحبشة الذين أسرهم وسباهم في غزواته، وكان يصحب الفقفهاء والفقراء من الصالحين، ونشر العدل في أعماله حتى في أهله وولده، ولقد أسلم على يديه عالم من أمحرة لا يحصى عددهم هداهم الله به. أنظر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر العسقلاني، ٤٨٨/٣، الإلمام، تقي الدين المقريزي، ص٩٥.

[3] إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر العسقلاني، ٤٨٨/٣.

[4] الطاعون في سنة ٨٣٩هـ كما تشير المصادر التاريخية انتشر وعم جميع تلك البلاد من اليمن والحجاز ومصر والحبشة وافريقيا.

[5] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، تهذيب رجب محمود بخيت، الناشر مكتبة جزيرة الورد ومكتبة الإيمان القاهرة مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ٢٢٥/١٥، الإلمام، المقريزي، ص٩٧.

سياسته التقليدية فى جهاد الأحباش ومقاومتهم، وكان تخاذل سلاطين عدل وتحمس الشعب للجهاد مؤذنًا ببداية الدور الأخير من أدوار الجهاد وهو دور هرر، وتميز هذا الدور بظهور طائفة من الأمراء الأئمة أشربت قلوبهم حب الجهاد وصارت لهم السلطة الفعلية فى البلاد، وبذلك أصبح فى المجتمع العَدَلى حزبان، الحزب الشعبى الذى يتزعمه الأمراء الأئمة، وذلك الحزب الذى يريد أن يسالم الأحباش ويتكون من الطبقة الأرستقراطية والتجار، وعلى رأسه سلاطين عدل التقليديون.

وكان أول هؤلاء الأئمة ظهورًا هو الداعى عثمان حاكم زيلع الذي أعلن الجهاد بعد وفاة السلطان مُحَّد بن بدلاى مباشرة عام ٨٧٦هـ[1]، وهو أول سلاطين مملكة عدل الإسلامية كانت له علاقة بالدولة الطاهرية.

وكما رأينا فمن تلك المناطق الإسلامية وبزعامة بنو سعد الدين، أعلن المسلمين في الحبشة الجهاد في سبيل الله ضد النصارى في الحبشة وذلك للدفاع عن دينهم وأنفسهم، ولضعف إمكانياتهم وقدراتهم العسكرية كان مسلمي الحبشة يستنجدون ويطلبون العون من ديار المسلمين وحكامها، وكانت أقرب هذه الدول إلى الحبشة هي مصر واليمن.

ثالثاً: إعانة الدولة الطاهرية للمسلمين في الحبشة ضد النصارى المعتدين:

كان ملوك اليمن على مرّ التاريخ لا يدخرون جهداً ولا مالاً لمساعدة إخوانهم المجاهدين في الحبشة، وكان ملوك اليمن لا يترددون في المبادرة بإرسال النجدات من الرجال والمال والسلاح، وذلك حسب إمكانياتهم المتاحة، والظاهر أن قرب المكان وسيطرة مسلمي الحبشة على بعض المنافذ البحرية أدى إلى سهولة التواصل بين اليمنيين ومسلمي الحبشة، مما أدى إلى بروز وتكوين علاقات قوية بين ملوك اليمن ومسلمي الحبشة ومن كان يتولى أمرهم وشؤونهم.

وقد تبين لنا أن بداية هذه العلاقات كان في عصر دولة بني رسول في أيام الملك الناصر، فقد كان لملوك الدولة الرسولية مساعدات مادية وبشرية لملوك إمارات الحبشة المسلمة السبع، المعروفة بإمارات الطراز الإسلامي في جهادهم ضد الصليبيين[2].

واستمرت هذه العلاقات بين المسلمين في الحبشة والدولة الطاهرية منذ بداية عهدها، وقد تطورت هذه العلاقات في عهد الطاهريين مع بني سعدالدين أمراء منطقة عدل الحبشية في عهد الدولة

[1] الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ٢٢٩/١٤.

[2] الإستحكامات الحربية، عبدالله الحداد، ص٤١٣، بنو رسول وبنو طاهر، مُحَّد عبدالعال، ص٤٣٨، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص٩٩.

الطاهرية، والذين حملوا على عاتقهم مهمة مقاومة اضطهاد ملوك الحبشة للمسلمين، وكانوا هم أمراء المناطق الإسلامية في الحبشة وقادة الجهاد في تلك المناطق.

وفي بداية عهد الدولة الطاهرية وخلال تولي الملك المجاهد علي بن طاهر على اليمن، كان الحاكم لتلك المناطق الإسلامية في الحبشة كما ذكر ذلك العلامة المؤرخ كمال الدين الذؤالي الزبيدي هو السلطان المجاهد في سبيل الله شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بدلاي بن سعد الدين.

وقد استعان السلطان شمس الدين مُحَمَّد بن بدلاي بالدولة الطاهرية في عام ٨٧٩هـ لمده بالمال والعتاد والسلاح لمقاومة النصارى المعتدين، وقد لبى له ذلك الملك المجاهد علي بن طاهر وأمده بالكثير من المال والسلاح والخيول العربية، ولم يكتفي الملك المجاهد بهذا الدعم المادي فقط بل إنه كان يتمنى الذهاب بنفسه للجهاد في سبيل الله ضد العدو الصائل من النصارى المعتدين على إخوانه في الحبشة، وكان على وشك الذهاب لولا انشغاله بدفع المتمردين من القبائل وخصوصاً في تلك الفترة من بعد وفاة أخيه الملك الظافر، ورغم ذلك كله فقد كان الملك المجاهد يتأسف على عدم ذهابه للجهاد في الحبشة لنيل الثواب والأجر.

يقول العلامة كمال الدين الذؤالي الزبيدي رحمه الله في أحداث سنة ٨٧٩هـ: "وفي أول ليلة من شهر رمضان جهز الملك المجاهد علي بن طاهر الملك السلطان المجاهد في سبيل الله شمس الدين مُحَمَّد بن بزلاي بن سعد الدين بمائة فرس وخمسة أفراس من الخيل العربية الجيدة، وجملة من السلاح والدروع إعانة على جهاد الكفار، وكان يتأسف على حضور الجهاد، ويود أن يذهب بنفسه ويجاهد المشركين رغبة في ثواب المجاهدين بلّغه الله ذلك بمنه وكرمه فوقعت تلك الهدية من الملك المذكور موقعاً عظيماً"[١].

وهذا ما ذكره أيضاً المؤرخين الطيب بامخرمة[٢] وعبدالرحمن الديبع، ويقول كذلك العلامة المؤرخ عبدالرحمن ابن الديبع رحمه الله عن هذا الدعم السخي من الملك المجاهد للمجاهدين في الحبشة ولسلطانهم: "وفي أوائل شعبان جهز الملك المجاهد في سبيل الله عزوجل، على المجاهد في سبيل الله شمس الدين مُحَمَّد بن بذلاي بن سعد الدين صاحب الحبشة، مائة وخمسة أفراس من الخيل العربية، والسيوف والرماح والدروع شيئاً كثيراً، إعانة له، تقبل الله منه"[٣].

[١] تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٦٩.
[٢] قلادة النحر، بامخرمة، ٤٦٦/٦.
[٣] بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٧.

وقد كان لهذا الدعم والمساعدة أهمية وتأثير في مجريات الحرب بين المسلمين من جهة والنصارى من جهة أخرى، ولم يكن هذا الدعم والتواصل بين الملك المجاهد علي بن طاهر والسلطان مُحَّد بن بزلاي والمجاهدين في الحبشة هو الأخير فقد استمرت هذه المساعدات من قبل الملك المجاهد لسنوات أخرى أيضاَ.

ففي عام ٨٨١هـ أرسل الملك المجاهد مساعدات أخرى للسلطان شمس مُحَّد بن بزلاي، وهذه المرة أرسل هذه المساعدات من المال والسلاح من مدينة عدن حيث كان مستقراً في ذلك الوقت وقد كانت هذه الإعانة من الملك المجاهد للمجاهدين في سبيل الله في الحبشة ضد النصارى هي للمرة الثانية.

يقول المؤرخين ابن الديبع وبامخرمة في ذكر هذه المساعدة والإعانة: "وفي جمادى الأولى من سنة ٨٨١هـ، جهز الملك المجاهد من مدينة عدن نيفاً وخمسين فرساً مكملة العدة، ووجهها إلى المجاهد ابن سعد الدين بالحبشة، إعانة في سبيل الله عزوجل تقبل الله منه"[١].

إلا أنه ورغم ذلك الدعم المقدم من الدولة الطاهرية والملك المجاهد لمسلمي الحبشة والسلطان مُحَّد بن بذلاي ضد نصارى الحبشة، لم يكن هذا كافياً لحسم الصراع وانتصار المسلمين، فقد استمرت هذه الصراعات إلى أن دخل العثمانيون إلى اليمن، ثم قاموا هم بدعم مسلمي الحبشة ضد النصارى، وقدموا لهم المساعدات في وقت لاحق.

ولعل السبب الرئيسي في عدم تقديم الدعم الكافي لمجاهدي الحبشة ضد النصارى المعتدين، هو ضعف إمكانيات الدولة الطاهرية لخوض صراعات خارجية ودولية، وسبب هذا الضعف هو استهلاك جهودهم العسكرية وتركيز طاقاتهم ومواردهم لصد التمردات القبلية والحركات المناوئة في اليمن وكذلك انشغالهم بتثبيت ملكهم وترسيخه ضد أعداءهم ومناوئيهم.

---

[١] قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٠/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع ص١٥١.

المبحث الثاني

علاقة الدولة الطاهرية مع الشريف بركات أمير مكة

علاقة الدولة الطاهرية مع الشريف مُحَمَّد بن بركات ملك مكة والحجاز: كانت العلاقة بين اليمن والحجاز في أواخر عهد الدولة الرسولية قد ساءت بسبب إقدام أشراف مكة بالتعدي على التجار والحجاج اليمنيين[1]، وبالرغم من ازدياد حركة التجارة البحرية في جدة بعد أن تمكنت السفن الهندية والصينية في التوجه مباشرة إلى جدة وقاطعت ثغر عدن، إلا أن ذلك لم يعرقل حركة الملاحة في ثغر عدن، ويرجع الفضل في ذلك إلى السياسة التي أنتهجها بنو طاهر في تنشيط الحركة التجارية في هذا الثغر من جديد، بعد أن استقرت الأوضاع في اليمن وتوطدت دعائم دولة بني طاهر، مما أدى إلى عودة بعض السفن التجارية للتعامل مع ثغر عدن.

الجدير بالذكر أن بني طاهر صرفوا جانباً كبيراً من اهتمامهم على التجارة بحكم خبراتهم السابقة في مجال التجارة، وقد أدى اهتمام بني طاهر بتنمية تجارة عدن إلى عودة التبادل التجاري بينها وبين جدة، حيث أخذ تجار اليمن يقصدونها بسفنهم، ولم تلبث العلاقات الطبيعية أن إستؤنفت من جديد بعد أن تدهورت لفترة ليست بقصيرة في أواخر عصر الدولة الرسولية[2].

قدوم الشريف إدريس بن قاسم بن حسن بن عجلان الحسني:

وكانت أول زيارة رسمية من قبل أشراف مكة إل السلاطين بني طاهر هي في عام ٨٦٨هـ، أي بعد عشر سنوات منذ تأسيس وقيام الدولة الطاهرية، وكان ملك الحجاز في ذلك الوقت هو الشريف مُحَمَّد بن بركات بن حسن بن عجلان، وقد كان أمر الحجاز وولايتها لآل بركات بن حسن بن عجلان.

تولي الأشراف آل بركات حكم مكة والحجاز:

عندما قتل علي بن عجلان، حكم أخوه حسن بن عجلان مكة منفرداً من سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٦م إلى سنة ٨١٠هـ/١٤٠٨م، ثم أشرك معه ابنه بركات في نصف الإمرة، وكان ذلك بمباركة من السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق وبعد ذلك بسنه، أشرك ابنه الثاني أحمد مع أخيه بركات في النصف

[1] العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مُحَمَّد بن أحمد الفاسي المكي، تحقيق مُحَمَّد عبدالقادر عطية، منشورات مُحَمَّد بيضوي دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ٣٢٥/٣، بنو رسول وبنو طاهر، مُحَمَّد عبدالعال، ص٤٦١.

[2] بنو رسول وبنو طاهر، مُحَمَّد عبدالعال، ص٤٦١، تاريخ الدولة الطاهرية، مُحَمَّد أحمد مقبل الفيصلي، ص١٧٩.

الآخر، واحتفظ الشريف حسن بلقب نائب السلطنة في الحجاز ذلك اللقب الذي يطلق لأول مرة على شريف من أشراف مكة[١].

فاستمر كل منهم في عمله حتى عزلوا جميعا في سنة ٨١٨هـ، من قبل السلطان المملوكي المؤيد شيخ، وتولى حكم مكة ونيابة السلطان في الحجاز بدلاً منهم الشريف رميثة بن مُحَمَّد ابن عجلان[٢].

غير أن الملك المؤيد سلطان المماليك بمصر، ما لبث أن رضي عن حسن ابن عجلان، وأعاده إلى إمارة مكة في السنة التالية[٣]، ثم أشرك حسن ابن عجلان ابنه بركات معه في الدعاء على قبة زمزم، عندما قدم الأخير إلى مكة من مصر في سنة ٨٢٠هـ[٤]، وكانت هذه الخطوة بمثابة تمهيد لتقليد بركات إمارة مكة المكرمة، حيث لم يمض عام واحد على هذه المشاركة حتى أبدى الشريف حسن رغبته في التخلي عن الحكم لابنه بركات في سنة ٨٢١هـ وحلف أتباعه يمين الولاء للأخير[٥].

ثم أشرك معه أخاه إبراهيم بن حسن بن عجلان في سنة ٨٢٤هـ، على أن يكون لكل منهما ثلث إيرادات الإمارة، والثلث الباقي للشريف حسن نفسه[٦]، فوافقت السلطات المملوكية على مشاركة بركات لوالده، ووصل تفويضهما إمارة مكة من قبل السلطان المملوكي المظفر أحمد بن المؤيد شيخ في ربيع الأول من السنة المذكورة[٧].

---

[١] العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تقي الدين مُحَمَّد الحسيني الفاسي، ١٠٥/٤؛ إتحاف الورى بأخبار أم القرى، عمر بن فهد، تحقيق فهيم شلتوت، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث في جامعة ام القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ٤٦٢/٣؛ خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، أحمد بن زيني دحلان، المطبعة الخيرية مصر الطبعة الأولى ١٣٠٥هـ، ص٥٥.

[٢] إتحاف الورى، ابن فهد، ٥٢٥/٤، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مُحَمَّد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الحياة بيروت لبنان، غير مؤرخة، ١٠٤/٣؛ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبدالملك بن حسين العصامي المكي، عبدالموجود معوض، الدار العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ٢٥٣/٤.

[٣] العقد الثمين، الفاسي، ١٢٢/٤؛ الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، مُحَمَّد بن مُحَمَّد ظهيرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، ص١٩٧؛ سمط النجوم العوالي، العصامي، ٢٥٧/٤.

[٤] إتحاف الورى، ابن فهد، ٥٨٤/٣؛ البحر الزاخر في أخبار الأوائل والأواخر، مصطفى بن حسن الجنابي، المطبعة الأميرية بولاق مصر، الطبعة الأولى ١٣١٢هـ، ص٤٣٧؛ أمراء البلد الحرام، دحلان، ص٥٩.

[٥] الدر الكمين بذيل العقد الثمين، عمر بن فهد الهاشمي المكي، تحقيق عبدالملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ١٢٨/٤.

[٦] الضوء اللامع، السخاوي، ١٠٤/٣، العقد الثمين، الفاسي، ١٤١/٤.

[٧] شفاء الغرام، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، أبو الطيب مُحَمَّد بن أحمد المكي الحسني الفاسي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ٢١٠/٢؛ العقد الثمين، الفاسي، ١٣٩/٤.

ولكن هذا التفويض لم يتضمن الموافقة على مشاركة إبراهيم بن حسن بن عجلان لوالده حسن وأخيه بركات، الأمر الذي جعله سبباً في إثارة المتاعب لأبيه وأخيه معاً[1].

ولما توفي الشريف حسن في سنة ٨٢٩هـ، آل أمر مكة إلى ابنه الشريف بركات الذي حكمها منفردا حتى عزله السلطان المملوكي، جقمق في سنة ٨٤٥هـ، وأسند إمارة مكة عوض عنه إلى أخيه الشريف علي ابن حسن بن عجلان[2].

ثم عزل في السنة التالية بأخيه أبي القاسم بن حسن بن عجلان، ولما فشل أبو القاسم في العمل على استقرار الأمور في مكة، عزل عنها في سنة ٨٥٠هـ، وعاد بركات الذي ولي عليها مرة أخرى ليمارس سلطانه من جديد كأمير لمكة المكرمة[3].

ولما أحس بركات بعدم مقدرته على ممارسة سلطانه بسبب تقدمه في السن بالإضافة إلى رغبته في تهيئة الأمور لتولية ابنه مُحَّد إمارة مكة بعد مماته، طلب من السلطات المملوكية أن توافق وترسم له على هذا الطلب ووصل المرسوم الذي يتضمن تعيين مُحَّد بن بركات أمير على مكة، بعد وفاة والده بركات في شعبان سنة ٨٥٩هـ[4].

وكانت ولاية الشريف مُحَّد بن بركات وحكمه معاصراً لبداية نشأة الدولة الطاهرية ومتزامناً مع حكم الملكين المجاهد والظافر، وقد حكم مُحَّد مكة منفرداً حتى سنة ٨٧٨هـ، عندما أشرك سلطان مصر المملوكي قايتباي مع مُحَّد في الحكم ولده بركات بن مُحَّد بن بركات[5].

ويبدو أن بركات هذا أثبت كفاءته ومقدرته في الحكم حتى أن الإمام السخاوي وصفه بأنه "كان أجل بني أبيه وأقربهم إلى خلافته، كما أعتبره من ناحية أخرى قسيم والده وشريكه في السلطنة، بحيث لم يتعرض على قرار تعيينه أحد من أفراد الأسرة الحاكمة في حياة والده[6].

وعندما توفي مُحَّد بن بركات في مطلع سنة ٩٠٣ هـ، آل أمر مكة تلقائياً إلى ابنه وشريكه سابقاً، بركات بن مُحَّد بن بركات بن حسن بن عجلان.

[1] إتحاف الورى، ابن فهد، ٥٧٩/٣؛ سمط النجوم العوالي، العصامي،٢٥٩/٤؛ أمراء البلد الحرام، دحلان، ص٥٩.
[2] إنباء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق د حسن حبشي، الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي مصر، طبعة ١٩٦٩م، ١١٢/٨، ١٦٠/٩؛ إتحاف الورى، ابن فهد، ٦٣٢/٣، الضوء اللامع، السخاوي،، ١٣/٣.
[3] إتحاف الورى، ابن فهد، حوادث سنة ٨٥٠هـ؛ الجامع اللطيف، ابن ظهيرة، ص١٩٨؛ الضوء اللامع، السخاوي، ١٣/٣.
[4] البحر الزاخر، الجنابي، ص٤٣٨؛ الجامع اللطيف، ابن ظهيرة، ص١٩٨؛ سمط النجوم العوالي، العصامي، ٢٧٥/٤.
[5] الدرر الكمين، ابن فهد، ص١٩؛ البحر الزاخر، الجنابي، ص٤٤١.
[6] الضوء اللامع، السخاوي، ١٤/٣، ١٥٢/٧.

وبهذا استمر حكم الشريف مُحَّد بن بركات لمكة والحجاز طويلاً، فقد استمر حكمه وبالشراكة مع ابنه إلى حين وفاته قرابة الأربع والأربعين عاماً، وقد كانت علاقته بالدولة الطاهرية علاقة جيدة، وعاصر الشريف مُحَّد بن بركات حكم الملكين الظافر والمجاهد وكذلك عاصر حكم الملك المنصور عبدالوهاب بن داود بن طاهر إلى حين وفاته عام ٨٩٤هـ، وعاصر كذلك حكم ابنه الملك عامر بن عبدالوهاب، ويكون بهذا قد عاصر أقوى أربعة سلاطين من حكام الدولة الطاهرية، وقد كان بدأ هذه العلاقة بين الدولتين كما ذكرنا بعد عشر سنوات منذ قيام الدولة الطاهرية كما مرّ معنا.

وكان ذلك في شهر رمضان من عام ٨٦٨هـ، عندما أرسل الشريف مُحَّد بن بركات وفداً إلى اليمن برئاسة ابن عمه الشريف إدريس بن قاسم بن حسن بن عجلان الحسني في زيارة إلى اليمن، لتوطيد وترسيخ العلاقات بين الأشراف آل بركات وهم ولاة مكة والحجاز وبين بني طاهر ملوك اليمن وحكامها، وقد أحسن بني طاهر ملوك اليمن استقبال هذا الوفد أحسن استقبال وأكرموهم كرماً يليق بهم.

يقول العلامة المؤرخ ابن الديبع رحمه الله عن هذه الزيارة: "في يوم الاثنين التاسع عشر من رمضان عام ٨٦٨هـ، قدم الشريف إدريس بن قاسم بن حسن بن عجلان الحسني، ابن عم الشريف مُحَّد بن بركات في جماعة من خواصه على الملك المجاهد إلى زبيد، فأجزل صلته وأكرم منزلته وأعطاه من الذهب والفضة والثياب والخيل جملة مستكثرة، ثم توجه إلى الملك الظافر ببلده، فقابله بأحسن من ذلك[1].

[1] بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٣١، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٥٧/٦.

المبحث الثالث

علاقة الدولة الطاهرية مع صاحب جازان

كان المخلاف السليماني من المناطق أو الإمارات التابعة للدولة الرسولية في اليمن، وقد كان حكم الرسوليين يمتد في جميع أرجاء اليمن، ووصل حتى مكة والمدينة وبهذا كان يشمل المخلاف السليماني[١].
غير أنه في أواخر عهد الدولة الرسولية والإنقسامات التي لحقت بالدولة الرسولية جعلت الكثير من المناطق تستقل عنها، وممن استقل عن الدولة الرسولية في أواخر عهدها المخلاف السليماني، وقد دخل أمراء المخلاف السليماني في صراع مع السلطان الناصر وهو من أواخر ملوك الدولة الرسولية[٢].
وقد قال بعض المؤرخين بأن أمراء المخلاف السليماني كانوا إمارة مستقلة في الحكم عن اليمن، إلا أنها تحكم في ظل الدولة الرسولية[٣].
ومما هو جدير بالذكر أن ثورات القبائل التهامية كالمعازبة والقرشية وبني حفيص شمالي زبيد، جعل تلك القبائل تشكل حاجزاً بين زبيد ومناطق تهامة الشمالية، ولهذا لم يتمكن سلاطين بني طاهر من مد نفوذهم والسيطرة على تلك المناطق، فاستقل ولاتها بحكمها مثل مدينة جازان، التي كانت تحت حكم الشريف أبو الغواير أحمد بن دريب بن خالد[٤].
وبعد أن استولى الطاهريون على السلطة، كان المخلاف السليماني مجاوراً للدولة الطاهرية، وكانت العلاقات بين الدولة الطاهرية وأمراء المخلاف السليماني علاقات جيدة منذ نشأة الدولة الطاهرية، فقد حرص كلا الطرفين على بناء علاقة متينة وجيدة وأن يسودها السلام.
ومما يدل على ذلك الزيارات الدبلوماسية التي كان يقوم بها أمراء المخلاف السليماني للدولة الطاهرية، فقد ذكر العلامة ابن الديبع مؤرخ الدولة الطاهرية أن صاحب جازان قد قام بإرسال ولده بوفادة إلى الدولة الطاهرية، يقول ابن الديبع رحمه الله: "ففي شهر ذي القعدة سنة ٨٨٢هـ قدم ولد صاحب جازان إلى زبيد، وكان صاحب جازان في ذلك الوقت هو الشريف أحمد بن دريب بن خالد الشهاب

[١] العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن الحسين الخزرجي، ١٢٩/٢.
[٢] الدولة الرسولية في اليمن دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية، محمد الفيفي، الناشر الدار العربية للموسوعات طبعة ٢٠٠٥م.
[٣] مختصر التاريخ السياسي للمخلاف السليماني، حسين صديق الحكمي.
[٤] بنو رسول وبنو طاهر، محمد عبدالعال، ص٤٦٥.

أبو الغواير بن قطب الدين الحسني صاحب جازان وابن صاحبها، حاصره السيد مُحَّد بن بركات في سنة ٨٨٢هـ١، وكان الشريف أحمد بن دريب هو أمير المخلاف السليماني في ذلك العصر٢.

وعندما قدم الفهد ابن الشريف أحمد بن دريب إلى اليمن، "كان بزبيد في ذلك الوقت الشيخ يوسف بن عامر بن طاهر، فكساه وأنعم عليه وسيره إلى عمه الملك المجاهد بعدن، في جملة فرسان، فلقيه بها وأنعم عليه وأعطاه مالاً جزيلاً، ورده إلى بلده مكرماً"[٣].

وهذا ما ذكره أيضاً العلامة كمال الدين الذؤالي فيقول في أحداث سنة ٨٨٢ هـ: "وفيها قدم الفهد ولد صاحب جازان إلى زبيد، وفيها الشيخ يوسف فقابله بالإجلال والتعظيم وكساه كسوة لائقة بحاله عنده، وجهزه إلى عمه بعدن فأكرمه وأحسن جائزته، ورجع إلى بلاده مكرماً"[٤].

ومما ينبغي ذكره أن قدوم ولد صاحب جازان إلى الدولة الطاهرية كان بعد الوقعة التي جرت بينه وبين صاحب مكة الشريف مُحَّد بن بركات، والتي هزم فيها صاحب جازان وانكسر، فكانت هذه الزيارة لتوطيد العلاقات بين صاحب جازان والدولة الطاهرية، والإحتفاظ بمكانته عند الدولة الطاهرية بعد الهزيمة التي لحقت به من قبل صاحب مكة.

ويذكر المؤرخ خير الدين الزركلي أن علاقة المخلاف السليماني للدولة الطاهرية كانت علاقة تبعية، وأن أمراء جازان كانوا يؤدون خراج المخلاف السليماني إلى ملوك الدولة الطاهرية كل عام، وإن كانت إمارة جازان تتمتع بالحكم الذاتي إلا أن أمرائها يتبعون الدولة الطاهرية.

فيقول الزركلي عن طبيعة هذه العلاقة السياسية بأن الملكين علي بن طاهر وأخيه عامر بن طاهر بعد أن: "امتلكا سنة ٨٥٨هـ جميع تهامة، من عدن إلى حرض، هادنهما ملك جازان، فكان يهدي إليهما كل عام ألف دينار[٥]".

فكان السبب الرئيسي لزيارة الفهد ابن أمير جازان هو إعلان وتأكيد الولاء للدولة الطاهرية، وفي نفس الوقت الإستعانة بهم لمدهم في محاربة شريف مكة، بصفتهم حكام وملوك اليمن بشكل عام.

---

[١] الضوء اللامع، مُحَّد بن عبد الرحمن السخاوي، ص ٢٦٩.

[٢] المخلاف السليماني منطقة جازان حالياً هو عبارة عن أحد المخاليف القديمة في فترة ٣٥٠هـاثناء حكم دولة بني الحكم وكان المخلاف يمتد من حرض حالياً شمال اليمن الى قرب مكة المكرمة وظلت تسمية المخلاف السليماني بهذا الإسم إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري. أنظر: مخاليف اليمن، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، معجم البلدان، ياقوت الحموي.

[٣] بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٣.

[٤] تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى الذؤالي الزبيدي، ص٢٧٥.

[٥] الأعلام، خير الدين الزركلي، ٢٩٦/٤.

وهذا ما ذكره بعض المؤرخين، فقد تمكن صاحب جازان من الفرار من الشريف مُحَّد بن بركات عندما استولى على جازان، فأرسل ابنه إلى السلطان المجاهد علي بن طاهر في عدن، لبذل الطاعة له، وطلب معاونته في استعادة بلاده، فأنعم عليه المجاهد وأمده بمال كثير.

وفي نفس الوقت خشي السلطان المجاهد أن تكون هزيمة صاحب جازان دافعاً للشريف مُحَّد بن بركات على مواصلة التوغل جنوباً، مستغلاً في ذلك تمرد القبائل الطامعة في الإستيلاء على زبيد، ولما كان يفتقد القدرة على مواجهة هذا الموقف بحكم ظروفه الدقيقة التي تمر بها دولته، فقد رأى أن يخاطب قايتباي سلطان مصر الذي كانت له الكلمة على شريف مكة[1].

لهذا السبب وخوف المجاهد من تطرق الشريف مُحَّد بن بركات إلى زبيد وأعمالها، قرر أن يهاديه ويخطب وده، فأرسل إلى سلطان مصر قايتباي هدية عظيمة وكتاب فيه شفاعة لصاحب جازان الشريف أبي الغواير أحمد بن دريب، بأن يقصُر الشريف مُحَّد بن بركات عن العودة إلى مهاجمة جازان، فاستجاب له السلطان المملوكي قايتباي فكتب إلى الشريف مُحَّد بن بركات بأن جازان بلدنا، وأنا قد تصدقنا على الشريف أحمد بن دريب، فلا لك إليه اعتراض بعد هذا[2].

وهكذا كان لموقف السلطان قايتباي أثره في توقف نشاط الشريف مُحَّد بن بركات، وكف يده عن القيام بأعمال معادية لليمن، ويتضح ذلك من موقف الشريف من هذا الصراع الذي نشأ على عرش السلطنة بين السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود وبين أبناء عمه، فيذكر المؤرخون أن الشيخ يوسف بن عامر في عام ٨٨٣هـ، "ركب البحر وتوجه نحو مكة فوصل إلى صاحبها الشريف مُحَّد بن بركات، وكان نازلاً قريباً منه فأكرمه ولم يساعده إلى شيء مما طلبه، فرجع إلى جازان وكذلك لم يستجب له[3]".

فنجد أن العلاقات التي رسخها الملك المجاهد مع شريف جازان وشريف مكة، قد أثمرت في عدم تدخلهما في الشؤون الداخلية في الحكم لليمن، وإحترام الدولة الطاهرية وتقديرها وعدم استغلالهما لهذا النزاع الأسري، وقد استمرت العلاقات الجيدة بين الدولة الطاهرية وأمراء المخلاف السليماني في عهد الملك المجاهد والظافر، ولم يشوبها أي سوء.

العلاقات بين الدولة الطاهرية وصاحب جازان في عهد الملك المنصور عبدالوهاب بن داود:

[1] بنو رسول وبنو طاهر، د. مُحَّد عبدالعال، ص٤٦٦.
[2] قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩١/٦.
[3] غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١١، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٧، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٤/٦.

استمرت العلاقات الطيبة والجيدة بين الدولة الطاهرية وأمراء المخلاف السليماني في عصر الملك المنصور عبدالوهاب بن داود، وكانت الزيارات الرسمية والوفود الدبلوماسية مستمرة بين الطرفين.

وكان من أهم هذه الزيارات على الإطلاق هي زيارة صاحب جازان للدولة الطاهرية، في عام ٨٨٦هـ، وقد ذكر وأرخ هذه الزيارة العلامة ابن الديبع رحمه الله بتفاصيلها، يقول ابن الديبع:

"وفي الإثنين العاشر من ذي القعدة الحرام عام ٨٨٦هـ، قدم الشريف أبو الغواير أحمد بن دريب بن خالد صاحب جازان، على الملك المنصور بمدينة زبيد في عسكر كثير من الخيل والرجال ولما علم الملك المنصور بقدومه احتفل به وأرسل إلى بلده للآلات السلطانية، والأهبة الملوكية التي لم تكن توجد إلا في خزائنهم، وهيأ له الضيافة العامة والخاصة، وخرج للقائه على ظاهر مدينة زبيد، في جيوشه وجنده وأهبته، ولما واجهه نزل عن فرسه وترجل له، فكان هو السابق بذلك تواضعاً منه وإكراماً، ثم نزل الشريف واعتنقه وحياه، ثم ركبا معاً وقدمه المنصور عليه، وتماشيا ساعة وتفرقا، فدخل الملك المنصور من باب سهام الذي خرج للقائه منه، وأرسل مع الشريف طائفة من جنده وأمرائه إلى بستان حائط لبيق وقَيَل الشريف هناك إلى العصر ثم دخل من باب الشبارق دخولاً معظماً، ولعبت الخيل برحبة الدار الكبير الناصري، ودخل الشريف على الملك المنصور في الدار المذكور، فأكرمه وعظمه وأعلا منزلته، وطلب القضاة والعلماء الأمراء لحضور الضيافة فحضروا، وكان يوماً معظماً، أظهر فيه الملك المنصور التواضع والبر لذرية رسول الله ﷺ والقيام بواجب حقهم جزاه الله خيراً، ثم أنزله بدار المعاصر، وأعطاه مالاً جزيلاً وحباً جميلاً ولم يزل عنده مجللاً محترماً إلى أن طلع الملك المنصور إلى مدينة تعز، يوم الاثنين السابع عشر من الشهر المذكور، وخرج الشريف المذكور لوداعه.

فلما رجع منع من دخول المدينة، كعادة الملوك في ذلك ثم نزل الشريف بقرية النويدرة وأقام بها أياماً ثم توجه إلى بلده، فجر يوم الأحد الثالث والعشرين من الشهر المذكور[١]".

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٧/٦، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٣، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٤.

الباب السابع

الملك المنصور عبدالوهاب بن داوود بن طاهر

قبل وفاة الملك المجاهد بسنوات كان قد عهد بالخلافة إلى المنصور ابن أخيه داود، وذلك لأنه كان من خير الموجودين لتولي الملك من بني طاهر، حيث وأنه أثبت بأنه قائداً فذاً وسياسياً محنكاً، فقد تولى الكثير من الأمور والسلطات في عهد الملكين عامر بن طاهر وأخيه علي بن طاهر.

إلا أن الملك المنصور واجه الكثير من المعارضات سواء من داخل البيت الطاهري أو من القبائل الأخرى لا سيما في تهامة، مما أخذ منه الوقت الكبير في قمعها وأعاقه عن عمل الكثير في سبيل بناء دولته، وجعل كذلك العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى محدودة، وفي هذا الباب سنبين في هذه الفصول القادمة المرحلة التاريخية التي مرّت بها الدولة الطاهرية خلال حكم الملك المنصور، لذا فإننا سنتحدث هنا عن هذه المرحلة من عمر الدولة الطاهرية وعن سيرة الملك المنصور في خمسة فصول، موضحين في الفصل الأول منها تولي الملك المنصور حكم الدولة الطاهرية في اليمن، وسيكون الفصل الثاني حول الصراع الأسري على السلطة بين الطاهريين وخروج أبناء عامر الأول على الملك المنصور، ثم سيكون الفصل الثالث حول التمردات القبلية التي كانت في عهد المنصور، وفي الفصل الرابع سنذكر أهم الأحداث التي جرت أثناء حكمه كالإستيلاء على ذمار وحصن خدد والعلاقات الخارجية في عهده، وسنتحدث في الفصل الأخير عن وفاة الملك المنصور ومآثره وأهم انجازاته، وسنستعرض هذه المرحلة التاريخية في خمسة فصول مقسمة كالتالي:

الفصل الأول: تولي الملك المنصور للسلطة

الفصل الثاني: المعارضة الطاهرية للملك عبدالوهاب بن داوود

الفصل الثالث: التمردات القبلية في تهامة

الفصل الرابع: أهم الأحداث في عهد المنصور

الفصل الخامس: العلاقات الخارجية مع الدول ووفاة الملك المنصور

الفصل الأول
تولي الملك المنصور للسلطة

كان لابد قبل الخوض في المرحلة التاريخية لحكم الملك المنصور، أن نستعرض سيرة هذا الملك الفذ والقائد المحنك، ونذكر الظروف التي ساعدته على تولي الملك، ولما اختاره عمه الملك المجاهد دون بقية بني طاهر رغم وجود كفاءات أخرى من بني طاهر، وفي هذا الفصل نبين سيرة الملك المنصور قبل توليه الحكم، ثم نبين كيفية توليه للملك، في مبحثين مستقلين:

المبحث الأول: المنصور قبل توليه الحكم

المبحث الثاني: استخلاف الملك المجاهد للملك عبدالوهاب بن داود وتوليه الحكم

المبحث الأول
المنصور قبل توليه الملك

وكان مما اشتهر به الملك المنصور عبدالوهاب قبل توليه الملك فروسيته وشجاعته، ومما يشهد على ذلك ما رواه المؤرخين ابن الديبع وابن الأنف في المعركة التي جرت بين صاحب صنعاء وبين الملك الظافر عامر بن طاهر، وذكر فيها المبارزة التي جرت بين المنصور وابن مخارش الفارس الذي كان محسوباً عند صاحب صنعاء بمائة فارس، يقول ابن الديبع رحمه الله: "وفيها أقبل صاحب صنعاء في عسكر إلى بلد المشايخ، فخرج الملك الظافر مبادراً إلى ملاقاته قبل تكامل العسكر فالتقت الفئتان بموضع يسمى رضم فاستظهر أهل صنعاء لكثرتهم وحصل في العسكر الظافري جولة قتل فيها الشيخ مُحَّد بن طاهر في جماعة، وقتل من أهل صنعاء جماعة منهم ابن كامل المشهور وقتل منهم سلطان الجوف علي بن مخارش الذي كان محسوباً عندهم بمائة فارس، طعنه الهمام الضرغام الملك المنصور عبدالوهاب بن داود[١]، "طعنة لم بسمع بمثلها، فإنه طعنه في رقبته فقطع حلقومه ومريه[٢].

ومن مشاركات عبدالوهاب بن داود العسكرية أنه ساهم في معركة إب سنة ٨٦٣هـ، فقد أوكل الملك عامر لكلاً من مُحَّد بن داود وأخيه عبدالوهاب وإدريس بن مُحَّد القرمطي قيادة القوة المتوجهة إلى دمت ونواحيها ودارت بينهم موقعة الأكمة، انتصرت فيها قوات الدولة الطاهرية، وتقدمت حتى استولت على جبل زلمان، فاستسلم علي بن المعلا وسلم كل ما بيده من حصون للطاهريين[٣].

ومن المواقف كذلك التي أثبتت جدارة المنصور عبدالوهاب بالإمارة والقيادة، تصديه للإمام الناصر عند محاولته الإستيلاء على مدينة ذمار وكانت آنذاك تحت حكم الطاهريين، وكان الملك عامر بن طاهر مشغولاً بحروبه في شرق وجنوب اليمن في الشحر وحضرموت، وبعد عودة الملك الظافر من الشحر توجه مباشرة إلى عدن، وكان المنصور عبدالوهاب بن داوود إذ ذالك قريباً منه، فجمع الجموع وقاومهم إلى أن جاء عمه الملك الظافر، واستعادها منه[٤].

---

١ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص١٢٦، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٠.
٢ وكانا قد تبارزا حسب ما ورد في روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٢٦، تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين الذؤالي، ص٢٤٥.
٣ روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٦٥.
٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٨.

ثم أنه وبعد هذه المواقف القيادية تولى إمارة صنعاء عندما فتحها عمه الملك الظافر عامر بن طاهر، فأرسله الملط الظافر في شهر شوال سنة ٨٦٦هـ، فكان يعتبر أول والي يتولى صنعاء من قبل الدولة الطاهرية، من قبل عمه الملك الظافر[١].

واستعان به عمه الظافر لإستيلاء على الجوف فأرسله إلى صنعاء في جماعة من العساكر، وكان قصدهم إلى الحسين بن علي بن قاسم الجوفي، فتراجع الظافر عن ذلك[٢].

وعند استيلاء الإمام ابن الناصر على صنعاء، شارك عمه الظافر في الحملة العسكرية التي شنها لمحاصرة صنعاء في ٨٦٩هـ، فقام بقيادة مجموعة لمقاتلة فرسان صنعاء، وجرى قتال شديد قتل فيه من الطرفين الكثير[٣].

ومن خلال هذا الموقف والذي بادر فيه المنصور باتخاذ اجراءات المقاومة للناصر، علم الملكين عامر وعلي ابني طاهر أن ابن أخيهما عبدالوهاب يمكن الإعتماد عليه في الإمارة والقيادة.

وبعد مقتل الملك الظافر كان عمه الملك المجاهد يستعين به في قيادة الحملات العسكرية، فقاد المنصور جيشاً للدولة الطاهرية في عام ٨٧٥هـ، بتولية من عمه الملك المجاهد، وكان هذا لقمع المتمردين في زبيد والذين كانوا قد قتلوا رجال من الدولة الطاهرية، ونصر فيها المنصور وقتل منهم ما يزيد على مائتين[٤]، ثم تولى بعدها المنصور عدة أعمال وقام بالقضاء على عدة تمردات قبلية.

وكذلك كان له دور كبير في إرساء الحكم الطاهري وتحقيق الأمن والإستقرار، ففي عام ٨٧٧هـ قدم المنصور إلى زبيد بغتة وقت الظهر، فقرر أمور الرعية ولم يعلم أحد بمقصوده، حتى قبض على الأمير عمر بن عبدالعزيز، وكان ذلك بأمر الملك المجاهد وكان ذلك لأمور أحدثها وأفعالاً ارتكبها، أدت إلى ذلك[٥].

وقد مدحه العلامة المؤرخ السخاوي فقال عنه: "وكان الملك عبدالوهاب بن داود شجاعاً جليلاً مُكْرِماً للوافدين سخياً عدلاً في رعيته[٦]".

وقال عنه المؤرخ خير الدين الزركلي: "كان حليما ذا رأي وبأس، له آثار في اليمن[١]".

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٢٩.

٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٥٩٥، روضة الأخبار، ابن الأنف القرمطي، ص١٩٣.

٣ روضة الأخبار، ابن الأنف، ص٢١١.

٤ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٠٩.

٥ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٤.

٦ وجيز الكلام، السخاوي، ١١٠٨/٣.

وبالجملة فإن الملك المنصور عبدالوهاب بن داود كانت له قبل توليه الحكم مساهمات ومشاركات كثيرة ومهمة في ترسيخ قوة الدولة الطاهرية وبسط نفوذها، جعلته المرشح الأول والأبرز لتولي الحكم بعد عمه الملك المجاهد.

[1] الأعلام، خير الدين الزركلي، ١٨٢/٤.

المبحث الثاني

استخلاف الملك المجاهد للملك عبدالوهاب بن داود وتوليه الحكم

بعد اعتماد الملك المجاهد على المنصور عبدالوهاب بن داوود في كثير من شؤون الحكم، وخاصة في أمور القيادة العسكرية وقمع المتمردين، رأى الملك المجاهد في المنصور خير خلف له، وقد صدق حدسه فيما رأى، فقد جعله ولياً للعهد من بعده عندما مرض واشتد عليه المرض، يقول ابن الديبع رحمه الله: "في شهر محرم من ٨٧٧هـ، حصل على السلطان الملك المجاهد مرض عظيم بمدينة زبيد وخيف عليه منه، فاستخلف ابن أخيه مولانا عبدالوهاب بن داود، وقلده أمر الملك وحلف له العرب وسائر العسكر، وكان ذلك عصر يوم الإثنين خامس عشر محرم من سنة٨٧٧هـ، ثم من الله عليه بالعافية بعد ذلك"[١].

وبهذا يمكن أن نقول أن الملك المنصور كان ولياً للعهد قبل وفاة عمه بست سنوات تقريباً، فقد عهد إليه عمه الملك المجاهد بالملك من بعده وبايعه العرب على السمع والطاعة وحلفوا له، ولم يكن هناك معارض على ما قام بإتخاذه الملك المجاهد حينئذ من تولية المنصور الولاية من بعده لا من العرب ولا من الأسرة الطاهرية.

ولما أشتد المرض على الملك المجاهد وتوفي في جبن في ليلة السبت العاشر من شهر ربيع الآخر من عام ٨٨٣هـ، ودفن بها كما مرّ معنا ذكره "كان ولد أخيه، السلطان الملك المنصور تاج الدين عبدالوهاب بن داود بن طاهر، وأخوه الشيخ عبدالملك بن داود، وابن عمه الشيخ أحمد بن عامر حينئذ هناك، وكان عمه الملك المجاهد قد عهد إليه بالخلافة في مرضه القديم، كما ذكرنا أولاً، فخرج الملك المنصور بعد اتفاق كلمته وكلمة المذكورين، في ليلة وفاة عمه إلى مدينة عدن مبادراً، وفي صحبته القاضي جمال الدين القماط، فدخلها يوم الثلاثاء ثالث عشر من شهر ربيع الآخر بغتة، من غير أن يعلم أهل البلد بوفاة عمه، في عسكر وخيل قليلين جداً، ثم تتابعت العساكر المنصورة ودخلها القماط بعده.

ولما دخلها أشاع العلم بموت عمه، وطلب مرتبي الحصون ونقباء يافع واستحلفهم، ومهد قواعد البلد ورتبها، ومشى بالناس مشياً حسناً، وسار سيرة حميدة ثم فرق في العساكر أموالاً جزيلة وكسوات

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٤.

جميلة، وجدد للقاضي جمال الدين محمد بن حسين القماط ولاية القضاء بعدن، وأقام بها إلى أخر الشهر المذكور، وخرج إلى تعز ثم نزل منها إلى زبيد في جمادى الأول"[1].

وأقام الشيخ أحمد بن عامر بجبن أياماً قلائل جهز فيها عمه وقرأ عليه، وجمع العساكر ونزل بهم إلى عدن، وأقام الملك المنصور بعدن أياماً، فدبر أمورها وقرر قواعدها، وسار بالناس سيرة جميلة، وفرق في العساكر أمولاً جزيلة وكسوة جليلة، وجدد للشيخ القاضي محمد بن حسين القماط ولاية القضاء بعدن، وأقام بها لآخر الشهر، ثم خرج منها هو وابن عمه الشيخ أحمد بن عامر، وحمل أموالاً جزيلة عظيمة إلى المقرانة يقال إن مبلغه خمسة لكوك ذهب، ومن الفضة ما لا يحصى، ثم نزل من المقرانة إلى تعز، ثم إلى زبيد[2].

وقد واجهت الملك المنصور تحديات عديدة، كان أخطرها هو الإنقسام الأسري بين الطاهريين ومخالفة بعض الطاهريين له وهم أبناء عمه الملك الظافر، ومن التحديات التي واجهها الملك المنصور كذلك التمردات القبلية في تهامة، وتقريباً كانت هذه بحسب المصادر التاريخية أبرز وأهم ما واجهه المنصور خلال سنين حكمه.

وبالجملة لم يكن هناك من مستجدات خلال حكم الملك المنصور بالنسبة للنفوذ الطاهري أو مد المساحة الجغرافية في مناطق أخرى باليمن، فقد اكتفى الملك المنصور بتثبيت أملاك وسلطان الدولة الطاهرية التي كانت تحت سيطرتهم منذ حكم الملكين المجاهد والظافر، وحاول قدر استطاعته ألا يفتح جبهات أخرى في الصراع على السلطة، وفي الجبهة الشمالية في مناطق حكم الأئمة الزيدية لم يكن هناك من جديد خلال حكم المنصور، بل إن الصراع يكاد يكون متوقفاً بين الطاهريين والأئمة الزيديين، سوى ما ذكره المؤرخون مناستيلاءه على مدينة ذمار.

وبهذه التحركات السياسية والعسكرية البسيطة، استطاع الملك المنصور أن يتفرغ لإدارة الدولة الطاهرية وتحقيق الأمن والإستقرار بها، وإخضاع خصومه وردع التمردات السياسية والقبلية، وفشا الأمن في أيامه في اليمن كله ودانت له الرقاب[3].

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٥، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٢/٦.
٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٢/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٥، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٠.
٣ الضوء اللامع، السخاوي، ٤٨٠/٢.

الفصل الثاني

المعارضة الطاهرية للملك عبدالوهاب بن داوود

منذ تأسيس الدولة الطاهرية كان الملك المجاهد علي بن طاهر وأخيه الملك عامر بن طاهر، حريصان كل الحرص على تجنب وقوع أي صراعات بينهما على عرش الحكم، مستفيدين مما حدث من صراعات وتنافس بين آخر ملوك الدولة الرسولية على العرش، لأن ذلك كان من أهم أسباب انهيار الدولة الرسولية[1].

ورغم كل هذه الإحتياطات التي عمل بها الملكين المجاهد والظافر وحاولا أن يؤصلاها في أبناءهما ومن بعدَهما من الأسرة الطاهرية، إلا أن ذلك لم يجدي نفعاً، فما إن مات الملك المجاهد حتى انفجر الصراع بين الطاهريين وعانوا منه كثيراً كأسلافهم الرسوليين، وكان أول الخارجين على الملك المنصور هم أبناء الملك عامر وعلى رأسهم يوسف بن عامر وإبراهيم بن عامر، وفي هذا الفصل سنوضح أسباب هذا الخروج وتداعياته على الدولة الطاهرية ونهايته:

المبحث الأول: بداية الصراع الطاهري

المبحث الثاني: تمرد أبناء الملك عامر بن طاهر على الملك المنصور

المبحث الثالث: نهاية الشيخ يوسف بن عامر وسجنه

المبحث الرابع: تمرد الشيخ إبراهيم بن عامر بن طاهر

---

١ تاريخ الدولة الطاهرية، مُحَمَّد أحمد مقبل الفيصلي، ص٦٩.

المبحث الأول

بداية الصراع الطاهري

مرّ معنا أنه ومنذ تأسيس الدولة الطاهرية كان الملك المجاهد علي بن طاهر وأخيه الملك عامر بن طاهر، حريصان كل الحرص على تجنب وقوع أي صراعات بينهما على عرش الحكم، مستفيدين مما حدث من صراعات وتنافس بين آخر ملوك الدولة الرسولية على العرش، لأن ذلك كان من أهم أسباب انهيار الدولة الرسولية[1].

فقد كان الملكين المجاهد والظافر يعلمان أن بداية انهيار الممالك وانقضائها هو الخلاف الأسري الذي يفرق الجهود ويشتتها ويضعف قوتهم، لذا فقد عمل بنو طاهر منذ بداية حكمهم ببعض القواعد خشية بروز صراع بينهم على السلطة، من بينها اشتراك السلطان الظافر عامر الأول والسلطان المجاهد على القيام معاً بأمور السلطنة[2].

لذلك كان الملكان المجاهد والظافر متقاسمان السلطة منذ استيلاءهما على عدن وتعز، فيذكر المؤرخ خير الدين الزركلي أن الملك المجاهد اشترك مع أخيه عامر في إنشاء دولتهم على أنقاض الدولة الرسولية، واقتسما بينهما البلاد، فأخذ علي أرض تهامة من حرض إلى حيس، مدنها وبنادرها وبرها وبحرها مع ما يتصل بذلك من جزائر فرسان وكمران، وأخذ عامر من حيس إلى عدن وما يلحق بذلك من الجبال كتعز وإب وجبلة، وضم إليها من بلاد الزيدية ذمار وما حوله[3]".

وحتى عندما جرت الوحشة بين الملكين المجاهد والظافر في عام ٨٦٨هـ، لم يظهر الملكين المؤسسين ذلك ولم يكن ذلك سبباً للصراع على الملك، بل إن كل واحد منهما أراد أن يؤثر أخاه بالملك ويترك السلطة.

ولكن ورغم كل هذه الإحتياطات التي عمل بها الملكين المجاهد والظافر وحاولا أن يؤصلاها في أبناءهما ومن بعدَهما من الأسرة الطاهرية، إلا أن ذلك لم يجدي نفعاً، فما إن مات الملك المجاهد حتى انفجر الصراع بين الطاهريين وعانوا منه كثيراً كأسلافهم الرسوليين.

---

١ تاريخ الدولة الطاهرية، الفيصلي، ص٦٩.
٢ الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص٨١.
٣ الأعلام، خير الدين الزركلي، ٢٩٧/٤.

"ويظهر أن نظام الحكم الوراثي يحمل في طياته أسباب هذه الصراعات، فأمراء الأسرة الحاكمة يحصلون على نصيب كبير من التعليم إذا ما قورنوا بغيرهم من عامة الناس.

ويتدربون على حمل السلاح وكل فنون الحرب والقتال، ويُقلدون مناصب عسكرية ومدنية، فيكون الأمير في الغالب قائداً عسكرياً أو والياً أو الإثنان معاً.

فيحتكم كل أمير على عدد من الجند والأتباع، مما يخلق فهماً لدى بعض منهم بامتلاكهم مقدرات أفضل مما هي لدى السلطان الحالي، فينافسونه في الحكم"[1].

وقد كان بداية الصراع بين الأسرة الطاهرية، على إثر وفاة الملك المجاهد والذي لم يكن له عقب أولاد يرثونه السلطة أو غيرها، وكان الأمر محصور بين أبناء اخوته من الأسرة الطاهرية، إلا أننا سبق وأن ذكرنا بأن الملك المجاهد قد حسم مسألة الملك وولاية العهد، عندما عهد بالسلطة وفي وقت سابق لموته لإبن أخيه الشيخ عبدالوهاب بن داوود بن طاهر، وذلك في عام ٨٧٧هـ [2].

وبهذا كان الملك المنصور ولياً للعهد قبل وفاة عمه بست سنوات تقريباً، فقد عهد إليه عمه الملك المجاهد بالملك من بعده وبايعه العرب على السمع والطاعة وحلفوا له، ولم يكن هناك معارض على ما قام بإتخاذه الملك المجاهد حينئذ من تولية المنصور الولاية من بعده، لا من العرب ولا من الأسرة الطاهرية، وكذلك لم يكن هناك أي معارضة من أبناء الملك عامر الأول سواءً الشيخ يوسف بن عامر أو إخوانه الآخرين، فلم تشر تالمصادر التاريخية إلى أي إعتراض بدر من قبل أبناء الملك عامر، وقد يرجع ذلك لهيبتهم واحترامه الشديد عمهم الملك المجاهد علي بن طاهر فلم يبدوا أي اعتراض في حياته، وربما يرجع أيضاً إلى موافقتهم المبدئية على أن يكون ابن عمهم عبدالوهاب بن داود حاكماً للدولة الطاهرية.

١ الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، ص٨٢.
٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٤.

المبحث الثاني

تمرد أبناء الملك عامر بن طاهر على الملك المنصور

عندما تولى السلطان عبدالوهاب بن داوود بن طاهر السلطة تلقب بالملك المنصور، وقد استشعر الملك المنصور منافسته في الحكم من بعض أفراد الأسرة الطاهرية، لذا فقد كتم خبر وفاة عمه الملك المجاهد، وخرج ليلة وفاة عمه سراً إلى عدن، بعد أن بايعه أخوانه وأبناء أعمامه الذين حضروا الوفاة وتبعته عساكره، وبعد أن أطمأن إلى استقرار الأوضاع في المدينة أعلن وفاة عمه الملك المجاهد[1].

ورغم ذلك كله إلا أن أبناء الملك عامر بن طاهر وعلى رأسهم الشيخ يوسف بن عامر، كانوا أول المعارضين للملك المنصور في توليه الملك.

وقد كان للملك عامر بن طاهر العديد من الأبناء، ويذكر المؤرخ السخاوي أنه خلف سبعة ذكور قام أخوه الملك المجاهد بكفالتهم ومصالحهم حتى مات[2]، برز منهم في هذا الصراع الأسري على السلطة يوسف وأحمد وإبراهيم وعبدالله وعمر ومُحَمَّد.

أما أحمد بن عامر فقد كان موالياً للملك المنصور، وحافظاً للعهد الذي أخذه منهم الملك المجاهد في تولية المنصور من بعده، ولم يعارض ذلك أبداً حتى قتل كما سيأتي معنا، بل إنه قد سعى للصلح والتوفيق بين الملك المنصور وأخوه يوسف بن عامر، حتى لا يفترق شمل الأسرة الطاهرية، فيتشتت أمرهم وينزع ملكهم وتذهب ريحهم.

ولكن أبناء الملك عامر أبوا الإعتراف بتولي المنصور للملك والسلطنة، وكانوا يرون في أنفسهم الجدارة لذلك وكان على رأس هؤلاء الشيخ يوسف بن عامر.

أولاً: مكانة الشيخ يوسف بن عامر: هو الشيخ يوسف ابن الملك عامر بن طاهر بن معوضة والده كان أحد مؤسسي الدولة الطاهرية، وقد مرّ معنا مقتل الملك عامر بن طاهر على أبواب صنعاء.

والحقيقة أن الشيخ يوسف بن عامر كان من أبرز الشخصيات في الأسرة الطاهرية، وكانت له صفات جيدة وحميدة، وكذلك كان له دور بارز في استقرار الدولة الطاهرية في عصر عمه الملك المجاهد

---

١ بغية المستفيد ابن الديبع، ص١٥٥، قرة العيون، لنفس المؤلف.

٢ الضوء اللامع، السخاوي، ١٩٦/٢.

وكذلك لا ننسى بأنه ابن الملك الظافر عامر الأول مؤسس الدولة الطاهرية، لذلك كله فإنه كان يرى في نفسه بأنه أولى من غيره بتولي الملك، وجدير بأن يتزعم بني طاهر.

وقد كان له دور كبير كما ذكرنا في إرساء الحكم في الدولة الطاهرية، فقد تولى إمارات وأعمالاً خلال حكم عمه الملك المجاهد.

وقد كان الشيخ يوسف مصاحباً لعمه الملك المجاهد وملازماً له، ففي سنة ٨٧٨هـ قدم بصحبة الملك المجاهد إلى زبيد[١]، ثم إن عمه الملك المجاهد رأى فيه صلاحيته لتولي شؤون الحكم والإمارة.

فقد تولى الشيخ يوسف بن عامر، ولاية زبيد من قبل عمه الملك المجاهد في شهر شعبان من عام ٨٧٩هـ، وكان أول ما قام به هو قمع المتمردين المعازبة ببيت الأكيد إلى بلدهم وكسرهم كسرة شنيعة، وقتل منهم فوق العشرين وانتهب بيوتهم ومواشيهم، ودخل برؤوسهم زبيد[٢].

ومن الأعمال التي قام الشيخ يوسف بن عامر لإرساء حكم الدولة الطاهرية في عام ٨٨١هـ، قمع المفسدين من بني سليمان والذين كانوا يقطعون الطريق ويفسدون في الأرض بطريق تعز، وتسلم حصونهم وقتل منهم جماعة، وأخرب معاقلهم[٣].

ومن الأعمال التي قام به الشيخ يوسف بن عامر على المستوى السياسي، وبعيداً عن الأعمال العسكرية، استقباله للوفود من كل مكان، من قبائل اليمن ومن خارجها.

ففي عام ٨٨٢هـ كان خروجه من زبيد إلى البلاد الشامية، واستقر بالقرار ووفدت إليه قبائل العرب فأجازهم بجوائز سنية، ثم قبض خراجي البلد، من الزيدية إلى قريب حرض، وحصل مالاً جزيلاً وخيلاً تنيف على الأربعين، ورجع إلى زبيد منصوراً[٤].

وفي نفس العام كذلك قدم ولد صاحب جازان إلى زبيد، وذلك بعد هزيمتهم التي لحقت بهم من قبل صاحب مكة الشريف محمد بن بركات[٥]، وبها يومئذ الشيخ يوسف بن عامر، فكساه وانعم عليه وسيره

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١١.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٤٨، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١٢.

٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٣، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥١.

٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٣، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١٣.

٥ وفي نفس العام الذي قدم به إلى الدولة الطاهرية في شهر ربيع الأول من ٨٨٢ هـ، كانت قد جرت وقعة جازان، وذلك أن الشريف محمد بن بركات صاحب مكة وقع بينه وبين الأمير أحمد بن ديب صاحب جازان وحشة بسبب مشهور، فتجهز صاحب مكة بعسكر عظيم وفي صحبته ظعنه وزوجاته وسراريه كن بصحبته في الحج، فوصل إلى وادي جازان وترددت الرسل بينهما فلم ينتظم صلح، ووقع بينهما وقعة عظيمة انهزم فيها صاحب جازان بعد أن قتل جماعة من أصحابه وولى هارباً، فاستباح صاحب مكة جازان وأهلها وأحرقها وأخرب سورها، وتركها خاوية على عروشها، وجرى على أهل جازان من الذل والإهانة وهتك الحجاب وكشف العورات ما لم يخطر ببال أحد، ونهبت خزائنه وفيها

إلى عمه الملك المجاهد بعدن، في جملة فرسان، فلقيه بها وأنعم عليه وأعطاه مالاً جزيلاً، ورده إلى بلده مكرماً[1].

ويتضح لنا من خلال الأعمال التي قام بها الشيخ يوسف بن عامر، أنه كان من رجال الدولة الطاهرية المعددوين، وأنه كان ذو منصب وجاه وسلطة وقوة ونفوذ.

لذلك كله كان من المرشحين والمتوقع لهم أن يتولوا الملك بعد وفاة الملك المجاهد علي بن طاهر، لا سيما وأن الملك المجاهد لم يكن له أبناء يخلفونه في الملك، وكان التنافس قوياً بين أبناء أخوته، وخاصة بين الشيخ يوسف بن عامر وابن عمه المنصور عبدالوهاب بن داود، بل إن الشيخ يوسف بن عامر كان يرى في نفسه خصلة تجعله الأولى في تولي الملك، وهي أنه ابن مؤسس الدولة الطاهرية وقاهر أعدائها وموسع نفوذها، الملك الظافر عامر بن طاهر، لذلك كله قامت ثورة الشيخ يوسف بن عامر ضد الملك المنصور، وأبى أن يستسلم أو يخضع للملك المنصور.

ثانياً: **تمرد الشيخ يوسف بن عامر**: بعد أن تولى الملك المنصور عبدالوهاب بن داود السلطة مباشرة، كان أول ما قام به هو التوجه إلى مدينة عدن، وهي أهم مدينة يمنية في ذلك الوقت لأهميتها التجارية والإقتصادية، فلما تمكن منها وأخذ العهود والمواثيق من أهلها ومن نقباء القبائل فيها، بدأ يلتفت إلى بقية المدن الأخرى في أقاليم اليمن[2].

وكان الملك المنصور قد اتفق مع من حضر معه وفاة الملك المجاهد، على كتم وإخفاء خبر وفاة الملك المجاهد، حتى لا يثور الناس وينقض العهد من كان في قلبه مرض، وليتمكن الملك المنصور من إرساء الحكم في البلاد، وكان من أبرز الموجودين في جبن عند وفاة الملك المجاهد بجانب الملك المنصور عبدالوهاب بن داود، الشيخ عبدالملك بن داود والشيخ أحمد بن عامر بن طاهر والفقيه يوسف المقري، وفي سبيل التمكين للملك المنصور وقمع المتمردين، اتفق المذكورين على الآتي:

١. يتوجه الملك المنصور إلى عدن، للحفاظ على نفوذ الدولة الطاهرية فيها، وقد نجح كما مرّ معنا في ذلك.

من الكتب النفيسة شيء عظيم ومن السلاح والثياب ما جمعه أبوه وجده، وكانت قصة عظيمة ولا حول ولا قوة إلا بالله. أنظر: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٢.

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٣.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٢/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٥، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٠.

٢. يتوجه الشيخ أحمد بن عامر في نفس الوقت إلى مناطق إب وهي بعدان والشوافي[١]، وقد نجح الشيخ أحمد بن عامر في مهمته، وهي إرساء السلطة للملك المنصور في تلك المناطق، واستطاع أن يأخذ الولاء والعهود من القبائل للمنصور.

٣. يتوجه الفقيه يوسف المقري إلى مدينة تعز، وذلك لأهميتها فقد كانت من كبرى المدن اليمنية، وهي إلى عهد قريب عاصمة الدولة الرسولية، ولكن الفقيه يوسف المقري لم ينجح في مهمته، وذلك بسبب امتناع الشيخ يوسف بن عامر عن الطاعة والخضوع للملك المنصور.

فعندما توجه الفقيه يوسف المقري إلى تعز كان يقطن تعز في ذلك الوقت أم يوسف بن عامر وأولادها، وكانوا من المعارضين للملك المنصور.

"فلما وصل المقري إلى تعز وتحقق أهلها موت الملك المجاهد هاج الناس فأعلمهم المقري باستقامة الملك المنصور لكونه أكبرهم وأرشدهم وأصلحهم لهذا الشأن، وكانت أم يوسف بن عامر وأولادها بقلعة تعز، فشحنوا الحصن ولم يوافقهم قول المقري وهموا به، فخرج إلى جبا[٢]".

ومن هنا كان ابتداء الإنقسام للأسرة الطاهرية، والتمرد لأبناء الشيخ عامر بن طاهر ضد الملك المنصور، وقد كان لأم يوسف بن عامر دور كبير كما لاحظنا في ترسيخ هذا الصراع الأسري، وكان الشيخ يوسف بن عامر آنذاك في مدينة زبيد، يتواصل مع والدته وأخوانه في تعز، ويترقب الأحداث غير راضٍ بتولي الملك المنصور كما مرّ معنا.

والملك المنصور لا يزال في عدن يثبت بها سلطانه، ويرقب ما تسفر عنه الأمور في تعز.

يقول العلامة المؤرخ عبدالرحمن ابن الديبع في الأحداث التي جرت بعد تولي الملك المنصور للمُلك، وعدم امتثال الشيخ عامر وكراهيته وعدم رضائه بذلك: "وكان ابن عمه الشيخ يوسف بن عامر إذ ذاك بزبيد، فكاتبه الملك المنصور بالملاطفة، ووعده بتقريره على ما كان عليه زمن عمه الملك المجاهد، وأرسل له بمال صحبة الشرف الأحمر فأبى ذلك ونابذه وأستعد لقتاله، وأصر على خلافه ونزع اليد عن طاعته"[٣].

فلما رأى الملك المنصور أنه لا فائدة لإستمالة الشيخ يوسف أعد العدة للقضاء على هذا التمرد، وتحقيق الإستقرار للدولة الطاهرية.

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص ٥١٦.
٢ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١٦.
٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٦.

"فخرج الملك المنصور من مدينة عدن وحمل ما وجد من خزائنها إلى المقرانة ومبلغها من الذهب ينيف على خمسة لكوك، ومن نقد البلد الفضة مبلغ جزيل، فأوصل ذلك إلى المقرانة[١]".

"ثم توجه إلى تعز وأطاعه من بها، فاستولى على قلعة تعز وأنزل المتغلبين بها، فتلاشى أمرهم[٢]".

وبهذا قضى على المتمردين في تعز، وأحكم السيطرة عليها وعلى قلعتها، ولم يبقى للشيخ يوسف إلا زبيد وبعض مناطق تهامة.

ثالثاً: هزيمة الشيخ يوسف بن عامر والإستيلاء على زبيد: لما علم الشيخ يوسف باستيلاء الملك المنصور على تعز، أستعد لذلك وأحكم الأمور في تصوره في زبيد، "وشحن الحجارة على الدروب، وكلف أهل زبيد حمل السلاح وطلوع الدروب، وأورث الناس متاعب، وأكثر التوعدات لأهل زبيد بالنهب وغير ذلك إن لم ينصروه، وأمر الخطيب أن يخطب لبني طاهر على العموم[٣]".

"ثم أن المنصور توجه من تعز إلى زبيد وفي صحبته الشيخ أحمد بن عامر، فوصل إلى ظاهر زبيد ليلة ثاني عشر جمادى الأولى من سنة ٨٨٣هـ[٤]".

والحقيقة أن أهالي زبيد والجنود الطاهريين كانوا في باطنهم مع الملك المنصور وظاهرهم مع الشيخ يوسف، كما يبدو هذا واضحاً من الروايات التاريخية التي وصلت إلينا من المؤرخ ابن الديبع، وأن الهزيمة التي لحقت بالشيخ يوسف بن عامر، بسبب أن اتباع الدولة الطاهرية لم يكونوا يريدون خوض هذه الحرب بين الأسرة الطاهرية.

يقول المؤرخ العلامة ابن الديبع: "فطلب الشيخ يوسف الجند الذين معه وندبهم إلى الحرب فأجابوه، وهم مضمرون خلافه، فلما غابت الشمس وأغلقت الأبواب في المدينة ووقف هو بباب القرتب مقابلاً لمحطة الملك المنصور فلما خرجوا من الباب وأخرج العبيد إلى ظاهر زبيد لحراسة الدرب، ممن عساه أن يتسور من عسكر المنصور، فلما خرجوا من الباب وجاوزوا الجند أظهروا الخلاف وتوجهوا إلى الملك المنصور، فجاءه الخبر بذلك فانزعج وخرج لردهم[٥]".

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٣/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٦، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥١٦، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٠.

٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٦.

٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٦، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٣/٦.

٤ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٦.

٥ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٦.

ثم يقول في مصدر آخر: "وقام الشيخ بحير بن مُحَّد بن وهبان في هذا الأمر قياماً عظيماً، وكان باطنه مع الملك المنصور وظاهره مع الشيخ يوسف، فلما تحقق الشيخ يوسف ذهاب العبيد إلى الملك المنصور علم أنه مغلوب لا محالة، وأنه لا طاقة له على مقابلة ابن عمه، فخرج ليرد العبيد، فأغلق الشيخ بحير في وجهه الباب، فرجع يريد فتح الباب فلم ينفتح له، فتوجه إلى حصن قوارير[1] وكان قد شحنه بما يحتاج إليه"[2].

"وكانت ليلة مظلمة فلم يجد من يرشده الطريق، وكان معه خمسة فرسان فأشاروا عليه بالتوجه إلى ابن عمه وتسليم الأمر إليه"[3].

"وأمر الشيخ بحير أصحاب الأبواب بالدعاء بالنصر للملك المنصور ثم أشار على الشيخ يوسف بن عامر بعض خواصه بالرجوع إلى طاعة ابن عمه، وتسليم الأمر إليه، فذهب إليه إلى محطته تلك الليلة، فلما وصل إلى المحطة، وقيل هذا الشيخ يوسف ماجت المحطة، واضطرب الناس ظناً أنه جاء لحرب، فلما ظهر الحال سكن الناس، فدخل على ابن عمه وسلم عليه، فعاتبه عتاباً لطيفاً وقابله بالإكرام والإحسان[4]".

"وقال له: يا يوسف ما الذي سويت بك حتى تفعل مثل هذا[5]".

"وأمره بالتوجه إلى خيمة أخيه أحمد والنوم عنده ففعل، ودخل صحبته في دخوله زبيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادي الأولى، دخولاً معظماً في عساكر كثيرة، من الخيل نحو خمسمائة فارس، ومن الرجال مثل ذلك فأقام في زبيد مدة يمهد قواعدها، ويقرر أمورها ووفدت إليه قبائل العرب فأجزل صلاتها كل هذا وابن عمه الشيخ شهاب الدين أحمد بن عامر في صحبته، إلا دخول مدينة عدن، فإنه دخلها بعده لاشتغاله بدفن عمه وجمع العساكر[6]".

---

[1] حصن قوارير: حصن مشهور في جبل الداشر من مديرية وصاب السافل وأعمال محافظة ذمار، وهو من الحصون المنيعة ويطل على مدينة زبيد من شرقيها، كانت فيه قصور ومباني شامخة ترجع إلى القرن التاسع الهجري. أنظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية، المقحفي، ١٣٠٣/٢.

[2] غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٠، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٨، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٣/٦.

[3] قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٣/٦، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٧.

[4] بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٨، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٣/٦.

[5] غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٠، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٧.

[6] بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ابن الديبع، ص١٥٧.

ثم إن الشيخ يوسف اشتد غمه ولم يرزق صبراً[1]، "فلم يطب له المقام بزبيد، واشتد غمه وعظم كربه وتخوف من ابن عمه لما سبق منه، فاستشفع إليه بأخيه الشيخ أحمد وحمل إليه القرآن ليفسح له في الخروج والذهاب حيث يشاء، ففعل بعد امتناع شديد، حياءً من الشيخ أحمد ومراعاة له.

فخرج يوم الأربعاء ثاني دخول الملك المنصور وخرج في صحبته الحاج مُحَّد صاحب الذراع، والشيخ محرم العنسي "في نحو خمسين رجلاً، فكاد أن يفتك بهما لشدة غيظه فوصل إلى بندر البقعة وقد أعدت له هناك سفينة، فركبها يوم الخميس رابع عشر الشهر المذكور[2]".

"ثم ركب البحر وتوجه نحو مكة فوصل إلى صاحبها الشريف مُحَّد بن بركات، وكان نازلاً قريباً منه فأكرمه ولم يساعده إلى شيء مما طلبه، فرجع إلى جازان ثم إلى أحمد بن أبي الغيث بن حفيظ فأكرمه وزوجه ابنته وأقام عنده[3]".

وكان قد أودع مالاً وثياباً وسلاحاً عند جماعة من أهل زبيد، كالقاضي علي بن أحمد الناشري والجمال الفهري، وأشياء كثيرة ببيت الشيخ الغزالي، وأشياء عند الشيخ أحمد الشنيني صاحب القرشية، فطالب الملك المنصور بها فسلموها إليه إلا القاضي علياً فإنه أنكر ذلك فطلب المنصور يمينه فحلف، إذ كان يجوز له ذلك وهو أعلم بجوازه، فكان ذلك سبب سقوطه عند الملك المنصور، فعزله من القضاء بالقاضي تقي الدين عمر بن عبدالمجيد الناشري، يوم الجمعة منتصف جمادى الأول[4].

ثم إن الشيخ عبدالوهاب طلع الجهات العليا "ويقصد بها المناطق الجبلية غير التهامية"، فأقام بها مدة يقرر قواعد العدل فيها.

واستقرت الأوضاع لفترة من الزمن، وبدأ الملك المنصور بالإلتفات لأمور البلاد، وتقرير أوضاعها وإدارة شؤون الحكم، وقمع التمردات القبلية التي اشتدت بعد موت الملك المجاهد، وخاصة في اقليم تهامة.

---

١ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٧.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٤/٦، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١١، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٧.

٣ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٧، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١١، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٤/٦.

٤ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ابن الديبع، ص١٥٧، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٧، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٤/٦.

المبحث الثالث

نهاية الشيخ يوسف بن عامر وسجنه

بعد أن استأذن الشيخ يوسف بن عامر من الملك عبدالوهاب بن داود وخروجه من عنده، بلغ في خروجه ذلك إلى قريب مكة، في المكان الذي كان الشريف مُحَّد بن بركات نازلاً فيه، فواجه الشريف، فأكرمه واحسن نزله، فلبث عنده مدة[١] كما مرّ معنا.

ثم رجع إلى صاحب جازان الشريف أبي الغواير، فأكرمه كذلك لما سبق منه من الإحسان إليه وإلى والده، وقد مرّ معنا زيارة صاحب جازان للشيخ يوسف أثناء ولايته في زبيد وإكرامه له.

ومرّ معنا أنه دخل بلاد بني حفيص فأكرمه الشيخ أحمد بن أبي الغيث وأحسن نزله، وزوجه بنتاً له فلبث عندهم إلى أن نزل الملك المنصور وأخوه الشيخ أحمد بن عامر إلى مدينة زبيد، في شهر شوال من سنة ٨٨٤هـ.

وكان بني حفيص من المتمردين على الملك المنصور، وقد أعدوا العدة وتأهبوا لقتاله.

ويبدو أن الشيخ يوسف لم يكن موافقاً لهم في تمردهم هذا، رغم النسب الذي جرى بينه وبين زعيم بني حفيص الشيخ أحمد بن أبي الغيث، لهذا أراد الملك المنصور تنبيهه بأن ينحاز إليه ويترك بني حفيص.

يقول ابن الديبع "وكان الشيخ يوسف قد أذعن للصلح يظن أن بني حفيص يريدون ذلك، فلما لم يجيبوا إليه أرسل الملك المنصور أحمد بن عامر إلى يوسف، وأمره أن يتحيز إليهما[٢]".

"وقد خرج الملك المنصور والشيخ أحمد بن عامر مسرعين من زبيد إلى بلاد بني حفيص وحاول الملك المنصور صلحهم فلم يجيبوا إلى ذلك.

فقاتلهم يوم الخميس مستهل ذي القعدة وكان الشيخ أحمد بن عامر في خيل عنس وطائفة من العسكر، فلما حصلت الحملة عليهم انكشفوا عنه، فشب به الفرس وكان مظاهراً بين درعين، فسقط عن فرسه وجرح جراحات مثخنة، فمات بعد ساعة في ذلك اليوم، وحمل إلى قرية الضحى وهي قرية الفقيه إسماعيل الحضرمي.

---

١ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ابن الديبع، ص١٥٩.

٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٨.

فغسل وكفن وصلي عليه بها، ثم حمل إلى بيت الفقيه ابن عجيل، ودفن بها مع السيد الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل في قبره، رحمهما الله تعالى وعوضه الجنة.

وكان باطن الشيخ يوسف فيما قيل مع ابن عمه وأخيه، وكانا قد أرسلا إليه أنه إذا التقى الجمعان حملت وحملنا وكانت الدائرة على بني حفيص فحمل الملك المنصور وحمل الشيخ يوسف حتى التقيا، ثم كر الشيخ يوسف هو وجند الملك المنصور على بني حفيص فهزمهم وقتل منهم أكثر من أربعمائة قتيل ثم دخل الشيخ يوسف زبيد في صحبة ابن عمه الملك المنصور، ثم طلع معه إلى تعز[1]".

وبعد طلوع الملك المنصور إلى تعز سن ٨٨٤هـ، وبصحبته الشيخ يوسف بن عامر بأيام، ترجح للمنصور القبض على الشيخ يوسف وجعله بقلعة تعز، ثم نقله إلى قلعة رداع العرش، فأقام هنالك حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ٨٩٨ هـ[2]".

وربما أنه قد ظهرت للمنصور منه مكيدة كما ذكر المؤرخين ابن الديبع في تاريخه بغية المستفيد وبامخرمة في قلادة النحر، أفضت إلى القبض عليه بتعز وتقييده، في أوائل سنة ٨٨٥هـ، وما يزال ينقله من سجن إلى سجن، ومن بلد إلى بلد، حتى استقر في رداع العرش إلى أن مات بها[3].

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٥/٦، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١١، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ابن الديبع، ص١٥٩، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٨.

٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٩، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١١.

٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٦/٦، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٥٩.

المبحث الرابع
تمرد الشيخ إبراهيم بن عامر بن طاهر

لم يكن تمرد الشيخ يوسف بن عامر آخر التمردات لأبناء الملك عامر، بل ظل أبناء الملك عامر يرون في أنفسهم الحق في تولي الملك، ولم تطب أنفسهم أن يسلموا للملك المنصور بزمام الأمور فلم يذعنوا له، وخاصة بعد أن تم القضاء على أخيهم يوسف والزج به في قلعة رداع، فقد أراد أخيه إبراهيم ربما تخليصه من أسره، وقد ساءت الأمور بينه وبين المنصور لأسباب.

"ففي شهر جمادي الأولى من سنة ٨٩١هـ، خرج الشيخ إبراهيم بن عامر مغاضباً لابن عمه الملك المنصور، إلى بلد بني حبيش[1].

وفي رواية أخرى لإبن الديبع أنه خرج عن طاعة الملك المنصور إلى بلد خميس[2].

ولكن يبدو أن تمرد الشيخ إبراهيم لم يطل تمرده، فسرعان ما تم القبض عليه "فلزمه النقيب مُحَمَّد الحفصي وأرسل به إلى الملك المنصور، فقيده وأودعه دار الأدب عند أخيه الشيخ يوسف، بحصن رداع العرش، فلم يزل به إلى ما بعد وفاة المنصور[3]".

وبهذا انتهت مرحلة من مراحل حكم الملك المنصور، وانتهت التمردات الطاهرية من أبناء الملك عامر بن طاهر، ضد الملك المنصور في حياته، ولكنها ظهرت مرة أخرى في زمن ابنه الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب، وسيأتي معنا ذكر ذلك في سيرته.

وقد خسرت الأسرة الطاهرية في هذه المرحلة المريرة من الصراع الأسري، ثلاثة من أبناء الملك عامر، الشيخ أحمد بن عامر والذي قتل في الوقعة التي مع بني حفيص، والشيخ يوسف بن عامر وأخيه إبراهيم والذي انتهى الأمر بهما بالسجن في قلعة رداع.

ولو أن بني طاهر استقام الأمر بينهم ولم تحصل هذه الفتنة بينهم لكان يمكن الإستفادة ممن فقدوا في هذا الصراع وهم أبناء الملك عامر، فقد كانوا قادة ورجال سلطة وإمارة.

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٢/٦، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع، ص١٧٢.

٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥٢٢.

٣ بغية المستفيد، العلامة عبدالرحمن الديبع، ص١٧٢، قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٢/٦.

الفصل الثالث
التمردات القبلية في تهامة

كان أبرز التمردات القبلية التي حدثت بعد تولي الملك المنصور للحكم، هو التمردات القبلية في تهامة، وكان أبرز هذه القبائل وأشدها في تهامة قبيلة بني حفيص، والذي مرّ معنا ذكر تمردهم ومقتل الشيخ أحمد بن عامر في إحدى المواقع خلال هذا التمرد، وقد تمردت قبائل أخرى من تهامة، غير أنه لم يكن الصراع معها كالصراع مع بني حفيص، لذا فإننا في هذا الفصل سنقسمه إلى مبحثين، سيكون المبحث الأول حول تمرد بني حفيص، والمبحث الثاني حول التمردات القبلية الأخرى في تهامة.

المبحث الأول: تمرد قبيلة بني حفيص الزيديين

المبحث الثاني: التمردات القبلية في تهامة

المبحث الأول
تمرد قبيلة بني حفيص الزيديين

أولاً: بدأ تمرد قبيلة بني حفيص:

ساءت العلاقة بين بني حفيص[1] الزيديين والدولة الطاهرية حين أجازوا يوسف بن السلطان الظافر عامر الأول في بداية عهد السلطان المنصور عبدالوهاب.

وقد مرّ معنا أن الشيخ يوسف بن عامر بن طاهر كان قد خرج على ابن عمه الملك المنصور ثم أنهما تصالحا بواسطة أخيه الشيخ أحمد بن عامر، وخرج بعدها الشيخ يوسف إلى مكة ومنها رجع إلى بلاد بني حفيص، وكانت أول وقعة بين الملك المنصور وبني حفيص هي التي شارك فيها الشيخ يوسف وقتل فيها أخيه الشيخ أحمد بن عامر، وقد تكبد فيها الحفصيون خسائر فادحة وهزموا شر هزيمة وقتل منهم أكثر من أربعمائة قتيل.

ولم تهدأ قبائل بني حفيص بعد هذه الوقعة، بل إنهم استمروا في خروجهم على الملك المنصور، مما استدعى المنصور أن يخرج حملة عسكرية لقمعهم.

وقد مرّ معنا ذكر أن بني حفيص هم من بلاد الزيدية وأبرز قبائلها، والزيدية منطقة في تهامة وبها مدينة الزيدية مسماة باسمهم، وقبائل الزيدية سنية المذهب، ولا يمتون للمذهب الزيدي بأي صلة[2].

وقد كان عهد السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود شراً على قبائل الزيدية لما لحق بهم من أذى خلاله، فقد كان يغروهم في كل عام إلى أن خضعوا وكفوا عن التمرد، واستسلموا للدولة الطاهرية.

ففي "شوال من عام ٨٨٥هـ، غزا الملك المنصور من زبيد بلاد بني حفيص وجعل طريقه على الرماة، فهربوا ولجأوا إلى حازة بلادهم، فحرقها وظفر لهم بطعام كثير في مدافن واستباحه.

---

١ ورد تسميتهم ببني حفيظ في قرة العيون لإبن الديبع لنفس المؤلف، والصواب بني حفيص والله أعلم، ويبدو أن الخطأ لم يكن من ابن الديبع، بل هو سقط أو تحريف وقلب أو خطأ مطبعي، وقد اخترت في كتابي نقل مسمى بني حفيص، لأن هذا الأسم نقله ثلاثة محققين وهم عبدالله محمّد الحبشي في بغية المستفيد، والدكتور يوسف شلحد في الفضل المزيد، وكلا الكتابين لابن الديبع، وكذلك ذكر اسم بني حفيص الباحث أحمد سالم بن شيبان في كتابه الوجود المملوكي في اليمن.

٢ تاريخ بنو رسول وبنو طاهر، عبدالعال، ص٣٠٠، حاشية قرة العيون، محمّد بن علي الأكوع، ص٣٩٧، الوجود المملوكي في اليمن، شيبان، ص١١٦.

ثم بلغ بلاد الزيديين وتقابل الفريقان، وكانت الدائرة على بني حفيص وقتل منهم جماعة، فانهزموا وتشتتوا فحرق بلادهم، وأخرب بيوتهم، ووقف فيها مدة ثم رجع إلى زبيد منصوراً، فدخلها ثم طلع إلى تعز"[1].

الصلح مع بني حفيص: "وفي تاسع شعبان من عام ٨٨٦هـ، قدم الملك المنصور إلى زبيد، وجهز الأمير عمر بن عبدالعزيز، وسليمان بن جياش إلى الزيدية، في عسكر عظيم فخرجا حتى بلغا وقيهة[2].

ثم رجعا إلى زبيد، على صلح من بني حفيص والزيديين كافة ووصل معهم جماعة من بني حفيص، والفقهاء بني حشيبر، وبني مطير والقاضي جمال الدين مُحَمَّد بن أحمد بن الأشخر، ووصلوا بأولاد أحمد بن أبي الغيث على سبيل الرهائن[3].

وقد أخذوا أولاد الشيخ أحمد بن أبي الغيث رهائن لدى الملك المنصور، ضماناً لإستمرار موقف بني حفيص وقبائل الزيدية المسالم، ولكي لا ينقضوا العهد والصلح الذي جرى بينهم وبين الملك المنصور، وخاصة أنهم قد نقضوه من قبل عدة مرات ولم يحفظوه.

واستقر الأمر لفترة بسيطة ففي سنة ٨٨٦هـ، "انتظم الصلح على ذلك وخرج الأميران مُحَمَّد بن عيسى البعداني وسليمان بن جياش، والقاضي جمال الدين المحالبي، ومُحَمَّد بن محفوظ المصري لقبض الخراج من العرب، من بيت الفقيه ابن عجيل إلى الواعظات، فقبضوا وجاءوا في شوال بأموال عظيمة وخيل تزيد على التسعين ونزل مولانا صلاح الدين عامر ابن الملك المنصور إلى زبيد في شعبان ورمضان، ونزل أيضاً الشيخان عبدالله بن عامر وعبدالباقي بن مُحَمَّد بن طاهر واجتمعوا بزبيد وصاموا بها وطلع الشيخ عبدالله قبلهم بسبب توعك حصل له، ثم طلع مولانا صلاح الدين عامر وأخوه مُحَمَّد في شوال[4]".

ولكن سرعان ما انتقض الصلح الذي جرى بين بني حفيص وبين الملك المنصور، فقد نقض قبائل الزيدية الصلح ورفضوا الإنصياع لأوامر شيخهم أحمد بن أبي الغيث.

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١١، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦١.
٢ قرية وقيهة: قرية تقع قرب الزيدية على شط وادي سردود. حاشية الأكوع على قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٠.
٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٧/٦، بغية المستفيد، الديبع، ص١٦٢.
٤ بغية المستفيد، الديبع، ص١٦٣.

لذلك خشي بن أبي الغيث زعيم قبائل الزيدية أن يلحق الضرر بأولاده الرهائن لدى السلطان المنصور، لعدم إلتزام قبائل الزيدية بالطاعة للدولة الطاهرية، ورفض الإنصياع لأوامره، فخرج من بلاده إلى قرية أبي عريش[1] من قرى جازان[2].

وبعد أن نقضت قبائل الزيدية الصلح، وهروب الشيخ أحمد بن أبي الغيث من بلاده إلى قرية أبي عريش، اضطر الملك المنصور للتصرف بنفسه تجاه هذه القبائل المستعصية والمتمردة على الدولة الطاهرية.

"ففي شوال عام ٨٨٧هـ، قدم الملك المنصور إلى مدينة زبيد، وفي صحبته الأميران عمر بن عبدالعزيز الحبيشي، ومُحَّد بن عيسى البعداني، وكان الأمير بحير بن مُحَّد بن وهبان قد تجهز إلى البلاد الشامية، قبل قدوم الملك المنصور بإشارته، ومع الأمير بحير الأميران سليمان بن جياش السنبلي وهلال بن فهد المخلافي، والقاضي جمال الدين المحالبي.

وكان الشيخ أحمد بن أبي الغيث بن حفيص قد هرب إلى قرية أبي عريش كما مرّ معنا.

"وأقام بها مدة ثم ألجاه القدر وعمي البصر حتى رجع إلى الزيدية مختفياً، فظفر الله به فأسره الأميران بحير وهلال بعد تعب عظيم، وسياسة وسعي، وتوجه به هلال إلى زبيد والملك المنصور إذ ذاك بها فدخل به عاشر عشرة من أولاده وأقاربه، على جمل حاصر الرأس مفرداً ضحى يوم الخميس، مستهل ذي القعدة الحرام.

وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً مشهوراً، احتفل به الناس وانتعشوا من كل فج، وخرجت العوالق والمخدرات والعجائز والرجال والشبان والأطفال للنظارة، وهنأت الشعراء بذلك ولعبت الخيل سبعة أيام بكرة وعشية، واستعملت الفرحة حتى أهل البوادي ثم أمر الملك المنصور بإبدال قيودهم بأثقل منها، وطلع بهم صحبته إلى تعز ودخل بهم إليها، في أول ذي الحجة، دخلة عظيمة انتعش الناس لها من كل جانب[3]".

١ أبي عريش: قرية عامرة في المخلاف السليماني وكانت قد ازدهت أيام الشريف حمود في القرن الثالث عشر الهجري. حاشية قرة العيون، مُحَّد بن علي الأكوع، ص٥٢١.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٢.

٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٩/٦، بغية المستفيد، الديبع، ص١٦٤.

"وتشتت شمل بني حفيص وتفرقوا أيادي سبأ وصاروا أذلاء بعد العزة والطغيان فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين، وكان دخوله أول ذي الحجة، ثم أودعهم دار الأدب بحصن تعز مقيدين[1]".

وقد أثار هذا الأمر حفيظة قبائل الزيدية، وأرادوا الإنتقام والثأر لزعيمهم أحمد بن أبي الغيث.

"ففي شهر صفر سنة ٨٨٨هـ، عدا الزيديون على الأمير هلال والقاضي شرف الدين الأحمر ومن معهما من الدولة، فقتلوا هلالاً وابنه، وفارساً من أهل التربية وأخر من أهل الجبل وجرح الشرف الأحمر جراحات نحو الست لكنها غير مثخنة، وسلمه الله تعالى وأفلت منهم، فلق بمدينة زبيد.

ولما بلغ الملك المنصور العلم بذلك وكان بالجبل، ثارت حفيظته وجهز الأمير عمر بن عبدالعزيز في عساكر عظيمة إلى الزيدية، ثم تجهز هو بنفسه إليها بعده ونزل من الجبل، ودخل زبيد في جمادي الآخرة، وخرج إلى الزيدية مسرعاً، ووقف في الضحي، وأمر بنهب قرى الزيدية، وحرقت بيت الفقيه ابن حشيبر وصاعل وتلفت للزيديين جملة أموال وطعام وكثير ثم جعل الأمير سليمان بن جياش السنبلي مقدماً هناك، في عساكر كثيرة، ثم رجع إلى زبيد"[2].

"وفي شهر ربيع الأخر سنة ٨٨٩هـ، توفي الشيخ أحمد بن أبي الغيث بن حفيص أسيراً بحصن تعز، وأنزل وغسل وكفن وصلي عليه في جمع ثم دفن رحمه الله"[3].

"وفي شوال سنة ٨٨٩هـ، قدم الملك المنصور إلى زبيد يوم السبت السابع عشر منه، وفي صحبته الشيخ عبدالله بن عامر، وأخوه إبراهيم، والشيخ عبدالباقي بن مُحَمَّد بن طاهر، فأقام بها ثلاثة أيام، ثم خرج إلى الزيدية ولم يلق كيداً[4]".

عمل السلطان المنصور بعد ذلك على انتهاز كل فرصة لمهاجمة الزيدية، على أمل افقادهم المقاومة، وجعلهم مسالمين على الدوام وكف أذاهم، وقد أوكل هذه المهمة لعناصر الدولة في زبيد.

يقول مؤرخ الدولة الطاهرية العلامة ابن الديبع: "وفي يوم الأحد الرابع عشر من شوال سنة ٨٩٠هـ، قدم مولانا صلاح الدين عامر بن عبدالوهاب إلى مدينة زبيد، في عسكر عظيم، وفي صحبته ولدا عمه مُحَمَّد بن داود وولدا عمه عبدالملك، وخرج إلى الزيدية، وحاصر الفئة الباغية منهم في حازة بلدهم، وقطع عليهم الماء حتى أدوا الطاعة، وسلموا مائة وثلاثين فرساً وأربعين جملاً من الجمال البحرية

---

١ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢١.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٧، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٩/٦.

٣ قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٠/٦.

٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٩، قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠١/٦.

النفيسة، وأربعين ألف دينار وأعطاهم ذمة وخرجوا من الحصار، وأمرهم أن يسكنوا القرى القديمة من الخبت، وأن لا يتديروا ببيت الفقيه ابن حشيبر[1]".

ويذكر المؤرخون أنه "في سنة ٨٩١هـ، وبعد طلوع الملك المنصور إلى الجبل، أقام الأمير شجاع الدين عمر بن عبدالعزيز الحبيشي بالبلاد الشامية مدة يتردد فيها، ويجبي خراجها وترك في بيت الفقيه ابن حشيبر كاتبين من قبله، هما الجمال مُحَمَّد أبو الفتح الأحمر، والفقيه أبو القاسم بن علي راجح، فأفحشا في الظلم والعسف، فوثب عليهما أناس من غبيق فقتلوهما قتلة شنيعة، في العاشر من ربيع الآخر من سنة ٨٩١هـ.

والملك المنصور إذ ذاك بمدينة تعز، فنزل إلى زبيد لما بلغه الخبر، ودخلها عصر يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأول من السنة المذكورة فلما علم الزيديون بوصوله إلى زبيد، وأبو القاسم الشرياني إذ ذاك معهم حملوا هم والشرياني على الأمير عمر بن عبدالعزيز ومن معه، في بللد الحرائج، صبح يوم السبت الثاني عشر من جمادي الآخرة، وعسكر الأمير قليلون، فانكسر الأمير وعسكره، وهرب الأمير إلى بلاد الزعليين، فوقف فيها إلى أن خرج الملك المنصور إليها، في التاريخ الآتي ذكره"[2].

"وفي يوم الثلاثاء سادس جمادي الثانية سنة ٨٩١هـ، قصد الملك المنصور بلاد الزيدية، في جمع كثيف وخيل كثيرة يقال أنها بلغت فوق الألف فلما بلغ الزيدية لم يقم له أحد من أهلها، فخربها ونقض ابنيتها وأحرقها.

ورجع إلى زبيد من غير قتال، فدخلها ليلة الجمعة مستهل شهر رجب ثم طلع إلى تعز في سادسه، ثم نزل إلى عدن، ثم رجع إلى تعز، ثم طلع إلى بلده بأهله، متنقلاً إلى داره التي بناها بجبن التي كان يضرب بها المثل، ويقال إنها اشتملت على ثلثمائة مقصورة[3]".

"وفي شهر ذي القعدة سنة ٨٩٢هـ قدم الشيخ أحمد بن مُحَمَّد بن داود زبيد أميراً من قبل عمه في عسكر ضليع، وأقام بزبيد، وأرسل العساكر إلى الأمير عمر بن عبدالعزيز إلى الزيدية تقوية له، ولبث بزبيد إلى شهر المحرم من سنة ثلاث وتسعين، وخرج في أثناء مقامه بها إلى النخل والبحر[4]".

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠١/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧١.

٢ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٢، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٤، قلادة النحر، بامخرمة، ص٥٠٣.

٣ قلادة النحر، بامخرمة، ص٥٠٣، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٢، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٤.

٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٤، قلادة النحر، بامخرمة، ص٥٠٣، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٢.

وفي السابع عشر من شهر ربيع أول سنة ٨٩٣هـ قصد الملك المنصور البلاد الشامية، وفي صحبته ولده عامر وابن أخيه مُحَمَّد بن عبدالملك، وولد الشي عبدالباقي بن مُحَمَّد بن طاهر، ووصل الشيخ عبدالله بن عامر من الجبل ليلة خروجهم، فخرج معهم حتى بلغ الزيدية، وأقاموا بها مدة طويلة، وانحاز الزيديون إلى حازة بلادهم، فمشى بينهم الصوفية والفقهاء في الصلح، على مال وخيل يؤدونها، وسلموا ذلك وقوضوا خيامه عنهم، وارتحل إلى زبيد[1].

واستمر تمرد قبائل الزيدية إلى قبيل موت السلطان المنصور، يقول ابن الديبع رحمه الله:

فيقول المؤرخ ابن الديبع أنه "في يوم الخميس منتصف شهر المحرم سنة ٨٩٤هـ، قدم مولانا صلاح الدين عامر بن عبدالوهاب مدينة زبيد، وفي صحبته ابن عمه الشيخ أحمد بن مُحَمَّد بن داود، في خيل وعساكر كثيرة، ثم أمر العساكر بالخروج إلى الزيدية، وأمر عليهم الأمير مُحَمَّد بن عيسى البعداني، فخرج ليلة الأحد الثامن عشر من شهر محرم، فلبث في الزيدية إلى آخر شهر صفر، ثم عاد إلى زبيد فدخلها دخلة معظمة، بمال كثير وخيل كثيرة أداها الزيديون والعرب، بعد أن قرر معهم رسوماً وقواعد، ووفدت معه مشايخ العرب فدخلوا على مولانا صلاح الدين، فأنعم عليهم وقرر أحوالهم، ومن جملة من دخل عليه أبو القاسم الشرياني، فكساه كسوة عظيمة، وتصدق مولانا صلاح الدين في هذا التاريخ بصدقات كثيرة، واستدعى بالفناجرة من عدن، فوصلوا ولعبوا لعباً كثيراً عجيباً، وأطلق أولاد أحمد ابن أبي الغيث بن حفيص من القيود، وقد كان نزل بهم في صحبته، فكساهم وأنعم عليهم وصرف لهم خيلاً يركبونها، بعد أن توثق منهم بالإيمان والرهائن من نسائهم وأولادهم[2]".

وهكذا انتهت مرحلة من أهم مراحل حكم الملك المنصور، وهي أشد ما واجهه الملك المنصور إذا ما نظرنا إلى سنوات حكمه، فقد بدأت منذ أول عام تولى فيه الملك المنصور الجكم واستمرت إلى آخر سنة من حكمه.

---

١ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٤، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٦، قلادة النحر، بامخرمة، ص٥٠٣.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٨، قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٥/٦.

المبحث الثاني
التمردات القبلية في تهامة

أولاً: تمرد قبيلة العامريين:

كانت قبيلة العامريين من القبائل المتمردة على الدولة الطاهرية، وقد دخلت في صراع مع الدولة الطاهرية منذ عهد الملك المجاهد عام ٨٧٠هـ، وقبيلة العامريين كانت تسكن بالقرب من بلاد المعازبة في تهامة، وقد سبق أن لقنهم الملك المجاهد درساً بسبب قطعهم للطريق وإخافتهم للسبيل، واستولى على حصنهم المعروف بالضامر في عام ٨٨٠هـ.

واستمر العامريين في طغيانهم فعادوا لقطع الطريق وإخافة الناس، في عهد الملك المنصور.

يقول ابن الديبع: "وفي عام ٨٨٦هـ وفي أثناء إقامة الملك المنصور بتعز، أغزى جيشاً على العبيد العامريين كانوا يقطعون الطريق ويخيفون السبل وأمر عليهم الأميرين عمر بن عبدالعزيز وعلي بن مُحَمَّد بن وهبان فدخل ابن وهبان بلدهم، وتوعر فيها، فحمل عليه العبيد وضيقوا عليه، فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل مع أكثر العسكر الذين معه، في أوائل ذي القعدة"[1].

وكانت بلاد العامريين "متوعرة الطريق إليها، لا يدخلها إلا واحد بعد واحد، فدخل إليهم ابن وهبان وتوعر فعطفوا عليه فقاتل حتى قتل في جماعة"[2].

ثانياً: تمرد بعض القبائل التهامية الأخرى:

كانت هناك قبائل أخرى تمردت على الدولة الطاهرية، ولكنها لم تكن بقوة الزيدية وبني حفيص، ولم يستمر خروجهم عن الطاعة كثيراً، فسرعان ما هدأت الأمور بينهم وبين الدولة الطاهرية وأبرز هذه القبائل الزعليين والصميون والرماة واللاميين.

يقول ابن الديبع: "وفي سنة ٨٩١هـ، خرج الأمير قاسم بن وهبان إلى بلاد الزيدية مقدماً فيها، وتجاوز إلى مور، وقهر العرب وعنف عليهم في الخراج، فضاقوا منه وتمالأ عليه الزعليون والصميون لما خرج من مور إلى الزيدية، فقتلوه في جماعة من عسكره يوم الخميس الثالث من شعبان، وقتل معه الفقيه علي بن الطيب النجار، الذي كان يدعي الوصول إلى علم الكيمياء.

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٨.

٢ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢١.

وكان الأمير المذكور قد جعله ناظراً على أوقاف المساجد والآبار هناك، وكان معه جماعة من الكتاب والعبيد، كالفقيه مُحَمَّد الشجون، والعفيف عبدالله بن حسين الشرعبي، والشهاب الغصين، والنقيب الوجيه بن إقبال، وجماعة من العبيد، فسلموا لكونهم لم يخرجوا معه والملك المنصور إذ ذاك برداع العرش، فلما بلغه الخبر نزل إلى زبيد، فدخلها ظهر يوم الإثنين الثامن والعشرين من الشهر المذكور وكان قد أرسل الأمير الشجاع عمر بن عبدالعزيز إلى الزيدية في عسكر عظيم قبل وصوله إلى زبيد، فبلغ المذكور إلى واسط مور، فأذعن الرعية للطاعة وسلما الخراج والخيل، وأخذ الخراج من الواعظات والصميين والزعليين والزيديين، وأدوا إليه أكثر من مائة رأس من الخيل، فأرسل بها إلى الملك المنصور وهو إذ ذاك بزبيد"[1].

"وفي ليلة السبت، السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٩٩٣هـ، قصد الملك المنصور البلاد الشامية، وفي صحبته ولده مولانا صلاح الدين، وابن أخيه الشيخ مُحَمَّد بن عبدالملك، وولد الشيخ عبدالباقي بن مُحَمَّد بن طاهر، ووصل الشيخ عبدالله بن عامر من الجبل ليلة خروجهم، فخرج معهم حتى بلغوا الزيديون إلى حازة بلادهم، فمشى بينهم الصوفية والفقهاء في الصلح، على مال وخيل يؤدونها، وسلموا ذلك فقوض خيامه عنهم وارتحل إلى زبيد، ومر بالرماة واللاميين وغيرهم من العرب فقبض منهم نيفاً على سبعين فرساً، ودخل بذلك زبيد صبح الجمعة السادس من جمادى الأولى، في أبهة عظيمة[2].

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٢/٦، بغية المستفيد، الديبع، ص١٧٢.

٢ بغية المستفيد، الديبع، ص١٧٦.

الفصل الرابع
أهم الأحداث في عهد الملك المنصور

الحقيقة التي تظهر لنا من خلال قراءة سيرة الملك المنصور، أن الدولة الطاهرية عانت الكثير من جراء تمرد بني حفيص والزيدية، وخسر الطرفان الكثير من الرجال والمال والجهد، وكل ذلك أدى إلى تعطل الحركة التوسعية للدولة الطاهرية في اليمن لفترة من الزمن هي فترة حكم الملك المنصور، فلم يستطع المنصور خلال سنوات حكمه أن يمد نفوذ الدولة الطاهرية رغم أنه كان قائداً فذاً، ولكن ورغم ذلك كله لم تمنع تلك العقبات الملك المنصور من إسترداد مدينة ذمار من أيدي الأئمة الزيدية، ومن حصول بعض الأحداث المهمة الأخرى كالإستيلاء على حصن خدد من يد الحبيشي في مخلاف جعفر، لذا فإننا في هذا الفصل سنستعرض هذه الأحداث في مبحثين كالتالي:

المبحث الأول: الإستيلاء على ذمار

المبحث الثاني: الإستيلاء على حصن خدد

المبحث الأول

الإستيلاء على ذمار

كان للملك المنصور كما مرّ معنا دور كبير في توسع الدولة الطاهرية خلال حكم عميه الظافر والمجاهد، إلا أن الفتن التي شُغل بها عرقلته عن مد نفوذ ملكه، وجعلته مشغولاً بإرساء حكمه في المناطق التابعة لهم، وقمع التمردات والفتن والقبائل الخارجة على الدولة.

ورغم ذلك كله لم تمنع هذه التمردات الملك المنصور من أن يفكر في إسترداد ذمار من بين أيدي الأئمة الزيديين، فقد كانت ذمار مدينة مهمة كما مرّ معنا، فهي خط الدفاع أو الهجوم الأول بين الدولة الطاهرية والدولة الزيدية، وتعتبر أول نقطة للتوسع نحو صنعاء واليمن الأعلى، والتي كانت تحت سيطرة الأئمة الزيدية.

وقد سقطت ذمار بأيدي الأئمة الزيدية، بعد مقتل الملك عامر بن طاهر في عام ٨٧٠هـ، فعقب مصرع السلطان الظافر عامر بن طاهر، استولى الإمام المطهر بن مُحَّد بن سليمان[١] على ذمار، وهو أحد الأئمة الثلاثة الذين تصارعوا على الإمامة عقب وفاة الإمام المنصور علي بن صلاح الدين سنة ٨٤٠هـ، وقد سبق معنا ذكر ذلك[٢].

ثم أنه جرى الصلح بين الملك المجاهد والإمام المطهر بن مُحَّد، يقول العلامة المؤرخ عبدالواسع بن يحي الواسعي:

"ثم صالحهم فتركوا له ذماراً، وبلادها وحصونها، فما نازعوه عليها، ولا حاربهم بعد[٣]".

وقد سادت بعد هذا الصلح فترة من الهدؤ بين الملك المجاهد والأئمة الزيديين، حيث أعرض الملك المجاهد عن الحروب، وانشغل بإرساء حكمه في المناطق التابعة لدولته، واستمر حكم ذمار وملكها بيد الإمام المطهر حتى كانت وفاته بذمار في صفر سنة ٨٧٩هـ[٤].

---

١ كان إماماً جامعاً للشروط، قام بالدعوة بعد موت علي بن صلاح وموت الإمام المهدي وتوفي بذمار سنة ٨٨٦ هـ وقبره بها مشهور في المسجد الذي عمره وعارضه الناصر بن مُحَّد. أنظر: فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ص٢١٢.

٢ اللطائف السنية، مُحَّد بن إسماعيل الكبسي، ص١٦٩.

٣ فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ص٢١٢.

٤ البدر الطالع، الشوكاني،٣١١/٣، طبقات الزيدية الكبرى، المؤيد، ١٩/٣، الأعلام، خير الدين الزركلي،٢٥٤/٧، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٦.

وويذكر أنه لما توفي المطهر في مدينة ذمار، ودفن في مسجده، قام بعده في ذمار ابنه عبدالله محتسباً في نفس عام ٨٧٩ه[١].

واستمرت العلاقات هادئة بين الملك المجاهد علي بن طاهر والإمام عبدالله بن المطهر حتى توفي الملك المجاهد سنة ٨٨٣ه، وبعد أن تولى السلطة من بعده الملك المنصور عبدالوهاب بن داود، استمر لفترة من الزمن على الصلح الذي مضى بين الملك المجاهد والإمام المطهر بن مُحَمَّد وأبنائه، ثم بقي أولاده مدة، وهم عبدالله وأخواه، وتغيرت الحال بينهم وبين بني طاهر، فرحلوا إلى صنعاء أيام ابن الناصر، فتلقاهم بالقبول، ولم يسمعهم شيئاً يكرهونه، مع ما كان منهم نحو أبيه[٢].

ويذكر الإمام الشوكاني أن الذي قام بإخراج الإمام عبدالله بن المطهر هم أهل ذمار، فيقول: كان الإمام المطهر استخلف ابنه عبدالله بن المطهر في مدينة ذمار[٣]، ثم فسد ما بينه وبين أهل المدينة فأخرجوه فدخل صنعاء فأخذوا عليه من دروعه وآلة ملكه شيئا كثيرا[٤].

ولعل سبب استيلاء الملك المنصور على مدينة ذمار، أنه رأى بأن أولاد المطهر لم يفوا بالعهد كأبيهم، فكان ذلك داعياً له للإستيلاء على مدينة ذمار، فبعد ثلاث سنوات فقط من وفاة الإمام المطهر استعاد الملك المنصور ذمار من أيدي أولاد الإمام المطهر.

فقد ذكر ابن الديبع رحمه الله: "أنه في السادس والعشرين من رمضان عام ٨٨٩ ه، أخذ الملك المنصور بلاد ذمار قهراً بالسيف، وأخرج منها ولد الشريف مطهر مقهوراً"[٥].

وهذا ما ذكره صاحب غاية الأماني في أحداث سنة ٨٨٩ه، فقال: فيها استول الملك المنصور على مدينة ذمار قهراً بالسيف، وفر منها صاحبها وهو عبدالله بن الإمام المطهر بن مُحَمَّد بن سليمان بأهله وولده إلى صنعاء، فأحسن إليه مُحَمَّد بن الناصر، ولم يعامله بما فعله أبوه مع أبيه[٦].

وبهذا عادت ذمار إلى ملك الدولة الطاهرية بعد وقوعها لسنوات في أيدي الأئمة الزيدية، فكانت مدة تملك الإمام المطهر وولده عبدالله لذمار ست عشر سنة[٧].

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦٠٦.

٢ فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الواسعي، ص٢١٥.

٣ عبد الله بن المطهر بن مُحَمَّد بن سليمان الحمزي: عالم زيدي، من بيت الامامة في اليمن، استخلفه أبوه في ذمار، وأخرجه أهلها، وتوفي والده سنة ٨٧٩هـ فدخل صنعاء، وصودر بها في كثير من أمواله، ولما دخلها عامر ابن عبد الوهاب، فاتحا، سيره معه إلى تعز فتوفي بها، له تآليف، منها المسائل المختارة، ورياحين الانفاس في المعجزات النبوية، والياقوت المنظم شرح قصيدة لوالده. أنظر: الأعلام، الزركلي، ١٣٩/٤.

٤ البدر الطالع، الشوكاني، ٣٩٩/١.

٥ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد / العلامة عبدالرحمن بن علي الديبع ص ١٦٩.

٦ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٤.

٧ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٤.

المبحث الثاني
الإستيلاء على حصن خدد

الإستيلاء على حصن خدد التابع للشيخ إدريس الحبيشي:

من أبرز الأحداث التي وقعت في زمن الملك المنصور هو الإستيلاء على حصن خدد في حبيش بإب بعد أن استمر حصاره لسنوات طويلة حتى تاريخ الإستيلاء عليه في عام ٨٨٦هـ.

"ففي ربيع الثاني من عام ٨٨٦هـ، تسلم المنصور حصن خدد المشهور بالمنعة، بعد أول حصاره من دولة عمه الملك المجاهد إلى التاريخ المذكور، ووجد فيه ذخائر وعُدداً كثيرة[1]".

وقد ذكر ابن الديبع أن المنصور "قبض حصن خدد بعد حصار مدة طويلة ... حتى نفذ طعامهم وذخائرهم فطلبوا الأمان، فأجيبوا فخرجوا بما معهم من السلاح وانتهت أيامهم [2]".

وقد كان حصن خدد تابعاً للشيخ إدريس الحبيشي صاحب خدد، وقد مرّ معنا ذكر تمرد الشيخ إدريس الحبيشي والقضاء على تمرده ومقتله في عدن، على يد عمر بن عبدالعزيز الحبيش الذي زعم أنه قتل والده.

وبهذا انتهت آخر معاقل تمرد الشيخ الحبيشي الذي مرّ معنا ذكره في عصر الملك المجاهد.

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٦/٤، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٢.

٢ قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، ص٥١٩.

الفصل الخامس
مآثر الملك المنصور ووفاته

سنذكر في هذا الفصل أهم مآثر الملك المنصور وأهم أعماله خلال فترة حكمه، فقد سار الملك المنصور على سيرة من سبقه من ملوك الدولة الطاهرية الظافر والمجاهد، فمن أهم مآثره إرساء العدل ورفع الظلم، وتحصين مدينة زبيد من الهجمات ببناء الخنادق، واهتمامه والأوقاف والبر والصدقات، واهتمامه بالعلم والعلماء وبناء المدارس العلمية وغيرها الكثير من الأعمال، وهذا ما سنبينه في مبحثين مستقلين الأول من هذا الفصل نبين فيه أهم الأعمال للملك المنصور في حياته، ثم نبين في المبحث الثاني الحياة العلمية في عصر الملك المنصور واهتمامه بالعلم والعلماء لأهمية هذا الجانب، ثم نبين في مبحث ثالث نهاية عهد الملك المنصور ووفاته كالآتي:

المبحث الأول: مآثر الملك المنصور وأهم أعماله

المبحث الثاني: الحياة العلمية في عصر الملك المنصور واهتمامه بالعلم والعلماء

المبحث الثالث: وفاة الملك المنصور

المبحث الأول
مآثر الملك المنصور وأهم أعماله

مرّ معنا أن للملك المنصور العديد من الأعمال العظيمة التي قام بها خلال فترة ملكه ومن أهمها:

أولاً: عدله ورفعه الظلم عن الرعية:

ومما يدل على عدل الملك المنصور، ما ذكره ابن الديبع في تاريخه في أحداث سنة ٨٨٦هـ، فقال: "ومن بعض محاسنه التي عم نفعها الأنام وشكرها الناس على الدوام تأكيده على نوابه في سقي أراضي الوادي زبيد وغيرها، أن يسقى الأعلى فالأعلى ولا يعدل لأحد بقناعة، وجعل نفسه في ذلك كآحاد المسلمين، وهذا على ما تقتضيه الشريعة المطهرة فاستمر الأمر كذلك بغير نزاع"[١].

ومما يدل على مراقبته للقضاة وعماله وموظفيه أنه في عام ٨٩٣هـ، ولّى الفقيه عيسى بن مُحَمَّد الناشري قضاء مدينة حيس، يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر المذكور، بعد أن عزل الفقيه أحمد البجلي عن الوظيفة المذكورة، لموجبات أوجبت ذلك ثم رضي عنه ورده إلى وظيفته في شعبان من السنة المذكورة[٢].

ثانياً: عمله للبر والتصدق:

ففي عام ٨٨٦هـ، تصدق الملك المنصور بصدقات جليلة، تنيف على أربعين ألف أشرفي من الذهب، وخمسة وستين ألف دينار من الفضة وصدقاته في هذا العام جليلة، لم يسبق إلى مثلها، ووقعت من الناس موقعاً عظيماً لحصولها في وقت الحاجة إليها، ولعمومها لجميع الناس، تقبل الله منه وأجزل ثوابه[٣].

وفي سنة ٨٩٣هـ نزل إلى زبيد ولبث بها أياماً تصدق فيها بنحو ثلاثمائة أشرفي ذهباً، وثلاثمائة مد من الطعام بالمد الزبيدي[٤].

ثالثاً: اهتمامه بالأوقاف وتأديب من تعدى:

---

١ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٥.
٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٥/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٦.
٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٢، قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٧/٦.
٤ قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٤/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٦.

كان الملك المنصور رحمه الله متعففاً عن الأوقاف، ويحرص على المحافظ عليها وعدم المساس بها، وكان يولي على الأوقاف أهل العلم والدين من العلماء والفقهاء، بل أنه كان يحرص على الإشراف عليها ومراقبة متوليها ومعاقبة من يتعدى أو يستولي عليها.

ومما يدل على اهتمام الملك المنصور بالأوقاف وتولية أهل العلم والدين نظرها وإدارتها.

ففي شهر رمضان من عام ٨٨٦هـ، جعل الملك المنصور النظر والكلام في الوقف، بمدينة زبيد وأعمالها للشيخ وجيه الدين عبدالرحمن بن الطيب الناشري، وهو شيخ العلامة المؤرخ عبدالرحمن الديبع، ولم يزل على ذلك حتى توفي[١].

ثم استدعى الملك المنصور بالقاضي شرف الدين أبي القاسم بن مُحَّد الجلاد من مدينة عدن فولاه وظيفة الإستيفاء بزبيد، في أوائل ذي القعدة من سنة ٨٨٦هـ[٢]، فباشر وظيفة الإستيفاء مباشرة حسنة وحمدت سيرته إلى أن مات وكل أحد راض عنه[٣].

وأما وقف مدينة زبيد ففي يوم الخميس منتصف شهر ربيع الأول سنة ٨٩٣هـ، قدم الملك المنصور مدينة زبيد في عسكر جرار، وولى الشهاب أحمد بن عبدالقادر السباك المعروف بالدنح، نظر الوقف والمساجد والمدارس بزبيد وأعمالها، من تحت نظر شيخ الإسلام وجيه الدين الناشري، وكان القاضي المذكور هو الساعي في ذلك[٤].

ولم يكتفي الملك المنصور على تولية الصالحين من الفقهاء والعلماء نظر الوقف وإدارتها، بل إنه كان يشرف على القائمين على الأوقاف ويراقب نظرهم في الأوقاف وإدارتهم له، فيكرم من يستحق ويعاقب من يراه مفرطاً أو متعدياً على اموال الوقف.

وممن أدبهم الملك المنصور في تعديهم على الأوقاف وفي التعدي على أموال السلطان، مجموعة من عمال الدولة، ففي أثناء إقامة الملك المنصور بمدينة زبيد عام ٨٨٦هـ، ثارت فتنة بين الكتاب في شعبان بالمرافعة فيما بينهم فكان الفقيه عبدالله اللهبي وعبدالرحمن بن الصديق المحالبي، والفضل بن علي دغشر وسعيد الرصاعة في حزب، وبنو الأحمر وغيرهم في حزب فرع اللهبي وأصحابه على الشرف الأحمر واصحابه ومنهم الفقيه مُحَّد الشجون، أنهم أخذوا من مال السلطان أشياء مختلفة

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٧/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٤.
٢بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٥.
٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢١.
٤ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٦، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٤، قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٤/٦.

الأنواع، فرسم عليهم وأدبوا وعزلوا من وظائفهم وغربوا عن أوطانهم وولي الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن إبراهيم العلوي، والفقيه مُحَمَّد الهمام في عمالة الديوان وقاضي حيس الفقيه أحمد البجلي الإستيفاء بزبيد في أوائل ذي القعدة سنة ٨٨٦هـ[١].

رابعاً: قصر ودار المنصور في جبن: وهي دار عبدالوهاب بن داود التي بناها بجبن وكان يضرب بها المثل، ويقال إنها اشتملت على ثلثمائة مقصورة، وقد ذكرها المؤرخين العلامة عبدالرحمن ابن الديبع تاريخه بغية المستفيد، والطيب بامخرمة في تاريخه قلادة النحر، ويحي بن الحسين في تاريخه غاية الأماني[٢]"، ويبدو أن هذه الدار لم يبقى منها الكثير فقد ذكر المؤرخون أن أولاد الملك عامر بن طاهر عندما خالفوا الملك عامر بن عبدالوهاب في بداية حكمه سنة ٨٩٤هـ، انتهبوا الدار التي بناها المنصور بجبن، وخربوا بعضها[٣].

خامساً: الإستحكامات الحربية بمدينة زبيد:

عندما تولى الملك المنصور السلطة، أراد أن يحصن مدينة زبيد لأهميتها من هجمات المعتدين والمغيرين عليها من القبائل المعتدية أو من أعداء الدولة الطاهرية، وكان من أهم الإنشاءات العسكرية التي قام بها الملك المنصور في عهده هي:

١. حفر الخندق: ففي نفس العام الذي تولى فيه الملك المنصور في عام ٨٨٣هـ، أمر بحفر خندق[٤] من داخل مدينة زبيد، دائراً على حصن دار السلاح على باب الشبارق[٥]، ويُعد هذا الخندق خندقاً جزئياً يدور حول حصن دار السلاح كما ذكر ابن الديبع وذلك لحماية هذا الحصن لأهميته من الإستيلاء عليه.

---

١ قلادة النحر، بامخرمة، ٤٩٨/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٦٥، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢١.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٤، قلادة النحر، بامخرمة، ص٥٠٣، غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٦.

٣ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٦، قلادة النحر، بامخرمة، ص٥٠٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٨١.

٤ كان لزبيد خندقين يحيط الأول بالسور الأول، وهو السور الذي بناه الحسين بن سلامة ٤٢٦هـ، والذي تم تجديده في عهد دولتي بني نجاح ٥٥٤هـ، وبني مهدي ٥٦٩هـ، وجدده أيضاً طغتكين الأيوبي ٥٨٩هـ، ويبدو أن طغتكين بعد بنائه لسور آخر يحيط بالمدينة سنة ٥٩٣هـ وهو المذكور هنا بالسور الثاني أحاطه هو الآخر بخندق وهو المذكور هنا باسم الخندق الثاني، وهذا يعني أن الخندق الأول كان يقع في المساحة التي تفصل بين السورين والتي كان قد أمر بإقامة العسكر فيها، كما ذكرت المصادر وجود خندق ثالث في زبيد لكنه خندق جزئي وهو الذي أمر السلطان الطاهري المنصور عبدالوهاب بحفره سنة ٨٨٣هـ داخل مدينة زبيد حول دار السلاح التي بناها على باب الشبارق. أنظر: الإستحكامات الحربية بمدينة زبيد، عبدالله الحداد، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ط٢٠٠٤م، ص١٤٨.

٥ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٨.

٢. تجديد برج وباب النخل: من المرجح أن باب النخل ومعه الطابق الأرضي من برجه المثمن يعود إلى عهد الدولة الأيوبية في اليمن وبالتحديد إلى فترة بناء السور الثاني لزبيد علي يد السلطان طغتكين الأيوبي سنة ٥٩٣هـ، حيث أن هذا الباب هو الوحيد الذي جاء منكسراً، كما أن الطابق الأرضي من البرج هو الوحيد الذي جاء شكله مثمناً بين أبراج سور المدينة والقلعة، أما الطابق الأول من البرج فذو شكل اسطواني ومن المحتمل أنه يعود إلى التجديد الطاهري للباب سنة ٨٨٠هـ على يد السلطان المنصور عبدالوهاب بن داود[١].

١ الإستحكامات الحربية بمدينة زبيد، الحداد، ص٤٢٤.

المبحث الثاني

الحياة العلمية في عصر الملك المنصور واهتمامه بالعلم والعلماء

أولاً: اهتمامه بالعلم والعلماء: كان الملك المنصور محباً للعلم والعلماء، فكانت تعقد في حضرته مجالس العلم، وتقرأ الكتب العلمية والشرعية بحضوره وبقراءة وحضور كبار العلماء، وكان مشجعاً لطلاب العلم والعلماء.

ويذكر العلامة المؤرخ عبدالرحمن ابن الديبع بعضاً من مجالس العلم، التي كانت تعقد في حضور الملك المنصور وكبار علماء اليمن، فذكر ابن الديبع أنه في يوم الأحد العاشر من ربيع الأول سنة ٨٩٠هـ، عمل الملك المنصور سماطاً معظماً بمدينة زبيد في الدار الكبير منها، وحشد إليه وجوه الناس، وأمر بقراءة مولد النبي ﷺ، في مدرسته المباركة فقرئ ليلة الاثنين الحادي عشرة منه، وكان القارئ له شيخنا القاضي جمال الدين مُحَمَّد بن عبدالسلام الناشري وحضر القراءة الملك المنصور، وشيخنا شيخ الاسلام وجيه الدين عبدالرحمن بن الطيب الناشري في جمع عظيم[١].

ويذكر العلامة ابن الديبع أيضاً بعض مجالس العلم، والتي كان حاضراً وقارئاً فيها كبار مشايخه في ذلك الوقت وهم من كبار علماء اليمن، ففي عام ٨٩١هـ وصل السلطان إلى زبيد وأقام بها، ثم قرئ بحضرته كتاب الشفا للقاضي عياض، بالدار الكبير الناصري، والقارئ له حينئذ شيخنا القاضي جمال الدين مُحَمَّد بن عبدالسلام الناشري، وشيخ المجلس شيخنا شيخ الإسلام وجيه الدين عبدا لرحمن بن الطيب الناشري[٢].

تقريبه ومصاحبته للعلماء: من العلماء الذين كان يقربهم الملك المنصور كما مرّ معنا شيخ الإسلام وجيه الدين عبدالرحمن بن الطيب الناشري، وجمال الدين مُحَمَّد بن عبدالسلام الناشري، ومن الذين كان يقربهم الملك المنصور ويستعين بهم في إدارة شؤون البلاد، القاضي شرف الدين أبي القاسم بن مُحَمَّد الجلاد فقد ولاه وظيفة الإستيفاء بزبيد، والقاضي تقي الدين عمر بن عبدالمجيد الناشري، والشهاب أحمد بن عبدالقادر السباك المعروف بالدنح فقد ولاه نظر الوقف والمساجد والمدارس بزبيد وأعمالها،

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٠، قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠١/٦.

٢ قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٢/٦، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٢.

وولي الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن إبراهيم العلوي والفقيه مُحَمَّد الهمام في عمالة الديوان، وقاضي حيس الفقيه أحمد البجلي الإستيفاء[1].

ومن العلماء الذين أحبهم الملك المنصور، وقربه وجعله في صحبته وصحبة ابنه عامر، الشيخ علي بن أحمد الناشري فقد مرّ معنا أن الشيخ يوسف بن عامر بن طاهر كان قد أودع مالاً عند جماعة من أهل البلد زبيد، كالقاضي علي بن أحمد الناشري، فطالب الملك المنصور بها فسلموها إليه إلا القاضي علياً فإنه أنكر ذلك فطلب المنصور يمينه فحلف، إذ كان يجوز له ذلك وهو أعلم بجوازه، فكان ذلك سبب سقوطه عند الملك المنصور، فعزله من القضاء بالقاضي تقي الدين عمر بن عبدالمجيد الناشري.

"ثم رضي عنه بعد ذلك، وألزمه صحبته وأعلى محلته، ثم اتصل بصحبة ولده الملك الظافر صلاح الدين عامر بن عبدالوهاب فسافر معه وأنس به وحصل بينهما اتحاد عظيم، وأحبه الملك الظافر حباً شديداً وبقي على أسبابه لم يذهب عنه إلا محنة الحكم بين الناس، ولم تطل مدة القاضي عمر بن عبدالمجيد بعد ذلك بل توفي إلى رحمة الله في يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة، واستمر عوضه شيخنا القاضي جمال الدين مُحَمَّد بن عبد السلام الناشري قاضياً بزبيد عصر يوم الخميس الثامن من رمضان إلى وقتنا هذا وناب في القضاء مدة مرض القاضي عمر بن عبدالمجيد وبعد وفاته إلى ولاية القاضي جمال الدين، شيخنا العلامة تقي الدين حمزة بن عبدالله الناشري بإذن شيخنا شيخ الاسلام وجيه الدين عبدالرحمن بين الطيب الناشري له في ذلك[2].

ثانياً: بنائه المدارس العلمية والمساجد:

كان للملك المنصور دور كبير في بناء المدارس العلمية، واهتماماً واضحاً بالعلم والعلماء، لذلك نهضت الحركة العلمية في عصر الدولة الطاهرية، واهتم ملوك بني طاهر بنشر العلم في اليمن، وبنوا لذلك المدارس العلمية وأوقفوا لها الأوقاف، وأجروا عليها الأموال، وعينوا لها المدرسين من العلماء والفقهاء، واستدعوهم من جميع أنحاء اليمن للقيام على هذه المدارس وتعليم أبناء اليمن أهم العلوم الشرعية والدنيوية، ومن أهم المدارس العلمية التي بناها الملك المنصور:

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع ص١٦٥، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢١.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٨.

١. **المدرسة المنصورية بزبيد:** أمر السلطان الملك المنصور بعمارة مدرسته المنصورية بمدينة زبيد، فابتديء في ذلك صبح يوم الأحد السادس من شعبان من سنة ٨٨٤ هـ كما ذكر ذلك المؤرخ ابن الديبع[١]، وذكرها يحي بن الحسين في غاية الأماني[٢].

وتعرف هذه المدرسة كذلك بالمدرسة الوهابية، وقال الإمام السخاوي في ترجمة علي بن مُحَمَّد بن عيسى بن عُطيف العدني أنه درس الفقه في المدرسة التي جددها عبدالوهاب بن داود[٣].

وقد تولى نظارة المدرسة المنصورية بزبيد عفيف الدين عبدالحفيظ بن عمر البزاز المتوفي يوم الثلاثاء الثاني من محرم ٩١٤هـ، وخلفه ولده عبدالرحمن في وظيفته.

وممن درس بهذه المدرسة الفقيه علي بن مُحَمَّد بن عيسى بن عُطيف العدني، الملقب نور الدين الشافعي. تفقه بأبيه فقرأ عليه الكافي للصّردفي نحو ثمانين مرة، ثم ارتحل إلى عدن، فأخذ عن قاضيها الجمال ابن كُبّن الفقه ولازمه نحو ثلاث سنوات فانتفع به، ثم لازم مُحَمَّد بن مسعود الأنصاري، ولزم قاضي عدن أبا عبدالله مُحَمَّد بن عمر الجزيري.

سكن مكة المكرمة، ورحل إلى الديار المصرية مرتين، فأخذ عن الجلال المحلي والشرف المناوي، ورحل إلى الشام وأخذ عن البلاطلسي، والبدر ابن قاضي شهبة، وأُذن له في الإفتاء والتدريس وزار بيت المقدس، وقرأ فيه على أبي اللطف الحصكفي، ورجع إلى مكة فتصدى لإقراء الفقه بها والفتيا، وانتفع به جماعة، واستقر في صوفية الزمامية والجمالية، ثم تركها، كان على صلة بالمجاهد علي بن طاهر، فكان يرسل إليه بصدقته، وهي ألف دينار ليفرقها على فقراء مكة، فتبسط واتسع حاله من ثمّ، وابتنى له دوراً عظيمة.

ثم بدا له التوجه لبلاده للزيارة أو غيرها، فوجد المدرسة التي جددها الملك عبدالوهاب بن داود بن طاهر بزبيد قد انتهت فعينه لتدريسها، فأقرأ بها في شهر رمضان سنة ٨٨٥هـ البخاري، وسافر في شوال إلى مكة بعد أن استناب في تدريسها الفقيه الكمال موسى بن الرداد، ودخل مكة وهو متوعك، فأقام كذلك مدة إلى أن مات في ليلة الإثنين رابع جمادى الأولى سنة ٨٨٦هـ، وكان مولده في قرية السلامة سنة ٨١٢هـ[٤].

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٥٨.
٢ غاية الأماني، يحي بن الحسين، ص٦١٥.
٣ المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٦م، ص٣٢٨.
٤ الضوء اللامع، السخاوي، ١٣٥/٣، المدارس الإسلامية، إسماعيل بن علي الأكوع، ص٣٢٨.

وممن درّس في المدرسة المنصورية بزبيد الفقيه العلامة موسى بن مُحَمَّد بن موسى بن أحمد بن أبي بكر الشهير جده بالرداد، فقيهُ زبيد.

أخذ الفقه وأصوله عن عمر المفتي، والنور بن عطُيف، والقاضي الجمال مُحَمَّد الطيب الناشري، والشمس علي بن مُحَمَّد الشرعبي، ويوسف بن يونس الجبائي المقريء، وشرف بن عبدالله بن محمود الشيفكي الشيرازي، حين قدم عليهم زبيد.

استقر في مدرسة المنصور عبدالوهاب الطاهري بعد شيخه الفتى، وانتفع به الفضلاء في الفقه، وهو خالٍ عن اعتقاد جده[1] كما ذكر العلامة السخاوي[2]، ومن آثاره شرح الإرشاد.

وقال عنه الإمام الشوكاني في البدر الطالع: ولد سنة ٨٤٢هـ وحفظ مختصرات وأخذ عن الجمال مُحَمَّد بن أبي بكر، وعمر الفتى والعفيف الناشرى، وبرع لا سيما في الفقه وصنف شرحا للإرشاد، ودار عليه الفتيا ببلده وعظمه سلاطينها فكثرت جهاته وأمواله ومات يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم سنة ٩٢٣هـ بزبيد ودفن بها[3].

وممن درس بها مُحَمَّد بن إسماعيل بن مُحَمَّد بن أحمد بن مبارز.

ودرس بها أبو حفص عمر بن مُحَمَّد بن مُعيبد السرّاج، المعروف بالفتى.

ودرس بها الفقه الإمام عبدالرحمن بن عبدالكريم الغيثي الزبيدي.

ودرس بها بعده ابنه الشيخ عبدالسلام بن عبدالرحمن الغيثي.

وأم بها مُحَمَّد بن سليمان المعروف بابن الطويل، كان عالماً في التفسير والفقه والحديث.

ولد في بيت الفقيه في ذي الحجة سنة ٨٤٦هـ، وكان حياً إلى سنة ٨٩٧هـ[4].

٢. المدرسة المنصورية بجبن:

في جبن ما تزال عامرة وإن كان الخراب قد بدأ يسري في أطرافها.

وقد بناها السلطان المنصور عبدالوهاب وقد ذكر ذلك ابن الديبع في بغية المستفيد[5]، وذكرها أيضاً يحي بن الحسين في غاية الأماني[1].

---

١ جده: هو أحمد الرداد كان من أتباع ابن عربي القائل بوحدة الوجود وغير ذلك من الشطحات الغريبة. أنظر: الضوء اللامع، السخاوي، ١٠٠/٥، المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، ص٣٣٠.

٢ الضوء اللامع، السخاوي، ١٠٠/٥.

٣ البدر الطالع، الشوكاني، ٣٠٦/٢.

٤ المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، ص٣٣١.

٥ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٩.

وفرغ من بنائها سنة ٨٨٧هـ، وقد استخدم في بنائها إسطوانات رشيقة دعائم جميلة من المرمر، ومن المحتمل أن المنصور عبدالوهاب قد أمر بنقل تلك الإسطوانات التي يقوم عليها صحن المدرسة وأروقتها من ظفار ذي ريدان العاصمة الحميرية[٢].

٣. المدرسة المنصورية في المقرانة:

بناها الملك المنصور في المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية وموطنهم، كما ذكر ذلك ابن الديبع في تاريخه قرة العيون وكتابه بغية المستفيد[٣]، وذكرها أيضاً يحي بن الحسين في غاية الأماني[٤].

والمقرانة قرية تقع في عزلة حجاج من مديرية جبن، وقد اندثرت هذه المدرسة ولم يبقى منها إلا أطلالاً وبقايا ركام، بعد أن مرّ عليها الزمان، والظاهر أنها قد تم تدميرها عند دخول الشراكسة المماليك إلى المقرانة عاصمة الدولة الطاهرية والإستيلاء عليها، أو عند استيلاء الأئمة الزيدية عليها بعد ذلك، وسنتكلم عن ذلك عند ذكر سيرة الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب.

٤. **المدرسة المنصورية في خُبان:** وهذه المدرسة ذكرها كذلك ابن الديبع في تاريخه، يقول رحمه الله: "ومدرسة عظيمة بمدينة خبان"[٥]، وخبان هي من المناطق الوسطى في محافظة إب في وسط اليمن.

٥. **مدرسة جسار:** ذكرها العلامة المؤرخ محمد الشلي في كتابه السنا الباهر بتكميل النور السافر[٦].

وقال القاضي إسماعيل الأكوع لم يعرف الإسم الصحيح للمدينة في المراجع كلها، وقد كتبها القاضي محمد بن علي الأكوع في تعليقه على قرة العيون خبان مع أنه لا يوجد في خبان مدينة تحمل هذا الإسم، ولعلها قرية حُبّان بجوار النادرة، أو قرية حَبّان في ضواحي مدينة رداع، ولا أثر لوجود المدرسة في هاتين القريتين، مع أن الديبه وصفها في بغية المستفيد بأنها مدرسة عظيمة، وفي السنا الباهر سماها جسار[٧].

---

١ غاية الأماني، يحي بن الحسين، صص٦١٥.
٢ المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوع، ص٣٣١.
٣ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٥، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٩.
٤ غاية الأماني، يحي بن الحسين، صص٦١٥.
٥ قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٥، بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٨٢.
٦ السنا الباهر بتكميل النور السافر، العلامة محمد بن أبي بكر الشلي، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص١٦٣.
٧ المدارس الإسلامية، اسماعيل الأكوع، ص٣٢٩، قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٥.

وكان للملك المنصور كما ذكرنا اهتمام بإنشاء المدارس الإسلامية والمساجد، وكذلك عمارة ما تشعث منها أو يحتاج إلى ترميم، ففي ربيع الثاني من عام ٨٩١هـ، أمر الملك المنصور بعمارة مسجد الأشاعر بزبيد وكان قد أشرف على الخراب فعمر كما قدمنا أولاً[١].

"وفي مدة إقامته بزبيد أمر القضاة والعلماء بزبيد بعمارة ما تشعث من المدارس والمساجد، فامتثلوا طائعين وعمرت كما رسم وأبرم"[٢].

ومآثر الملك المنصور في عمارة وإنشاء المدارس العلمية والمساجد كثيرة جداً، وقد ذكر منها العلامة المؤرخ ابن الديبع رحمه الله فقال: "ومن مآثره الدينية، المنصورية بمدينة زبيد، وعمارة مسجد الأشاعر بها، وزيادة جامع عدينة من تعز، ومنبر الخطبة الذي نصبه في الزيادة المذكورة ليس له في اليمن نظير، ومدرسة بالمقرانة وأخرى بجبن، والبركة الصغرى بجامع زبيد ومرافقها، ومدرسة عظيمة بمدينة خبان، ومسجد بمدينة إب، وما لا يحصى رحمه الله تعالى"[٣].

وقد أمر الملك المنصور بعمارة مسجد الأشاعر، وكان قد أشرف على الخراب، فعمره عمارة جيدة[٤].

وفي الأخير يجب أن نعلم أن جميع المؤرخين قد أجمعوا على أنه كان لبني طاهر الدور الأكبر في النهضة الحضارية التي برزت في القرن التاسع والعاشر الهجري، "فقد كان لبني طاهر إسهامات حضارية جيدة في اليمن فهم بنوا مدينة المقرانة في رداع، وشيدوا العمران والمدارس والمساجد، وشهدت البلاد نهضة علمية ممتازة في هذا العهد[٥]".

---

١ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧١.

٢ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٧٩.

٣ بغية المستفيد، ابن الديبع، ص١٨٢.

٤ قلادة النحر، بامخرمة، ٥٠٢/٦.

٥ موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، أحمد معمور العسيري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ٢٧٨/١.

المبحث الثالث
وفاة الملك المنصور

كان الملك المنصور مقيماً في مدينة جبن في أواخر حياته، وفي مرضه الذي توفي فيه، "وكان الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب في ذلك الوقت بدينة زبيد، حيث أمر القضاة والعلماء بزبيد بعمارة ما تشعث من المدارس والمساجد، فامتثلوا طائعين، وعمرت كما رسم وأبرم، ثم طلع في سنة ٨٩٤هـ إلى تعز يوم السبت السادس من ربيع الأول، ثم طلع إلى جبن فاجتمع بولده هناك[١].

ثم مرض والده الملك المنصور مرض الموت، وذلك بالرياح التي كانت تعتاده في رجله، فلم يزل عنده ابنه عامر إلى أن توفاه الله تعالى عشية الثلاثاء السابع من جمادي الأولى سنة ٨٩٤هـ ببلده جبن، ودفن بها صبح يوم الخميس التاسع من الشهر المذكور، وعظم به مصاب المسلمين أدخله الله برحمته في عباده الصالحين، وملكه أعلى مرتبة في عليين آمين، أمين.

ودخل الملك الظافر بذلك زبيد صبح الجمعة السادس من جمادى الأولى، في أبهة عظيمة، فلبث بزبيد أياماً تصدق فيها بنحو ثلاثمائة أشرفي ذهباً، وثلاثمائة مد من الطعام بالمد الزبيدي"[٢].

وكان الملك عبدالوهاب بن داود شجاعاً جليلاً مُكْرِماً للوافدين سخياً عدلاً في رعيته[٣].

وبهذا انتهت سيرة الملك المنصور عبدالوهاب بن داود بن طاهر رحمه الله تعالى، وقد خلفه بعد وفاته الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب، وهو أعظم وأقوى ملوك بني طاهر، وسنذكر سيرته في الجزء الثاني من هذا التاريخ العظيم تاريخ الدولة الطاهرية.

هذا ما انتهيت إليه في هذه الدراسة التاريخية "الدولة الطاهرية عوامل النهوض وأسباب السقوط، الجزء الأول الملوك المؤسسين"، أسأل الله عزوجل أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، وأسأله تعالى أن

---

[١] قرة العيون، ابن الديبع، ص٥٢٤.

٢ بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، ابن الديبع، ص١٧٦.

[٣] وجيز الكلام، السخاوي، ١١٠٨/٣.

يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يتقبل منا صالح أعمالنا، وأن ينفعني والمسلمين بهذا، وبالله التوفيق والله أعلم، وصلى الله على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

" تم بحمدلله تعالى "

كتبه. إسماعيل مصلح أبوسويد

في جماد الآخر ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٥م

وتم مراجعته في يوم الخميس ٢٤/١/٢٠١٩م.

قائمة المراجع

أولاً: كتب التفسير:

١. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين إسماعيل بن كثير، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م.

٢. الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدالله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الحديث القاهرة، طبعة ٢٠٠٢م.

٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

ثانياً: كتب الحديث:

٤. المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام ابو زكريا يحي بن شرف النووي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٥. صحيح الإمام البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، مكتبة الإيمان المنصورة، مصر الطبعة الأولى.

٦. سنن الترمذي، أبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق د. مصطفى الذهبي، دار الحديث القاهرة مصر الطبعة الأولى١٩٩٩م.

ثالثاً: كتب التاريخ:

٧. الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق عبدالنعيم ضيفي، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة مصر، طبعة ٢٠٠٦م.

٨. إتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباء الزمن، عبدالملك بن حسين الآنسي، تحقيق القاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي، ملحق العدد الثالث من مجلة كلية الآداب منشورات جامعة صنعاء مارس سنة ١٩٨١م.

٩. إتحاف الورى بأخبار أم القرى، عمر بن فهد، تحقيق فهيم شلتوت، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث في جامعة ام القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٠. إنباء الغمر بأبناء العمر، أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق د حسن حبشي، الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي مصر، طبعة ١٩٦٩م.

١١. أشعة الأنوار على مرويات الأخبار، مُحَمَّد بن سالم البيحاني، دار إحياء التراث الإسلامي قطر الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

١٢. البداية والنهاية، إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تحقيق مُحَمَّد بيومي وعبدالله المنشاوي ومُحَمَّد رضوان مهنا، الناشر مكتبة الإيمان المنصورة مصر.

١٣. البحر الزاخر في أخبار الأوائل والأواخر، مصطفى بن حسن الجنابي، المطبعة الأميرية بولاق مصر، الطبعة الأولى ١٣١٢هـ.

١٤. البرق اليماني في الفتح العثماني، قطب الدين مُحَمَّد بن أحمد النهروالي المكي، منشورات دار اليمامة الرياض السعودية، الطبعة الأولى ١٩٦٧م.

١٥. بغية المستفيد في تاريخ زبيد، عبدالرحمن بن علي بن الديبع الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.

١٦. بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، القاضي حسين بن أحمد العرشي، مراجعة مُحَمَّد سالم شجاب، طباعة مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

١٧. بنو رسول وبنو طاهر، د. مُحَمَّد عبدالعال، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، طبعة ١٩٨٩م.

١٨. البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، عبدالواحد مُحَمَّد راغب، مطابع مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر القاهرة مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

١٩. تاريخ إبّ دراسة لمدينة إب وما حولها، د. مُحَمَّد مظفر الأدهمي، منشورات جامعة إب اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

٢٠. تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها، الإمام الطيب بن عبدالله بامخرمة، تحقيق علي حسن الحلبي، دار الجيل بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

٢١. تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري اليافعي، المطبعة السلفية مصر الطبعة الأولى ١٣٥٤ هـ.

٢٢. تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، أحمد بن عبدالله شنبل، تحقيق عبدالله الحبشي، الناشر مكتبة صنعاء الأثرية صنعاء اليمن الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.

٢٣. تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، المحقق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة ١٩٩٥م.
٢٤. تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، مؤلف مجهول عاش في القرن التاسع، تحقيق عبدالله الحبشي، مطبعة الكتاب العربي دمشق سوريا، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
٢٥. تاريخ الدولة الكثيرية، مُحَمَّد هاشم، تريم للدراسات والنشر حضرموت اليمن الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
٢٦. تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، مُحَمَّد بن عمر الطيب بافقيه، تحقيق عبدالله مُحَمَّد الحبشي، طباعة مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٢٧. تاريخ الدولة الطاهرية، مُحَمَّد أحمد مقبل الفيصلي، وزارة الثقافة والسياحة الهيئة العامة للكتاب دار الكتاب صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٢٨. تاريخ العاصمة الطاهرية، نزار خضير العبادي، لم أجد له كتاباً مطبوعاً بهذا الأسم وإنما نقل قوله هذا من بعده من الباحثين الذي استندوا لقوله.
٢٩. التاريخ العامر لليمن، مُحَمَّد يحي الحداد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
٣٠. تاريخ عسير، إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي، تحقيق مُحَمَّد بن مسلط الحفظي.
٣١. تاريخ مدينة زبيد، كمال الدين موسى بن أحمد الذؤالي الزبيدي، تحقيق عبدالله الحبشي، طباعة مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م.
٣٢. تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، العلامة عبدالواسع بن يحي الواسعي، مكتبة اليمن الكبرى صنعاء للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٩١م.
٣٣. تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن، العلامة بدر الدين الحسين بن عبدالرحمن بن مُحَمَّد الأهدل الحسيني، تحقيق الأستاذ عبدالله الحبشي،مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى٢٠١٢م.
٣٤. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، مُحَمَّد بن عبد الرحمن السخاوي، الناشر الكتب العلميه، بيروت لبنان، الطبعة الاولى ١٩٩٣م.
٣٥. الثناء الحسن على أهل اليمن، مُحَمَّد بن عبدالملك المروني، الناشر دار الندى للطباعة والنشر بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٩٩٠م.

٣٦. الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، مُحَّد بن مُحَّد ظهيرة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٣٧. حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، جمال الدين ابن تغرى بردى، تحقيق مُحَّد كمال الدين، عالم الكتب بيروت لبنان، طبعة ١٩٩٠م.
٣٨. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمَّد أمين بن فضل الله المحبي الحموي، طبعة دار صادر بيروت لبنان.
٣٩. خلاصة من تاريخ اليمن، ممحمد بن أحمد الحجري، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
٤٠. خلاصة السلاف في أخبار صبيا والمخلاف، العلامة أحمد بن مُحَّد النمازي الصبيابي، تحقيق د. درويش مُحَّد الأهدل ومُحَّد عفيف الأهدل، دار الكتب اليمنية، الطبعة الأولى ٢٠١١م.
٤١. الدر الكمين بذيل العقد الثمين، عمر بن فهد الهاشمي المكي، تحقيق عبدالملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
٤٢. الدولة الأموية، د. علي الصلابي، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع القاهرة مصر الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٤٣. الدولة الرسولية في اليمن دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية، مُحَّد الفيفي، الناشر الدار العربية للموسوعات طبعة ٢٠٠٥م.
٤٤. روّحُ الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، عيسى بن لطف الله شرف الدين، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٤٥. روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار، عماد الدين إدريس بن الأنف القرمطي، تحقيق العلامة مُحَّد بن الأكوع، منشورات الهيئة العامة اليمنية للكتاب صنعاء، طباعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، طبعة ١٩٩٥م.
٤٦. السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية، جمال الدين بن مُحَّد بن إبراهيم شرف الدين، تحقيق عبدالملك بن مُحَّد الطيب، لا توجد دار طباعة أو سنة طباعة.

٤٧. السلوك في معرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تهذيب الدكتور رجب محمود بخيت، مكتبة جزيرة الورد القاهرة مصر، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٤٨. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبدالملك بن حسين العصامي المكي، عبدالموجود معوض، الدار العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٤٩. السنا الباهر بتكميل النور السافر، العلامة مُحَمَّد بن أبي بكر الشلي، تحقيق إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٥٠. الشحر عبر التاريخ، خميس حمدان، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

٥١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، تحقيق محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، الناشر دار ابن كثير دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٥٢. شفاء الغرام، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، أبو الطيب مُحَمَّد بن أحمد المكي الحسني الفاسي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى٢٠٠٠م.

٥٣. الشهداء السبعة، مُحَمَّد عبدالقادر بامطرف، دار الحرية للطباعة بغداد العراق، طبعة ١٩٧٤م.

٥٤. الشهداء السبعة، مُحَمَّد عبدالقادر بامطرف، دار الهمداني للطباعة والنشر عدن، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

٥٥. الصراع مابين الإسلام والصليب في الحبشة، برهان زينو أحمد.

٥٦. العسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك، علي بن الحسن الخزرجي، دار الفكر دمشق الطبعة الثانية ١٩٨١م.

٥٧. العقبة دراسة تحليلية لجانب من عدن، عبدالله أحمد محيرز، وزارة الثقافة مؤسسة ١٤ أكتوبر للصحافة والطباعة والنشر عدن.

٥٨. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مُحَمَّد بن أحمد الفاسي المكي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٥٩. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، على بن الحسن الخزرجي، تحقيق مُحَمَّد بسيوني، دار صادر بيروت لبنان، مطبعة الهلال مصر ١٩١٤م.

٦٠. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحي بن الحسين بن القاسم، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة مصر طبعة ١٩٦٨م.

٦١. الفتح العثماني الأول لليمن، الدكتور سيد مصطفى سالم، دار جامعة صنعاء للنشر والتوزيع، الطبعة السابعة ٢٠١٠م.

٦٢. الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية، عبدالله صلاح الدين بن داعر، مخطوطة رقم ٩٧٩ من مكتبة راغب باشا من موقع كتاب بيديا.

٦٣. الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، عبدالرحمن بن علي الديبع، تحقيق الدكتور يوسف شلحد، طباعة مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، طبعة ١٩٨٣م.

٦٤. قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني، تحقيق العلامة مُحَّد بن علي الأكوع، طباعة مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٦٥. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو مُحَّد عبدالله الطيب بن عبدالله بن احمد بامخرمة الحضرمي، تحقيق بو جمعة مكري وخالد زواري، طبعة دار المنهاج جدة السعودية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٦٦. الكتاب الظاهري تاريخ الدولة الرسولية باليمن، جمال الدين مُحَّد بن علي الحاسب المصري، تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.

٦٧. اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، العلامة مُحَّد بن اسماعيل الكبسي، تحقيق خالد الأذرعي، طباعة مكتبة الجيل الجديد صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٦٨. مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ويسمى اللواحق الندية، مُحَّد بن علي الزحيف المعروف بابن فند، النشر دار الإمام زيد بن علي الثقافية للنشر والتوزيع صنعاء اليمن الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٦٩. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، مُحَّد بن مكرم ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى، تحقيق روحية النحاس وآخرين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٧٠. المختصر في تاريخ حضرموت العام، مُحَّد عبدالقادر بامطرف، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المكلا حضرموت، طبعة ١٩٧٣م.

٧١. مختصر التاريخ السياسي للمخلاف السليماني، حسين صديق الحكمي.
٧٢. المدارس الإسلامية في اليمن، القاضي اسماعيل بن الأكوع، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، مكتبة الجيل الجديد، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
٧٣. المقتطف في تاريخ اليمن، عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، بيروت لبنان ١٩٨٦م.
٧٤. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، أحمد معمور العسيري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٧٥. الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، تقديم د. راغب السرجاني، إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، مؤسسة إقرأ القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.
٧٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، تهذيب رجب محمود بخيت، الناشر مكتبة جزيرة الورد ومكتبة الإيمان القاهرة مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
٧٧. هجر العلم ومعاقلة في اليمن، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
٧٨. هذه هي اليمن الأرض والإنسان والتاريخ، للأستاذ عبدالله احمد مُحَمَّد الثور، ١٩٦٩م.
٧٩. وقائع من تاريخ يافع، محسن بن محسن ديان، مطبعة الكاتب العربي دمشق سوريا، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٨٠. وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، مُحَمَّد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
٨١. اليمن الإنسان والحضارة، القاضي عبدالله بن عبدالوهاب المجاهد الشماحي، منشورات المدينة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.
٨٢. اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، مطبعة السنة المحمدية مصر، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.

رابعاً: كتب التراجم والأعلام:

٨٣. الأغصان لمشجرات أنساب عدنان وقحطان، علي بن عبدالكريم الفضيل شرف الدين، مكتبة العزيزية الرياض الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

٨٤. الأعلام، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الناشر دار العلم للملايين، بيروت لبنان الطبعة الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢م.
٨٥. الإمام زيد بن علي، مُحَمَّد أبو زهرة، دار الفكر العربي المعاصر مصر.
٨٦. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الإمام مُحَمَّد بن علي الشوكاني، الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة مصر.
٨٧. خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، أحمد بن زيني دحلان، المطبعة الخيرية مصر الطبعة الأولى ١٣٠٥هـ.
٨٨. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير مُحَمَّد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة مصر.
٨٩. طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، عبد الوهاب البريهي السكسكي اليمني، تحقيق عبد الله مُحَمَّد الحبشي، الناشر مكتبة الارشاد صنعاء اليمن، طبعة ١٩٩٤م.
٩٠. طبقات الزيدية الكبرى، ويسمى بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، للسيد العلامة إبراهيم ابن القاسم بن المؤيدبالله، من إصدارات مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن.
٩١. طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي الجعدي، تحقيق فؤاد السيد، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
٩٢. السلوك في طبقات العلماء والملوك، القاضي بهاء الدين مُحَمَّد بن يوسف الجندي السكسكي، تحقيق مُحَمَّد بن علي الأكوع، طبعة مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
٩٣. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.
٩٤. مناقب أبي حنيفة، حافظ الييني الكردي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، طبعة ١٤٠١هـ.

خامساً: كتب معاجم البلدان والقبائل وللغات:

٩٥. البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، القاضي إسماعيل بن علي الأكوع، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، مكتبة الجيل الجديد صنعاء الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
٩٦. صفة جزيرة العرب، أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق مُحَمَّد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد صنعاء اليمن الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.

٩٧. مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مُحَمَّد أحمد الحجري، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، صنعاء اليمن الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
٩٨. مخاليف اليمن، العلامة إسماعيل بن علي الأكوع، تحقيق عبدالله السراجي، طباعة الجيل الجديد صنعاء اليمن، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م.
٩٩. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي صفيّ الدين، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١٠٠. معجم البلدان، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الفكر بيروت لبنان ١٩٩٠م.
١٠١. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.
١٠٢. معجم البلدان والقبائل اليمنية، إبراهيم أحمد المقحفي، دار الكلمة للطباعة والنشر صنعاء اليمن والمؤسسة الجامعية للدراسات بيروت لبنان، طبعة ٢٠٠٢م.
١٠٣. دليل الدول الإفريقية، د. مُحَمَّد عاشور مهدي، الناشر معهد البحوث والدراسات الإفريقية، طبعة ٢٠٠٧م.

سادساً: فرق وأديان:

١٠٤. الإمام زيد بن علي ودعاوى الفرق، إعداد مركز الحقيقة للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
١٠٥. الرسالة الوازعة، المؤيد بالله يحي بن حمزة الحسيني، دار النشر للجامعات صنعاء اليمن، الطبعة الأولى ٢٠١١م.
١٠٦. الزيدية نشأتها ومعتقداتها، اسماعيل بن علي الأكوع، الناشر الجيل الجديد صنعاء اليمن، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧.
١٠٧. الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، الناشر إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، الطبعة العاشرة ١٩٩٥م.
١٠٨. فرق وأديان معاصرة، السيد أحمد أبوسيف، مكتبة الإيمان المنصورة مصر طبعة ٢٠٠٨م.
١٠٩. فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، دار أضواء بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١١٠. الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد البغدادي، دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

١١١. الفهرست للنديم، مُحَمَّد بن يعقوب بن إسحاق، تحقيق رضا تجدد، مطبعة دانكشاه طهران.

١١٢. مسائل الإمامة، عبدالله بن مُحَمَّد الناشيء الأكبر، تحقيق يوسف فان إس، دار النشر فرانتش شتاينر بيروت، طبعة ١٩٧١م.

١١٣. الملل والنحل، مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق مُحَمَّد سيد كيلاني، الناشر دار المعرفة بيروت لبنان طبعة ١٤٠٤هـ/١٩٨٢م.

١١٤. المنية والأمل في شرح الملل والنحل، المهدي أحمد بن يحي المرتضى، تحقيق الدكتور مُحَمَّد جواد مشكور، دار الندى.

سابعاً: الرسائل العلمية:

١١٥. الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب، مُحَمَّد ربيع المدخلي، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة الإسلامية جامعة ام القرى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٨٥م.

١١٦. الإستحكامات الحربية في مدينة زبيد، عبدالله عبدالسلام الحداد، رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية الآثار جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م، إصدار وطباعة وزارة الثقافة والسياحة صنعاء، الطبعة الأولى٢٠٠٤م.

١١٧. الحياة العلمية في عهد الدولة الطاهرية، عاشور عبود سالم، رسالة ماجستير قدمت لقسم التاريخ كلية الاداب جامعة عدن سنة ٢٠٠٣م.

١١٨. الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع حتى سيطرة العثمانيين عليها، عبدالغني الأهجري، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم التاريخ كلية الآداب جامعة المنصورة مصر، سنة ٢٠٠٨م.

١١٩. صراع الطاهريين مع أئمة الزيدية، علي هادي الطياري، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ كلية الآداب جامعة عدن، نوقشت ٢٠١٣م.

١٢٠. عدن في عهد الطاهريين، د. عباس علوي، رسالة دكتوراه قدمت لقسم التاريخ كلية الآداب جامعة صنعاء، ٢٠١١م.

١٢١. الوجود المملوكي في اليمن، أحمد سالم بن شيبان، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ كلية الاداب جامعة عدن سنة ١٩٩٨م، طباعة دار الثقافة العربية الشارقة الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

ثامناً: المواقع الإلكترونية:

١٢٢. تاريخ النقود في مدينة عدن، مُحَمَّد زكريا، مقالة صحفية، صحيفة ١٤ أكتوبر العدد رقم (١٣٨٦١) ٢٧/٨/٢٠٠٧م، موقع صحيفة ١٤ أكتوبر.

١٢٣. الحبشة والعالم الإسلامي .. عداوة قديمة، شريف عبد العزيز، مقالة في موقع قصة الإسلام.

١٢٤. العملة والتداول النقدي بعدن في عصر الدولة الطاهرية، د. مُحَمَّد صالح بلعفير، مجلة سبأ، العدد ١٤،١٥ يوليو ٢٠٠٧م.

١٢٥. فترة مشرقة للجهاد الإسلامي في الحبشة، فهيم مُحَمَّد شلتوت، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض المملكة العربية السعودية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٢٦. مقالة دمت أبجدية البهجة وجلال التاريخ، أحمد الحسني، شبكة المؤتمر نت الإخبارية.

١٢٧. الموسوعة العربية، اليمن التاريخ الوسيط، مصطفى الخطيب.

١٢٨. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مقالة أهم المواقع الأثرية والتاريخية في جُبن كتبها، عبد المجيد الدرة.

الفهرس













الطبعة الأولى ٢٠١٩م